

ثورة العشرين
في الصحافة البريطانية
دراسة تحليلية



الدكتور علاء محسن صادق علي الأعرجي

ثورة العشرين في الصحافة البريطانية دراسة تحليلية

مراجعة وتقديم الدكتور
علاء حسين عبد الأمير الرهيمي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

منتدى المعارف
alMaaref Forum



الفهرسة أثناء النشر - إعداد منتدى المعارف

الأعرجي، علاء محسن صادق علي
ثورة العشرين في الصحافة البريطانية: دراسة تحليلية/ علاء محسن
صادق علي الأعرجي؛ مراجعة وتقديم علاء حسين عبد الأمير الرهيمي.
٤٠٠ ص.

ببليوغرافية: ص ٣٦٥ - ٤٠٠.

ISBN 978-614-428-286-1

١. الصحافة - بريطانيا. ٢. العراق - الأحوال السياسية. ٣. الثورة
العراقية الكبرى (١٩٢٠). أ. الرهيمي، علاء حسين عبد الأمير (مقدم
ومراجع). ب. العنوان.

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر منتدى المعارف»

© جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة للمنتدى

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٢٤

منتدى المعارف

بناية «طbare» - شارع نجيب العرداتي - المنارة - رأس بيروت
ص.ب: ٧٤٩٤ - ١١٣ حمرا - بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ - لبنان
بريد الكتروني: info@almaarefforum.com.lb

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ سَوَاءٍ

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوَفَّى صُحُفًا مُنْشَرَةً﴾ [المدثر: ٥٢]

صدق الله العلي العظيم



إهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا:

إلى نهري الحياة

والدي، والدتي

رحمهما الله تعالى.

إلى:

مَنْ نذروا أرواحهم الزكية

الطاهرة قرباناً على مذبح

الحرية ... شهداء الثورة

العراقية الكُبرى عام 1920 رحمهم الله تعالى.



شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين...

بإنجاز هذا البحث لا يسعني إلا أن أتوجه ببالغ الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور علاء حسين عبد الأمير الرهيمي الذي تفضل علي باختيار الموضوع وبقبول الإشراف على الأطروحة فقد واكب البحث منذ بدايته وفتح قلبه وبيته ومكتبته الخاصة أمامي وكانت لملاحظته العلمية والتوجيهية أثراً كبيراً في ترصين البحث علمياً وأكاديمياً. ولم يكن الأستاذ المشرف مشرفاً فحسب بل ذاك الأب المحب الحنون المصبر الناصح لما نزل بي من رزايا في أثناء مرحلة الكتابة، إذ عرفت منه نبل الأخلاق وحسن التواضع، فجزاه الله عني خير جزاء المحسنين.

كما أتوجه بالشناء والامتنان إلى أساتذتي والنخبة الفاضلة في قسم التاريخ لما قدّموه من مساعدة وعون وإرشاد في السنة التحضيرية وما تلاها أثناء مدة كتابة الأطروحة، وهم كل من: الأستاذ المساعد الدكتور عباس عاجل جاسم الحيدري، رئيس قسم التاريخ، الأستاذ الدكتور ربيع حيدر طاهر عكلة الموسوي، مقرّر القسم، الأستاذ الدكتور فليح حسن علي الحمداني، الأستاذ الدكتور طاهر يوسف عكاب الوائلي، الأستاذ المساعد الدكتور علي عظم محمد الكردي، الأستاذ الدكتور ياسين شهاب شكري البيجواني، الأستاذ المساعد الدكتور علاوي عباس عبد العزاوي، الأستاذ المساعد الدكتور علي خليل أحمد البياتي، الأستاذ الدكتور أحمد شاكر عبد العلاق، الأستاذ المساعد الدكتور حسن هادي الكعبي، الأستاذ المساعد الدكتور شميم ناظم السلامي من قسم «اللغة الإنكليزية»، وإلى الأساتذة الأفاضل في قسم

التاريخ جميعاً ممّن تلقّينا على أيديهم الكريمة الحث والدعوة لنا بالمثابرة، ولا يفوتني تقديم آيات الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور إبراهيم خليل العلاف لتفضّله بإرشادي ما تعلق بمنهجية توثيق الصحف البريطانية أكاديمياً، والأستاذ الدكتور مؤيد إبراهيم آدهم الوندائي لتفضّله بالنصح والتوجيه، فضلاً عن تزويدي بالعديد من ملفات الوثائق البريطانية التي خصّت مدة دراسة الباحث، وأتقدم بالشكر إلى عمادة الكلية، وإلى جميع موظفات وموظفي كلية الآداب بجامعة الكوفة لتفانيهم في عملهم.

ولا يفوتني تقديم أسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان للأساتذة في الجامعات الأجنبية ممّن قدّموا للباحث العديد من النصح والإرشاد، وقد خصّت مضامينها تاريخ الصحافة البريطانية، وكان من بينهم أساتذة قسمي الإعلام والتاريخ، ومنهم البروفيسور تيم لوكهرست (Tim Luckhurst) مساعد رئيس جامعة درم (Durham)، وسواهم من الأساتذة الأفاضل من الجامعات البريطانية ممّن لا يتّسع المقام لبيان أسمائهم، ولهم مني كل العذر في ذلك.

ومن باب الانصاف أجد أن أرفع جُل الشكر والتقدير والامتنان بشكل خاص إلى روح سماحة السيد الوالد السيد الجليل محسن صادق الأعرجي، والوالدة الفاضلة اللذين تركا الأثر الطيب والتشجيع المستمر من دون أيّ كلل أو ملل، وستظلّ ذكراهما عالقة وعبق شذاها في ذهني، وأسأل الله أن يتغمّد روحيهما برحمته الواسعة وأن يسكنهما فسيح جناته وأن يبدّلهما داراً في الآخرة خيراً من دارهما في الدنيا. ومن باب الوفاء ونكران الذات أتقدّم بالشكر والامتنان إلى زوجتي لتفهّمها طبيعة دراستي ولتحملها، ولا أنسى بناتي وأبنائي الأحبة (مصطفى وحسن وزهراء وزينب)، لهم مني كلّ المحبة والتقدير لدعمهم وصبرهم.

المحتويات

تقديم	د. علاء حسين الرهيمي	١٣
المقدمة		١٧
الفصل الأول: نشأة الصحافة البريطانية: قراءة موجزة		٢٩
الفصل الثاني: تطورات الصحافة البريطانية وتنامي اهتماماتها السياسية (١٨٧٠ - ١٩١٨)		٤٧
الفصل الثالث: قراءة موجزة في رصد الصحافة البريطانية للتغلغل البريطاني ونفوذه في العراق حتى ١٩١٤		٦٩
الفصل الرابع: الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠: دراسة موجزة في الأسباب والنتائج والمفهوم		٩١
الفصل الخامس: مواقف الصحافة البريطانية من العمليات العسكرية في العراق (١٩١٤ - ١٩١٥)		١٢٧
الفصل السادس: مواقف الصحافة البريطانية من تطورات العمليات العسكرية في العراق (١٩١٦ - ١٩١٨)		١٤٩
الفصل السابع: مواقف الصحافة البريطانية من إعلان الانتداب البريطاني على العراق حتى الثلاثين من حزيران ١٩٢٠		١٧١
الفصل الثامن: الآثار الاقتصادية والاجتماعية للوجود البريطاني في العراق حتى ٣٠ حزيران ١٩٢٠		١٨٩
الفصل التاسع: مواقف الصحافة البريطانية من أسباب اندلاع ثورة ١٩٢٠ في العراق		٢٠٩

٢٢٥	١٩٢٠	الفصل العاشر: مواقف الصحافة البريطانية إزاء تطورات الثورة حتى ٣١ تموز
٢٤٣	آب ١٩٢٠	الفصل الحادي عشر: مواقف الصحافة البريطانية من تطورات الثورة حتى ٣١
٢٦١	تشرين الأول ١٩٢٠	الفصل الثاني عشر: مواقف الصحافة البريطانية من نهاية الثورة حتى ٣٠
٢٨٣	الكبرى عام ١٩٢٠	الفصل الثالث عشر: مواقف الصحافة البريطانية من نتائج الثورة العراقية
٢٩٧	بعد الثورة	الفصل الرابع عشر: مواقف الصحافة البريطانية من الانتداب في العراق
٣١٣	الأمير فيصل ملكاً على العراق	الفصل الخامس عشر: قراءة أولية في مواقف الصحف البريطانية من تنويع
٣٢٧	عام ١٩٢٢ وانتخابات المجلس التأسيسي	الفصل السادس عشر: رصد الصحافة البريطانية للمعاهدة العراقية - البريطانية
٣٤١	خُلاصة واستنتاج	
٣٦٥	المراجع	

تقديم

تعدّ الثورة العراقية الكبرى في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ واحدة من أبرز المنعطفات التاريخية التي مرّت بها الدولة العراقية المعاصرة ضد الوجود البريطاني احتلالاً وانتداباً. ثورة حملت في العديد من صفحاتها ومعطياتها أبعاداً إنسانية قيمة ووطنية وفكرية وسياسية في تأسيسات الذاكرة التاريخية للفرد والمجتمع العراقي على حدّ سواء.

فامتدادها الجغرافي من لواء الناصرية (محافظة ذي قار حالياً) جنوباً إلى تخوم كردستان العراق، وتلعفر شمالاً، ومن لواء الموصل، وشرقاً من لواء دال، وغرباً إلى لواء الديلم ومحافظة الأنبار حالياً، يؤكّد امتداداً وطنياً تجاوز حدود الانتماءات المذهبية والعرقية، ممّا شكّل حراكها الجماهيري، مكاناً وزماناً، أساساً وطنياً عميقاً في الذاكرة العرقية حاضراً، وملهماً في حراك الأجيال مع كل منعطف تاريخي تمرّ به البلاد خاصة في مقاومة قوى الاحتلال الأجنبي الاستكباري، أو في مواجهة سلطات الحكم «الاستبدادي» وسياساته العنيفة في قمع إرادة الشعب ومحاصرة حرياته.

فلا غرو، إذ نجدها، أي الثورة العراقية الكبرى عام، قد أسست أساساً متيناً في التحرك السياسي الشعبي التوّاق للدفاع عن استقلال بلاده وعزّته وكبريائه الوطني وحياته بكل أبعادها القيمية والإنسانية الحسنة. خاصة وأنّ الثورة ضمّت بين مضامينها: انطلاقاً، وتطوّرات، ونتائج العديد من التأسيسات في الحراك الفكري والسياسي، تمثّلت بقيادتها من قبل مرجعية كربلاء المقدّسة المتمثّلة بسماحة آية الله محمد تقي الشراي (قدس سره)، ومن ثم مرجعية النجف الأشرف المتمثّلة بسماحة آية الله أبو الحسن الأصفهاني (قدس سره)، وإلى جانبهم العديد من القيادات الميدانية من شيوخ العشائر والقيادة الفكرية من عدد من النخب المثقّفة العراقية الذين

شكّل وجودهم وجهودهم ثقلًا ملموساً في مسارات الثورة، ولا سيما في إصدار صحف معنّية بشؤون الثورة وتطوراتها «الاستقلال» و«الفرات» النجفيتان و«الاستقلال» البغدادية، فضلاً عن تأليبهم للرأي العام داخل المدن العراقية ومحيطها.

استمرّت هذه الثورة من ٣٠ حزيران إلى ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٢٠م، أي أنها استمرت مدّة ثلاثة أشهر وإثنين وعشرين يوماً، أو تقريباً مئة واثنى عشر يوماً، وهي مدّة ليست قليلة، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الزمان والمكان ووضع المجتمع العراقي يومئذ اجتماعياً واقتصادياً ومحدودية إمكانياته العسكرية واللوجستية، وعلى الرغم من ذلك تكبّدت القوات البريطانية ما بين قتل وجريح وأسير نحو ٢٥٠٠ إصابة، وخسائر مادية بلغت ما بين ٤٠ - ٦٠ مليون جنيه إسترليني وهو مبلغ كبير بمقياس يومئذ.

لم يألُ البريطانيون جهداً في مواجهة الثورة مواجهة عنيفة بلغت تضحيات العراقيين، وحسب تقديرات المصادر البريطانية نحو ثمانية آلاف شهيد، لم يتوان المحتلّ الغشوم في استخدام ماكنته الحربية، لا بل أشار العديد من الباحثين الأجانب إلى استخدام أسلحة كيمياوية من قبل البريطانيين في الهجوم على بعض مراكز تجمع الثوار، وهو أول استخدام لأسلحة الدمار الشامل في العراق، وهو أمر إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على مدى الرعب الذي سببته الثورة من زعزعة وجودهم في البلاد.

لقد انكفأت الثورة عسكرياً، إلا أنّها حقّقت العديد من مطالبها السياسية، كان في مقدّماتها إبدال وضع الإدارة البريطانية في العراق من إدارة مباشرة خاضعة لوزارة المستعمرات البريطانية في الهند، إلى إدارة مدنية - عراقية خاضعة للاستشارة البريطانية مع كلّ التحفّظ على هذه النتيجة، إلا أنّها تعدّ خطوة إلى الأمام في مسار الحراك العراقي نحو الاستقلال.

إنّ تشكيل حكومة وطنية تحت تاج الملك فيصل الأول، رحمه الله، بحد ذاته يعد إنجازاً محسوباً للثورة في تغيير قناعات صاحب القرار البريطاني في رسم سياسته أو علاقاته مع العراق. لذا سعت الإدارة البريطانية إلى عقد أوّل معاهدة مع الحكومة العراقية، معاهدة ١٩٢٢، لتنظيم العلاقات بين الدولتين، وهي الأخرى مع العديد من الملاحظات الموضوعية على مضامينها، إلا أنّها شكّلت خطوة أولى في مسارات العلاقات الدولية للعراق في محيطه الإقليمي والعربي والدولي.

ونشير أيضاً إلى ما حقّقه الثورة من إنجاز كبير ما دفع أصحاب القرار من بريطانيين وعراقيين إلى أخذ الخطوات الفاعلة في التأسيسات التشريعية للبلاد، سواء كان بإجراء انتخابات للمجلس التأسيسي العراقي ١٩٢٣ - ١٩٢٤ أو بإقرار أول دستور عراقي ومصادقة في تاريخ العراق المعاصر، فضلاً عن تأسيس مؤسسات الدولة العراقية من أجهزة إدارية ومالية وعسكرية وسواها، شكّلت بمجموعها اللبنات الأولى لتأسيس كيان الدولة العراقية المعاصرة!!

فلا مرأ أن نجد العديد من الباحثين والأكاديميين، عراقيين وغير عراقيين، قد جردوا يراهم للخوض في غمار الثورة العراقية الكبرى لعام ١٩٢٠، والغوص في أعماقها، وقراءة صفحاتها بتمعّن وتأمّل إلى الوقت الحاضر، ورغم مرور أكثر من قرن من الزمان على الحدث.

لذا جاءت دراسة الدكتور علاء محسن صادق الأعرجي، متناغمة مع هذا الاتجاه، ومنساقه موضوعياً مع معطياته، ولاسيّما أنه قد اختار وبذكاء ملموس هذه المرة عنواناً لأطروحاته: «موقف الصحافة البريطانية من ثورة عام ١٩٢٠م في العراق: دراسة تحليلية» في محاولة صبورة وجادة لدراسة الرأي العام البريطاني والقوى السياسية البريطانية، سواء كانت في السلطة أو متعاطفة معها أو حتى تلك المعارضة، للوقوف جلياً عند أصداء الثورة العراقية في الشارع البريطاني وعند صاحب القرار السياسي البريطاني ومدى حجم تأثيرها فيهما. إنها محاولة تطلّبت من الدكتور علاء الأعرجي أن يدرس بعناية وصبر منقطعين حوالى ٢٠٠ صحيفة بريطانية امتدت أبعادها الزمنية إلى ما قبل الثورة، حيث جذور التغلغل البريطاني في البلاد في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، وصولاً إلى غزو البلاد واحتلالها خلال سنوات الحرب العالمية الأولى، فضلاً عن تلك التي عاصرت الثورة وتداعياتها، لا بل راح وانسجماً مع مقومات البحث العلمي الرصين في متابعة مواقف تلك الصحف حتى ما بعد نهاية الثورة، وصولاً إلى أعتاب العقد الثالث من القرن العشرين، وهو عمل جدير بالثناء والامتنان للباحث القدير.

لقد تضمّنت الدراسة مقدّمة وأربعة أقسام، بواقع أربعة فصول لكل قسم، وخاتمة ضمن توصيات في غاية الأهمية كتبها الباحث بعناية علمية مسندة موضوعياً إلى ما توصّل إليه في ثانياً أقسام وفصول دراسته هذه، وهي دراسة جديرة بالقراءة الجادة المتأمّلة لثناياه، خاصة أنّ الباحث قد اعتمد في إعدادها على حوالى ملفّة

وثائقية تابعة لوزارة الخارجية ووزارة المستعمرات البريطانيتين، و٢٠٠ صحيفة من مختلف المشارب السياسية البريطانية، محافظة أكانت أم معارضة يسارية أم راديكالية، إلى جانب أكثر من عشرات مذكرات ساسة عراقيين وبريطانيين، فضلاً عن ١٤٢ من المراجع العربية والمعرّبة، والعديد من الموسوعات التي أغنت مضامينها الأطروحة بمعلومات قيّمة، وشكّلت بجمعها معيناً زاخراً اغترف منه الباحث قدر المستطاع، فكان هذا الإنجاز العلمي الرائع بحلّته القشبية وقراءاته القيّمة بموضوعيّتها. بحق نفتخر بهذا الإنجاز العلمي في مسيرتنا العلمية التي امتدت إلى أكثر من ثلاثة عقود راجياً للباحث كل التوفيق والسداد والاستمرار بهذا المنهج العلمي القويم.

والله من وراء القصد.

أ. د. علاء حسين الرهيمي

أستاذ تاريخ العراق المعاصر

عميد كلية الآداب الأسبق

جامعة الكوفة

المقدمة

نطاق البحث والتعريف بأبرز المصادر

عُدَّت ثورة العشرين المنطلقة في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ في العراق انعطافةً تاريخيةً كبيرةً في تاريخ البلاد المعاصر، أولها الكثير من الباحثين، أكاديميين وغير أكاديميين، عراقيين وغير عراقيين، اهتماماً بالغاً في توثيقها، والتعمُّق في دراسة مضامينها: أسباب، تطورات، ونتائج تركت أثراً كبيراً في الذاكرة العراقية، وبالتالي، في المُعطى السياسي وأبعاده في العراق إلى وقتنا الحاضر، وهذا ما يفسّر لنا سعة هذه الدراسات والكتابات عن الثورة العراقية الكبرى، سعة تكاد تنفردُ بها هذه الانعطافة التاريخية عن مثيلاتها من أحداث العراق المعاصر، مُشكلةً مخزوناً معرفياً وفكرياً وثقافياً متنوعاً في منهجه، ومتبايناً في قراءته بتنوّع الدارسين، نشأةً ومشرباً وبتباينهم في الانتماءات الاجتماعية والفئوية والسياسية والفكرية، بل وفي أحيان غير حتى في انتمائهم العقائدي.

ولعلّ الكتابات سعةً وحجماً وتنوعاً تدعو الباحثين في الشأن التاريخي - السياسي المعاصر للبلاد إلى مراجعة في قراءة موضوعية لما كُتب عنها من جهة، وإلى البحث عن مصادر ووثائق مهمّة من جهة أخرى، فضلاً عن الوقوف على حيثيات الجانب الآخر من هذا الحدث، ونقصد به الجانب البريطاني وبالتحديد الرأي العام فيه من مجريات الثورة وتطوراتها، بالاستناد في الدراسة إلى ما نشرته الصحف البريطانية من أخبار أو تعقيبات أو مقالات عن أحداثها ومختلف توجّهاتها السياسية: راديكالية أكانت أم ليبرالية أم مستقلة أم متناغمة مع الحراك السياسي والعسكري للحكومة البريطانية أو إدارتها في الانتداب للعراق وسياستها.

دراسة أتبعَت في منهجها المنهج الوصفي حيثما اقتضت ضرورة عرض الموضوع ووصف أحداثه، وإحصائي لدعم الأسس الموضوعية في دراستنا هذه، فضلاً عن التحليلي لتعزيز القراءة المحايدة له، ممّا شكّل ذلك الدافع الأوّل في اختيارنا موضوع دراستنا هذه.

وما تمثّله الصحافة من أهمية في كونها مصدراً أساسياً من مصادر الدراسات التاريخية، لا غنى للباحثين عنها في دراستهم لهذا الموضوع أو ذاك من تاريخ بلادنا أمر ثانٍ حتّى الباحث على اختياره، خاصة في الوقوف عند مواقف الصحافة البريطانية إزاء الثورة.

وتناغماً مع ما تقدّم، فإن الصحافة البريطانية وعمق تأثيراتها في الرأي العام البريطاني وتنوع اتجاهاتها الفكرية وتباين انتماءاتها، وما رصدته من تطورات عن هذا الحدث هي الأخرى شكّلت أساس ثالث في تأكيد عزمنا في المضي قدماً بمشروع دراستنا هذه.

إن ما نشرته من أخبار ومقالات، ورسائل قراء، أو ضباط وجنود اشتركوا في أحداث الثورة كان لها قيمتها التاريخية بما شكّلتُه من سجل وثائقي كشفت لنا عن معلومات مهمّة إلى جانب الوقوف عند الآراء «المساندة» أو «المعارضة» لسياسات الحكومة البريطانية في العراق، وموقفها من «المطالب الشرعية» للعراقيين في التمسك بـ«التحرر» من قيود المستعمر، ونيل «الاستقلال» التام والناجز، وتشكيل مجلس تأسيسي «مُنْتَخَب»، وتأسيس حكومة عربية يرأسها حاكمٌ «عربي» «مسلم»، فكان ذلك دافع رابع لخيارنا هذا.

مثّلت آراء وأخبار وتعليقات الصحف البريطانية أثراً فاعلاً وكبيراً في نقل وتوثيق مختلف مراحل تطورات المسار التاريخي للعلاقة العراقية - البريطانية، منذ بدايات القرن الثامن عشر، وما تنامي فيهما من تأسيسات للمصالح التجارية البريطانية في منطقة الخليج العربي عموماً والعراق خاصة، وقد تمتعت بقدرة «واضحة» في «الرصد» و«التحليل» في قراءاتها أساليب التغلغل البريطاني وتنامي نفوذه في البلاد وعلى الصّعد كافة: اقتصادية وسياسية واجتماعية، وهذه الأهمية ازدادت مع تنامي اهتماماتها، وتسلّط الأضواء البريطانية على أوضاع، من كانت تُطلَق عليه بـ«بلاد ما بين النهرين» في صفحاتها، وبصورة ملموسة منذ النصف الثاني من القرنين الثامن عشر وما تلاه، ليتسع وباطراد مع ازدياد المصالح البريطانية التي وصلت إلى ذروتها

مع بدايات القرن العشرين فكان ذلك دافعاً خامساً في التأكيد على اختيار موضوع الدراسة هذه.

فضلاً عما رصدته الصحف البريطانية من تطورات التنافس الدولي وتساعد حدّته بين الدول على المنطقة عموماً، وعلى العراق على وجه الخصوص، تنافساً تحوّل إلى «صراع» ومن ثمّ إلى «صدام» في حرب أثمرت عن احتلاله من قبل البريطانيين في الحرب العالمية الأولى وطرده العثمانيين منه، فقد أسفر الأمر عن مواجهة بين المُحتلّ البريطاني و«الشعب العراقي»، مواجهة «رصدت» الصحافة البريطانية أخبارها و«تُبعت» تطوراتها وتأثيراتها السياسية والاقتصادية في بريطانيا، ووصل أوجها باندلاع الثورة العراقية الكبرى في ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠، وهذا ما شكّل الأساس السادس للاهتمام بهذه للدراسة.

وأخيراً، يجب ألا يفوتنا أن نذكر ما للصحافة البريطانية ومنذ تأسيساتها الأولى من نفوذ و«سيطرة» واضحة المعالم على حركة تداول «الأنباء العالمية» وفق مبدأ «التدفق الحر للأنباء» أولاً، ومن ثمّ بعده بقرن من الزمان، وفق شعار «التدفق الحر المسؤول للأنباء» ثانياً، وفي مرحلة معاصرة ما أُطلق من شعار للصحافة البريطانية «التدفق الحر المتوازن للأنباء» ثالثاً، إلى جانب مبدأ «الحق في الاتصال» رابعاً، وهو حافز مهم ضمن دوافع اختيار الباحث لموضوعه هذا.

إن الباحثين في شأن الثورة العراقية الكبرى لم يولوا «الصحافة البريطانية» اهتماماً واضحاً في كتاباتهم أو دراساتهم عن «الثورة العراقية الكبرى» كمصدر في غاية الأهمية، ومعين زاخر بالمعلومات عن هذا الحدث إلا بنزر قليل ومحدود، فشكّلت هذه الحقيقة مقوِّماً موضوعياً آخر في اختيار الدراسة.

وإلى جانب كل ما تقدّم من دوافع موضوعية، وأسس علمية في اختيار موضوع رسالة الدكتوراه هذه، كان ما قدح في ذهن الباحث من سؤال وآخر خلال قراءاته الأولية في الصحف البريطانية عن الموضوع، شكّلت بمجموعها حافزاً مهماً وبديلاً موضوعياً عن فرضية «البحث العلمي» في الدراسات الأكاديمية، كان ما بين أبرزها: كيف رصدت الصحافة البريطانية أحداث الثورة؟ وهل تعاملت مع الحدث بموضوعية وحيادية؟ وما هو أثرها في الرأي العام البريطاني؟ وهل أدّى إلى أي حراك مجتمعي سياسي في بريطانيا؟ وما طبيعة مواقف الحكومة البريطانية من الرصد الصحفي في بلادها عن الثورة، وكيف تعاطت معه؟ هل تفاعلت الصحف البريطانية وخاصة

المستقلة أو ذات الميول الليبرالية أو الاشتراكية مع المطالب المشروعة للثوار، أم أنّها وقفت على الحياد، وبغض النظر عن رؤاها السياسية؟

تكوّنت الأطروحة من المقدّمة هذه، وأربعة أقسام بواقع أربعة فصول لكلّ قسم، وخاتمة وضع فيها الباحث ما توصل إليه من نتائج، إذ درس وبإيجاز في القسم الأول: «الصحافة البريطانية تأسيسها واتجاهاتها السياسية ورصدها الخبري لأوضاع العراق حتى ١٩١٤، دراسة موجزة»، تضمن الفصل الأول نشأة الصحافة البريطانية قراءة موجزة، عقبها توسع كبير في نهضتها كمّاً وحجماً في النشأة والتأسيس، فضلاً عن تباين اتجاهاتها السياسية واختلاف متبنياتها الفكرية. ويبيّن الباحث في الفصل الثاني تطوّرات الصحافة البريطانية وتنامي اهتماماتها السياسية ١٨٧٠ - ١٩١٨، بدراسة تاريخية كانت بدايتها أثر الصّحف البريطانية في منظومة الحياة الثقافية العامّة في بريطانيا وعلى الصّعد كافة: اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وغطّت جميع الجُزُر البريطانية، وقد ناهزت المئة صحيفة آنذاك، اتسم مُعظمها بـ«الشعبية» لتفاعلها المؤثّر في الرأي العام وبمختلف أوساطه الطبقية، تفاعلاً ازداد اطرادياً مع مرور الزمن بين الصحافة والرأي العام البريطاني.

ثم ركّز على بيان دور «مُحرري الصّحف» و«مُلاكها» في اتخاذ القرار من خلال مواقفهم في السلطتين «التنفيذية» و«التشريعية» في مُتابعة سياسات مختلف الحكومات البريطانية داخلياً وخارجياً ومراقبتها في العقدين الأوّلين من القرن العشرين، بعدها سلّط الأضواء في الفصل الثالث الذي حمل عنوان: «قراءة موجزة في رصد الصحافة البريطانية للتغلغل البريطاني ونفوذه في العراق حتى ١٩١٤»، ذاك التغلغل البريطاني التي رصدته الصحف البريطانية بدءاً من تتبّع ومناقشة مشروع سكة حديد (برلين - بغداد)، ومشاريع حيوية أخرى، ممّا شكّل ذلك «مادة خبرية» دسمةً للصحف البريطانية لتزيد بذلك عدد ما طبعته من صفحات لتلقي بظلالها على تتبّع جانب آخر مهمّ لدى القارئ البريطاني تمثّل برصد الحملات التبشيرية البريطانية في بلاد ما بين النهرين، وانتهاءً بالتعريف بمضامين ما كُتب من مؤلفات عدّة عن إرث العراق التاريخي والاقتصادي والاجتماعي. واختتم القسم الأول بالفصل الرابع الذي جاءت مضامينه مُتسقة مع ما تقدّم في قراءة موضوعية جديدة للثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ في: أسبابها ونتائجها ومفهومها.

وعالج في القسم الثاني «مواقف الصّحف البريطانية من العمليات العسكرية

والوجود في العراق، قراءة أولية في عوامل الثورة العراقية الكبرى (١٩١٤ - ١٩٢٠)،» مبنياً فيه وإيجاز موضوعي رصد الصحافة البريطانية للسياسة الدفاعية التي سرعان ما انقلبت وحلّت محلّها «مطامع» ناقصة المرمى والإيضاح بعد أن أصبحت باحتلال ولاية البصرة جميعها لتمسي باحتلال بغداد، واختلفت فيه آراء الصُحف السياسية مع تلك الاستراتيجية، وهذا ما تناوله الفصل الخامس. أما الفصل السادس فقد تصدّى الباحث فيه لتلك المواقف الإعلامية البريطانية من العمليات العسكرية في بلاد ما بين النهرين حتى عام ١٩١٨، أوضح فيه تداعيات نقل أخبار وتحليلات بعينها خصّت بلاد ما بين النهرين، وهو أمر وجد أذهاناً منفتحة مُتّعقبه لجهات حكومية وعسكرية لما طُرِح في الصُحف الآنفه الذكر للتعقيب على هذا الخبر أو ذاك، خاصةً بعد أن كشفت الصحف البريطانية للإخفاقات العسكرية، إلى جانب تردّي بعض الخدمات الأساسية المتعلقة بالعمل العسكري، منها «الخدمات الطبية»، أو ما أُطلق عليه في صفحاتها بفضيحة «نقص المُعدات الطبية» التي أولتها الصحف اهتمامها الخاص «نقدًا» و«تحليلًا».

ثم تطرّق الباحث إلى قرار الانتداب البريطاني على العراق وصداه في طيات الصُحف البريطانية في الفصل السابع الذي حمل عنوان: «مواقف الصحافة البريطانية من إعلان الانتداب البريطاني على العراق حتى الثلاثين من حزيران ١٩٢٠»، أشار في ثناياه إلى مُختلف مراكز القوى الدولية وطروحاتها «الانتدابية» إزاء «تفسير» و«تحليل» مضامين مشروع الانتداب على بلدان انسلخت من سُلطة امبراطوريات طالما حكمتها لقرون، حينما انسلخ العراق من سيطرة الدولة العُثمانية ليجد نفسه أمام «طرحٍ سياسي» فريد في تأسيساته الدولية عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى، فضلاً عن أصداء ذلك لدى الرأي العام العراقي. وختام القسم الثاني كان حاضراً في مضامين الفصل الثامن حين تطرّق الباحث إلى تلك الآثار الاقتصادية والاجتماعية للاحتلال البريطاني في العراق حتى الثلاثين من حزيران ١٩٢٠، وانعكاسها في الصُحف البريطانية «اهتماماً» أفضى إلى «تتبّع» كل واردة وشاردة خصّت العراق آنذاك.

وفي القسم الثالث الذي عنون «مواقف الصُحف البريطانية من اندلاع الثورة العراقية الكبرى حتى نهايتها». تناول الباحث في الفصل التاسع منه الموسوم بـ «موقف الصحافة البريطانية من أسباب اندلاع ثورة ١٩٢٠ في العراق» مواقف الصُحف البريطانية من مختلف اتجاهاتها السياسية في رصد الأسباب الدافعة للثورة العراقية

الكبرى، وما شكّله ذلك من أثرٍ فاعلٍ في انقسام الصحف الآنف الذكر في «توصيفاتها الخيرية» تحت مُسمى «تمردٍ» تارةً و«انتفاضةٍ عشائريةٍ» تارةً أخرى، ثم تطرّق الباحث في الفصل العاشر إلى تلك المواقف المتعدّدة والمختلفة للصحف البريطانية إزاء تطورات «الثورة» خلال شهر تموز ١٩٢٠، بيّن فيه أثر علماء المدن المُقدّسة في إصدار فتاوى «جد خطيرة»، على حدّ تعبيرها، إزاء نهج الإدارة البريطاني «المماطل» و«المسوّف» لمطالب أحرار العراق بضرورة تحقيق الاستقلال الناجز وتأسيس دولة «عربية» ذات طابع «إسلامي».

وكان لهذه الفتاوى صدى كبير بين مُختلف أطياف وإثنيات المُجتمع العراقي والعديد من القوى العشائرية العراقية. وفي الفصل الحادي عشر وقف الباحث عند العمليات العسكرية لشهر آب، وبيان رصد الصحف البريطانية التي شاركت بصورة فاعلة في تغطية ردود أفعال المُجاهدين من العلماء والقوى العشائرية ضد القطعات العسكرية البريطانية، وقد ضمّنته تقارير خبرية مهمّة عن تلك القوى وقياداتها وعدّتها العسكرية إلى جانب نتائج تلك العمليات خاصة بعد معركة الرانجية في ٢٤ تموز ١٩٢٠، وما تمخّضت عنه من تداعيات خطيرة في مجرى العمليات العسكرية وتطوّراتها اللاحقة على الطرفين المتحاربين كما بيّنها في الفصل الثاني عشر تحت عنوان «مواقف الصحافة البريطانية من التطوّرات من نهاية الثورة حتى ٣٠ تشرين الأول ١٩٢٠».

أما القسم الرابع والأخير، فقد كان بعنوان «أضواء على مواقف الصحف البريطانية من أبرز نتائج الثورة العراقية الكبرى لعام ١٩٢٠» تناول الباحث فيه في الفصل الثالث عشر الذي وسم بـ «مواقف الصحافة البريطانية من نتائج الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠»، نتائج اختلفت الصحف البريطانية في بيانها وتقييم أثرها في كل من بريطانيا والعراق، بدءاً باستخدام القوات العسكرية البريطانية لأسلحة فتاكة و«غازات سامّة» عكست مدى فاعلية الثورة ومدى انتشارها على مجمل أرض العراق، وهو أمر أجبر المحتلّ البريطاني على تغيير سياسته إزاء العراق بدءاً من تعيين حاكم مدني جديد، بعد أن طفت على السطح تلك الخلافات السياسية بين مدرستي الهند الاستعمارية ومدرسة لندن السياسية إزاء مستقبل العراق، ليفصلها الباحث في مواقف للصحف البريطانية إزاء «قرار الانتداب» البريطاني على العراق في الفصل الرابع عشر، مجملاً أبرز «المواقف» للصحف الآنف الذكر إزاء قرار الوصاية،

موضحاً استشرافات تلك الصحف في تداعيات الانتداب البريطاني على العراق.

وعالج في الفصل الخامس عشر بعنوان «قراءة أولية في مواقف الصحف البريطانية من تتويج الملك فيصل على العراق» نتيجة من نتائج الثورة، على أثر الترشيح البريطاني للأمير فيصل، المُبعد من عرش «سوريا» يومئذ، وخاصة أنَّ العديد منها عدَّت تتويجه «إنجازاً» سياسياً «بريطانياً» بحثاً، أعقبها تسليطها الأضواء على المعاهدة العراقية - البريطانية ١٩٢٢ والخاصة بتحديد شكل العلاقة بين البلدين كنتيجة من نتائج الثورة، وهذا ما تصدَّى له الباحث في ثنايا الفصل السادس عشر والأخير من هذا القسم.

تنوعت المصادر التي اعتمد عليها الباحث في استقاء معلومات كتابه هذا، وكان في مقدّماتها الصحف البريطانية المودعة في دار أرشيف الصحف البريطانية (The British Newspaper Archive) بالرجوع إلى المكتبة البريطانية، حيث تم رقمنة ملايين النسخ الورقية من الصحف البريطانية بدقة تصوير بلغت (300 dpi). لتكون متاحة على الإنترنت للباحثين وغيرهم من المهتمين بالصحافة البريطانية، فضلاً عن استثمار الوقت عند البحث في النسخ المطبوعة أو الميكرو فيلم، والذي غالباً ما يتطلب زيارة المكتبة البريطانية في لندن أو يوركشاير، وقد حوت تلك الدار معظم مجموعات الصحف الصادرة في المملكة المتحدة منذ عام ١٨٠٠، ومن السهل تقدير الطبيعة الرائدة لهذا المشروع، فضلاً عن أرشيف صحفي التايمز والأوبزيرفر المتاح عبر موقعهما الإلكتروني.

مثّل أرشيف الصحف البريطانية على موقعه الإلكتروني إحدى أكبر المعوقات الفنية التي واجهها الباحث، حيث إنّ قراءة صحيفة مرقّمة تعود إلى قرن من الزمن وبدقة تصوير بلغت (300 dpi)، نقطة لكل بوصة «مقياس لكثافة النقاط المطبوعة» (Dots Per Inch) تبدأ دقة الصورة المسحوبة ضوئياً والمُتعارف عليها عالمياً من (200 dpi) إلى (1200 dpi)، فيزداد وضوح الصحيفة المصورة كلّما زادت دقّتها ضوئياً، وهو أمر جعل من تلك الصحف مشوشةً وغير واضحة المعالم في الغالب، مضافاً إليها استخدام الصحف مفردات تعود إلى ما يزيد على مائة عام، وهو ما تطلب من الباحث استنفاد وقته بالكامل من أجل تقديم قراءة دقيقة لما ورد في تلك الصحف آنفة الذكر من جهة، وتشوش المصطلحات الإنكليزية لدى المترجمين الذين رجع الباحث إلى ترجماتهم للصحف البريطانية الصادرة يوم ذاك، فضلاً عن حجب

صحف أخرى أمام الباحث كونه من الدول التي تحجب القوانين البريطانية السماح لدول بعينها الوصول الى أرشيف تلك الصحف ومنها صحيفتا الغارديان والأوبزيرفر.

كما وثّق الباحث في كتابه معلومات وثائقية في أقسام الكتاب، ولاسيما الثاني والثالث والرابع منها، كان من بينها: وثائق وزارة الخارجية البريطانية (Foreign Office) سيما الملف عدد « 882/23/3/33»، فضلاً عن وثائق خصّصت «مجلس الوزراء البريطاني» كان من أهمها الملفات ذات الإعداد «CAB24/109/49» و«CAB24/110/49»، و«CAB24/111/17»، و«CAB24/111/29»، و«CAB/23/37/19»، و«CAB/24/108/56»، و«24/108/72»، وسواها من الملفات الوثائقية المهمة.

واستخدم الباحث عدداً من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، والمعرّبة، فضلاً عن عدد من الرسائل والأطاريح الجامعية، وعزّزها بالمقالات الأكاديمية المعتبرة العربية والأجنبية وكتب التراجم والمعاجم والمجلات والموسوعات والمقالات وشبكة الإنترنت، وهي معلومات لا غنى عنها في هوامش الكتاب وأمدّت متون أقسامه وفصوله بآراء مهمة أعانت الباحث كثيراً في إعداد دراسته هذه.

كان من بين أهم مصادره في اللغة الإنكليزية مصادر الصحف البريطانية، منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب الباحث **كيفين ويليامز** (Kevin Williams) الموسوم بـ **تاريخ الصحافة البريطانية** (*A History of the British Newspapers*) الذي اشتمل على معلومات قيّمة غطّى فيه المدة من التأسيسات الأولى للصحافة وإلى نهاية العقد الثاني من القرن العشرين.

واستمدّ الباحث معلوماته من الكتب الوثائقية المعنّية بالموضوع، تصدرها مؤلفات المؤرخ الألمعي محمد مهدي البصير وكتابه **تاريخ القضية العراقية**، والصادر عن مطبعة دار اللام بلندن عام ١٩٩٠، في طبعته الثانية، والمؤرخ العراقي الثبت عبد الرزاق الحسني (١٩٠٣ - ١٩٩٧)، الذي كان من أهم كتبه: **الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠**، ومنها أيضاً مؤلف الباحث عبد الإله توفيق الفكيكي: **البدايات الخاطئة: قراءة في تاريخ العراق السياسي الحديث**، وهو من المؤرخين - الأكاديميين الرواد المعنيين بتاريخ العراق الحديث والمعاصر، فضلاً عن مؤلفات الباحث كامل سلمان الجبوري الذي استقى الباحث منها معلومات ذات أهمية كبرى.

كما كان للمؤلفات البريطانية الوثائقية وغير الوثائقية ولشخصيات سياسية وعسكرية لها دورها المباشر في تلك الأحداث، منها كتاب المس بيل: فصول من تاريخ العراق القريب، وكتاب تشارلس طونزند، محاربي في العراق أو خواطر طونزند، وعكست المؤلفات هذه وجهة النظر البريطانية إزاء مختلف مراحل الأحداث التي جرت في سنوات الحرب العالمية الأولى في العراق.

وأمدت كتب المذكرات البحث بالكثير من المعلومات، خاصة مؤلفات أولئك الذين عاصروا الأحداث وشاركوا فيها، لعل من بينها مذكرات السياسي رؤوف البحراني والمعنونة بـ مذكرات رؤوف البحراني: لمحات عن وضع العراق منذ تأسيس الحكم الوطني عام ١٩٢٠ ولغاية عام ١٩٦٣، وكذلك مذكرات السيد سعيد كمال الدين في مذكراته صفحات من مذكرات السيد سعيد كمال الدين أحد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠ ذات الأهمية في الوقوف عند تفاصيل مهمة من الثورة العراقية عام ١٩٢٠ وقيادتها من العلماء، فجاءت أهميتها في كونها مدونة من قبل مراقب الأحداث وتطوراتها.

ولم يستثن الباحث العديد من الدراسات الأكاديمية العراقية وغير العراقية من أطاريح وأبحاث معنية بالموضوع، «فاستعان» بمعلوماتها تارةً و«استأنس» بها في عموم أقسام وفصول الكتاب، وكان منها رسالة الباحث فواز مطر نصيف الدليمي المعنونة «تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٨٦٩ - ١٩١٤»، ورسالة علاء عزيز كريم «موقف الحوزة العلمية من التطورات السياسية في العراق ١٩١٤ - ١٩٢٤».

كما لم يستغنِ الباحث عن الاستعانة بالعديد من كتب التراجم والموسوعات والمعاجم في الوقوف عند معلومات مهمة عن هذه الشخصية أو تلك من علماء ورجال دين وسياسيين وعسكريين ومواقع جغرافية، فأغنت معلوماتها هوامش مختلف أقسام وفصول الكتاب، منها كتاب المؤلف محمد حرز الدين: معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، وكتابا مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث وأعلام الوطنية القومية، فضلاً عن عدد من الموسوعات البريطانية التي غطت معلوماتها ترجمة بعض الصحف البريطانية المهمة في هوامش الأطروحة.

وقد تسنى بذلك للباحث الوقوف على العديد من المصادر والمراجع المتنوعة في أهميتها ومشاربها التي عكست مختلف وجهات النظر لمختلف الأطراف

وأسهمت إلى حدّ ما في قراءة مواقف الصحف البريطانية من أحداث وتداعيات ثورة العراق الكبرى «أسباب، تطورات، نتائج» من منظور تنوّعت فيه الآراء ووجهات النظر لمختلف القوى التي أسهمت فيها، ومن دون شك، قراءة حسب إمكانيات باحث في خطوات ما زال صبوراً في طريق البحث العلمي الطويل.

الباحث

القسم الأول

الصحافة البريطانية: تأسيسها واتجاهاتها السياسية

ورصدها الخبري لأوضاع العراق حتى ١٩١٤

دراسة موجزة



الفصل الأول

نشأة الصحافة البريطانية: قراءة موجزة

يرقى تاريخ تأسيس الصحافة في إنكلترا إلى بواكير القرن الثامن عشر، فقد تأسست أولى صحفها اليومية في عام ١٧٠٢، وبمرور الزمن نمّت علاقةً وطيدةً بين «الرأي العام» في بريطانيا والصحافة، فتعمّق «التفاعل» بينهما بصورة كبيرة لما لها من أهمية ثلاثية الأبعاد في «التعريف بالأحداث» و«تنبيه الأذهان» لمجرياتها، وبالتالي ما يتمخض عن ذلك من بناء «عقل جمعي» يحرك في الأوساط الشعبية ويؤثر في خلق «تيارات مجتمعية» تؤثر في مختلف الصّعد: «الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والفكرية»^(١).

فلا غرو من أن نجد أن توزيع الصحف في بريطانيا وبيعها هو الأعلى بين الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر الميلادي، لانكباب البريطانيين في اقتنائها ومطالعتها يومياً، حتى بزت صحيفتا ذا صن (The Sun)^(٢) والديلي ميرر (Daily

(١) جون توش، المنهج في دراسة التاريخ، ترجمة ميلاد المقرحي(بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٤)، ص ٧٧.

(٢) ذا صن (The Sun) صحيفة يومية مسائية بريطانية انبثق عددها الأول في الأول من تشرين الأول/أكتوبر ١٧٩٢ على يد الكاتب جون هيريوت، بدعم من رئيس الوزراء آنذاك، وليام بيت، وحكومته، استهدفت الجماهير ذوي الدخل المنخفض. أعيد تسمية الصحيفة في لندن عام ١٩٦٤ تحت مسمى (Daily Herald)، كافحت الصحيفة في السنوات القليلة الأولى من وجودها من أجل الحصول على التمويل اللازم لاستمرارها خلال الحرب العالمية الأولى، كانت تنشر أسبوعياً عدداً واحداً فقط. كان للصحيفة موقفاً مناهضاً بشدة للحرب العالمية الأولى، كما عارضت موقف الحكومة المناهض للبليشفية. حتى أن البلشفي البارز، ليف كاميناف (Lev Kamenev)، أعطى الصحيفة مبالغ نقدية بحدود ٤٠ ألف جنيه إسترليني عام ١٩٢٠، لكن هذا لم ينقذ الصحيفة من مشاكلها المالية. قام لانسبري، المحرر في ذلك الوقت، بتسليم الصحيفة إلى حزب العمال، وأصبحت الصحيفة بمثابة الصحيفة الرسمية لمؤتمر نقابات العمال. للمزيد من التفاصيل أنظر: Roy Greenslade, "Empress of the Sun," The Guardian, 14/1/2003.

(Mirror)^(٣) ورصيفتها من الصحف الأوروبية يومئذ^(٤).

لقد شهد تاريخ الصحافة البريطانية مراحل متعددة في مسار تأثيراتها في «الرأي العام» خاصة في الجوانب السياسية^(٥)، وهي جوانب وصلت إلى منعطف كبير وخطير أيام الحراك المجتمعي صوب الإصلاح السياسي والتشريعي الذي أصبح مطلباً جماهيرياً واسعاً^(٦)، كان من أوضح صورها وأعمقها أثراً ما جرى في ثلاثينيات القرن التاسع عشر وأربعينياته من حراك مجتمعي في الأوساط العمالية عُرف بأدبيات التاريخ البريطاني — الحركة التشارتية (The Chartist Movement)^(٧). كان

(٣) ديلي ميرر: (Daily Mirror) صحيفة ديلي ميرور جزء من مجموعة صحف ميرر، وهي شركة تابعة لشركة ترينيتي ميرر بي إل سي (Trinity Mirror plc)، اتخذت الصحيفة موقفاً سياسياً من يسار الوسط فكانت بذلك الصحيفة اليومية الوطنية الوحيدة في المملكة المتحدة التي دعمت حزب العمال بإخلاص. تأسست الصحيفة في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٠٣ على يد ألفريد هارمسورث (١٨٦٥-١٩٢٢)، تمثل جمهورها بالطبقة المتوسطة المتعطش للأخبار. فقد كانت الصحيفة نوعاً جديداً من الصحف الصباحية، حيث تفوقت بشكل كبير على منافسيها، فوصلت إلى مليون نسخة يومياً بحلول نهاية القرن العشرين. ازدهر تداول الديلي ميرر من ٣٨٥٤٠ نسخة في نهاية تشرين الثاني ١٩٠٣ إلى ١٢٠ ألف نسخة بحلول شباط ١٩٠٤، ثم وصل إلى مليون نسخة بحلول عام ١٩١٤ م. للمزيد من التفاصيل أنظر: Chris Horrie, *The Birth of the Daily Mirror to the Death of the: Tabloid* (London: Andre Deutsch Ltd, 2003), pp. 3-1.

(٤) Kevin Williams, *Read All About It! A History of the British Newspaper* (London: Routledge, 2009), p. 10.

(٥) للمزيد من التفاصيل حول تأثير الصحافة الجماهيرية على الرأي العام في بريطانيا أنظر: Christopher Shoop Worrall, “Politics and the Mass Press in Long Edwardian Britain: 1896-1914”, PhD thesis, University of Sheffield: Faculty of Social Sciences, 2019.

(٦) Susanne Christina Stoddart, “Pressing for Reform: The New Liberalism, the New Journalism and Emotion in Edwardian Liberal Newspapers”, PhD thesis, University of London: Royal Holloway, 2014), p. 24.

(٧) الحركة التشارتية: أول حركة جماهيرية تقودها الطبقات العاملة. نمت بعد فشل قانون الإصلاح لعام ١٨٣٢، نشطت الحركة في القرن التاسع عشر على أساس المبادئ التي اشتمل عليها ميثاق الشعب (People's Charter) الذي وضعه الزعيم الراديكالي وليم لوفيت (William Lovette) عام ١٨٣٨ مع فرانسيس بليس (Francis Place)، وهما راديكاليان، بالتشاور مع أعضاء آخرين. كان للميثاق ستة مطالب منها: (أن لكل الرجال الحق في التصويت، وأنه يجب أن يتم التصويت بالاقتراع السري، وأن تكون الانتخابات النيابية كل عام وليس مرة كل خمس سنوات، ويجب أن تكون الدوائر الانتخابية متساوية في الحجم، وإلغاء شروط الملكية المفروضة على المرشحين لعضوية البرلمان). للمزيد من التفاصيل أنظر: Joan Allen, and Owen R. Ashton, *Papers for the People: A Study*

لصحافة اليسار أثرها الكبير في توجيه مساراتها، وإدامة زخمها على الرغم من ضغوطات حكومات تلك المدّة الزمنية من تاريخ بريطانيا وتعنّفها وقسوة أساليب مواجهتها للحركة ومطالبها المشروعة على حدٍ سواء^(٨).

كانت من بين أولى الصُحف البريطانية اليومية صحيفةُ ذا ديلي كورانت (*The Daily Courant*)، تأسّست في الحادي عشر من آذار عام ١٧٠٢ لمالكيتها إليزابيث ماليت (Elizabeth Mallet)، وكان مقرّها في فليت بريدج لندن^(٩)، وقد صدرت بصفحة واحدة، عُنيّت بالأخبار الخارجية للدول الأوروبية في بداية مشوارها الصحفي، وقد اضطرت مالكتها بعد أربعين يوماً فقط على صدورّها إلى بيع أصولها إلى مؤسسة نشر أخرى؛ بسبب صعوبة تمويلها المالي، ثم تمّ دمجها عام ١٨٣٥ مع صحيفة ديلي غازيتير (*Daily Gazetteer*)، وتبع هذه الولادة ولادةُ صحفٍ يوميةٍ وأسبوعيةٍ أخرى^(١٠)، بعضُها صدر في الصباح وبعضُها الآخر صدر في المساء^(١١)، ممّا مكّن الرأي العام البريطاني من متابعة مستجدات الأحداث وتطوّراتها على صعيد البلاد وأوروبا والعالم في اليوم نفسه^(١٢)، وهذا بحدّ ذاته تطوّر كبير في تفاعل الرأي العام مع

of the Chartist Press (London: Merlin Press, 2005), p. 23; Gibson Joshua, "The political = thought of the Chartist Movement." PhD thesis, University of Cambridge: Arts and Humanities Research Council, 2018.

Kevin Williams, op. cit, p. 4; Jutta Schwarzkopf, *Studies in Gender History: (٨) Women in the Chartist Movement* (London: Palgrave Macmillan Ltd, 1991); Gregory Claeys, *Chartist Movement in Britain, 1838-1856*, Vol. 2 (London: Routledge, 2021); James Curran, "Media and the Making of British Society, c. 1700-2000," *Media History*, Vol. 8, No. 2, 2002, pp. 135-15.

Ian Maxted, "Mallet, Elizabeth," *Oxford Dictionary of National Biography*, (٩) < <https://www.oxforddnb.com/display/10.1093/ref:odnb/9780198614128.001.0001/odnb-9780198614128-e-66880> >, retrieved 6/2/2023.

Dixon Diana, "The English provincial newspaper past and present: Access and (١٠) preservation", PhD thesis, University College London, 2004.

David Eastwood, *Government and Community in the English Provinces, 1700- (١١) 1870* (Basingstoke: Macmillan, 1997), p.12.

Colin Buckley, "The Conservative Evening Newspaper Project in Edwardian (١٢) Manchester," *Manchester Region History Review*, 1987, pp. 28-21; Bryan Little, "Two =Chronicles in a Fight to the Death," *Bath Evening Chronicle*, 1/6/1977, Centenary

الأحداث التي تمسّ مساساً مباشراً أو غير مباشرٍ مصالحه أو مصالح البلاد^(١٣).

تأثرت الصحف البريطانية مالياً، إثر زيادة نسبة الضرائب المالية المفروضة من قبل الحكومات البريطانية على مختلف المؤسسات والشركات والأفراد والمصالح العامة للقطاع الخاص، ومنها مؤسسات النشر والصحف^(١٤) جرّاء الحاجة الماسّة إلى الموارد المالية لتمويل اشتراك بريطانيا في حروبها ضدّ الثورة الفرنسية، ومن ثمّ حروب نابليون للمدة ما بين عامي (١٧٩٣ - ١٨١٥)^(١٥)، ممّا أثر وإلى حدّ ما في مسارها في الإصدار والنشر خلال المدّة المذكورة^(١٦).

ولمعت في عالم الصحافة البريطانية يومئذ كل من الصحيفتين اليوميّتين مورننج هيرالد (*Morning Herald*)، وذا تايمز (*The Times*)، الأولى تأسست في أوائل تشرين الثاني عام ١٧٨٠ على يد هنري بات دودلي (Henry Bate Dudley)، وكانت بداية مشوارها ذات طابع ليبرالي إلا أنّها بعد ذلك انحازت إلى حزب المحافظين^(١٧)،

supplement marking 100 years of daily publication. p. 416; John Nicholson, "Popular = Imperialism and the Provincial Press: Manchester Evening and Weekly Papers, 1895-1902," *Victorian Periodicals Review*, 1980, pp. 96-85.

Moir Goff, *Early History of the English Newspaper* (New York: Gale (١٣) Primary Sources, 2023), p. 2.

(١٤) لقد فرضت الحكومة البريطانية ضرائب على الطباعة والصحف، ممّا أثر سلباً في الاستثمار في الصحافة، فقد ارتفعت الرسوم من (٦ بنس) على الإعلان في الصحف إلى (٣ جنيهات) لكلّ إعلان. Lucy Brown, "The British Press 1800-1860", in: *The Encyclopedia of the British Press, 1422-1992*, edited by: Dennis Griffiths (London: Macmillan Press Ltd, 1992), pp. 24-5.

(١٥) مرحلة من الصراعات الداخلية في فرنسا والخارجية مع جوارها الأوروبي استمرت من ١٧٨٩ حتى ١٧٩٩، وكانت لها تأثيرات عميقة في أوروبا والعالم الغربي عموماً، وقد انتهت بسيطرة البورجوازية خلال التحالف مع نابليون وأسقطت الملكية وأسست الجمهورية وشهدت فترات عنيفة من الاضطراب السياسي، وتوجت أخيراً في دكتاتورية نابليون إلى خوض سلسلة من الحروب لفرض هيمنتها على الساحة الأوروبية وانتهت بهزيمة نابليون بمعركة واترلو عام ١٨١٥. للتفاصيل أنظر: غوستاف لوبون، *روح الثورات والثورة الفرنسية*، ترجمة: عادل زعير (لندن: مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢)، ص ٣٠.

Jeremy Black, "The Eighteenth Century British Press", in: *The Encyclopedia of the British Press, 1422-1992*, op. cit., p. 23; Ed King, *British Newspapers, 1800-1860* (New York: Gale Primary Sources, 2023), p. 2.

= Christopher Shoop Worrall, "Politics and the Mass Press in Long Edwardian (١٧)

ووصلت مبيعاتها ما بين أربعة آلاف إلى خمسة آلاف نسخة يومياً، وتميّزت بتغطيتها لوقائع مجريات أعمال البرلمان البريطاني^(١٨).

وكانت رصيفتها الأخرى صحيفة «ذا تايمز» التي تأسست في الأول من كانون الثاني عام ١٧٨٥ تحت عنوان (The Daily Universal Register)، ليغير عنوانها إلى (The Times) مع صدور العدد «٩٤٠» في ١ كانون الثاني ١٧٨٨، وتعدّ من بين أوسع الصحف اللندنية - اليومية انتشاراً، أسسها الصحفي المعروف جون والتر (John Walter)، وأُسمت بطابعها الليبرالي - المستقلّ، فحظيت بثقة جمهور واسع من الرأي العام البريطاني، وهي ثقة ازدادت بحلول منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، إثر مناصرتها لمطلب الإصلاح البرلماني وتحقيق العدالة الاجتماعية^(١٩).

وشهدت الصحافة البريطانية انعطافاً «تاريخياً» مع بداية الربع الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، إذ إن دخول المطابع البخارية الحديثة المعروفة باسم مطابع كوينغ البخارية لمالكها (Friedrich Gottlob Koenig)^(٢٠) في ميدان طباعة الصحف اليومية، كان له أثر كبير في سرعة إنجاز الطباعة من جهة وكثرة أعداد النسخ

Britain, 1896-1914", PhD thesis. The University of Sheffield: Faculty of Social Sciences, = 2019.

Bonnie Ferrero, "The Morning Herald and its First Three Editors," *Media History*, Vol. 11, No. 3, 2005, pp.12-1.

Andrew Hobbs, "The Deleterious Dominance of The Times in Nineteenth- (١٩) Century Scholarship," *Journal of Victorian Culture*, Vol. 18, No. 4, 17 Dec. 2013, pp. 497-472; James Robert De Jager Jackson, *Samuel Taylor Coleridge: The Critical Heritage 1834-1900*, Vol. 2, (London: Routledge, 2002), first chapter; *The Encyclopedia Britannica*, p. 557.

(٢٠) فريدريش غوتلوب كوينغ (١٧ نيسان ١٧٧٤ - ١٧ كانون الأول ١٨٣٣): مخترع ألماني اشتهر بمطابعه عالية السرعة التي تعمل بالبخار، والتي بناها مع صانع الساعات أندرياس فريدريش باور (Andreas Friedrich Bauer)، وقد مكّنت آتته الجديدة من طباعة ما يصل إلى ١١٠٠ ورقة على كلا وجهي الورقة في الساعة. انتقل إلى لندن عام ١٨٠٤ وفي عام ١٨١٠ حصل على براءة اختراع لمطبوعته، التي أنتجت أول تجربة لها في نيسان عام ١٨١٢. وجه الدعوة إلى العديد من المهتمين ولا سيما جون والتر مالك صحيفة ذا تايمز. صدر العدد الأول من جريدة التايمز، والذي حمل الرقم (٩٤٠)، المطبوع في المطابع الجديدة في ١ كانون الثاني/يناير عام ١٧٨٨. للمزيد أنظر: Philip Baxter Meggs, and Alston Willcox Purvis, *Meggs' History of Graphic Design*, 6th ed. (London: Wiley Ltd, 2005), pp. 130-13.

المطبوعة من جهةٍ أخرى، فكان لذلك أثره الكبير في سعة الانتشار أولاً، ومعرفة التواصل والتفاعل بين الخبر والرأي العام ثانياً، فقد أصبح بالإمكان طباعة ألف نسخة في الساعة الواحدة، ومن ثم ارتفعت إلى أربعة آلاف نسخة في الساعة في ظل استعمال مطابع آبلغات (Applegath's Printing Machine)^(٢١)، فارتفعت النسخ المطبوعة لبعض الصحف وتوزيعها من خمسة آلاف نسخة عام ١٨٣٤، إلى ثمانية عشر ألفاً وخمسمائة نسخة عام ١٨٤٠، أي أنها ارتفعت خلال عقدين ونصف إلى حوالي ثلاثة أضعاف ما كان يُطبع سابقاً، وهذا بحد ذاته يُعدّ مؤشراً كبيراً على حجم الطباعة وسعة التوزيع والإقبال على قراءة الصحف^(٢٢).

تناغمت التطورات مع متغيراتٍ في مضامين ما نُشر في الصحف البريطانية ومحتواها، وبخاصة اللندنية منها، فقد أصبح من الشائع تعيين مراسلين مُدربين، كما أصبح توصيف الأحداث وتقييمها أكثر احترافية من قبل مُختصين، فقد شهدت الصحف في هذا المضمار تطوراً كبيراً، فعلى سبيل المثال لا الحصر، أُسست بعض الصحف لتعيين عددٍ من المراسلين المعيّنين بتغطية الشؤون البرلمانية ومجريات أعمال البرلمان البريطاني، إلى جانب اعتمادها على عددٍ من المراسلين الأجانب للوقوف على «أحداث الخارج» في بلدانهم^(٢٣).

وشكّل تخفيف الرسوم والضرائب التدريجي في أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي على الصحف أثراً إيجابياً في انتعاش الصحف البريطانية المؤسسة من جانب، وحفز على تأسيس صحفٍ جديدةٍ وانبثاقها من جانبٍ آخر، كان

(٢١) ظهرت الأخبار في مجلة أخبار لندن في عددها الصادر بتاريخ (٣١ حزيران/يونيو) عام ١٨٢٧، على شكل صفحة كاملة تم طباعتها بآلة الطباعة العمودية (Applegath's Printing Machine) عملت أثناء معرض اقيم لأصحاب الصحف وطباعة الأوراق التي تم إصدارها بالفعل في أجزاء من المجلة في نسختين من المجلد ١٩. للتفاصيل أنظر: Augustus Applegath, "Description of Applegath and Cowper's Horizontal Machine and of Applegath's Vertical Machine for printing The Times", extracted from Jhon Weale (ed.), *London and its Vicinity* (London: John Weale, 1851), p. 5.

(٢٢) Manfred Gorlach, *English in Nineteenth-Century England: Introduction* (Cambridge University Press: 1999), p. 13.

Ed King, *British Newspapers 1800-1860*, op. cit., p. 4.

(٢٣)

من بينها على سبيل المثال تأسس صحيفة ديلي نيوز (Daily News)^(٢٤) في عام ١٨٤٦، وقد اتسمت بالميول الليبرالية منذ مراحل تأسيسها المبكرة، فقد كانت من بين أبرز الصحف اللندنية المؤثرة لما عُرف بأدبيات السياسة البريطانية بالبرالية الغلادستونية (Gladstonian)^(٢٥) خلال النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي، وكان مؤسسها ورئيس تحريرها الأديب والروائي الألمعي تشارلز دكنز (Charles Dickens)^(٢٦)، ثم أعقبه جون فورستر (John Forster)^(٢٧) وهو من

(٢٤) ذا ديلي نيوز: (The Daily News) أُعتبرت الصحيفة منافساً أساسياً لجريدة مورننج كرونكل اليمينية. لم تلق الصحيفة نجاحاً تجارياً في البداية. كتب فيها من ألع الكتاب في بريطانيا العظمى يومئذ من أمثال تشارلز ماكاي، هاريت مارتينو، جورج برنارد شو، إتش جي ويلز، ج. ك. تشيسترتون، وفيرديناندو بروتشيلي من الإصلاحيين والاشتراكيين والليبراليين. للمزيد أنظر: The Encyclopaedia Britannica: A Dictionary of Arts, Sciences, Literature and General Information, 11 th ed. Vol. 19 (Cambridge: Cambridge University Press, 1911), pp. 544-581.

(٢٥) الغلادستونية: عقيدة سياسية سميت على اسم رئيس الوزراء البريطاني وزعيم الحزب الليبرالي، وليم إوارت غلادستون (William Ewart Gladstone). تألفت الليبرالية (Gladstonian) من الإنفاق الحكومي المحدود والضرائب المنخفضة مع التأكد أن الحكومة لديها ميزانيات متوازنة وحرية الاختيار. انظر: Eugenio F. Biagini, *Liberty, Retrenchment and Reform: Popular Liberalism in the Age of Gladstone, 1860-1880* (Cambridge: Cambridge University Press, 1992); John Lawrence Hammond and Michael Richard Daniell Foot, *Gladstone and Liberalism* (London: MacMillan, 1953).

(٢٦) تشارلز دكنز (٧ شباط ١٨١٢ - ٩ حزيران ١٨٧٠): روائي، وناقد اجتماعي، وكاتب إنكليزي. يُعدّ بإجماع النقاد أعظم الروائيين الإنكليز في العصر الفيكتوري، ولا يزال كثير من أعماله تحتفظ بشعبيتها حتى اليوم. تميّز أسلوبه بالدعابة الباردة، والسخرية اللاذعة. منها أوليفر تويست وقصة مدينتين وأوقات عصيبة وسواها. للمزيد أنظر: Sarah Winter, *The Pleasures of Memory: Learning to Read with Charles Dickens* (London: Fordham University Press, 2011); Robert Douglas-Fairhurst, *The Turning Point: 1851 - A Year That Changed Charles Dickens and the World* (London: Knopf Doubleday Publishing Ltd, 2022).

(٢٧) جون فوستر (٢ نيسان ١٨١٢ - ٢ شباط ١٨٧٦): شخصية أدبية بارزة في منتصف القرن التاسع عشر، أصبح مستشاراً ووكيلاً ومراجعاً للعديد من الكتاب البارزين في ذلك الوقت. وهو صديق مقرب لتشارلز ديكنز، تلقى تعليمه في مدرسة رويال غرامر (Royal Grammar School)، ثم التحق عام ١٨٢٨ بجامعة كامبريدج، ثم انتقل إلى جامعة كولييدج لندن. أسهم بنجاح عدّة صحف منها: The Morning Examiner, John J. Fenstermaker, *John Forster*, (Boston: Twayne Publishers, 1984); Ivon Asquith, "James Perry and the Morning Chronicle 1790-1821", PhD thesis, University of London, 1973.

أشهر كُتّاب السير الذاتية والنقد الأدبي يومئذ^(٢٨).

كما أثر خفض الضرائب في الصحف إلى خفض قيم مبيعاتها حتى أصبح بعضها لا يتجاوز (بنسبة اثنين) فقط في أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر، ممّا أثر في سعة انتشارها في مختلف الأوساط الشعبية، حتى وُصف بعضها بالشعبية كما هو الحال مع صحيفة برتش بنر (British Banner)^(٢٩)، فكان ثمن النسخة الواحدة منها لا يتعدى بنسبة اثنين^(٣٠).

وانسجاماً مع شعبية الصحف البريطانية الصادرة في تلك المرحلة الزمنية، تطوّر إخراجها الفني، فقد باتت صفحات العدد الواحد أصغر حجماً، وازداد عددها من أربع صفحات إلى ثماني صفحات، وصغر حجمها وثقلت مضامينها المتنوعة، فأصبحت يسيرة المنال، وهينة الحمل أينما سار قارئها أو حلّ بها، إذ كانت في صحبته ورديفته. كان منها على سبيل المثال لا الحصر صحيفة لندن كرونيكل (London Chronicle) وهي واحدة من بين أوّل الصحف في هذا السياق الفني والخبري شعبية وانتشاراً^(٣١).

وشهدت الصحافة البريطانية تطوراً آخر مع أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، بتأسيس عددٍ من الصحف الإخبارية المصوّرة^(٣٢) كان منها

Chris Williams, *A Companion to Nineteenth-Century Britain* (London: Blackwell Publishing Ltd, 2004), pp. 380-369.

(٢٩) برتش بنر (British Banner) صحيفة سياسية وثقافية تأسست عام ١٨٤٨، اتّسمت مقالاتها بالتركيز على المواضيع السياسية والاجتماعية والرياضية في بريطانيا والعالم. فضلاً عن تركيزها على الإصلاحات الليبرالية، وتعدّ الصحيفة مصدراً مهماً لتاريخ الدراسة البريطانية وتطوّراته السياسية والاجتماعية يوم ذاك. للمزيد من التفاصيل أنظر: Lord Burnham, *Peterborough Court: the story of the Daily Telegraph* (London: Cassell & Company Ltd, 1955), first chapter.

Ed King, *British Newspapers 1800-1860*, p. 5. (٣٠)

G. Baskerville, "A London Chronicle of 1460," *The English Historical Review*, (٣١) Vol. 28, No. 109 (Jan., 1913), pp. 124-127; Asquith Ivon, "James Perry and the Morning Chronicle 1790-1821," PhD thesis, University of London: 1973.

(٣٢) تم اختراع الكاميرا الفوتوغرافية في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، ودخلت إلى الميدان العملي بصورة ملموسة منذ العام ١٨٣٩، للتفاصيل أنظر: Dana E. Byrd, Frank H. Goodyear, *Winslow Homer and the camera: photography and the art of painting* (Brunswick: Yale University Press, 2018).

لويـد الـستريتـد بيبـر (Lloyd Illustrated Paper)^(٣٣) في أيلول عام ١٨٤٩، ومع حلول العام ١٨٥٥ وصلَ معدَّلُ مبيعاتِها اليومية إلى عشرة آلاف نسخة^(٣٤)، وارتفعت مبيعاتُها في أواخرِ الخمسينيات من القرنِ المذكورِ إلى ما بين عشرين ألفٍ وثلاثين ألفَ نسخةٍ أسبوعياً، وقد وصفتُ بأنَّها تؤيدُ حركةَ الإصلاحِ البرلماني. واحتوتُ الصحيفةُ على كتاباتٍ ذاتِ لهجةٍ نقديةٍ عنيفةٍ^(٣٥) للحكومة وكانت تنتفضُ بكلماتِها اللاذعة على الشخصياتِ المسؤولة في الدولة وإدارتها العليا^(٣٦).

كما تأسَّسَ عددٌ من الصُحفِ المسائية في لندن والعديد من المدنِ البريطانية، ولعلَّ من أبرزها إيفنغ بوست (Evening Post) التي تأسَّست في الثامن من شباط عام ١٨٦٥ لصاحبها هنري بلانـدل (Henry Blundell) وبالشراكة مع زميله ديفيد كيرل (David Curle)، وهي من الصُحفِ المعارضة، وامتازت بمقالاتِها السياسية الموجزة والمباشرة في رصدها للأحداث، فضلاً عن نقدها الساخر وأسلوبِها اللاذع في مُعارضتها لمختلف الحكوماتِ البريطانية خاصةً المحافظة منها، فكانَ لنهاجِها أثرُـه الفاعل في استمتاع القُرَّاء بطريقتِ عرضِها للأخبارِ الى جانبِ الفائدةِ المعرفية - الخبرية، ممَّا أثرَ إيجابياً في سعة قُرَّائِها وازديادِهم بمرورِ الزمنِ^(٣٧).

(٣٣) لويـد الـستريتـد بيبـر (Lloyd Illustrated Paper): صحيفة أسبوعية بريطانية أسَّسها إدوارد لويـد في آذار/مارس ١٨٤٩ ظهرت لأوّل مرّة في عام ١٨٤٢، تغيّر اسم الصحيفة عدّة مرّات قبل أن يتمّ دمجها مع (The Sunday Graphic) عام ١٩٣١. وبدءاً من عام ١٨٨٥ إلى عام ١٨٩٩، نشر ستوكر (Stoker) ما مجموعه ثمانين قصص قصيرة في صحيفة لويـدز الأسبوعية، وهي (1885 The Coming of Abel Behenna "When the Sky Rains Gold", 1894 "Burial of the Rats", 1898 "Bengal Roses", 1899 "A Baby Passenger", 1899 "A Young Widow", 1899 "A Yellow Duster",.. موسوعة الصحف البريطانية: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> >.

Gifford Denis, *The History of the British Newspaper Comic Strip* (London: (٣٤) Shire Publications, 1971), p. 20.

(٣٥) للمزيد حول تاريخ الصحف الساخرة في بريطانيا انظر: Lucy Sarah Kilfoyle, "Provincial Power and the Satirical Press, 1860-1880", PhD thesis, University of Liverpool, 2018.

Ed King, *British Newspapers 1800-1860*, op. cit., p. 7. (٣٦)

Geoffrey Alan Cranfield, "The London Evening-Post and the Jew Bill of (٣٧) 1753," *The Historical Journal*, Volume 8, Issue 1, 1965, pp. 16 - 30; Moira Goff, *Early History of the English Newspaper* (New York: Gale Primary Sources, 2023), p. 2.

أدركت الحكومة البريطانية مع حلول ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي ما تعنيه الصحافة اليومية والأسبوعية^(٣٨) من أثر فاعل في المجتمع والدولة، على حد سواء وقد أخذت بنظر الاعتبار أنها ما عادت تُشكّل خطراً على النظام السياسي أو المجتمعي من جهة، وأنها في أحيان كثيرة شعرت بأمر الحاجة إلى الاعلام الصحفي في تسويق برامجها داخلياً، أو دعم خططها خارجياً إلى الرأي العام البريطاني، فقد شهدت المرحلة هذه تنامياً واضحاً للثورة الصناعية، إلى جانب ازدياد زخم المد الراديكالي للعمّال في داخل بريطانيا لتحسين أوضاعهم المعيشية وظروف العمل، فضلاً عن ازدياد الهجرة من الريف إلى المدينة، وفي العلاقات الخارجية، كان منها على سبيل المثال لا الحصر حرب القرم^(٣٩) وسواها من الإرهاصات الداخلية والسياسة الخارجية وتداعياتها التي وقعت في صلب اهتمامات الرأي العام البريطاني، إلى جانب التفاعل معها والانغماس بأحداثها^(٤٠).

وانعظت طباعة الصحف انعطافاً تاريخياً أخرى في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، فبعدما قدّمت شركة أمريكيان هو (American Hoe) آلات تنضيد الحروف الطباعية بالكامل في غضون العام ١٨٨٠، ممّا أسهم في تسريع عملية الترتيب والطباعة، كما استعملت آلات سبك المحارف الدورانية من شركة ويكز

John Frost, *British Newspapers, 1789-1832* (London: Shephard Press (٣٨) Limited, 1984), p. 20.

(٣٩) حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦): نشبت حرب القرم في ٤ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٨٥٣. إذ أعلنت روسيا القيصرية الحرب على الدولة العثمانية، اشتركت فيها كلّ من بريطانيا وفرنسا ولاحقاً مملكة سردينيا إلى جانب الدولة العثمانية حتى تتمكن من المحافظة على مصالحها في شرق أوروبا حيث قام حوالى ٣٥ ألف جندي روسي باحتلال رومانيا التي كانت تابعة آنذاك للدولة العثمانية، وأبلغت روسيا الدول الأوروبية أنها لن تدخل في حرب شاملة ضد الدولة العثمانية، وأنّ ما فعلته إجراء وقائي لحين اعتراف السلطان العثماني بحقوق الأرثوذكس في كنيسة القيامة في القدس، وأنها سوف تنسحب فور هذا الاعتراف، وقد استمرت الحرب سنتين وفي نهاية الأمر أنهت معاهدة باريس في ١٨ شباط/فبراير عام ١٨٥٦ حرب القرم بين الدولتين. للتفاصيل أنظر: أحمد صالح علي، *الحروب العثمانية الروسية: ٣٥٠ عام من الصراع الدموي* (القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠٢٢)، ص ١٠٢-١٠٧.

Jeffrey A. Auerbach, *The Great Exhibition of 1851: A Nation on Display* (New (٤٠) Haven, CT: Yale University Press, 1999), first chapter; Ed King, *British Newspapers 1860-1900* op. cit., p. 2.

(Wicks)، في العام ١٨٩٩، فأسهمت هي الأخرى بسرعة إنجاز طباعة الصحف خاصة اليومية منها^(٤١).

ظهر هذا التطور الطباعي في جملة من المقومات الخاصة في الصحافة البريطانية، من بينها ازدياد عدد صفحاتها، فعلى سبيل المثال لا الحصر صحيفة ذا تايمز ارتفعت عدد صفحاتها من ثماني صفحات إلى أربع وعشرين صفحة للنسخة الواحدة، ووصلت عدد نسخ العدد الواحد منها في مطلع القرن العشرين إلى مئة وأربعين ألف نسخة، فضلاً عن خفض تكلفة طباعتها، مما أثر إيجابياً في خفض قيمة بيع العدد الواحد منها من أربعة بنسات إلى ثلاثة فقط^(٤٢)، وكذلك الحال مع صحيفة ديلي نيوز التي انخفضت من ثلاثة بنسات إلى بنس واحد فقط في أواخر القرن التاسع عشر^(٤٣).

شهد الثلث الأخير من القرن التاسع عشر انبثاق لعديد من المراكز الأساسية التي أسهمت إسهاماً فاعلاً في النهضة الصحفية الكبيرة في بريطانيا، إن لم نقل الثورة الصحفية فيها، كان منها إقدام يوليوس رويتر (Julius Reuter)^(٤٤) على تأسيس

Anne Mellors (ed.), *Bibliography of British Newspapers* (London: The British Library, 1987), p. 20.

Nicholas Mansergh, *Nationalism and Independence: Selected Irish Papers* (٤٢) (Cork, Ireland: Cork University Press, 1997), p. 15.

Hugh Chisholm, *The Encyclopedia Britannica: A Dictionary of Arts, Sciences, Literature* (٤٣) (Cambridge: Cambridge University Press, 1911), V. 19, p. 559.

(٤٤) يوليوس رويتر (١٨١٦/٧/٢١ - ١٨٩٩/٢/٢٥): صحفي من أصل يهودي، اعتنق المسيحية عام ١٨٤٤ واتخذ اسم رويتر. ولد في مدينة كاسل بألمانيا. كان رجل أعمال ألمانياً، أصبح معروفاً بعد تأسيسه لوكالة الأنباء العالمية، انضم إلى دار نشر صغيرة في برلين. بعد نشر عدد من الكتيبات السياسية التي أثارت عداة السلطات، انتقل إلى باريس عام ١٨٤٨، عام الثورات في العديد من دول أوروبا. بدأ بترجمة مقتطفات من المقالات والأخبار التجارية وإرسالها إلى الصحف في ألمانيا. في عام ١٨٥٠ أنشأ خدمة حمام الزاجل بين آخن وبروكسل، وهي النقاط الطرفية لخطوط التلغراف الألمانية والفرنسية البلجيكية. انتقل رويتر إلى إنكلترا عام ١٨٥١، وافتتح مكتب تلغراف بالقرب من بورصة لندن. في البداية، اقتصر عمله في الغالب على البرقيات التجارية، ولكن مع ازدهار الصحف اليومية، أفنec العديد من الناشرين بالاشتراك في خدمته. جاء أول نجاح مذهل له في عام ١٨٥٩ عندما نقل إلى لندن نص خطاب نابليون الثالث ينذر بحرب ضد النمسا في الأراضي الإيطالية في بيدمونت. للتفاصيل أنظر: *Encyclopaedia Britannica*, op. cit., Vol. 19, p. 191.

وكالة رويترز الخبرية (Reuters News Agency) المعروفة عالمياً في العام ١٨٥١، فقد استعمل خطوط التلغراف على نطاق واسع لنقل الأخبار الخارجية والمعلومات المالية بسرعة. ومع حلول العام ١٨٦٠، أُقبلت معظم الصحف اليومية في لندن بالاشتراك في الخدمات الخبرية التي تُقدمها وكالتها، فدعمت الصحافة لجودة المعلومات المُقدّمة لها فضلاً عن سرعة وصولها^(٤٥).

وشكّل تأسيس وكالة الصحافة المركزية عام ١٨٦٣ (Central News Agency) وهي من الوكالات المنافسة لوكالة رويترز، إلا أنها لم تكن تتمتع بالخطوة الأخيرة نفسها بين أرباب الصحف، لما كانت تتناقله من أخبار اتسمت بالخيال والقصصية في أحيانٍ غير قليلة، فكانت مدعاةً لشكوكهم بمصداقيتها^(٤٦)، ممّا كان له الأثر العميق بمحدودية التعامل مع أخبارها والحذر منها. كما تأسست «رابطة الصحافة الوطنية» عام ١٨٦٨ وهي من المنظّمات الصحفية الأهلية، ذات ميولٍ لبرالية، فكانت محطّ اهتمام الصحف المتناغمة مع اتجاهها السياسي^(٤٧).

وعزّز مد أسلاك التلغراف في أعماق البحار، وبخاصةً بين أوروبا والأمريكيتين عبر المحيط الأطلسي في عامي (١٨٦٦ و ١٨٦٧) من أثر فاعلية الوكالات الخبرية في الصحف بما تُحقّق من سرعة الاتصالات والتواصل السريع في نقل الأخبار وتطوّرات الأحداث العالمية، وبالتالي، في أثرها المُتنامي بالرأي العام البريطاني وسواه دولياً^(٤٨).

أدرك سياسيو بريطانيا ما تعنيه الصحافة في بلادهم من قدرات إعلامية كبيرة تؤثرُ وبقوة في فاعلية الحراك المُجتمعي سلباً وإيجاباً، وخاصةً بعد ما شهدته البلاد من تنامٍ مُطرّد في حركة الإصلاح البرلماني في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر

Paul H. Emden, And Baron Paul Julius de Reuter, "Transactions," *Jewish Historical Society of England*, Vol. 17 (1951-52), pp. 223-215.

Paul Begg, *Jack the Ripper: The Definite History* (London: Pearson Education, (٤٦) 2003).

Ed King, *British Newspapers 1860-1900*, op. cit., p. 8. (٤٧)

David Paull Nickles, *Under the Wire: How the Telegraph Changed Diplomacy* (٤٨) (Harvard University Press, 2003), The Introduction.

وما تلاه في العقدين الأولين من القرن العشرين^(٤٩)، ممّا دفع العديد من زعماء السياسة وقادتها وقتها إلى بناء علاقاتٍ وطيدةٍ مع أرباب الصحافة من مالكي مؤسساتها ورؤساء تحريرها، فضلاً عن المُحررين النافذين من أصحاب الكلمة المسموعة والمؤثرة في الأوساط المُجتمعية^(٥٠). هذا الأمر ترك أثره الكبير في مسار الصحافة البريطانية وأربابها مادياً ومعنوياً وثقلاً سياسياً فاعلاً في أصحاب القرار، أو في تحريك الرأي العام في البلاد على حدّ سواء^(٥١)، وعلى حدّ تعبير الأديب والشاعر البريطاني ماثيو أرنولد (Matthew Arnold) تحوّلت الصحافة إلى «سلطة

(٤٩) يعود أول إصلاح مهم للنظام الانتخابي البريطاني إلى عام ١٨٣٢، فقد تضمن توسيع القاعدة الانتخابية وإلغاء الوصول إلى البرلمان بالتزكية. لكنّ النتائج الضئيلة التي رافقت هذا الإصلاح أدّت إلى ولادة إصلاح جديد عام ١٨٣٨ ومن ثمّ إصلاح ١٨٦٧، وسط معارضة غالبية السياسيين بحجّة الخوف من استمالة العمّال من قبل الديماغوجيين، والمحازين لنظرية الصراع بين العمل ورأس المال من الماركسيين. رغم ذلك، لم يكن للسياسيين جميعاً الرأي نفسه، فقد كان كلّ من الليبرالي وليام إيوارت غلادستون والمحافظ بينجامين دزرائيلي (Benjamin Disraeli) رئيس الوزراء ووزير الخزانة بين عامي ١٨٦٦ و ١٨٦٨. نجح الأخير في إقرار قانون توسيع القاعدة الانتخابية رغبة منه في حشد الطبقات الشعبية خلف حزب المحافظين وقام بإدخال تعديلات أكثر راديكالية حتى من تلك التي كان غلادستون قد تقدّم بها عام ١٨٦٦. وفي عام ١٨٨٤ أصبح غلادستون رئيساً للوزراء وسارع إلى إقرار إصلاح ثالث للقانون الانتخابي يُعطي سُكان الريف الحقوق نفسها لسُكان المُدن ويُقلّل من الحد الأدنى الضريبي اللازم للحصول على حق الاقتراع. وعلى الرغم من ذلك بقي حقّ التصويت محصوراً بنحو ٦٠ في المائة من الرجال البالغين فقط، ثم جاءت الانعطافة الكبيرة عام ١٨٩٢ بعدما تمكّن حزب العمال من منافسة الحزبين السابقين في مضمار الانتخابات البرلمانية، كما شهد عام ١٩١٨ إصلاحاً كبيراً لقانون الانتخابات، أصبح بموجبه جميع الذكور ممّن بلغ سن ٢١ عاماً من حقّه الانتخاب، وكذلك شمل جميع النساء ممّن بلغن سن الثلاثين، وهو أمر تمّ تصحيحه في عام ١٩٢٨ بمنح كلا الجنسين حق الاقتراع الانتخابي عند بلوغ سن ٢١ عاماً. للتفاصيل انظر: Robert Saunders, "The politics of reform and the making of the second reform A.C.T 1884-1867," *The Historical Journal*, Volume 50, Issue 03, September 2007, pp. 571-591; K. T. Hoppen, *The mid-Victorian generation, 1846-1886*, (Oxford: Clarendon Press; Oxford; New York: Oxford University Press, 1998), p. 237; John Prest, *Lord John Russell* (Columbia: University of South Carolina Press, 1972), p. 319; Jonathan Parry, *The rise and fall of liberal government in Victorian Britain* (New Haven: Yale University Press, 1993), pp. 174-5; Saunders Robert, "The Parliamentary reform debate in Britain, 1848-67", PhD thesis, University of Oxford, 2005).

Ed King, *British Newspapers, 1860-1900*, op. cit., p. 8.

(٥٠)

Ibid.

(٥١)

ناشئة وحكومة» مؤثرة في المسار السياسي للبلاد^(٥٢).

فلا غرو، من أن تمكّن العديد من الصحفيين وقتئذ من إنفاذ وجهات نظرهم السياسية في أذهان أصدقائهم ومعارفهم من ساسة البلاد، وخاصة أن بعضهم مارس دور الوسيط بين الأحزاب وقياداتها النافذة^(٥٣) في التسويات السياسية أو في تقريب وجهات النظر، بل وحتى في المساومات^(٥٤)، وقد تمخّص ذلك عن مكانة مرموقة لأرباب الصحافة سياسياً واجتماعياً، وصل إلى درجة إقدام البلاط الملكي وحكومات ذلك العهد بمنح العديد منهم الألقاب الرفيعة والأوسمة العالية جرّاء تقديمهم خدمات جليلة لبلادهم، وفق تعبير المانحين، وكان من بينهم على سبيل المثال لا الحصر، كل من ألفريد هارمسورث (Alfred Harmsworth)^(٥٥)

Laurel Brake, Marysa Demoor (eds.), *Dictionary of Nineteenth-Century Journalism in Great Britain* (London: British Library, 2009).

(٥٣) للمزيد من التفاصيل عن دور الأحزاب السياسية في الحياة الصحفية في بريطانيا أنظر: Adrian Mark Steel, "Explaining Changes in Political Party Fortunes in Greater: London 1918- 1931", PhD thesis, University of London: Queen Mary, 2005.

(٥٤) كان من أبرز رؤساء تحرير الصحف البريطانية في هذا المجال، على سبيل المثال لا الحصر، كل من جون مورلي (John Morley)، دبليو تي ستيد (W. T. Stead)، تي بي أوكور (T. P. O'Connor)، جي إي سبندر (J. A. Spender)، سي بي سكوت (C. P. Scott)، وجي إل جارفين (J. L. Garvin).

(٥٥) ألفريد هارمسورث (Alfred Harmsworth) (تموز ١٨٦٥ - ١٤ آب ١٩٢٢): نشأ هارمسورث فقيراً واشتغل صحافياً حراً في بداياته. بعد تلقّيه تعليمًا في مدرسة ستامفورد، استطاع أن يرتقي في مهنته حتى أصبح محرراً لعدد من الصحف المختلفة، ثم قرّر بعدها إنشاء صحيفة خاصة به أطلق عليها اسم (أجوبة للمراسلين) في البداية، ثم اختصر الاسم إلى «أجوبة». كانت هذه الصحيفة تصدر أسبوعياً وتحتوي على معلومات من مجالات مختلفة. ونتيجة لموهبته في معرفة ذوق العامة، لاقت صحيفة هارمسورث نجاحاً لا بأس به، ثم شاركه أخوه هارولد والذي ساعد في تقديم الصحيفة بمهاراته في إدارة الأعمال. ثم ما لبث ألفريد أن أنشأ عدداً من الصحف الدورية غير المكلفة، للمزيد من التفاصيل أنظر: Baron Max Aitken Beaverbrook, *Politicians and the War, 1914-1916*: (Garden City, N.Y.: Doubleday, Doran and company, inc, 1928), pp. 1-93; George Khoury [et. al], *True Brit: Celebration of the Great Comic Book Artists of the UK* (North Carolina: TwoMorrows Publishing, 2004), p. 9; Dennis Morgan Griffiths, "The social and economic history of The Standard and Fleet Street 1653-1900", PhD thesis, City University London, 1989.

فقد تمَّ منحه لقبَ بارون عام ١٩٠٣^(٥٦).

لقد خلق هذا التجسير في العلاقة بين القيادات السياسية على مختلف مشاربهم ونزعاتهم واتجاهاتهم الفكرية مع أرباب الصحافة تنافساً تعمقت أوصاله في سبعينيات القرن السابع عشر الميلادي وتجذرت في تناميها «حدة»، ووصلت في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر وما تلاه إلى حدّ «الصراع» بين أبرز التيارات السياسية في الساحة البريطانية يومئذٍ من (محافظين، وليبراليين، واشتراكيين) واعددين، ووجدت لمواقفهم وآرائهم أصداءً كبيرةً وواضحةً وشحت العديد من صفحات الصحف البريطانية سواء أكانت «مؤيدة» أم «معارضة»، بأفلام حلفائهم من أرباب الصحف ومحزريها من مؤيدي هذا الاتجاه أو ذاك، وخاصةً أنّ البلاد احتدّت فيها على المستوى الداخلي قضايا اجتماعية واقتصادية نتيجة الثورة الصناعية وتدابيراتها، إلى جانب احتدام المعضلة الأيرلندية^(٥٧)، في ثمانينيات القرن المذكور، فضلاً عن مشاكل بريطانيا العظمى خارجياً جرّاء التوسّع الاستعماري، وما تمخّص عنه من تنافسٍ وصراعاتٍ دولية^(٥٨). هذه القضايا وسواها، كانت مثارَ صراعٍ بين مختلف القوى السياسية البريطانية، وجدت سبلها وميادينها في صفحات الصحف البريطانية خاصّة تلك الصحف ذات النزعة الليبرالية^(٥٩).

J. Lee Thompson, *Northcliffe, Press Baron in Politics, 1865-1922* (London: (٥٦) John Murray Publications, 2000).

(٥٧) كانت المعضلة الأيرلندية إحدى القضايا السياسية البريطانية الكبرى والتي حاولت فيها مختلف الحكومات البريطانية اتباع سياسة الهيمنة والسيطرة على الأراضي الأيرلندية، وأدت تلك المحاولات في بعض الأحيان إلى عواقب كبيرة واجهت السياسة البريطانية، تحديداً في القرنين التاسع عشر والعشرين. وعلى الرغم من استقلال إيرلندا الاسمي (مملكة إيرلندا) حتى نهاية القرن الثامن عشر، لكن إيرلندا أصبحت عام ١٨٠١ جزءاً من المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا. فأصبحت كثافة سكانية كبيرة في ظروف شديدة البؤس، تعيش على جزيرة تهيمن عليها كنيسة الدولة، وهي ليست كنيسة ذاك الشعب، بالإضافة إلى الطبقة الأرستقراطية الإنكليزية التي تسيطر على الأراضي، بينما يعيش الأثرياء في العواصم والمدن الأجنبية. شعب جائع وطبقة أرستقراطية غائبة، ونظام إداري ضعيف. للتفاصيل أنظر: James S. Donnelly, *Encyclopedia of Irish History and Culture*, (London: Macmillan Reference, 2004), Vol. 1; G. A. Hayes-McCoy, *Irish Battles: A Military History of Ireland* (Minneapolis, MN: Irish Books Media, 1989).

Ed King, *British Newspapers 1860-1900*, p.8.

(٥٨)

Ibid.

(٥٩)

ولعلّ من المفيد هنا أن نحيلَ القارئ الكريم الى المُلحقين (١) و(٢)، الأوّل منهما أظهرَ الصُّحفَ الليبراليّةَ البريطانيّةَ خلالَ ما يزيد على قرنٍ من الزمنِ امتد من عام ١٨٠٥ إلى عام ١٩٠٠، والمُلحق (٢) ضمّ في ثناياه أهمَ الصُّحف ذاتِ الاتجاهِ المُحافظ في المُدّةِ ١٨٠١ - ١٨٦٦. ويبدو واضحاً من الملاحق أعلاه أنّ الصُّحف الليبرالية وبرزغم محدودية إمكانياتها المالية كانت أكثر من تلك المُحافظة المدعومة من قبل الطبقة الأرستقراطية البريطانية لشعبيتها في الأوساط المُجتمعيّة البريطانية.

وتناغماً مع التيارِ الليبرالي من جهةٍ وما شهدهُ النصفُ الثاني من القرنِ التاسع عشرَ وبداياتِ القرنِ العشرين من تحولاتٍ واضحةٍ وكبيرةٍ في مسارِ الافتتاحِ السياسي والإصلاح البرلماني في البلاد من جهةٍ أخرى، أدّى ذلك إلى فتح المجالِ واسعاً أمامَ «المرأة البريطانية»^(٦٠)، فقد كان دبليو. تي. ستيد (W. T. Stead)^(٦١)، من أوائل المُساندين لعملِ المرأة في الصحافة، حتى أنّه دفعَ لهن أجوراً مساويةً لأقرانهن من الرجال^(٦٢)، وقد تنامي النشاطُ الصحفي النسوي في بريطانيا واتّسع إلى درجة لم ينته

(٦٠) للمزيد حول الحركة الأدبية النسوية في بريطانيا أنظر: Chi, H, "New Woman writing in Britain, 1890s-1940s", PhD thesis, University of Exeter, 2022.

(٦١) وليام ستيد: (5/7/1849- 15/4/1912) (William Thomas Stead) صحفي إنكليزي يُعدُّ رائداً من رواد التحقيقات الصحفية، أصبح شخصية مثيرة للجدل في العصر الفيكتوري. نشر سلسلة من الحملات المؤثرة بشكل كبير أثناء تحرير جريدة (Pall Mall Gazette)، بما في ذلك سلسلة مقالاته لعام ١٨٨٥ الداعمة لمشروع قانون، أطلق عليه لاحقاً اسم «Stead Act»، المعني بالانتخابات وإصلاحها، مهدت له الطريق في شعبيته الصحفية بصورة واسعة وكبيرة في المجتمع البريطاني، وكان معروفاً بتحقيقاته الصحفية حول رعاية الأطفال والتشريعات الاجتماعية وإصلاح القوانين الجنائية في إنكلترا. مات ستيد في غرق سفينة آر إم إس تيتانيك. للمزيد أنظر: Laurel Brake [et. al.] (eds.), *W. T. Stead: Newspaper Revolutionary*, (London: British Library, 2013), first chapter.

(٦٢) كان ظهور الصحافة النسوية عاملاً حاسماً في تعزيز عمل المرأة. بدءاً من مجلة "المرأة الإنكليزية" (١٨٥٨-١٨٦٣)، إذ كان تداول الصحافة النسوية دائماً محدوداً، لكنّه كان مع ذلك مؤثراً على ثقافة الطباعة ككل. على سبيل المثال، خلقت مقالة منى كيرد عام ١٨٨٨ عن «الزواج» في (*Westminster Review*) ضجة أدت إلى تحقيق لاحق في صحيفة (*Telegraph*). للمزيد حول الصحافة النسائية في بريطانيا انظر: Patricia Hollis, *Ladies Elect: Women in English Local Government, 1865-1914*, (Oxford: Clarendon Press, 1987);

M. Pugh, *The March of the Women: A Revisionist Analysis of the Campaign for Women's Suffrage 1866-1914* (Oxford: Oxford University Press, 2000), pp. 229-31; = Jokes Hermes, *Reading Women's Magazines* (Cambridge: Polity Press, 1995); Emily

معها القرن التاسع عشر حتى انبثقت في عام ١٨٩٥ أول جمعية للصحفيات فيها^(٦٣)، أخذت على عاتقها الدفاع عن حقوقهن وحمايتهن، إلى جانب نشاطها في حماية حقوق المرأة البريطانية بصورة عامة.

كما ويبدو واضحاً من خلال ما تقدّم أنّ الصحافة البريطانية في القرن التاسع عشر والعقود التالية له، شهدت توسّعاً كبيراً في نهضتها، كمّاً وحجماً، في النشأة والتأسيس، فضلاً عن تباين اتجاهات السياسة واختلاف مُتبنياتها الفكرية، فقد أشارت بعض المصادر إلى أنّ عددها قد بلغ «٥٦٣» صحيفةً بعضُها لم يستمرّ إلا بضعة سنواتٍ، احتلّت فيها الصُحفُ الليبرالية حصة الأسد، فقد بلغ عددها «٢٣١» صحيفةً، أي أنّها شكّلت نسبة ٤١٪ من مجموع الصُحفِ الصادرة يومئذٍ، بينما الصُحفُ المدعومة من المحافظين كان عددها «١٧٤» صحيفةً، أي أنّها لم تُشكّل إلا نسبة ٣٠٪ رغم أنّ تمويلها المالي كبيرٌ، وتحظى برعاية واهتمام الطبقة الأرستقراطية البريطانية، فضلاً عن ذلك شكّلت الصُحفُ المستقلة نسبة ٥،٢٩ ٪ وهي نسبة غير قليلة من الوسط الصحفي البريطاني ومعظمها كان من صُحفِ المعارضة^(٦٤).

Harmer, "The Representation of Women in British Newspapers, 1918-2010", PhD thesis, = Lough borough University, 2018.

(٦٤) للمزيد من التفاصيل عن الجمعيات الصحفية في بريطانيا انظر: H. C. Strick, "British: Newspaper Journalism 1900 - 1956, a study in industrial relations", PhD thesis, University of London, 1957.

(٦٥) *Encyclopaedia Britannica*, op. cit., pp. 563-4, Aled Gruffydd Jones, "Local Labour Journalism in England and Wales 1843 to 1891", PhD thesis, University of Warwick, Centre for the Study of Social History, 1981.

الفصل الثاني

تطورات الصحافة البريطانية

وتنامي اهتماماتها السياسية (١٨٧٠ - ١٩١٨)

شكّلت الصحافةُ ومنذ الثلثِ الأخيرِ من القرنِ التاسعِ عشرِ رافداً أساسياً في منظومةِ الحياةِ الثقافيةِ العامةِ في بريطانيا وعلى الصُّعدِ كافةِ (اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً)، حتى أنّ صناعتها أُمست في ذلك الوقت في التسلسل الثاني عشر من بين الصناعاتِ الأساسيةِ المسهّمةِ في الاقتصاد البريطاني، وهو أمر إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على حجمِ المساحةِ التي احتلتها الصحافة في المجتمع البريطاني وبالأتي يوحى بعمق أثرها فيه وظيفَةً وفكرًا^(١).

لقد بلغَ عددُ الصُحفِ الصادرةِ وقتئذٍ «مئة واثنتي عشرة» صحيفةً، غطّت جميعَ الجُزُرِ البريطانية، تسع منها صدرت في العاصمةِ لندن، وقد اتسمَ مُعظمُها بـ«الشعبية» لتفاعليها المؤثّر في الرأي العام وبمختلف أوساطهِ الطبقيّة^(٢)، تفاعلاً ازداد بشكلٍ مُتّردٍ مع مرورِ الزمنِ بين الصحافة والرأي العام البريطاني^(٣)، فقد أشار

(١) Anne Mellors, Jean Radford, *Bibliography of British Newspapers Derby Shire* (London: British Library Publishing Division, 1987); William S. Ward, *British Periodicals and Newspapers, 1789-1832: A Bibliography of Secondary Sources* (Lexington, Kentucky: University Press of Kentucky, 1972); Alexis Easley, John Morton, Andrew King, *Researching the Nineteenth-century Periodical Press* (London: Routledge Taylor & Francis group, 2019), p. 23.

(٢) ب. دينوايه، المصدر السابق، ص ٨٣.

(٣) Jane Taylor, "Town versus Gown: The Establishment of the Cambridge Daily" =News as a Modern Newspaper at the End of the Nineteenth Century," *Journalism*

العديد من الدراسات المعنية بالموضوع إلى حجم هذا التفاعل فبينما كان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر لا يتعدى نسبة (٣٦٪)، في الوسط المجتمعي البريطاني، ارتفع إلى الضعف بنسبة (٦٠٪) في النصف الثاني منه، وإلى (٨٠٪) في العقدين الأخيرين من القرن نفسه^(٤).

وأسهّم ما عُرف بـ«قانون التعليم الابتدائي» لعام ١٨٧٠ في بريطانيا (Elementary Education Act)^(٥)، بتوسعة مساحة الرأي العام «المتفاعل» مع الصحافة في المجتمع، وخاصةً أنّ العديد من الرواد المؤسسين للصحافة فيها يومئذ أسسوا فيها صحفاً ذات طابع «جماهيري» سلس أسلوبه متناغم مع المستوى الثقافي للنشء يومذاك، ممّا شكّل مُتغيّراً كبيراً في أسلوب الصحافة البريطانية وصلت فيها مدياته بعمق وشمولية في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، فتمخّضت عنه بـ«روح جديدة» تجاوزت حدود الصحافة التقليدية القديمة، بالانفتاح على جمهور واسع من القراء في الأوساط العامة من المجتمع البريطاني^(٦).

Studies, Vol. 7, No. 3, 2006, pp. 403-414; Laurel Brake and Marysa Demoor (ed.), = *Dictionary of Nineteenth Century Journalism* (London: British Library, 2009), C19: The Nineteenth Century Index.

Mark Hampton, *Visions of the Press in Britain, 1850-1950* (Chicago: University of Illinois Press, 2004); Andrew Hobbs, *A Fleet Street in Every Town: The Provincial Press in England, 1855-1900* (Cambridge: Open Book Publishers, 2018); Ian Jackson, *The Provincial Press and the Community* (Manchester: Manchester University Press, 1971).

(٥) وضع قانون التعليم الابتدائي الإلزامي لعام ١٨٧٠، إطاراً للتعليم لجميع الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٥ و١٢ عاماً في إنكلترا وويلز، وتَمّت صياغته من قبل الليبرالي وليام فورستر، النائب في مجلس العموم، وتمّ تقديم القانون في ١٧ شباط/فبراير ١٨٧٠، وشمل القانون ٤,٣ مليون طفل في سن المدرسة الابتدائية للتفاصيل: "Gladstone and Education, 1870," Adelman, Paul. *History Today*, Vol. 20 Issue 7, July 1970, pp. 496-503; W. H. G. Armytage, "The 1870 education act," *British Journal of Educational Studies*, Vol. 18, No. 2, 1970, pp. 121-13.

George Binney Dibblee, *The Newspaper* (London: DigiCat, 2022), p. 202; (٦) Griffiths, *Fleet Street*, op. cit., p. 98; Hamilton Fyfe, *Sixty Years of Fleet Street* (London: W. H. Allen, 1949), p. 14; Harold Herd, *The march of Journalism: the Story of the British Press from 1622 to the Present Day* (Westport: Greenwood Press, 1976), p. 164; Kevin Williams, *Read All About It! A History of the British Newspaper* (London: Routledge, 2009) ديناويه، المصدر السابق. p. 104;

جذبت تلك الأوساط المُجتمعية، على سبيل المثال لا الحصر، داخلياً أخبارَ مشروع الإصلاح البرلماني وتداعياته، وخارجياً مُجريات الحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأمريكية^(٧)، والحرب الفرنسية - البروسية عام ١٨٧٠^(٨)، وما

(٧) بدأت الحرب الأهلية الأمريكية في ١٢ نيسان/أبريل عام ١٨٦١ واستمرت حتى نيسان/أبريل عام ١٨٦٥. وقد عجلت الحرب بانفصال ١١ ولاية جنوبية خلال عامي ١٨٦٠ و ١٨٦١ وتشكيلها للولايات الكونفدرالية الأمريكية في عهد الرئيس جيفرسون ديفيس. بدأت الحرب مع إطلاق المدفعية الكونفدرالية النار على فورت سمتر في تشارلستون، ساوث كارولينا. بدأ لينكولن في تجنيد الرجال للخدمة العسكرية، ووافق على حصار بحري للموانئ الجنوبية. أيدت المحكمة العليا الأمريكية سلطة لينكولن في اتخاذ هذه الإجراءات، وخلصت إلى أنّ للرئيس سلطة مقاومة القوة من دون الحاجة إلى إجراء تشريعي خاص. في ٢١ تموز/يوليو، سار ما يقرب من ٣٠ ألف جندي من قوات الاتحاد في ريتشموند، فيرجينيا، عاصمة الكونفدرالية. تمّ توجيههم في معركة بول رن وأجبروا على التراجع إلى واشنطن العاصمة. صدمت الهزيمة قادة لينكولن والاتحاد، الذين دعوا ٥٠٠٠٠٠ جندي جديد لجيش الاتحاد في بوتوماك. ظلت كلّ من بريطانيا العظمى وفرنسا على الحياد خلال الحرب. وكانت الخسائر هائلة لكلا الجانبين. وقد أشار بحث جديد نُشر في عام ٢٠١٢، استناداً إلى بيانات التعداد، إلى أنّ عدد القتلى بلغ ما يقرب من ٧٥٠ ألف قتيل. أنهت الحرب العبودية في ٢٢ أيلول/سبتمبر ١٨٦٢، إذ أعلن لنكولن إلغاء العبودية في المناطق التي احتلتها الكونفدرالية اعتباراً من ١ كانون الثاني/يناير ١٨٦٣. للتفاصيل أنظر: Eric Foner, *The Fiery Trial: Abraham Lincoln and American Slavery* (New York: W. W. Norton & Company, 2011); James M McPherson, *Battle Cry of Freedom: The Civil War Era* (New York: Oxford University Press, 1988), Harry S. Stout, *Upon the Altar of the Nation: A Moral History of the American Civil War* (New York: Viking, 2006).

(٨) اندلعت الحرب الفرنسية - البروسية (١٩/٧/١٨٧٠ إلى ١٠/٦/١٨٧١)، ويشار إليها أحياناً باسم الحرب السبعينية حينما هُزم الحاكم الفرنسي نابليون الثالث، وانهارت دولته الإمبراطورية. كان سبب الحرب طموح بروسيا بتوحيد الدوقيات الألمانية من جهة، وخوف فرنسا من تغيير موازين القوى الأوروبية إذا نجحت بروسيا في مسعاها، من جهة ثانية. أثار المستشار البروسي أوتو فون بسمارك (Otto Von Bismarck) عمداً هجوم فرنسي من أجل جذب الولايات الألمانية الجنوبية المستقلة دوقية بادن الكبرى ومملكة فورتمبيرغ ومملكة بافاريا ودوقية هسن الكبرى إلى تحالف مع الاتحاد الألماني الشمالي الذي تسيطر عليه بروسيا. واجهت الدولة الفرنسية الجديدة التي بدأت تتشكل ثورات لصالح الجمهورية، وأصبحت باريس رمزاً للثورة الراديكالية والعمالية. كما ألهمت الثوار وأثارت ثورات في إيطاليا وإسبانيا. خافت أوروبا الرجعية منها ومارست القمع. وبسبب الحرب الفرنسية البروسية وتداعياتها، تغير التوازن الأوروبي وسياسة الاعتدال، على الرغم من استبدال العملية تدريجياً بشكل أكثر واقعية من الدبلوماسية. فكانت هذه الحرب أحد الأسباب الرئيسية لاندلاع الحرب العالمية الأولى. كما أنّ تغيير الدبلوماسية المعتدلة، جنباً إلى جنب مع المصلحة الذاتية الوطنية وتفكيك التوازن الأوروبي، أدى في الحقيقة إلى تسريع انهيار ميزان القوى الأوروبي القديم. للمزيد من =

تبعهما من تطوّراتٍ في العلاقات الدولية وقتذاك^(٩).

تعمّق هذا التفاعلُ بين الصحافة والرأي العام البريطاني أكثرَ فأكثرَ في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر مع بروز عددٍ من الصحفيين ممّن امتازوا بدفاعهم عن «حرية الصحافة» و«حرية التعبير عن الرأي» فضلاً عن تصدّي بعضٍ منهم إلى «الصحافة الاستقصائية»^(١٠)، الراصدة لظواهر اجتماعية - اقتصادية مسّت مساساً مباشراً المجتمع البريطاني، وبخاصة الجمهور العام^(١١) في طبقاته المسحوقة وفئاته الفقيرة^(١٢).

= Stephen Badsey, *The Franco-Prussian War 1870-1871* (London: Bloomsbury: أنظر التفاصيل: 2014); Michael Howard, *The Franco-Prussian War: The German Invasion of France 1870-1871* (London: Taylor & Francis, 2013).

Harold Herd, op. cit., p. 105. (٩)

(١٠) عمل مؤسساتي منظم يهدف إلى كشف الفساد وفضح المسؤولين عنه أمام الرأي العام انطلاقاً من مبدأ حق التعبير وحرية الوصول والحصول على المعلومة. وتُعنى الصحافة الاستقصائية بالاستقصاء والبحث والتدقيق بشرط توافر الدقة والموضوعية للتأكد من صحة المعلومات التي يتضمّنها الخبر أو التحقيق الاستقصائي، وللصحافة الاستقصائية مبادئها وأصولها، وقد ظهر هذا اللون من الصحافة منذ الحرب الفرنسية والهندية حيث تّمت الإشارة إلى تعذيب الضحايا الفرنسيين في إنكلترا، ويعتبر الصحفي جيمس كوردن (James Corden) من صحيفة نيويورك هيرالد (*New York Herald*) أول صحفي استقصائي استخدم التقصي عام ١٨٣٦م، فيما نشرت صحيفة نيويورك تايمز (*The New York Times*) عام ١٨٧١ فضيحة الفساد المالي في بلدية نيويورك. للتفاصيل أنظر: عزام محمد، المنهج العلمي في الصحافة الاستقصائية (عمان: دار أسامة، ٢٠١٤م)، ص ١٨٣.

(١١) Jennifer Rachel Birks, "Newspaper Campaigns: Publics and Politics," PhD thesis, Faculty of Law: Department of Sociology, Anthropology and Applied Social Sciences, 2009.

(١٢) كان من بين أبرز أولئك الصحفيين وليام توماس ستيد الذي يُعد مؤسس الصحافة الاستقصائية، وكذلك الصحفي جون ولتر المدافع عن حرية الصحافة والذي امتاز بمقالاته اللاذعة في نقدها بعض دوقات الأسرة الحاكمة في بريطانيا. للتفاصيل أنظر: عصام الدين مصطفى صالح، الصحافة في مهب الإعلام البديل (الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، ٢٠٢١)، ص ١٨٤.

W. Sydney Robinson, *Muckraker: The Scandalous Life and Times of W. T. Stead, Britain's First Investigative Journalist* (London: Biteback Publishing, 2012), p. 90; William S. Ward, *British Periodicals & Newspapers* (Lexington, Kentucky: The University Press of Kentucky, 2010), p. 339.

عصام الدين مصطفى صالح، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فلا غرو من أن نجد بعضهم قد وصفَ الثلثَ الأخيرَ من القرنِ التاسعَ عشرَ
بأنَّه «حقبة رؤساء تحرير الصحف» لما شكّلوه من ثقلٍ مؤثّرٍ في الحياة العامة، وكان
من بينهم على سبيل المثال لا الحصر جون ديلان (John Thadeus Delane)^(١٣)،
عن صحيفة التايمز، و سي. بي. سكوت (C. P.Scott)^(١٤) عن صحيفة مانشستر
غارديان^(١٥)، فبجهديهما تحقّق «حق سيادي» لرؤساء التحرير في التعبير عن آرائهم
من دون تدخّل المالكين للصحف أو الممولّين لها مالياً أو المرتبطين بالمتنفذين

(١٣) جون ديلان (١٨١٧ - ١٨٧٩): محرر صحيفة التايمز، ولد جون ثاديوس ديلان من عائلة
إيرلندية قديمة في لندن. عُيّن عام ١٨٣٢ من قبل مالك صحيفة التايمز جون والتر الثاني (John
Walter II) كمدير مالي لصحيفة التايمز. بينما كان لا يزال فتى، تلقّى تعليماً عاماً جيداً في المدارس
الخاصة وأكمل دراسته في كلية كينجز كوليدج في لندن، وكذلك في كلية هول في أكسفورد؛ بعد
حصوله على شهادته عام ١٨٤٠، بدأ العمل في الصحافة، في عام ١٨٤١ خلف توماس بارنز
(Thomas Barnes) كمحرّر، وهو المنصب الذي شغله لمدة ستة وثلاثين عاماً. حظي خلال عمله
الصحفي بشبكة من العلاقات الاجتماعية مع الدوائر السياسية الرئيسية في المجتمع الإنكليزي، فتمتع
بمنصب لم يتمتّع به أي صحفي سابقاً. في عام ١٨٧٧ تراجعت صحته وتقاعد من هيئة التحرير. وفي
٢٢ / ١١ / ١٨٧٩ توفي في مقرّه الريفي، أسكوت هيث هاوس في بيركشاير، Arthur Irwin Dasent,
John Thadeus Delane: Editor of "The Times"; His Life and Correspondence, Vol. 2
(London: Smith, Elder & Co, 2012).

(١٤) سي. بي. سكوت (1846-1932) (C. P.Scott) صحفي بريطاني وُلد في اسكتلندا، وكان
يمتلك صحيفة مانشستر غارديان وعمل رئيساً لتحريرها، وكان عضواً ليبرالياً في البرلمان البريطاني
(١٨٩٥ - ١٩٠٦). ولد تشارلز بريستوش سكوت في بات بولاية سمرسيت، وهو ابن شقيق جون
إدورد نيلور مؤسس صحيفة مانشستر غارديان. سافر عام ١٨٧٠ إلى إدنبره ليتدرّب على دورة أقامتها
صحيفة الاسكتلندي (Scotsman)، ثم انضم إلى صحيفة مانشستر غارديان عام ١٨٧١، وأصبح رئيساً
للتحرير عام ١٨٧٢. تم انتخابه عضواً في البرلمان البريطاني عن دائرة «لاي» شمال شرقي مانشستر
عام ١٨٩٥، ثم أصبح رئيساً للاتحاد الفيدرالي لمانشستر. ورغم أنّه كان يقيم في مانشستر إلا أنّه
أصبح شخصية عامّة ذات نفوذ في الدوائر الليبرالية حيث كان من المؤيدين لتصويت المرأة ومن أجل
إصلاح مجلس اللوردات. غادر البرلمان عام ١٩٠٦ ليركّز جهوده على إدارة الصحيفة التي قام بشرائها
بعد وفاة مالكها. من بين أبرز مقولاته الصحفية «لنا حريّة التعليق، أمّا الحقائق فهي شيء مقدّس». بقي
يعمل محرّراً حتى عام ١٩١٩ وتوفي عام ١٩٣٢. نك نوتول، جين تشابمان، الصحافة اليوم، ترجمة:
أحمد المغربي (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠١٢)، ص ٢٧٤-٢٧٥

(١٥) Hodgson, Guy R., “Manchester and its Press under the Bomb: Britain’s ‘other Fleet Street’ and its contribution to a myth of the blitz”, PhD thesis, University of
Chester, 2014.

سياسياً، حتى باتت بحق الصحافة «السُّلطة الرابعة»^(١٦)، ممّا منح الصحافة زخماً تفاعلياً متصاعداً مع الرأي العام البريطاني^(١٧).

حقّق التفاعل الواسع بين الصحافة والرأي العام البريطاني أرباحاً مالية كبيرة للعديد من الصُحف البريطانية خاصة «واسعة الانتشار جماهيرياً»، ممّا حوّل العديد منها إلى مؤسسات صحفية وشركات أُسرية بعينها «صناعتها الصحافة»، وخاصةً أنّ العديد منها ارتبطَ بأحزابٍ سياسيةٍ أو شخصياتٍ نافذةٍ في المجرى السياسي للبلاد بصورةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ، وهو أمرٌ مكنّها من تأسيسِ عدّةٍ صُحفٍ منتميةٍ إلى مؤسساتٍ خاضعةٍ لإشرافِها المُباشر (إدارياً، ومالياً، وسياسياً)، منها على سبيل المثال لا الحصر أسرةُ كادبوري (Cadbury family) مالكةُ صحيفةِ نيوز كرونيكل (News Chronicle)، وأسرةُ بيفبروك (Beaver Brook) مالكةُ صحيفةِ ديلي اكسبريس (Daily Express)^(١٨). ولعلّ من المُفيد هنا أن نوردَ جدولاً لأبرز الأُسَر الصحفية المالكة لعدديّ من الصُحف البريطانية خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر.

(١٦) عمل العديد من محرّري الصحف البريطانية دوراً مهماً في محاولة إصلاح المجتمع ومنهم ستيد، الشخصية الجدلية، الذي احتجّ بالقول إنّ الصحافة «تعمل كمحرّكٍ للإصلاح الاجتماعي». ولتحقيق هذه الغاية، سعى إلى إثارة الرأي العام للضغط على البرلمان لسنّ تشريعات تتعلّق بمعالجة ما حدّده بأنّه مشكلاتٌ اجتماعية خطيرة، فمثلاً دفعت الظروف السكنيّة غير الملائمة الفقراء إلى تأسيس اللجنة الملكيّة المعنيّة بالإسكان التي أدّت إحدى أكثر حملات ستيد الشهيرة، فضلاً عن مسألة المتاجرة بالأطفال. أدّت حملة ستيد الصحفية إلى تغيير القانون، حيث تمّ رفع السن القانوني للرشد من ١٣ إلى ١٦ سنة، وشكّلت الأساس لتوسيع دور الصحافة «كسلطةٍ رابعة». للمزيد من التفاصيل أنظر: Bob Clarke, *From Grub Street to Fleet Street: an illustrated history of English newspapers to 1899* (London: Routledge, 2017), p. 255.

(١٧) George Boyce, James Curran, Pauline Wingate, *Newspaper History from the 17th Century to the Present Day* (London: Constable, 1978), p. 258.

Harold Herd, *The March of Journalism*, op. cit., p. 105.

(١٨)

جدول (١)
أبرز الأسر الصحفية المالكة لعددٍ من الصُحفِ البريطانية^(١٩)
(١٧٨٠ - ١٩١٨)

اسم الصحيفة التأسيسية	العائلة أو الشركة	مؤسسها	عدد صُحفها	من أبرز
مجموعة الديلي ميل	الشركة المتحدة للصحف	اللورد رودرمير	٣ صحف لندنية وعشر صحف إقليمية	الديلي ميل الصباحية، والافيننج نيوز المسائية، والسنداي ديسباتش
مجموعة بري	شركة كمسلي	اللورد كامروز	٥ صحف لندنية و١٣ صحيفة إقليمية	الديلي تلغراف والفاينانشيل تايمز
مجموعة وستمنستر برس نيوز بيبر	عائلة الكاودريز والراونتريز	اللورد نورثكليف	١٣ صحيفة يومية و٢٢ صحيفة اسبوعية	ذا امبرنت
مجموعة بروفنشال نيوز بيبر ليمتد	بروفنشال نيوز بيبر ليمتد	جيرارد مينل	٤ صحف مسائية و٧ صحف أسبوعية	ذا كازيت
مجموعة بيفر بروك	لندن اكسبريس نيوز بيبر ليمتد	ويليام ماكسويل أيتكين	٣ صحف لندنية و٢ صحف إقليمية	ديلي إكسبرس

(١٩) نُظِّم الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على المصادر التالية: David Murphy, *The Silent Watchdog: The Press in Local Politics* (London: Constable, 1976); Krishna Kumar Birla, *Brushes with History* (London: Penguin, 2009); Dow Jones, *The Wall Street Journal* (New York: Dow Jones, 2000); Tina Grant, *International Directory of Company Histories* (London: St. James Press, 2000); Clare Redman, *Willings Press Guide: United Kingdom* (London: Romeike Research Limited, 2007); Timothy S. Benson, “Low and Lord Beaverbrook: The Case of a Cartoonist’s Autonomy”, PhD thesis, University of Kent, 1998.

وانسجاماً مع ما تقدم، شددَ العديد من أساطين الصحافة البريطانية من رؤساء تحرير ومحررين، كان لأفلامهم وكتاباتهم أثرها الفاعل، لا في الرأي العام البريطاني فحسب، أنما تعداه إلى العالمية في حرية «التعبير» والابتعاد عن المطامح المادية وتحقيق الأرباح، فضلاً عن التركيز على موضوعات السياسة والقضايا الكبرى الخاصة ببلادهم وحكوماتهم من خلال عمل «احترافي» و«مهنية» عالية تعتمد على المصادقية في نشر الأخبار وأمانتها^(٢٠)، ولعل من بين تلك الصحف صحيفة: ذا تايمز وذا صن وذا تليغراف (The Telegraph)^(٢١)، والأخيرة وُصِفَتْ بأنها الأعلى توزيعاً عالمياً، فقد وصلت مبيعاتها يومئذ إلى رُبع مليون نسخة يومياً^(٢٢).

احتلت قضايا السياسة وموضوعاتها حيزاً كبيراً في الصحف البريطانية، كما هو الحال، على سبيل المثال لا الحصر، في صحف: مورنينج بوست وذا تايمز، فقد نشرت على صفحاتها تقاريراً سياسية تفصيلية، ومطوّلة عن جملة من موضوعات كانت تقع في صلب اهتمامات الرأي العام البريطاني، كان من أبرزها داخلياً، التقارير الصحفية المعنية بـ«مناظرات» البرلمان البريطاني وقضاياها مثار «النقاش» في داخل المؤسسة التشريعية، وأصدائها في الداخل البريطاني وعلى المستويين الحكومي والشعبي^(٢٣).

فتمخض عن هذا الاهتمام بقضايا البرلمان صحفيون ومحررون معنيون بالشأن البرلماني ومتخصصون بقضاياها^(٢٤)، وهو أمر تطوّر لاحقاً بتشكيل فريق عمل منهم متخصصين بمتابعة الشؤون البرلمانية البريطانية، وإعداد التقارير اللازمة عن مجرياتها

Christine L. Krueger, *Encyclopedia of British Writers: 19th and 20th Centuries* (٢٠) (InfoBase Publishing: New York, 2014), p. 323; Kevin Williams, op. cit., p. 105.

Griffiths, *Fleet Street*, op. cit., p. 96; Geoffrey Alan Cranfield, *The Press and Society: From Caxton to Northcliffe* (London: Taylor and Francis, 2016), pp. 96, 206.

Anthony Smith, *The Newspaper: An International History* (London: Thames & Hudson, 1979), p. 122; Kevin Williams, op. cit., pp. 100-102.

Smith, *The Newspaper*, op. cit., p. 161. (٢٣)

Andrew Sparrow, (٢٤) كان منهم على سبيل المثال ويليام «ميموري» وودفول، انظر: *Obscure Scribblers: a History of Parliamentary Journalism* (London: Politico's, 2003), p. 27.

من مناقشات وأعمالٍ تشريعية وأخرى عالجت القضايا (الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية) المختلفة وعلى الصعيدين الداخلي والخارجي^(٢٥)، فعلى سبيل المثال كان لصحيفة ذا تايمز فريق عمل مؤلف من خمسة عشر صحفياً ما بين مراسل ومحرر معني بالشأن البرلماني حصراً، حتى أنها بزت العديد من رصيفاتها في هذا المجال، وقد احتلت تقاريرها عن خطابات مجلسي اللوردات والعموم الأولوية على صفحاتها، فشكّلت إذاً جازاً لنا التعبير «منبراً» حُرّاً للمُتحدّثين في البرلمان أولاً، واطلاع الرأي العام على آرائهم ومواقفهم ثانياً، والتفاعل مع المجتمع البريطاني ثالثاً^(٢٦).

ولقد عزّز أثر الصحافة البريطانية السياسي في المجتمع البريطاني بروز ظاهرة سياسية مؤثرة في الحياة العامة، ومتنامية بآثرها الفاعل داخل منظومة المجتمع والدولة على حد سواء، وهي ظاهرة أُطلق عليها اسم «اللوبي»^(٢٧) تتشكّل من نُخبٍ قانونية وسياسية وفكرية، تدعم في مواقفها وآرائها قضايا بعينها، وتتوافق ومشروعها السياسي وعلى الصّعد كافة. وانبثقت عن هذه اللوبيات في الأوساط البريطانية لوبيات شكّلت هي الأخرى بحدّ ذاتها دعامةً أساسية أخرى في تنامي فاعلية الصحافة في المجتمع، وذلك لحاجة هذا اللوبي أو ذاك إلى وسائل «جاذبة» للرأي العام و«ضاغطة» في الوقت نفسه على مراكز صنع القرار في البلاد، سواء السُّلطة التنفيذية أو السُّلطة التشريعية، لا بل وحتى السُّلطة القضائية في أحيانٍ غير قليلة، وبخاصة فيما يتعلق منها بقضايا سياسية بعينها^(٢٨).

حصلَ بعضُ الصحفيين البريطانيين بموجب «نظام اللوبي» على تراخيص خاصة بهم حصرياً في الدخول إلى البرلمان البريطاني، والحصول على معلومات وأخبار «سرية» يحقّ لهم نشرُ بعضٍ منها ممّا لا يمسّ بمصالح الدولة العليا أو يفضّح

Smith, *The Newspaper*, op. cit., p. 161.

(٢٥)

Andrew Sparrow, op. cit., p. 52; Bob Clarke, op. cit., p. 255.

(٢٦)

(٢٧) جماعة اللوبي (Group of Lobby) هي جماعة الضغط وهي منظّمة تسعى إلى التأثير في السياسة الحكومية حماية لمصالحها الخاصة أو في تحقيق أهدافها السياسية، ولها أثر فاعل رئيسي ومتزايد في الديمقراطيات الغربية، وقد انبثقت جذورها في الولايات المتحدة الأمريكية منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وبدأت محاكاته في بريطانيا بعد ذلك. للتفاصيل انظر: هتشنسون، معجم الأفكار والأعلام، ترجمة خليل راشد الجيوسي (بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧)، ص ٤٣٦.

Sparrow, p. 27.

(٢٨)

أسرارها، وقد أُطلقَ على أولئك الصحفيين بـ«الصحفيين البرلمانيين» ممّن حازوا على هذا الامتياز^(٢٩).

وقد تبع ذلك سنٌ عددٍ من القوانين الصارمة من ضبط آليات تداول المعلومات والاطلاع عليها من قبل الموظّفين المعيّنين في الدولة، فضلاً عن إباحة نشرها في الصحافة، وخاصةً فيما يتعلّق منها بالمصالح العلّيا للدولة وأسرارها، كان منها على سبيل المثال «قانون الثقة الرسمية لعام ١٨٩٩»^(٣٠)، الذي تحدّدت بموجب مضامينه تقنين المعلومات الخاصة بسياسات الدولة أولاً، وضبط إمكانية نشرها ثانياً قوانين

Michael Cockerell, Peter Hennessy, David Walker, *Sources Close to the Prime Minister: inside the Hidden World of the News Manipulator* (London: Macmillan, 1984), p. 6.

(٣٠) قانون الثقة الرسمي: صدر عن البرلمان البريطاني بتاريخ ١٧/١١/١٨٨٩، هدفت موادّه حماية أسرار البلاد ومصالحها العلّيا من أي عملية تجسّس خارجي يضرّ بها، تم إلغاؤه عام ١٩١١ لتعارضه مع مبدأ الحريات العامّة، وكذلك لإقرار قانون بديل أكثر تنظيمًا وسعة في التعامل مع المبدأ الآنف الذكر. للتفاصيل أنظر: Gail Bartlett and Michael Everett, “The Official Secrets Acts: and Official Secrecy”, The Official British parliament website, Number CBP07422, 2/5/2017, pp. 1-3; Kevin Williams, op. cit., p. 107.

Michael Cockerell, Peter Hennessy, David Walker, op. cit., p. 34; Kevin Williams, op. cit., p. 106; Alan J. Lee, *The Origins of the Popular Press in England: 1855-1914* (London: Croom Helm, 1976), p. 101.

Owen Jones, *The Establishment: And How They Got Away with it* (London: Allen Lane, 2014), pp. 10-17; Andrew Roberts, *The Chief: The Life of Lord Northcliffe Britain's Greatest Press Baron* (London: Simon & Schuster, 2023); Tom Roberts, *The Making of Murdoch: Power, Politics and What Shaped the Man Who Owns the Media* (London: I. B. Tauris, 2020); “The Last Mogul: The Life and Times of Lew Wasserman”, Documentary, Release date: August 8, 2006; Roy Greenslade, *Maxwell: The Rise and Fall of Robert Maxwell and His Empire* (London: Birch Lane Pr., 1992).

(٣٣) كان منهم على سبيل المثال توماس بارنز (Thomas Barnes) رئيس تحرير صحيفة التايمز، وجون ديلاين (John Dylan) و سي. بي سكوت (C.P.Scott) رئيس تحرير صحيفة مانشستر غازيت واتش. جي ماسينجهام (H. G. Massingham) رئيس تحرير صحيفة ديلي كرونكل وسواهم. للمزيد: Kevin Williams, op. cit., p. 106.

(٣٤) جون رسل (١٨/٨/١٧٩٢ - ٢٨/٦/١٨٧٨): رئيس وزراء بريطانيا للمدة ١٨٤٦ إلى ١٨٥٢، شهدت حكومته جملة من الأحداث كان من بينها المجاعة في إيرلندا، كما عدّل عدداً من القوانين، وكذلك إصلاحات دستورية مهمّة في قانون حق الانتخاب في بريطانيا. قدّم استقالته عام =

وآليات أدت إلى تنظيم العلاقة بين الحكومة والصحافة من جهة، كما أكدت على أهمية الأخيرة في النظام السياسي البريطاني من جهة أخرى^(٣١).

لذا أصبحت الصحافة في بريطانيا منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي وما تلاه مرتبطة بشبكة من العلاقات المتغلغلة بعمق مع مراكز القرار والقوى النافذة فيها، حتى أمست في مكانة «مُهَيِّية» و«مُهَابَة» في الأوساط البريطانية وعلى مختلف الصعد (السياسية، والاقتصادية والاجتماعية)؛ وهو أمر أدى إلى بروز ظاهرة جديدة في المجتمع البريطاني، أثرت بفاعلية كبيرة فيه وفي ظهور عدد من الشخصيات النافذة في الصحافة البريطانية، أطلق عليهم اسم «بارونات الصحافة»، وشكلوا باطراد مع مرور الزمن قوة مؤثرة وكبيرة في مراكز القرار في البلاد سياسياً واقتصادياً^(٣٢).

وتناغماً مع ما تقدم من ناحية، وتضاعف «فاعلية» العلاقة بين الصحافة والسلطة، والصحافة والرأي العام من ناحية أخرى، شدد عدد من رؤساء التحرير والمحررين في الصحف^(٣٣)، على مفهوم «السلطة الرابعة» للصحافة البريطانية وما تعنيه من ثقل مؤثر في الحياة العامة لبلادهم، فعلى سبيل المثال أشار رئيس وزراء بريطانيا جون رسل (John Russell)^(٣٤) في معرض حديثه أمام البرلمان في ٢٣ حزيران ١٨٥٥، إلى أسباب انهيار حكومته التي كان من بين أسبابها دور صحيفة ذا تايمز وحملاتها الصحفية في نقد سياسته، وهو أمر عانت منه أيضاً حكومة إدوارد سميث ستانلي (Edward Smith Stanley)^(٣٥)، وهو أمر دفع الأخيرة إلى اتخاذ إجراءات قانونية

= ١٨٥٢ أدى موقف حكومته المتردد من روسيا القيصرية في حرب القرم، ونقد سياسة الحكومة من قبل صحيفة التايمز، إلى خسر ثقة البرلمان البريطاني. للتفاصيل أنظر: Spencer Walpole, *Life of Lord*. John Russell (University Press of the Pacific, 2005), Vol. 2; Charles Clive Bigham Mersey, *The Prime Ministers of Britain 1721-1921* (London: Wentworth Press, 2019).

(٣٥) إدوارد سميث ستانلي: (29/3/1799-23/10/1869) المعروف أيضاً بلورد ديربي، سياسي بريطاني، تلقى تعليمه في جامعة كريست تشيرش، أكسفورد. شغل منصب عضو البرلمان عن عدة دوائر انتخابية منها: لستوكبريدج عام ١٨٢٢، وبريستون عام ١٨٢٦. كما شغل منصب وزير الدولة للمستعمرات في عام ١٨٢٧؛ وزير الداخلية في إيرلندا عام ١٨٣٠ - ١٨٣٣؛ وتولى منصب رئيس الوزراء لمدد قصيرة من شباط - كانون الأول ١٨٥٢، ومن عام ١٨٥٨ إلى عام ١٨٥٩، ومن عام ١٨٦٦ إلى عام ١٨٦٨. وكان من أعضاء حزب المحافظين، وكان معروفاً بدعمه للحفاظ على الامتيازات الأرستقراطية في المملكة المتحدة. رأس عملية تمرير القانون الثاني لإصلاح الانتخابات في عام ١٨٦٧، الذي زاد حجم الناخبين البريطانيين ثلاثة أضعاف ما كانت عليه. للمزيد =

مُتشدِّدٍ إزاء «انتقاد الحكومة»، إلا أن ذلك لم يحدَّ من ممارسة بعض رؤساء التحرير ومحرّري صُحفهم من حق «السُّلطة الرابعة» في المتابعة لسياسات الحكومة والرقابة على أدائها^(٣٦).

فلا غرو، من أن نجد العديدَ من الصُحفِ البريطانية، اتسمَ نشرُها للأخبار بـ«الانحياز» المتوافق مع انتماءاتها ومتبنياتها السياسية، مع ما يتناغمُ وتطلعاتها المرجوة من حراكها الإعلامي - السياسي في تحقيق أهدافها المُبتغاة عن طريق الحملات:(الصحافية، والإعلامية)، والدعائية لهذا الحزب أو ذاك، سواء في الترويج لبرامجهِ أم في معارضتها ونقدها لها^(٣٧).

لقد زعزعتُ انتهازيّةُ تلك الصُحفِ، إلى حدِّ ملموسٍ، كما بيّنَ عددٌ من الباحثين في شأنِ نشأة وتطوّر اتجاهات الصحافةِ البريطانية، ومكانتها في أوساط الرأي العام، لا بل على حدِّ تعبيرهم «أن الصحافة هبطتُ من مكانتها كمهنة لبرالية» تنشرُ الحقائق وتدافع عنها، وهو أمر على حدِّ زعمهم أثر سلباً في مكانة أسماء مرموقة في عالم الصحافة البريطانية من أمثال: ريتشارد كارلايل (Richard Carlyle)، وولام كوبت (William Cobbett) وجون والتر (John Walter) والأديب وليم ثاكراري (William Makepeace Thackeray)، ممّا اضطرَّ الأخيرُ وآخرون غيرهِ في نشرِ مقالاتهم بأسماء مستعارة؛ خشيةً من ردود فعل الرأي العام البريطاني^(٣٨).

إنَّ الاتجاه «البراغماتي»^(٣٩) لتلك الصُحفِ البريطانية، خلقَ تياراً مؤثراً في

= انظر: Robert Eccleshall, and Graham Walker (eds.), *Biographical Dictionary of British Prime Ministers* (London: Taylor & Francis, 2002), p. 161-162.

John Plunkett, and Andrew King, *Victorian Print Media: A Reader* (Oxford: (٣٦) Oxford University Press, 2005), pp. 350-2; Henry Wickham Steed, *The Press* (London: Sagwan Press, 2015), p. 75.

Mick Temple, *The British Press* (Berkshire: Open University Press, 2008), (٣٧) p. 45.

(٣٨) نك نوتول، جين تشابمان، *الصحافة اليوم*، ص ١٥٤.

(٣٩) تمثل الاتجاه «البراغماتي» في الصحف البريطانية من خلال استخدام الصُحف لعناوين جريئة ومثيرة للاهتمام لجذب القراء، وزيادة مبيعاتها واستخدام عبارات مبالغ فيها أو مثيرة للجدل في العناوين الرئيسة لجذب الانتباه وإثارة فضول قرائها حتى وإن كانت تفتقر إلى الدقّة أو الموضوعية. للمزيد من التفاصيل أنظر: James R. Martin, and David Rose, *Working with Discourse*: =

الوسطين السياسي والإعلامي، له الكلمة النافذة في مراكز القرار والتأثير فيها، وبغض النظر عن منحها ومبتغاها ومشروعية أهدافها أمتوافقة أم غير متوافقة مع «مصادقية النشر» ورسالة الصحافة «السامية» في الدفاع عن المصالح العامة وحقوق المجتمع^(٤٠).

بيد أن بريطانيا قد شهدت منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تنامي حركة اجتماعية - سياسية في أوساط العُمال والعديد من أبناء الطبقة الوسطى في العاصمة لندن ذات المنحى الاشتراكي وعُرفت في أدبيات السياسة البريطانية باسم «الجمعية الفابية»^(٤١) وقد نجحت بتأسيس أكثر من سبعين فرعاً لها في مختلف المُدن البريطانية^(٤٢).

وتنامى التيار الاشتراكي في المجتمع البريطاني متناغماً مع ازدياد الحركة العمالية فيه^(٤٣)، فأُسفر عن تأسيس حزب العُمال^(٤٤) باتجاهاته الاشتراكية الواضحة

Meaning Beyond the Clause, 2nd ed., (London: Continuum, 2007); Jacob L. Mey, = *Pragmatics: An Introduction*, 2nd ed. (London: Wiley-Blackwell, 2001).

Ryan Holiday, *Trust Me, I'm Lying: Confessions of a Media Manipulator* (٤٠) (London: Portfolio, 2013), p. 21.

(٤١) استمدت الجمعية الفابية اسمها من اسم القائد الروماني المعروف فابيوس. وقد أوجزت هذه الجمعية في بيان أصدرته سنة ١٨٨٢ جاء فيه: «إن الجمعية ترى أن النظام التنافسي يؤكد هناء ومصلحة الأقلية على حساب مصلحة وعذاب الأكثرية، وعليه فمن الضروري إعادة تركيب المجتمع بما يضمن مصلحة وسعادة الجميع». وقد ضمت في صفوفها مجموعة من «الشباب والشابات» في بريطانيا كان من بينهم الأديب الساخر جورج برنارد شو وسيدني وباتريس، وبو غراهام والآس، وكير هاردي، ورامزي ماكدونالد، الذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء عن حزب العمال. وقد رأت هذه الحركة أن الاشتراكية ستنجح عن طريق قوى اجتماعية وليس عن طريق الثورة، وأن الدولة ستقدم في توسيع تدخلها في القطاع الاقتصادي عن طريق الخدمات الاجتماعية والتعليمية التي تهدف إلى القضاء على الفقر. للتفاصيل أنظر: Paul Adelman, *Rise of the Labour Party 1880-1945* (London: Routledge, 1996), p. 19.

Ibid. (٤٢)

(٤٣) عن الحركة العمالية في بريطانيا، النشأة والتطورات في القرن التاسع عشر أنظر: Paul Adelman, op. cit., p. 20.

(٤٤) حزب العمال البريطاني (The Labour Party) حزب سياسي تأسس عام ١٩٠٠ في مؤتمر بمدينة لندن بعد توحيد العديد من الحركات العمالية والاشتراكية. وكان أول زعيم للحزب هو كير هاردي (Keir Hardie) مع زملائه أمثال رامزي ماكدونالد (Ramsay MacDonald)، وقد =

في مسارها، الهادفة إلى تحقيق «العدالة الاجتماعية» وضمان حقوق العمّال، وتوفير فرص العمل للأيدي العاطلة عن العمل، وإلغاء استغلال الأطفال^(٤٥)، فضلاً عن التشديد على منح العاجزين والمُتضرّرين من أداء العمل ضمان اجتماعي وسواها من المتطلبات المعيشية التي تُحقّق الحد الأدنى من العيش بكرامة^(٤٦).

تمخّص عن هذا التيار السياسي الاشتراكي والعمّالي صدور العديد من الصُحف البريطانية المتبنّية لهذا المنحى السياسي واتجاهاته، كان من بينها، على سبيل المثال لا الحصر، صحيفة وركمانز تايمز (Workman's Times) التي أصدرها جون بيرجيز (John Burges) في عام ١٨٩٠، وكذلك صحيفة كلاريون (Clarion) والمؤسّسة التي تلتها بعام واحد من قبل روبرت بلاتشفورد (Robert Blatchford)، وسواها من الصُحف المُساندة للطبقة العاملة وحقوقها المشروعة في الدفاع عن حقوق الفئات المحرومة في المجتمع البريطاني، ممّا كان له أثره البالغ والكبير في تنامي شعبيتها في العديد من الأوساط المُجتمعية البريطانية^(٤٧).

وكان من بين الصُحف المعنية بقضايا العمّال وذات منحى اشتراكي، صحيفة فورورد (Forward) الصادرة في مدينة غلاسكو الاسكتلندية، فقد نشرت العديد من المقالات المعنية بجبهات القتال في الحرب العالمية الأولى^(٤٨)، وما تضمّنته من

= تمحورت بشكل أساسي على قيم العدالة الاجتماعية، وتوفير فرص العمل العادلة، والرفاهية العامة، والحقوق العمالية. للمزيد من التفاصيل أنظر: Henry Pelling, *A Short History of the Labour Party*, 9th ed., (London: Palgrave Macmillan, 1991); Tony Cliff and Donny Gluckstein, *The Labour Party: A Marxist History*, 2nd ed. (London: Bookmarks, 1996).

(٤٥) للمزيد من التفاصيل حول تغطية الصحف البريطانية استخدام الأطفال والأخبار المتعلقة بالسياسات الاجتماعية انظر: Ndangam, Lilian N., "British newspaper coverage of child sexual abuse: relating news to policy and social discourses", PhD thesis, University of Sheffield, 2003; Dean Hardman, "Political Ideology and Identity in British Newspaper Discourse", PhD thesis, University of Nottingham, 2008.

Paul Adelman, op. cit., p.20.

(٤٦)

Tony Brown, and Thomas N. Corns, *Edward Carpenter and Late Victorian Radicalism* (London: Frank Cass, 1990); David Brown, Gordon Pentland, Robert Crowcroft (eds.), *The Oxford Handbook of Modern British Political History, 1800-2000* (Oxford: Oxford University Press, 2018).

Andrew Simpson, *The Operational Role of British Corps Command on the Western Front, 1914-18* (London: University College London, 2019), p. 19.

أخبار عن أحداثها إلى جانب تعليقاتها المُنتقدة لمآسيها ونتائجها الاجتماعية والاقتصادية، فضلاً عن تخصيصها نافذة كبيرة في صفحاتها تطلّ على تطوّرات الحراك الاشتراكي الاسكتلندي ومساره السياسي^(٤٩).

وتأسّست أيضاً صحيفةُ ذا ماينر (Miner) عن صحيفة ماينر نيوزمان (Miner Newsman) بتاريخ ١٣ أيلول ١٨٦٢ لمؤسّسها كير هاردي (Keir Hardie)، ارتكزت أهدافها في الدفاع عن حقوق عمّال المناجم في اسكتلندا، ثم بيعت في عام ١٩٠٤ لصالح حزب العمّال، فحظيت باهتمام أعضاء الحزب المذكور ودعمهم في الكتابة على صفحاتها أو في المُساندة المالية، وامتازت بمنحها «المُنَاهِض» للحروب والمُعَارِض لها بقوة، داعية إلى «السلام» بين الشعوب؛ لذا جاء العديد من مقالاتها شاجباً للحرب العالمية الأولى ومنتقداً لمساراتها، فعلى سبيل المثال كانت توشح أعدادها بعناوين مثل: «تسقط الحرب»، ممّا دفع السُلطات إلى اعتقال أحد مُحرّريها وزجّه بالسجن بحُجّة إثارتِه للفتن الداخلية، والإخلال بأمن البلاد^(٥٠).

شكّل تأسيس صحيفة «ديلي هيرالد» التي أسّسها ألفريد هارمسورث (Alfred Harmsworth)، عام ١٩١٢، انعطافةً تاريخيةً في تاريخ الصحافة العمّالية في بريطانيا عموماً، ولندن على وجه الخصوص؛ كونها أصبحت ومنذُ عشية الحرب العالمية الأولى في ١٩١٤ لسان حال حزب العمّال في رؤاه السياسية ومواقفه من الحرب العالمية الأولى وتطوّراتها من جهة، وانعكاساتها على الواقع الاجتماعي والاقتصادي، من جهة أخرى، في أواسط المجتمع البريطاني، لاسيّما بين الطبقة الوسطى وما دونها، فكان لإثارات مقالاتها صدى واسع في الرأي العام البريطاني وأثّر كبير فيه، مثيرةً «نقاشاً وجدلاً حاداً» في مختلف فئاته وأوساطه الاجتماعية، على حدّ تعبير المُتتبعين لمشوارها الصحفي^(٥١).

أدّى التنامي الفاعل، والمُطرد بقوة، للصحافة البريطانية، ورؤساء تحريرها البارعين في رصد الحياة السياسية العامة في البلاد ومراقبتها، إلى النفاذ إلى مراكز

Ibid.

(٤٩)

Andrew Simpson, op. cit., p. 20.

(٥٠)

Tony Brown, and Thomas N. Corns, op. cit.; David Brown, Gordon Pentland, (٥١)

Robert Crowcroft (eds.), *The Oxford Handbook of Modern British Political History, 1800-2000* (Oxford: Oxford University Press, 2018).

القرار فيها، فمع حلول العام ١٨٩٢، استطاع ثلاثون من مالكي الصحف وتسعة وعشرون صحفياً من الفوز بمقاعد في مجلس العموم^(٥٢)، على سبيل المثال هنري ريف (Henry Reeve)^(٥٣)، الذي تم استدعاؤه عام ١٨٩٣ لتقديم المشورة من قبل السفراء الفرنسيين المتعاقبين، وكان أكثر من مرة وسيطاً في المفاوضات الخاصة بين الحكومتين الإنكليزية والفرنسية، وهذا تجسيد عملي لما أحرزته الصحافة من قاعدة شعبية واسعة ومؤثرة مكنتها من الإسهام في الحياة السياسية في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر وما تلاه^(٥٤).

فلا مرأى من أن نجد عدداً من كبرى الصحف البريطانية يومئذ قد فرضت هيمنتها السياسية بـ«عمق» على الساحة السياسية في البلاد، مما أثر بـ«قوة» في نتائج الانتخابات البرلمانية^(٥٥)، كان من بين أبرزها صحيفة بيبول (People)، اللندنية، لما تمتعت به من «شعبية» كبيرة، فقد وزعت أكثر من أربعة ملايين نسخة من أعدادها الصادرة قبيل انتخابات عام ١٩١٠، وهو رقم كبير في عالم توزيع الصحف اليومية وقتذاك، وهو رقم إن دلَّ على شيء إنما يدلُّ على حجم ثقل صحيفة بيبول في الأوساط المجتمعية البريطانية وقتذاك^(٥٦).

Alan J. Lee, "Franklin Thomasson and the Tribune: a case-study in the (٥٢) history of the liberal press, 1906-8," *The Historical Journal*, Vol. 16, No. 6, 1973, p. 342.

(٥٣) هنري ريف (١٨١٣/٩/٩ - ١٨٩٥/١٠/٢١): الابن الأصغر ريف، طبيب وكاتب يميني من نورويتش. تلقى تعليمه في مدرسة نورويتش بإشراف إدوارد فالبي. خلال زيارته إلى لندن عام ١٨٣١، تعرّف على ثاكيراى وتوماس كارلايل وعلى شخصيات أدبية أخرى. وفي عام ١٨٣٢ التقى في باريس فيكتور هوغو والسير والتر سكوت. عمل من عام ١٨٤٠ إلى عام ١٨٥٥ في صحيفة التايمز، للمزيد من التفاصيل أنظر: Sidney Lee, Henry Reeve, *Dictionary of National Biography*, Vol.: أنظر: 47 (London: Smith, Elder & Co.1896), pp. 406-408.

John Plunkett, and Andrew King, *Victorian Print Media: A Reader* (Oxford: (٥٤) Oxford University Press, 2005), pp. 2-350; Henry Wickham Stead, *The Press* (London: Sagwan Press, 2015), p. 75.

D. Griffiths, *Fleet Street: Five Hundred Years of the Press* (London: The (٥٥) British Library, 2006), p. 360; R. Negrine, *Politics and the Mass Media in Britain* (London: Routledge, 1994), p. 44.

Briggs, P. Burke, *A Social History of the Media: From Gutenberg to the Net* (٥٦) (Cambridge: Polity Press, 2002), p. 215; Mick Temple, op. cit., p. 45.

لذا شكّل التنامي في الصحافة على الرأي العام البريطاني والهيمنة عليه دافعاً كبيراً في حثّ عددٍ من رموز وقيادات الأحزاب الليبرالية في التحرك مالياً وسياسياً إزاء كُبرى الصحف البريطانية للتأثير في ولائها السياسية من جهة، وتوظيفها لخدمة توجّهات تلك الأحزاب ومواقفها السياسية من جهة أخرى، لا بل أنّ بعضهم رمى بثقله لشراء بعضها، كما أقدم على سبيل المثال لا الحصر رئيس الوزراء الليبرالي ديفيد لويد جورج (David Lloyd George)^(٥٧) في عام ١٩١٨ على شراء صحيفة كرونكل اليومية بمبلغ مالي قدره مليون وستمائة وتسعة وخمسون ألف باوند، وهو مبلغ كبير يدلّ على أهمية هذه الصحيفة شعبياً من جهة، وعلى مدى الاهتمام البالغ لرئيس الوزراء المذكور في اقتنائها لضمان ولائها السياسي ودعمها له دعائياً من جهة أخرى^(٥٨).

توزّعت الصحافة البريطانية عشية الحرب العالمية الأولى في ولائها السياسية على تيارات تناغمت تماماً مع ما ساد من اتجاهات سياسية يومئذ في المسرح السياسي للبلاد، إنّ جاز لنا التعبير، ما بين صحف «محافظة» وأخرى «اشتراكية» وثالثة «ليبرالية»، فضلاً عن أخرى «مستقلة»، عبّرت عن مواقفها المنحازة لهذا الانحياز أو ذاك الحزب، من خلال ما نشرته من «مقالات» داعمة، أو «أخبار» معززة في دعايتها لهذا الطرف أو ذاك^(٥٩)، ولعل من المفيد أن نضع بين يدي القارئ الكريم

(٥٧) ديفيد لويد جورج (١٧/١/١٨٦٣ - ٢٦/٣/١٩٤٥): أحد أبرز الشخصيات السياسية البريطانية في بداية القرن العشرين، ولد في قرية شينغرين في ويلز. درس الحقوق في كلية لندن للمحاماة ولكنه لم يكمل دراسته وتركها للعمل في مجال السياسة. شغل منصب رئيساً لمجلس الوزراء البريطاني من عام ١٩١٦ إلى ١٩٢٢، وقاد بلاده خلال الحرب العالمية الأولى. وقد أدخل إصلاحات هامة في السياسة الداخلية والخارجية. للمزيد من التفاصيل أنظر:

Kenneth O. Morgan, David Lloyd George, 1863-1945 (Cardiff, Wales: University of Wales Press, 1981);

David Dutton, "The wonderful wizard as was Lloyd George, 1931-1945," *Journal of Liberal History* (Liberal Democrat History Group), Special issue: David Lloyd George, Issue 77, Winter 2012.

J. M. McEwen, "Lloyd George's acquisition of the Daily Chronicle in 1918," (٥٨) *Journal of British Studies*, Vol. 22, Issue 1, 1982, pp. 127-44; Mick Temple, op. cit., p. 45.

R. Snoddy, *The Good, the Bad and the Unacceptable: The Hard News About* (٥٩) *the British Press* (London: Faber and Faber, 1993), p. 120; Mick Temple, op. cit., p. 47.

جدولاً (جدول رقم ٢) نوضح فيه أبرز الصحف البريطانية في العقدين الأولين من القرن العشرين وميولها السياسية.

جدول رقم (٢)
أبرز الصحف البريطانية واتجاهاتها السياسية^(٦٠)
١٧٧٢ - ١٩٢٠

ت	اسم الصحيفة بالإنكليزية	بالعربية	سنة الصدور	الاتجاه السياسي
١ -	<i>The Morning Post</i>	مورنينغ بوست	١٧٧٢	محافظ
٢ -	<i>The Times</i>	التايمز	١٧٨٥	=
٣ -	<i>Observer</i>	أوبزيرفر	١٧٩١	=
٤ -	<i>The Sunday Dispatch</i>	صنڊاي ديسباتش	١٨٠١	=
٥ -	<i>Globe</i>	غلوب	١٨٠٣	=
٦ -	<i>The Sunday Times</i>	صنڊاي تايمز	١٨٢٢	=
٧ -	<i>Evening News Standard</i>	إيفنينج نيوز ستاندرڊ	١٨٢٧	=
٨ -	<i>The Spectator</i>	ذا سبيكتيتور	١٨٣٨	=
٩ -	<i>News of the World</i>	نيوز اوف ذا وورلد	١٨٤٣	=
١٠ -	<i>Daily Telegraph</i>	ديلي تيلغراف	١٨٥٥	=
١١ -	<i>Evening News</i>	إيفنينج نيوز	١٨٨١	=
١٢ -	<i>Special Financial</i>	سبشل فايننشال	١٨٩٧	=
١٣ -	<i>Daily Express</i>	ديلي إكسپرس		=
١٤ -	<i>Daily Sketch</i>	ديلي سكيش	١٩٠٨	=

(٦٠) David Murphy, *The Silent Watchdog: The Press in Local Politics* (London: Constable, 1976); Krishna Kumar Birla, *Brushes With History* (London: Penguin, 2009); Dow Jones, *The Wall Street Journal* (New York: Dow Jones, 2000); Tina Grant, *International Directory of Company Histories* (London: St. James Press, 2000); Clare Redman, *Willings Press Guide: United Kingdom* (London: Romeike Research Limited, 2007) إنَّ تنظيم الجدول تمَّ على أساس القدم التاريخي للاتجاهات السياسية في بريطانيا (المحافظ، الليبرالي، الاشتراكي، والمستقل)، وإن كان الأخير سائد في كل المراحل التاريخية في بريطانيا.

=	۱۹۱۰	ایفنینگ تایمز	Evening Times	- ۱۵
=	۱۹۱۸	صنداي اکسپرس	Sunday Express	- ۱۶
لیبرالي	۱۸۲۱	مانشستر غارديان	Manchester Guardian	- ۱۷
=	۱۷۹۲	ذا صن	The Sun	- ۱۸
=	۱۸۵۷	مورنینگ ستاندرڊ	Morning Standard	- ۱۹
=	۱۸۶۹	دیلی کرونیکل	Daily Chronicle	- ۲۰
=	۱۸۸۷	ذا ستار	The Star	- ۲۱
=	۱۸۹۲	مورنینگ لیدر	The Morning Leader	- ۲۲
=	۱۸۹۳	ویستمینستر جازیت	The Westminster Gazette	- ۲۳
=	۱۸۹۶	دیلی میل	Daily Mail	- ۲۴
=	۱۹۰۶	تریبون	Tribune	- ۲۵
=	۱۹۰۶	ماجوریتی	Majority	- ۲۶
=	۱۹۱۵	ایفنینگ ایکو اند کرونیکل	Evening Echo and Chronicle	- ۲۷
اشتراکي	۱۸۵۰	رینولد نیوز	Reynolds News	- ۲۸
=	۱۸۶۸	ایکو	Echo	- ۲۹
=	۱۹۰۷	نیشن	Nation	- ۳۰
=	۱۹۱۲	دیلی هیرالد	Daily Herald	- ۳۱
=	۱۹۱۲	دیلی سیتیزن	Daily Citizen	- ۳۲
=	۱۹۲۰	بریتش ورکر	British Worker	- ۳۳
مستقلاً	۱۸۳۴	ایکونومیست	The Economist	- ۳۴
=	۱۸۸۱	پیپل	People	- ۳۵
=	۱۹۰۳	دیلی مرور	Daily Mirror	- ۳۶
=	۱۹۰۴	دیلی پیپر	Daily Paper	- ۳۷
=	۱۹۱۵	صنداي هیرالد	Sunday Herald	- ۳۸
=	۱۹۱۵	صنداي غرافیک	Sunday Graphic	- ۳۹
=	۱۹۱۵	صنداي بیکتوریال	Sunday Pictorial	- ۴۰

ويبدو واضحاً من الجدول رقم (٢) أنَّ الصُّحفَ المُحافظة احتلت أعلى نسبة من بين تلك الصُّحف بحوالي ٤٠٪، أي أكثر من ثُلثِ الصُّحف يومئذٍ كانت «محافظة»، ولعلَّ ما يفسّر لنا سبب ذلك هو الثقلُ «المالي» و«المعنوي» للطبقة الارستقراطية التقليدية في بريطانيا لتليها في المركز الثاني الصُّحف «الليبرالية» وبنسبة ٢٧،٥٪، المرتبطة بصورة مباشرة وغير مباشرة مع البرجوازية الصناعية، في حين احتلت الصُّحفُ «الاشتراكية» في المركز الثالث وبنسبة ١٧،٥٪ الداعمة للعمّال وحقوقهم العادلة، وجاءت في المركز الرابع الصُّحف «المستقلة» بنسبة بلغت ١٥٪، بسبب محدودية التمويل المالي والداعمين لهذا الاتجاه الاجتماعي، مع ذلك فإنّها تتمتّع بثقل ملموس في حراكها السياسي داخل المجتمع البريطاني.

ومما تقدّم يظهر لنا أنَّ الصحافة البريطانية مثّلت في هذه المدة مجموعة واسعة من الأيديولوجيات والمصالح السياسية. اتسمت معها بسمات كان أهمّها «ميولها الحزبية»، إذ كانت الصحف البريطانية قد تأثّرت بالمدّ السياسي للغاية، وهو أمر دفع العديد من الصحف إلى التحالف مع أحزاب السلطة أو مع جهات أخرى لمصالح سياسية معيّنة. وانعكست هذه الحزبية في «تغطيتها الإخبارية» من جهة، وبنوع «المحتوى التحريري» للصحف من جهة أخرى، إذ كان لمحزّري الصحف تأثير كبير في قرّائهم، وغالباً ما استخدموا صفحاتهم للتعبير عن آراء سياسية، أو تأييد المرشّحين أو السياسات لهذا الحزب أو ذاك، فضلاً عن استعمالها عناوين وصوراً، وقصصاً اتّسمت بالإثارة غالباً من أجل جذب القراء، وأدى ذلك إلى تطوّر الصحافة الشعبية.

وكان من بين أوضح تلك الاهتمامات السياسية للصحف البريطانية خلال هذه المدة، تلك الاتجاهات الأيديولوجية التي تبنتها تلك الصحف، أو نادّت بها إن جاز لنا التعبير، وعلى سبيل المثال لا الحصر صحفٌ ذات الاتجاه المحافظ وكان من أهمّها صحف: التايمز، والديلي تلغراف، فضلاً عن الصحف ذات الاتجاه الليبرالي التي ظهرَ منها على سبيل المثال صحف: مانشستر جارديان، وديلي نيوز، ناهيك عن صحف أخرى دافعت عن التوجّهات السياسية لحزب المحافظين آنذاك وكان من بينها صحف: ديلي إكسبريس والديلي ميل، وكانت جميع هذه الصحف مؤثّرة للغاية لدى الرأي العام البريطاني من جهة، وصنّاع القرار في داون ستريت في لندن، من جهة أخرى، وظهرَ هذا الدور المهم لتلك الصحف في السياسة البريطانية، إذ شهدَ المشهد الصحفي البريطاني عدداً من التغييرات، أدى إلى ظهور الصحافة «زهيدة الثمن» في تسعينيات القرن التاسع عشر الميلادي، وهو أمر جعل الصحف «ميسورة التكلفة»

وفي متناول «جمهور أوسع»، ساعدها في ذلك دخول تقنيات جديدة سمحت لها بطباعة الصحف بسرعة وكفاءة أكبر، وهو أمر انعكس بصورة جلية أمسى معها المشهد الصحفي أكثر تنافساً وتنوعاً من جهة، وإلى زيادة الإثارة والحزبية من جهة أخرى.

إنّ هذا التنوع في اتجاهات الصحف البريطانية وميولها السياسية، بدا واضحاً في موقفها من اندلاع الحرب العالمية الأولى وتطوّرات أحداثها، وما تلا ذلك من تداعيات، فعلى سبيل المثال لا الحصر أن صحيفتي ديلي ميل وديلي إكسبريس دعمتا موقف الحكومة البريطانية من الحرب، ودعتا الرأي العام البريطاني إلى المشاركة الفاعلة في مؤازرة البلاد في حربها ضد ألمانيا^(٦١)، في حين كانت صحيفتا ديلي هيرالد ومانشستر غارديان معارضتين للحرب، في الوقت الذي دعت فيه صحيفة ليدر (Leader) العمالية إلى رفض العمال للحرب والوقوف ضدها، إلا أنّ الموقف تطوّر إلى التأييد مع تطوّرات الحرب وتداعياتها^(٦٢).

مكّن التطوّر للصحافة البريطانية من جهة، وتغلغل العاملين فيها في مجرى الحياة السياسية للبلاد من خلال علاقاتهم المباشرة مع أصحاب القرار من جهة ثانية، أنّهم شاركوا في اتخاذ القرار من خلال مواقعهم في السلطتين «التنفيذية» و«التشريعية»، من جهة ثالثة، في متابعة سياسات مختلف الحكومات البريطانية داخلياً وخارجياً ومراقبتها، خاصة في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر وما تلاه في العقدين الأولين من القرن العشرين^(٦٣)، وهي رقابة ازدادت وتنامت مع حدة أطوار المنافسة الدولية واستيلاء الدول الكبرى على مُقدّرات العالم الثالث، ومنها العراق الذي عُرف بأدبيات التاريخ السياسي البريطاني يومذاك بـ«بلاد ما بين النهرين»^(٦٤).

David Ayerst, *Guardian: Biography of a Newspaper* (London: Collins, 1971); (٦١)

“Bagehot: Rupert’s bear-hug,” *Economist*, 13 Aug, 1994.

Mick Temple, op. cit., pp. 46-47.

(٦٢)

Robert Roberts, *The Classic Slum* (London: Penguin, 1971), pp. 161-62.

(٦٣)

(٦٤) ولعلّ من المفيد أن نشير إلى أنّ عدد النسخ المطبوعة للصحف البريطانية كانت تزداد اطرادياً مع الزمن، ففي عام ١٨٨٠، كانت مبيعات الصحف اليومية حوالى ٧٠٠,٠٠٠ نسخة، مقارنة بحوالى ١,٧٢٥,٠٠٠ لصحف الأحد في عام ١٨٩٠. وبحلول عام ١٩٠٠، نما عدد الصحف اليومية =

لذا وجدَ الباحثُ، وبكلِّ تواضعٍ، ضرورةَ الوقوفِ عند متابعات الصحافة البريطانية للتغلُّل البريطاني في العراقِ وازدياد نفوذها فيه من جهة، إلى جانب الوقوف عند أبرز مضامين ما نشرته عن ذلك إلى الرأي العام البريطاني، وهذا ما سيُتمُّ بحثه في الفصل الثالث من القسم الأول.

= المبيعة إلى ١,٥٠٠,٠٠٠ وبحلول عام ١٩١٠ إلى ٢,٠٠٠,٠٠٠. فيما بلغت عام ١٩٢٠ ٥ ملايين نسخة. Raymond Williams, *The Long Revolution* (London: Pelican, 1973), pp.195-236.

الفصل الثالث

قراءة موجزة في رصد الصحافة البريطانية للتغلغل البريطاني ونفوذه في العراق حتى ١٩١٤

تشيرُ المصادرُ والدراساتُ المعنيّة بالتغلغل البريطاني ونفوذه في العراق إلى جذور معرفتهم به، وهي تعود إلى أوائل النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، عندما حصل التاجر الإنكليزي أنتوني جنكسون وليم (Anthony Jenkinson William) في عام ١٥٥٣ على إذنٍ من السلطان سليمان القانوني^(١) للتجارة مع أراضي الدولة العثمانية على قدم المساواة مع التجار الفرنسيين والبنديين^(٢).

لم يُشكّل الامتياز الأنف الذكر عهداً تجارياً مهماً للتجار الإنكليز، سوى أنّه

(١) سليمان القانوني (١٤٩٤/١١/٦ - ١٥٦٦/٩/٧): ولد في إحدى قصور آل عثمان في مدينة طرابزون الساحلية، شرق البحر الأسود، والده السلطان العثماني سليم الأول، قضى سنوات طفولته بجوار والده إلى أن أصبح يافعاً فتلقّى تعليماً وتربيةً جيدة في قصر والده، وعند بلوغه سن الشباب شهد صراع والده السلطان سليم مع الدولة الصفوية، ممّا دفع بالشباب سليمان الاشتراك في بعض من هذه المعارك الحربية أو الإنابة عن والده في طرابزون أثناء بعض المعارك. وفي سن الثامنة عشر انتقل سليمان سنة ١٥١٢ إلى اسطنبول، إثر هزيمة والده لأخويه الأمير أحمد والأمير قوردقود في نيسان/ أبريل من العام ذاته. فنزل، بصحبة والدته حفصة، في قصر طوب قابي وسط احتفال شعبي واسع، وما لبث والده أن أرسله إلى سنجق مانيسا في نيسان/ أبريل ١٥١٣ واستقرّ فيها حتى اعتلى العرش ليصبح بذلك سلطاناً للدولة العثمانية عام ١٥٢٠، وفي ٢٧ أيلول/ سبتمبر ١٥٢٩ حاصر مدينة فيينا، على رأس اثني عشر ألف جندي انكشاري، حتى عقد معاهدة صلح واتفق سلام بين الخصوم سنة ١٥٥٣. للمزيد انظر: طارق أحمد شيخو، «الدولة العثمانية والمشرق العربي في عهد السلطان سليمان القانوني، ١٥٢٠ - ١٥٦٦»، رسالة ماجستير، جامعة الموصل: كلية التربية، ٢٠٠٨؛ Andre Clot, *Suleiman the*

Magnificent (London: Saqi Books, 2012)

(٢) عبد الفتاح ابراهيم، *على طريق الهند* (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠٤)، ص ٤٢-٤٥.

مهّد لعلاقات تجارية أعمق بعد عقدين من الزمان، عندما ظفّر رئيس البعثة التجارية لشركة الشرق الأدنى (Near East Company) وليم هاربون (William Harborne) برسالة موجهة من السلطان مُراد الثالث^(٣) إلى ملكة بريطانيا إليزابيث الأولى (Elizabeth I)^(٤) بتاريخ ١٥ آذار ١٥٧٩، أكدت مضامينها من قبل رأس السلطة في الدولة العثمانية على استعداد بلاده في جميع نواحيها أن تكون «أبوابها مفتوحة للتجار الإنكليز»، لذا عُدت الرسالة هذه حجراً أساسياً للتجارة البريطانية في عموم الأراضي العثمانية بما فيها العراق^(٥).

بيد أنّ بدايات القرن السابع عشر، وما جرى فيه من تأسيسات للمصالح التجارية البريطانية في منطقة الخليج العربي، ومن ثم تناميها، شكّل انعطافاً تاريخيةً مهمّة في تاريخ المصالح البريطانية في العراق، إذ أفلحت شركة الهند الشرقية البريطانية (The East India Company)^(٦) بعقد معاهدة مع السلطان العثماني أحمد

= (٣) مراد الثالث (١٥٤٦/٧/٤ - ١٥٩٥/١/١٦): السلطان العثماني الثاني عشر، تولى الخلافة عام ١٥٧٤ بعد وفاة أبيه السلطان سليم الثاني، اسماء جده السلطان سليمان القانوني بنفسه، وقد استمرّ ضعف الدولة العثمانية الذي بدأ في عهد أبيه وزاد في عهده. تولّى السلطنة من بعده ابنه محمد الثالث عام ١٥٩٥ بعد أن أعدم جميع إخوته التسعة عشر. للمزيد من التفاصيل أنظر: Christine Woodhead, "An experiment in official historiography c. 1555-1605," *Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes* (Published by Department of Oriental Studies, University of Vienna), Vol. 75, 1983, pp.157-182.

(٤) كانت في هذه المدة تحكم البلاد الملكة إليزابيث الأولى (١٥٥٨/١١/١٧ - ١٦٠٣/٣/٢٤). للمزيد من التفاصيل أنظر: Alison Weir, *The Life of Elizabeth I* (London: Ballantine, 2013); Peter Ackroyd, *Tudors: The History of England from Henry VIII to Elizabeth I* (London: St. Martin's Griffin, 2014).

(٥) للتفاصيل عن جذور التغلغل البريطاني في العراق، انظر: زكي صالح، *بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤* (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨)، ص ٣٥-٤١.

(٦) شركة الهند الشرقية - البريطانية: تأسست شركة الهند الشرقية البريطانية (British East India Company) في عام ١٦٠٠م. كانت الشركة تهتم بالتجارة والاستكشاف في المنطقة الهندية والمحيط الهندي. وبمرور الوقت، تطوّرت الشركة لتصبح سلطة سياسية واقتصادية هامة في الهند، حيث تمتلك أراضي وجيوشاً وتحتكّم في الأنشطة التجارية والمالية والسياسية في المنطقة. استمرت شركة الهند الشرقية البريطانية في العمل حتى عام ١٨٥٨م، عندما تمّ تحويل سلطاتها إلى الحكم المباشر للإمبراطورية البريطانية في الهند. للمزيد أنظر: محمود عبد الواحد محمود القيسي، «النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في الهند (١٦٠٠ - ١٦٦٨)»، رسالة ماجستير، =

الثالث^(٧)، سمحَ بموجبها بممارسة التجارة البريطانية المازّة عبر البصرة والأرجاء الواقعة تحت السيطرة العثمانية كافة، وحددت نسبة الرسوم الجمركية ٣٪ على الواردات البريطانية^(٨)، وقد تأسّس لهذه الشركة مقرٌّ دائمٌ في البصرة منذ عام ١٧٢٣ تطوّر لاحقاً إلى تأسيس قُنْصُلِيَّة في عام ١٧٦٤، إلا أنَّ المصالح التجارية البريطانية في البصرة شهدت اضطراباً وتراجعاً في العقدين الآتين لعوامل داخلية وأخرى إقليمية أثّرت بصورة مباشرة على أرباحها، فتراجع وجودها مؤقتاً في هذه المرحلة^(٩).

حفزت الحملةُ الفرنسيَّة على مصر في انطلاقها في ٢٨ أيار ١٧٩٨ وما شكّلتها من خطر كبيرٍ على المصالح البريطانية في الشرقين الأوسط والأقصى، ولاسيّما وجودها في الهند^(١٠)، إلى اتخاذ سلسلةٍ من الإجراءات التي من شأنها أن «تراقب»

= جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٣؛ علي عبد الله فارس، شركة الهند الشرقية البريطانية ودورها في تاريخ الخليج العربي (١٦٠٠-١٨٥٨)، ط ٢ (رأس الخيمة: مركز الدراسات والوثائق، ٢٠٠١).

(٧) أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠): السلطان العثماني الثالث والعشرون كان شاعراً وأديباً خاض حروباً مع روسيا القيصرية وبلاد فارس، مستغلاً تدهور أوضاعهما الداخلية: للمزيد من المعلومات انظر: شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية (دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠١)، ص ٢٤١-٢٤٥.

(٨) زهراء حميد خليل البحراني، الامتيازات الأجنبية في بلاد الشام في العهد العثماني من أواسط القرن الثامن عشر إلى قيام الحرب العالمية الأولى ١٧٥٠ - ١٩١٤، رسالة ماجستير، جامعة البصرة: كلية الآداب، ٢٠٠٦؛ عبد الأمير محمد أمين وهاشم كاطع لازم [وآخرون]، المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧-١٧٧٨م (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٧م)، ص ٣٩-٤٠.

(٩) كان من بينها اجتياح مرض الطاعون للبصرة، وتلاها الغزو الأفغاني لإيران (١٧٢٢-١٧٢٩) وما سبّبه من اضطراب للأوضاع الأمنية في المنطقة وتأثيرها السلبي في التجارة البريطانية، ثم الاضطرابات السياسية التي شهدتها إلى جانب تغيير مسار النشاط التجاري لشركة الهند الشرقية - البريطانية إلى الصين في سبعينيات وثمانينيات القرن الثامن عشر. للمزيد من التفاصيل انظر: صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي، ١٧٩٨-١٨١٠ (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٨)، ص ٢٧-٣٤.

(١٠) غزت فرنسا بقيادة الجنرال نابليون بوناپرت مصر عام ١٧٩٨ وانتهت الحملة وانسحبت من مصر عقب عقد صلح اميان مع الجانب البريطاني عام ١٨٠٢، بيد أنّها ورغم سنواتها القصيرة، التي لم تتعدّ الأربع إلا أنّها تركت أثراً عميقاً وكبيراً على مصر وعموم منطقة الشرق الأوسط، وهي آثار تجاوزت أبعادها الاستعمارية وتنافس القوى الدولية على المنطقة، إلى انبثاق روح جديدة لدى شعوب المنطقة تعلّقت بتنامي حركة الوعي الوطني والقومي. للمزيد من التفاصيل انظر: محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وظهور محمد علي (القاهرة: مطبعة المعارف ومكتبتها، [د.ت.])، ص ٥٥-٧٠، ٨٩-٩٦.

هذا الخطر أولاً، والعمل على «إيقافه» ومن ثم «إخراجه» من المنطقة، فكان من بين إجراءاتها تأسيس مقيمة في بغداد بتاريخ ٢١ أيلول ١٧٩٨ لتكون «مركزاً لجمع المعلومات» والاتصالات بين لندن وبومباي، وهي معلومات خصّت نشاط الوكلاء الفرنسيين في بغداد والمنطقة، إلى جانب قيام المقيمة البريطانية بتحريض والي بغداد على مخاطر الغزو الفرنسي، فضلاً عن إعدادها تقريراً تفصيلياً عن إمكانية ولاية بغداد اقتصادياً وعسكرياً وإثنيّاً (تركيبتها السكانية)، وإمكانية توظيفها لوجستياً في خطط بريطانيا في الدفاع عن مصالحهما في الهند والمنطقة^(١١).

وبذلك برزت أهمية موقع العراق الاستراتيجي للمصالح البريطانية، إقليمياً ودولياً، منذ أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر وما تلاه، وعلى الصّعد كافة: في الوجود السياسي «نفوذاً» و«التغلغل» الاقتصادي نشاطاً، فضلاً عن «الاتصالات» البريدية والبرقية و«المواصلات» براً وبحراً^(١٢)، متناغمة مع أنشطة المسح النهري لنهري دجلة والفرات لبيان مدى صالحتهما للملاحة، وكذلك مسح الأراضي الزراعية والوقوف عند جودتها الزراعية، إلى جانب نشاط أثاري كبير^(١٣)، ناهيك عن إجراء مسح جغرافي ورسم خرائط تفصيلية تضمّنت لأدق التفاصيل عن الطرق البرية ومراكز السكّان في المدين والريف والمناطق العشائرية وسواها من أمور لوجستية من شأنها أن تُعزّز من الوجود البريطاني في العراق^(١٤).

ازدادت المصالح البريطانية في العراق مع النصف الثاني من القرن التاسع

(١١) صالح محمد العابد، المصدر نفسه، ص ٩٧-١٠٤.

(١٢) للتفاصيل عن تنامي النشاط البريطاني في العراق انظر: ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٥٠، ترجمة: سليم طه التكريتي (بغداد: مطبعة حسام، ١٩٨٨) ج ١، ص ٣٠٧؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء السابع (بغداد: شركة التجارة، ١٩٥٥)، ص ٥٧.

(١٣) Helene Maloigne, "Relating the Archaeology of Mesopotamia to the British Public, 1920-1939", PhD thesis, University College London, 2020.

(١٤) عن الأنشطة البريطانية الملاحية والمسح الزراعي للأراضي والبعثات التنقيبية. انظر: فراس إبراهيم حميد التميمي، «الملاحة في الأنهر العراقية وموقف القبائل العراقية العربية منها ١٨٦٩ - ١٩١٤»، رسالة ماجستير، جامعة البصرة: كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠١٥؛ ميساء لؤي عبد الله السامرائي، «أثر البعثات الأثرية الغربية في التنقيب عن آثار العراق حتى عام ١٩٣٩»، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ٢٠٠٤.

عشر^(١٥)، وخاصةً بعد افتتاح قناة السويس ١٨٦٩، واندماجه بالسوق الرأسمالية العالمية، ورعت هذا الوجود قنصليات ثلاث في مراكز الولايات الثلاث: (بغداد، البصرة، والموصل) لشرف على مصالحها وأنشطتها الاقتصادية في عموم بلاد ما بين النهرين^(١٦)، وهذه المصالح والوجود سعت للدفاع عنهما مع تنامي خطر المصالح الألمانية في الدولة العثمانية عموماً، والعراق على وجه الخصوص، خاصةً بعد حصول الألمان على امتياز مد سكة حديد برلين - بغداد^(١٧) في أواخر القرن التاسع عشر، وهو امتياز بموجب نصوصه أتاح للألمان «حق التنقيب عن المعادن» وسواها في المناطق المحاذية للسكة، وهو أمر فاقم من «القلق» البريطاني المٌطرد للمصالح الألمانية في الدولة العثمانية والعراق على وجه الخصوص الذي بدت المسوح الأولية لـ «مستكمناته النفطية» تُزكم أنوف البريطانيين والقوى الدولية المنافسة لها في البلاد^(١٨)، مما أشعر أصحاب القرار البريطاني بضرورة التحرك «الفعلي» من أجل ضم البلاد إلى مناطق نفوذها فعلياً، ولعل من المفيد هنا أن نستشهد بما صرح به نائب الملك في الهند اللورد جورج كيرزن (George Curzon)^(١٩) أمام مجلس اللوردات عام ١٨٩٢ جاء فيه ما نصه:

«تدخل بغداد بصورة غير رسمية ضمن مجموعة موانئ الخليج العربي، لذلك يجب» أن تنضم إلى مناطق النفوذ البريطاني».

فتعاظمت التحركات البريطانية إزاء بلاد ما بين النهرين مع مُفتتح القرن العشرين،

(١٥) للمزيد حول السياسة البريطانية تجاه العراق انظر: Muhammad Golam Idris Khan, "British Policy in Iraq, 1828-43, with special reference. to the Euphrates expedition", PhD thesis, University of London: School of Oriental and African Studies, 1967.

(١٦) هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، الجزء الأول، ترجمة سليم طه التكريتي (بغداد: مطبعة الفجر، ١٩٨٩)، ص ٥٨؛ فيليب إيرلند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط (بيروت: دار الكشاف)، ١٩٤٩، ص ٢٤.

(١٧) عن تفاصيل مشروع سكة حديد برلين- بغداد: انظر: عبد الفتاح إبراهيم، المصدر نفسه، ص ١٠٤-١١٤؛ لؤي بحري، سكة حديد بغداد (بغداد: شركة الطبع والنشر الأهلية، ١٩٦٧)، ص ٦٧.

(١٨) عن تفاصيل التنافس البريطاني-الألماني في الدولة العثمانية والعراق، انظر: جودت جلال كامل عبد اللطيف التكريتي، «التنافس البريطاني - الألماني في العراق (١٩٣٣-١٩٤٥)»، رسالة ماجستير، جامعة تكريت: كلية التربية، ٢٠٠٤؛ بتول رسول عبد سلمان التميمي، حركة الجهاد والغزو البريطاني ١٩١٤-١٩١٥ للعراق، دراسة في جدلية العلاقة بين الأسس العقائدية والحراك الميداني»، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة: كلية التربية للبنات، ٢٠١٨، ص ٦١-٧١.

وأخذت بالازدياد شيئاً فشيئاً مع تنامي حدة التنافس والصراع مع غريمتها ألمانيا، مما أثر بقوة في «تحرّكاتنا السياسية» في المنطقة «واستعداداتها العسكرية» في تحديد المتطلبات اللازمة في العدة والعدد إلى جانب الخطط المطلوبة لغزو العراق واحتلال أراضيه^(٢٠)، وهي خطط وعمليات تم تأجيل تنفيذها حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

رصدت الصحافة البريطانية، ومنذ بداية أوائل القرن التاسع عشر، وباهتمام كبير ومتابعة حثيثة لمختلف الأنشطة البريطانية في العراق، «فردية» كانت كرحلات المستكشفين أو المتجسسين الآثاريين وسواهم، أم «جماعية» تمثلت في الوجود الرسمي للحكومة البريطانية بالبلاد، أو المتمثل بأنشطة الشركات البريطانية التجارية والملاحية في النقل النهري، مُسلطة الأضواء في مقالاتها على مُجمل النفوذ البريطاني سياسياً واقتصادياً وثقافياً^(٢١).

(١٩) اللورد جورج كيرزن (١٨٥٩-١٩٢٥م): نائب الملك والحاكم العام، ولد في ١/١١/١٨٥٩، تلقى تعليمه في كلية أتون أكسفورد، أصبح عام ١٨٨٠ رئيساً للجمعية الاتحادية، حاز على إجازة أنولد للمقالة عام ١٨٨٤، قضى ما يقرب سنتين (١٨٩١-١٨٩٢) في مكتب الهند، وثلاث سنوات في شؤون وزارة الخارجية (١٨٩٥-١٨٩٨)، زار الهند أربع مرّات وسافر إلى بلاد فارس، وأفغانستان وسيام. كانت لديه معرفه شخصية مع حكام بلدان آسيا؛ من منشوراته: روسيا في آسيا الوسطى وبلاد فارس والقضية الفارسية عام ١٨٩٢. شغل منصب نائب الملك والحاكم العام للهند من ٦ كانون الثاني ١٨٩٩ - نيسان ١٩٠٤. للتفاصيل ينظر: Lavat Fraser, *India under Curzon and* after (London: William Heinemann, 1911), p. 16; Charles Edward Buckland C. I. E., *Dictionary of Indian Biography* (London: Swan Sonnenschein and co. Lim., 1906).

(٢٠) أحالت الحكومة البريطانية مشروع احتلال العراق إلى لجنة تكوّنت من أربعة مسؤولين، هم كل من: الأميرال آدموند سليد، القائد العام للقوات المسلحة البحرية، والفريق برسي لايك رئيس هيئة الأركان العامة في الهند، وهنري مكماهون، وزير خارجية حكومة الهند، والسير برسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج العربي، فأوصت اللجنة بتقريرها في ١٥/١/١٩١٢ بوجوب احتلال الفاو ومدينة البصرة بأقل تقدير، بيد أنّ حكومة الهند أرجأت العملية إلى حين، وعلى حدّ زعمها، «قيام الدولة العثمانية بأعمال عدائية واسعة». فكان تنفيذها في أعقاب اندلاع الحرب العالمية الأولى. للمزيد من التفاصيل انظر: بتول رسول عبد سلمان التميمي، «حركة الجهاد والغزو البريطاني ١٩١٤-١٩١٥ للعراق: دراسة في جدلية العلاقة بين الأسس العقائدية والحراك الميداني»، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة: كلية التربية للبنات، ٢٠١٨، ص ٧٢-٧٣.

(٢١) أنظر على سبيل المثال لا الحصر: *True Sun*, (Newspaper), London, England, No. 404, 18/6/1833, p. 4; *Devizes and Wiltshire Gazette*, (Newspaper), Wiltshire, England, No. 1085, 27/10/1836, p. 3; *Morning Herald*, (Newspaper), London, England, No. 17912, 29/1/1840, p. 1; *London Evening Standard*, (Newspaper), London, England, No. 20449, 22/1/1890, p. 5.

فقد أفردت، على سبيل المثال لا الحصر، صحيفة ذا صن^(٢٢) في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ آذار عام ١٨١٩ جزءاً حيوياً من إحدى صفحاتها في التعريف بمضامين كتاب الضابط البريطاني الملازم ويليام هيود (William Heude) الذي نشر عنوانه اختصاراً بـ «رحلة من الهند إلى إنكلترا» (Travel From England To India)، موضحاً توصيفاته للعديد من مناطق العراق: (بغداد، وبابل، وكرديستان)، وما احتوت مضامينه من معلومات قيّمة عن خصوبة أراضيها وإمكانياتها الزراعية، متغنيّاً بها إلى حدّ الوصف «إنّها جنّة عدن»، معزّزاً محتوَى الكتاب بصور ورسومٍ إيضاحية تُداعب مُخيّلة «المُهمّ» بشؤون أراضي بلاد الرافدين و«القارئ» المُستمتع بمغامرات الرحلة وأجوائها على حدّ سواء^(٢٣).

ولم ينقطع اهتمام الصحف البريطانية في التعريف والتنويه بالكتب والمؤلفات الصادرة عن الشرق بصورة عامة والعراق على وجه الخصوص، فما فتئت، بين الفينة والأخرى، توشّح صفحاتها بإيجازٍ عن مضامين هذه الرحلة أو ذلك الكتاب للقراء مع بيان أهمية تلك البلاد: (حضارياً، وتاريخياً، واستراتيجياً)، فضلاً عن النواحي الاقتصادية البالغة الأهمية في التطلّعات الاستعمارية، فقد كتبت صحيفة مورنغ هيرالد^(٢٤) في عددها الصادر في ٦ كانون الثاني ١٨٢٧ عن كتاب جي. أس. باكنغهام (J. S. Buckingham)^(٢٥) والموسوم بـ «رحلات في بلاد ما بين النهرين:

(٢٢) أيدت صحيفة ذا صن، عند انطلاقتها عام ١٧٩٢، في الغالب وجهات النظر السياسية للجنّاح اليميني المحافظ، لمحرّرها (William Jordan 1782- 1869)، الذي حمل آراء سياسية محافظة، وبحلول منتصف ثلاثينيات القرن التاسع عشر، تغيّرت سياسة الصحيفة، وأصبحت تدافع عن مبادئ التجارة الليبرالية والحرّة. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> > .

(٢٣) The Sun, London, England, No. 8286, 25/3/1819, p. 1.

(٢٤) أتخذت صحيفة مورنغ هيرالد مواقف سياسية محافظة ومؤيدة لحزب المحافظين في عام ١٨٢٧ على يد رئيس تحريرها توماس بيتلسون (Thomas Bittleston) آنذاك. للمزيد أنظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: .

(٢٥) جيمس سلك بكنغهام (١٧٨٦ - ١٨٥٥): كاتب، صحفي ورّحالة إنكليزي. كان والده فلاحاً وحصل بكنغهام في صغره على تعليم محدود. قضى طفولته وهو يجوب البحر وفي عام ١٨٢١م نشر كتاباته عن الرحلة إلى فلسطين، ونشر عام ١٨٢٥م كتاباته عن السفر مع القبائل العربية. بعد سنين من السفر استقرّ في الهند، وأسس هناك مجلة دورية، اسمها مجلة كلكتا عام ١٨١٨، من مؤلفاته: رحلتي إلى العراق ١٨١٦، ترجمة سليم طه التكريتي (بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٦٨)، للمزيد =

بما في ذلك رحلة من حلب إلى بغداد» (*Travels in Mesopotamia including a journey from Aleppo to Bagdad*)، بينت أنه يتكوّن من أربعمئة صفحة^(٢٦)، ضمّ بين دفتيه العديد من الخرائط والرسومات، وقد تضمن رحلة من حلب عبر نهر الفرات إلى أورفا وسهول قبائل التركمان، ومنها إلى ديار بكر في آسيا الصغرى، ثم إلى مردين ونصيبين عبر نهر دجلة، ثم إلى الموصل وأثار نينوى وأربيل وبغداد وبابل^(٢٧).

وتجلى اهتمام الصحف البريطانية بكتب الرحلات والمؤلفات عن بلاد ما بين النهرين، ما نشرته صحيفة باث كرونكل اند ويكلي غازيت^(٢٨) (*Bath Chronicle and Weekly Gazette*) في عددها الصادر بتاريخ ١٣ أيلول ١٨٢٧ مقالاً استعرضت فيه أهم الإصدارات عن أراضي العراق والمناطق المحيطة به، كالكتاب الآنف الذكر لبانكنغهام، وكذلك استعرضت كتاب جورج توماس كابل (George Thomas Keppel) المعلنون: السرد الشخصي لرحلات في بابل وآشور وميديا^(٢٩)

= من التفاصيل انظر: James Silk Buckingham, *Autobiography of James Silk Buckingham* (Cambridge; New York: Cambridge University Press, 2011).

(٢٦) لم يتضمّن الكتاب أي خريطة على خلاف الإعلان الذي أشارت إليه الصحيفة، وصفحات الكتاب بلغت ٥٢٨ صفحة، وليس كما ورد في إعلان الصحيفة ٤٠٠ صفحة، وقسم المؤلف الكتاب إلى ثلاثة عشر فصلاً كان من بينها الفصل الأول من الكتاب الذي جاء عنوانه «رحلة من حلب إلى ضفاف الفرات»، والفصل الثاني بعنوان «ممر نهر الفرات»...، والفصل الأخير حمل عنوان «من نصيبين إلى سهل سنجار». للمزيد من التفاصيل انظر: James Silk Buckingham, *Travels in Mesopotamia: including a Journey from Aleppo to Bagdad* (London: H. Colburn, 1827).

Morning Herald, 6/1/1827, London, 6/1/1827, p. 2.

(٢٧)

(٢٨) كان لدى صحيفة باث كرونكل وويكلي غازيت موقف سياسي ليبرالي مؤيد للحزب اليميني في عام ١٨٢٧، فضلاً عن دعمها إصلاحات ومواقف الحزب اليميني، كما أنها دعمت بقوة إصلاحات رئيس الوزراء آنذاك روبرت بانكس جنكنسون الذي فضّل المصالح التجارية والصناعية. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: <<https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>>.

(٢٩) تناول في طياته المؤلف رحلته إلى العديد من مدن العراق الآثارية في المدة (١٨٢٠ - ١٨٢٥) التي زار خلالها كلاً من بابل وآشور ومديا القديمة، وتضمّن الكتاب ملاحظات وتقارير مفصلة عن المواقع الأثرية التي زارها الكاتب وأعمال التنقيب التي قام بها. وقدّم فيه شرحاً عن قصر نبوخذنصر الثاني في بابل وبوابتها الشهيرة ومعبد مردوخ في المدينة، والآثار الأخرى في نينوى وتكريت وكركوك والحلّة ومناطق أخرى. يُعدّ الكتاب وثيقة مهمة ومفيدة لفهم التاريخ والحضارة =

إياه من أبرز وأحدث الكتب الصادرة يومئذ المعنية بأراضي العراق ومُدنه^(٣٠).
(Assyria and Media: Personal Narrative of Travels in Babylonia)

ولفتت الأنظار صحيفة مانشستر كارير (Manchester Courier) في مقال لها في عددها الصادر في ٧ شباط ١٨٢٩ تحت عنوان «المحاضرة الثالثة: بلاد ما بين النهرين» حول الاكتشافات الآثارية الجديدة في مدينة بابل القديمة، ووصفت بإيجاز تلك الاكتشافات التي قام بها المستكشف «جي. أس. باكنغهام» في المدن التاريخية المهمة، إذ عثر على بقايا القصر الملكي، وأسس المعابد، ونقوش باللغة البابلية، ويبدو أنّ هذه الاكتشافات أثارت «اهتماماً» و«حماساً» كبيرين في بريطانيا نظراً إلى أهمية بابل التاريخية وحضارتها القديمة، مشيرةً إلى أنّ الحكومة البريطانية أرسلت مستكشفين ورسامين لتوثيق هذه الآثار بعد الحصول على إذن من السلطان العثماني آنذاك. وقد عكس المقال الاهتمام المتزايد لدى الأوروبيين باستكشاف آثار بلاد ما بين النهرين القديمة في أوائل القرن التاسع عشر^(٣١).

فيما أعلنت صحيفة بلانت (Planet)^(٣٢) في عددها الصادر في ١٥ آذار ١٨٤٠ تحت عنوان «كتاب جديد» عن إصدار المؤلف الاسكتلندي جي. بيلي فريزر (J. Baillie Fraser) والموسوم بـ رحلات في كردستان وبلاد ما بين النهرين

= القديمة للشرق الأوسط، وقدّم أيضاً صورة واضحة للحياة العامة يومئذ لمناطق العراق George Thomas Keppel, *Personal Narrative of Travels in Babylonia, Assyria, and Media* (London: Henry Colburn, 1827).

Bath Chronicle and Weekly Gazette, Somerset, England, 13/9/1827, p. 4. (٣٠)

Manchester Courier, Lancashire, England, No. 215, 7/2/1829, p. 3. (٣١)

(٣٢) أظهرت صحيفة بلينت آراء سياسية ليبرالية تقدّمية خلال عام ١٨٤٠، مؤكّدة على مبادئ منها على سبيل المثال انتقاد التغلغل البريطاني في دول مثل بلاد ما بين النهرين باعتباره استغلال للسلطة والدعوة إلى التركيز على تعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية في تلك البلدان، كما أعرب العديد من السياسيين التقدّمين يوم ذاك عن مخاوفهم بشأن المبررات الأخلاقية وعواقب التوسّع الإمبراطوري، من جهة، فيما رأى آخرون فوائد في نشر مُثُل التجارة الحرّة، والإصلاحات الديمقراطية، والتحديث، والتنمية في تلك البلدان، من جهة ثانية. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها:

< <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> > .

وسواهما^(٣٣) (*Travels in Koordistan, Mesopotamia, etc.*) أشارت إلى أنه تكون من مُجلّدين، احتوى بين دفتيهما معلومات قيّمة عن أراضي العراق ونواحيه، فضلاً عن مدنه التاريخية: (بغداد، وبابل وسواها) من المُدن الأخرى، وثقافة البلاد في غابر الزمان^(٣٤)، وخُتمَ إعلانها عنه بحضّ القراء على شراء نسخ منه، فهو، وعلى حد تعبيرها، كتابٌ «يستحقُّ الاقتناء والقراءة» لمضامينه المُهمّة^(٣٥).

وراحتُ صحيفةُ ويكسفورد إندبندنت (*Wexford Independent*)^(٣٦) في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ٨ أيلول ١٨٤١، تستعرض صفحاتٍ من تاريخ النشاط الملاحي البريطاني في نهري دجلة والفرات والمسحّ النهري لهما، فقد سلّطت الأضواء على رحلةٍ قام بها قاربان بُخاريان بريطانيان في ١٠ حزيران ١٨١١ هما «نمرود» (Nimrod) و «نيتوكرس» (Nitocris) إلى مدينة بلقيس^(٣٧) بعد رحلة بحرية

(٣٣) نشر الكتاب عام ١٨٤٠، غطّى محتواه رحلات المستكشف والرحالة الإسكتلندي (J. Baillie Fraser) في كردستان وبلاد ما بين النهرين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. تناول فيه مواضيع خَصّت الجغرافيا، والتاريخ، والثقافة، والتجارة، والاقتصاد، والحرف اليدوية، والتعدين، والصناعات الزراعية في المنطقة، كما وثّق المتغيّرات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها المنطقة في ذلك الوقت، وضمت وصفاً للحياة اليومية للسكان المحليين وتفاصيل عن الطقوس الدينية والعادات والتقاليد. J. Baillie Fraser, *Personal Narrative of Travels in Babylonia, Assyria, and Media* (London: R. Bentley, 1840).

Stuart Campbell, "Culture Chronology and Change in the Later Neolithic of (٣٤) North Mesopotamia," PhD thesis, University of Edinburgh, 1992.

Planet, (Newspaper), London, England, No. 112, 15/3/1840, p. 6. (٣٥)

(٣٦) أظهرت صحيفة ويكسفورد إندبندنت آراء سياسية محافظة خلال عام ١٨٤١، وقد دعمت الصحيفة وبقوة حزب المحافظين ورئيس الوزراء روبرت بيل، فضلاً عن انتقادها الواضح للسياسيين الليبراليين اليمينيين. كما حدّرت يومذاك الولاء للمؤسسات الاجتماعية التقليدية والحذر من الإصلاح الجذري. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: .

(٣٧) بلقيس: إحدى مدن ولاية غازي عنتاب التي تقع في نقطة ملتقى البحر الأبيض المتوسط مع جنوب شرق الأناضول، أنشئت على أنقاض مدينة يونانية قديمة يعود تاريخها إلى ألف قبل الميلاد. تميّز المدينة القديمة بمسرحها الشهير الذي تم بنائه من قبل الرومان خلال فترة حكم الإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس أنطونينوس (Marcus Aurelius) بين ١٦١-١٨٠ ميلادية. للمزيد من التفاصيل انظر: A. M. T. Moore, G. C. Hillman, and A. J. Legge, *Village on the Euphrates: from foraging to farming at Abu Hureyra* (Oxford: Oxford University Press, 2000). (George Thomas Keppel, op. cit.

استغرقت عشرة أيام^(٣٨) بقيادة الملازم سي. دي. كامبل (Lieutenant C. D. Campbell)، وتمخضت مسوحه للنهرين المذكورين عن تقرير أفاد فيه أن النهرين صالحان للملاحة، ويمكن الإفادة منهما في الصلات مع الهند^(٣٩)

ولفتت الأنظار في المقال نفسه إلى جذور النشاط الفرنسي في بلاد ما بين النهرين، ومحاولتهم للمسح الجغرافي والنهري في الوقوف على إمكانية «الربط النهري مع الخليج العربي» ومنه وصولاً إلى الهند، مستعرضة هذه المضامين من خلال نشر محتوي «وثائق سرية» تمت سرقتها في الإسكندرية عام ١٨١٤ من ضابط فرنسي اسمه لاكارس (de Vintimille Lascaris)^(٤٠) تم تكليفه من قبل الإمبراطور نابليون بونابرت «للتحقق من إمكانية اكتشاف ممر إلى الهند عن طريق بلاد ما بين النهرين» عن طريق نهري دجلة والفرات، موضحة أن هذا الموضوع وقع في دائرة اهتمام الحكومة البريطانية ومتابعاتها، وهو اهتمام انعطف انعطافاً تاريخية مهمة عندما كلفت في عام ١٨٣٥ وفق ما جاء في مقال البريطاني فرنسيس راودن جسني (Francis Rawdon Chesney)^(٤١) برحلة استكشاف لنهر الفرات وبيان مدى

(٣٨) أشارت إحدى الدراسات في مجلة المهندس المدني والمعماري البريطانية عام ١٨٤١ إلى أن مدة الرحلة استغرقت ستة عشر يوماً وليس كما ورد في الصحيفة عشرة أيام، وقد قطعت الرحلة لمسافة ١٨١٠ كم بقيادة الملازم كامبل. للمزيد من التفاصيل ينظر: *The Civil Engineer and Architect's Journal* (London: Thomas Burrows, 1841), p. 363

(٣٩) Wexford Independent, (Newspaper), Wexford, Republic of Ireland, No.1094, (٣٩) Wednesday 8/9/1841, p. 4.

(٤٠) لاسكاريس فينتيميليا: مستشرق فرنسي من بيت إيطالي نبيل يتصل نسبه بقياصرة بيزنطة. دخل هو وأخوه في سلك «فرسان القديس يوحنا» الذين كانوا يحكمون جزيرة مالطة إلى أن انتزعها بونابرت منهم في طريقه إلى مصر في عام ١٧٩٨. وعُدَّ من أخطر المستشرقين الذين زاروا المنطقة العربية، فقد كان مبعوثاً مباشراً من قبل نابليون للعمل على مشروع خطير تمثل في محاولة توحيد القبائل العربية في المنطقة وتحشيدتها ضد الإنكليز في بلاد الهند. محمد شفيق غربال، *الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر في سنة ١٨٠١* (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠)، ص ٢٧-٢٨.

(٤١) فرنسيس راودن جسني (١٧٨٩-١٨٧٢): جنرال ومستكشف بريطاني من أصل إيرلندي ولد في ١٦ آذار/مارس في باليفيس، هاجر إلى أمريكا مع والديه، شارك في الحرب الأهلية الأمريكية، وأسر فيها ثلاث مرّات، إلا أنه تمكن من الهرب وعاد إلى أيرلندا وعمل في الجمارك. التحق بالأكاديمية العسكرية في ١٢/١/١٨٠٤، ثم في سلاح المدفعية الملكية في ٩ تشرين الثاني من العام ذاته، وحصل على رتبة ملازم أول في ٢٠/١٠/١٨٠٥، حصل على الميدالية الذهبية للجمعية الجغرافية عام ١٨٣٧، ونشر مجلدين جغرافيين وتاريخيين عن رحلته لنهري دجلة والفرات. للمزيد انظر: *The Dublin University Magazine* (Dublin: William Curry, Jun., and Company, 1841), pp. 574-575.

صلاحيته الملاحية^(٤٢)، مختتمه مقالها بقراءة استشرافية عن مستقبل النشاط الملاحى البريطاني في العراق وإمكانية الهيمنة على التجارة فيه من قبل البريطانيين^(٤٣) فقد كتبت ما نصه:

«لا شك في أنّ الإنكليز سوف يهيمنون على تجارة بغداد والبصرة وكل المناطق في بلاد ما بين النهرين».

وعلى ما يبدو أولت الصحف البريطانية، منذ العقد الخامس من القرن التاسع عشر، اهتماماً ملحوظاً بالإمكانيات الملاحية لنهري دجلة والفرات، ومدى صلاحيتهما في الربط البحري بين مستعمراتها في الهند وصولاً إلى الخليج العربي، وعبر النهرين الأنفي الذكر ومنهما إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، وما سيحققه ذلك من اختصار للمسافة والزمن، وربطاً استراتيجياً بين مستعمراتها في أقصى الشرق والحكومة في لندن^(٤٤)، فقد نشرت على سبيل المثال صحيفة بولتون كرونيكل (*Bolton Chronicle*)^(٤٥)، مقالاً أوضحت فيه أهمية الربط النهري في العراق مع

Wexford Independent, op. cit., 8/9/1841, p. 4.

(٤٢)

(٤٣) وهذا ما أكدته أيضاً صحيفة ديربي شاير كوير (*Derbyshire Courier*) للمزيد من

التفاصيل أنظر: *Derbyshire Courier*, (Newspaper), Derbyshire, England, 4/9/1841, p. 4.

(٤٤) مثل حماية الهند، وتقريب المسافة بينها وبين لندن، الدافع الأبرز لمشروع «الطريق الجديد إلى الهند عبر الفرات»، الذي خرج إلى حيّز العمل في الربع الأول من القرن التاسع عشر على يد جسني الذي بدأ استكشافه منطلقاً من الهند إلى هيت والفلوجة، فبغداد التي وصلها في شهر كانون الثاني/يناير ١٨٣١، فالبصرة، وما لبث أن رفع تقريره إلى الجهات البريطانية المختصة، أوضح فيه أنّ طريق الفرات أقصر من طريق البحر الأحمر بـ «مائة وسبعين ميلاً»، فضلاً عن عامل الرياح الذي يعيق الحركة في طريق البحر الأحمر، وأما بالنسبة إلى طريق الفرات فهو آمن لعدم وجود رياح تعوق سيرها، وأما، ثالثاً، فالوقود في طريق الفرات غير ذا أهمية كبرى لتوافر الخشب أو الفحم الذي توفّره القبائل على أطراف النهر. ولأهمية المشروع أقرّ البرلمان البريطاني إرسال بعثة انطلقت في ١٦/٣/ ١٨٣٦ لدراسة الطريق بقيادة الكولونيل جسني الذي أوصى بصلاحية الملاحة في نهر الفرات. للمزيد أنظر: عبد الفتاح إبراهيم، المصدر نفسه، ص ٦٩-٧١.

(٤٥) اتخذت صحيفة بولتون كرونيكل وجهة نظر محافظة، وكثيراً ما أشادت بحزب المحافظين ورئيس الوزراء روبرت بيل يومذاك، فضلاً عن كون موقفها السياسي إيجابياً وداعماً للتغلغل البريطاني في بلاد ما بين النهرين يوم ذاك. فقد أثنت في المقال على البعثة البريطانية التي استكشفت نهري دجلة والفرات ووجدتهما صالحين للملاحة، وهو أمر يوفر مبرراً جديداً للممتلكات البريطانية في الهند من جهة، واحتمال استغلال بريطانيا لهذا الممر النهري للوصول إلى الهند بسرعة، من جهة أخرى، ممّا يساعد بريطانيا على احتكار تجارة بغداد والبصرة وباقي بلاد ما بين النهرين، وبذلك تُرجمت نظرتها =

الخليج العربي، واصفَةً إياه بـ«الطريق الجديد إلى الهند عبر الفُرات»، موضحة أنَّ مُدة الرحلة «ستستغرق»، ستة عشر يوماً فقط، وأنَّ الملاحة في النهر المذكور وصولاً إلى الخليج أقل من أربع مائة كيلومتر^(٤٦).

وقد أوضحت صحيفة بومباي غازيت (Bombay Gazette)^(٤٧) في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ١٩ آب ١٨٤١ تحت عنوان «بلاد ما بين النهرين» تفاصيلَ رحلة الكابتن «هنري بلوس لينش» (Captain Henry Blosse Lynch)^(٤٨)، مشيرةً إلى رحلته الاستكشافية في ولاية بغداد، وما قدّمه من مسوحات أجرتها بعثته لصفافِ الفُرات^(٤٩)، مستعرضةً تفاصيلَ رحلته انطلاقاً من أوروبا وصولاً إلى البحر الأسود

المؤيدة للإمبريالية إلى دعم استعمار مناطق مثل بلاد ما بين النهرين. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> >.

Bolton Chronicle, (Newspaper), Lancashire, England, 4/9/1841, p. 2. (٤٦)

(٤٧) اتخذت صحيفة بومباي غازيت وجهة نظر مؤيدة للتغلغل البريطاني في تلك الدول التي ارتبطت مصالحها مع بريطانيا بشكل عام، إذ أشادت كثيراً بدور شركة الهند الشرقية البريطانية في دعم توسيع التجارة والنفوذ البريطاني في الهند، كما أنَّ موقفها من بلاد ما بين النهرين اتسم بالإيجابية تجاه الاستكشاف والدراسات البريطانية في مقالها الآنف الذكر، الذي وصف بدقة مجرى نهر دجلة وخصائصه بالتفصيل، ممّا يدلّ على اهتمام الصحيفة ببلاد ما بين النهرين. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> >.

(٤٨) هنري بلوس لينش (١٨٠٧-١٨٧٣م): مستكشف بريطاني ولد في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر والده بلوس لينش، التحق بالبحرية الهندية كمتطوِّع في سنة ١٨٢٣، نال رتبة ضابط بحري في ٢٧ آذار/مارس من السنة ذاتها، عيّن لعدة سنوات للقيام بعمليات مسح في الخليج العربي، اتقن عدّة لغات، عام ١٨٢٩ تمّت ترقيته إلى رتبة ملازم، ظلّ في هذا المنصب حتى عام ١٨٣٢ Henry Manners Chichester, *Dictionary of National Biography, 1885-1900* (London: Smith Elder and Co, 1893), Vol. 34, pp. 333-334.

(٤٩) عمل هنري بلوس لينش في بعثته الثانية، كشوفات لنهر دجلة ابتداءً من شطّ العرب فاستغرقت مدة ثلاث سنوات تقريباً (١٨٣٧-١٨٣٩)، تيقّن من خلالها صلاحية النهر للملاحة التجارية، منتهزاً فرصة وجوده في العراق، من جهة، وما توصّلت إليه نتائج كشوفه هذه، من جهة أخرى، فشجّع أفراد عائلته على تأسيس أول شركة ملاحية بريطانية في بلاد ما بين النهرين في العام ١٨٤٠، أطلق عليها اسم «بيت لينش» أو «لينش لندن» لنقل البضائع والأشخاص ما بين شطّ العرب وبغداد عبر نهر دجلة، فحقّقت الشركة جراء أعمالها هذه أرباح تنامت باطراد، معزّزة بذلك تنامي وجود المصالح الاقتصادية البريطانية في البلاد، من جهة، وازدياد نفوذها السياسي، من جهة أخرى، كما دعمت الحكومة البريطانية تطوير أعمال الشركة عام ١٨٦٠ بتأسيس «شركة الملاحة البخارية في دجلة =

ومنه إلى الأراضي التركية، ومن ثم إلى بلاد ما بين النهرين، واصفياً طريق الرحلة بـ«سهل العبور»، مؤكدةً أنَّ هذا الطريق وفق نص تعبيرها، «يحمل أهمية كبيرة» كونه «قادراً على فتح» النشاط التجاري البريطاني مع آسيا الصغرى وعموم المنطقة، بما يُعزّز من «مركز الإمبراطورية البريطانية» فيها، لافتتةً الأنظار إلى أنَّ جزءاً حيوياً من سكان أعالي نهر دجلة يُدينون بالديانة المسيحية، في إشارة إلى إمكانية التعاون مع السُكّان المحليين في تلك المناطق^(٥٠).

وانسجماً مع أهداف «الإعلام البريطاني» يومئذ في لفت أنظار الرأي العام إلى أهمية العراق، و«إثارة» اهتماماته فيه، نشرت عدداً من الصحف مقالات وأخباراً عن المُكوّن المسيحي في البلاد، وما قد تعرضوا له من انتهاكات هنا وهناك على أيدي زُعماء المنطقة لدوافع شتى، محرضةً الرأي العام البريطاني على ضرورة «اتخاذ مواقف» من شأنها، على وفق تعبير إحداها، أن يضع «حدّاً» لتلك الانتهاكات، فعلى سبيل المثال لا الحصر، وجهت صحيفة أكستر اند بليمث غازيت (*Exeter and Plymouth Gazette*)^(٥١) نداءً للشعب البريطاني في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ كانون الأول ١٨٤٦ تحت عنوان: «المسيحيون الكلدان»، نداءً اقتبست مضامينه، وبفقرات موسّعة، مما نشره القس الدكتور جوزيف وولف^(٥٢) (Joseph Wolff) في رسالة إلى

والفرات». هاشم سوادى هاشم السوداني، «المواصلات التجارية في العراق ١٨٣١-١٩١٤»، رسالة ماجستير، جامعة الموصل: كلية التربية، ١٩٩٧م، ص ٦٨.

(٥٠) *Bombay Gazette*, (Newspaper), Maharashtra, India, 19/8/1841, p. 2.

(٥١) اتخذت صحيفة أكستر اند بليمث غازيت وجهة نظر محافظة معتدلة، مع بعض الدعم الحذر للإصلاح. موفرةً تغطيةً متوازنةً لكلٍّ من السياسيين المحافظين واليمينيين، مسلطةً الأضواء على رسالة الدكتور وولف على اضطهاد المسيحيين الكلدان في المناطق الكردية في بلاد ما بين النهرين. لذا يبدو أنَّ قرار الصحيفة بنشر هذا النداء يدلّ على التعاطف مع القضية الكلدانية والقلق من سوء معاملتهم. وبذلك يمكن عدّها صحيفة اتخذت لهجة سياسية محايدة ووسطية في عام ١٨٤٦، وأنّ نشر الرسالة الآتية الذكر كانت من وجهة نظر إنسانية، وليس من منظور إمبراطوري حزبي. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> >

(٥٢) جوزيف وولف (١٧٩٥-١٨٦٢): مبشّر ورّحالة، يهودي الديانة في الأصل، ثم تحوّل إلى المسيحية، ولد في ألمانيا في فيليرزباخ بالقرب من فورسهايم في منطقة بامبرغ، تمّ تعيينه حاكماً لجماعة يهودية صغيرة. عمل مبشراً بروتستانتيّاً في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأفريقيا، أجاد عدداً من اللغات العبرية والعربية والفارسية والتركية، وقدم مساهمات هامة في المهمّات المسيحية والبحوث، وما زال إرثه يدرّس ويُحتفى به من قبل الكثيرين. للمزيد من التفاصيل أنظر: Alfred Gatty, *Travels and Adventures of the Rev. Joseph Wolff* (Saunders: Otley and Company, 1861), pp. 1-3.

الشعب البريطاني، ومطالبته لهم بدعم المسيحيين الكلدان^(٥٣) لما تعرّضوا له، على حدّ تعبيره، من اضطهاد على يد أحد زعماء المنطقة الكورد، لمّا طالبهم بتقديم المعونات المالية لدعم الفقراء الكلدان.

ولم تقتصر تغطية الصحافة البريطانية على تلك الموضوعات والأخبار والقضايا التي خصّت العراق في العهد العثماني الأخير فحسب، إنّما أفرد العديد منها مكاناً مُميّزاً من صفحاتها سلطت فيه الأضواء على «البعثات التنقيبية الأثرية» وأبرز كشوفاتها عن الحضارات العراقية القديمة، فعلى سبيل المثال لا الحصر كتبت صحيفة نورث ديفون جورنال (North Devon Journal)^(٥٤) في عددها الصادر في ٦ حزيران ١٨٥٠ مقالاً مطولاً عن التنقيبات الأثرية في «نينوى» الآشورية، وما تمّ العثور عليه من تمثال كبير لـ «الثور المُجنّح»، مستعرضة نشاط البعثة التنقيبية الأثرية^(٥٥)، ومسارها في عموم مناطق العراق في مسح أثاري لتحديد المواقع الأثرية، خاصة

(٥٣) يرجع تاريخ المسيحيين الكلدان في العراق إلى آلاف السنين. أسّس الكلدانيون ممالك في مطلع القرن الحادي عشر قبل الميلاد، ورد ذكرها في حوليات ملوك آشور، وجاء أقدم ذكرٍ لهم في حوليات الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني. تعرّض الكلدانيون للغزوات والاحتلال من قبل العديد من الحضارات المجاورة، مثل العثمانيين، وبحلول القرن التاسع عشر ضعفت الدولة العثمانية بشكل كبير وعمّت الفوضى أعالي بلاد الرافدين وكردستان، فتعرّض الكلدان إلى حملات واسعة منها مجازر بدرخان (١٨٠٣-١٨٦٩) في منطقة هكاري وتباري وتخوما من الآشوريين في النصف الأول من أربعينيات القرن التاسع عشر، ولقي أكثر من ١٠٠٠٠ مسيحي حتفهم خلال المجازر. ضجّت الدولة الأوروبية من أحداث هكاري وضخّموا عدد القتلى، فضغطوا على الدولة العثمانية من أجل إنهاء حكم بدر خان، ولم تكن الصحف الغربية بعيدة عن هذه الأحداث، فالبرقيات التي كانت تصلها من خلال السياسيين الغربيين أو من خلال البعثات التبشيرية مكنتها من توظيفها «دعائياً» ضد الدولة العثمانية، أولاً، والترويج لمطامح حكوماتهم في العراق من خلال مداعبة المشاعر الدينية للرأي العام البريطاني، ثانياً. للمزيد من التفاصيل انظر: ادي شير، تاريخ كلدو واثور (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، ١٩١٢)، ص ٢٠-٢٦؛ صلاح محمد سليم، «صدى علاقة الأمير بدر خان مع نساورة هكاري في الصحافة الغربية (١٨٤٣-١٨٤٦)،» مجلة سرّي من رأي، المجلد ١٥، العدد ٦١، كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٩، ص ٦٣٧-٦٦٠.

(٥٤) صحيفة نورث ديفون جورنال، صحيفة ذات اتجاه مستقلّ، تأسّست عام ١٨٢٤ وتمّ نشرها في بارنستابل، بريطانيا، وكما يبدو أنّها كانت صحيفة محلية مستقلة سياسياً من دون انتماءات حزبية. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: <<https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>>

(٥٥) ميساء لؤي عبد الله السامرائي، المصدر نفسه، ص ٥٦.

الواقعة منها في جنوب العراق، ووفق نص تعبيرها في «السهول التي واطئتها في العصور القديمة أبو الانبياء إبراهيم (ع)»، مسترسلةً في سرد انطباعات البعثة عن سكان مناطق المسح الآثاري، من سلوك وعادات وتقاليده وملبس، وما يتشحون من أسلحة، فضلاً عن مساكنهم، مولين «البدو» وسكان المناطق العشائرية اهتماماً خاصاً، ربما لما يشكلونه يومئذ من ثقل سكاني كبير^(٥٦)، فضلاً عن عمل «البدو» في حراسة القوافل، وسكان الريف في الزراعة والرعي عماد الاقتصاد العراقي يومذاك^(٥٧).

وتابعت بعض من الصحف البريطانية متابعهً حثيثةً لمشاريع وخطط حكوماتها بإنشاء سكك حديد^(٥٨) في العراق عُرفت بـ «سكة حديد وادي الفرات»^(٥٩) للربط بين موانئ البحر الأبيض المتوسط ورأس الخليج العربي، فقد نشرت صحيفة ذا تايمز^(٦٠) في عددها الصادر في ١٤ تشرين الثاني ١٨٥٦ مقالاً عنون بـ «السوق

(٥٦) إن تركيبة سكان العراق الذين لم تزد أعدادهم عن المليون وربع المليون في أواسط القرن التاسع عشر، انقسموا إلى: نصف مليون بدوي، ونصف مليون سكان ريف، والمتبقي من سكان المدن، وتغيّرت هذه النسب في أوائل القرن العشرين إلى ١٧٪ بدو و ٥٩٪ ريف و ٢٤٪ سكان مدن. للمزيد من التفاصيل انظر: محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق، ١٨٦٤-١٩٥٨ (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٦٥)، ص ٥١-٥٥.

(٥٧) North Devon Journal, (Newspaper), Devon, England, 6/6/1850, p. 6.

Rebecca E Harrison, "Admission for All How Cinema and the Railways (٥٨) Shaped British Culture, 1895-1948", PhD thesis, University College London, 2014.

(٥٩) كان أول من اقترح المشروع أحد موظفي سكك الحديد في الهند عام ١٨٣٠، وبقي مقترحاً شبه منسياً، حتى أولاه اهتمام خاص السير وليم اندرو (Sir William Andrew) الذي ألف «شركة سكة حديد وادي الفرات» في ١٨٥٦، وعيّن الجنرال جسني رئيساً لمهندسيها، وقد حظي المشروع بتأييد ودعم رئيس الوزراء اللورد بالمرستون (Henry John Temple Palmerston) والسير روبرت سترانفورد (Sir Robert Stanford) بهدف مقاومة محاولات الفرنسيين في الشروع بمشروع قناة السويس. للمزيد من التفاصيل انظر: عبد الفتاح إبراهيم، المصدر نفسه، ص ٨٦-٨٨.

(٦٠) اتخذت صحيفة التايمز وجهة نظر محافظة سياسياً، ودعمت حزب المحافظين في بريطانيا، كما عارضت الإصلاح السياسي وفضّلت الامتياز الأرستقراطي عام ١٨٥٦، مركزةً على الاضطرابات المتزايدة التي شهدتها بلاد ما بين النهرين في ظل الحكم العثماني في منتصف القرن التاسع عشر، معتبرةً أنّ التوترات والانتفاضات المحلية عوامل أدت إلى زعزعة الاستقرار في بلاد ما بين النهرين. مركزةً في مقالها الآنف الذكر على أهمية التجارة والاقتصاد في منطقة ما بين النهرين، وترى أنّها تحمل إمكانات كبيرة، كما رحبت بالمشاريع الهادفة إلى تعزيز التجارة والبنية التحتية في المنطقة. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> >.

النقدية»، مبيّنةً في ثناياه أهميّة هذا المشروع المُحاذي لنهر الفُرات، مستشرفةً «تأثيره المُرتقب على المصالح التجارية البريطانية» في تلك المناطق، ومستعرضةً تنامي «التبادل التجاري» بين العراق وأوروبا مع بدايات النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، خاصة ما تعلّق منها بالمنتجات الزراعية الحيوانية الغذائية الرئيسية كالحبوب وبخاصةً «القمح» أو تلك التي تدخل في الصناعات كالقطن والصُوف، مشيرةً إلى أقيام التبادل التجاري مع مفتتح النصف الثاني من القرن الآنف الذكر وصلت إلى مليون وأربعمائة وأربع وستين ألف وواحد وخمسين جُنيهاً استرلينياً، منوهةً بأهمية أراضي بلاد الرافدين زراعياً، فضلاً عن كونها ممراً استراتيجياً للنقل البري تجارياً وعسكرياً^(٦١).

وأكدت أيضاً في مقالها المذكور أنّ «سكة حديد وادي الفُرات» لن يقتصر أثرها في توفير المواد الخام والزراعية فحسب، إنّما ستؤدّي إلى اختصار المسافة بين مُستعمراتها في الهند وبريطانيا ووفق نص تعبيرها، بمقدار النصف تقريباً، مشدّدةً على أنّ «مصير المنطقة تجارياً وسياسياً» مرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا المشروع أولاً، وما يتطلبه من «وجود فعلي» للبريطانيين فيها، عادةً إياها، أي منطقة بلاد ما بين النهرين، «الأكثر أهميّة من أي بقعة أخرى في العالم» وقتذاك^(٦٢).

وعلى ما يبدو أنّ ما نشرته صحيفة ذا تايمز في عددها الآنف الذكر، لفت أنظار المعنيين وأثار اهتمامهم من خبراء تشييد سكك الحديد أو إداريين وساسة لهم مطامحهم في المنطقة، فعلى سبيل المثال وجهَ أي. أنش ليارد (A. H. Layard) رسالةً إلى هيئة تحريرها نشرت نصّها، أوضح فيها أنّ المخاطر التي تكتنف تشييد السكة المذكورة لهيمنة البدو على معظم المناطق المقترحة لبنائها، مشيرةً إلى الصراعات بين تلك القبائل البدوية، وما تمخّض عنها من اضطرابات أمنية تُطيحُ بسلام المنطقة وأمنها، ممّا يُعرّض سلامة المنشآت البريطانية للحرق والتدمير والسلب والنهب، مشيراً إلى ما تتعرّض له خطوط التلغراف في تلك الأراضي، مشدّداً على أنّ نجاح المشروع مُرتبط بتعهدات الحكومة العُثمانية بإنشاء مُعسكراتٍ على طول سكة الحديد لحمايتها من أي اعتداء متوقّع من السكان المحليين^(٦٣).

The Times, London, 14/11/1856, p. 4.

(٦١)

Ibid.

(٦٢)

Ibid.

(٦٣)

وظل هذا المشروعُ تتداوله أعلام المعنّيين بين مدة وأخرى على صفحات التايمز، فقد كتبَ المهندسُ تشارلز أوستن (Charles Austen) مقالاً في عددها الصادر في ٢٦ أيلول ١٨٧١، شكك فيه بجدوى المشروع اقتصادياً واستراتيجياً^(٦٤)، كما نشرت في العدد نفسه مقالاً للقنصل العثماني في بريستول شدّد في مضامينه عن أهميتها الاقتصادية وجدواها التجارية، موضحاً أنّ الجزء الشمالي منها المار عبر شمال العراق وأورفه هو منطقة مأهولة بسكان «نشيطين تجارياً» وعلى حدّ تعبيره، منوّهاً بغناها من المواد الزراعية الأساسية: «القمح، الشعير، الدُّرّة، الأرز، التبغ، القطن، الصوف، وسواها»، مشدّداً على الآثار الإيجابية «إذا ما تمّ تشييده»، إذ سيزداد الإنتاج الزراعي ويتضاعف من جهة، وأنّ تلك المواد، وخاصةً القمح وفق نصّ تعبيره، «سيصلُ إلى لندن بأسعار أقل» عمّا هو سائد في السوق الروسية، مشيراً إلى أنّ التكلفة المالية للميل الواحد من مشروع «سكة حديد وادي الفُرات» هو أقلّ من نظيراته في الولايات المتحدة الأمريكية أو المكسيك، حاصّاً في مختتمه المعنّين من البريطانيين، سياسيين وأصحاب شركات، على المشروع باغتنام فرصة تنفيذه^(٦٥).

وأكدت أيضاً صحيفة الغارديان اهتمامها بمشروع سكك الحديد في بلاد ما بين النهرين آنذاك، ونشرت مقالاً لها بتاريخ ١٢ تموز ١٨٨٩ عنون «الاستكشافات الشرقية»، مشيرةً فيه إلى مشروع بناء سكة حديد بين البصرة وبغداد آنذاك، منوّهةً إلى أنّ المشروع مموّل من قبل شركة ألمانية بالتعاون مع الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على المنطقة، مبيّنةً أهميّة هذا المشروع لتطوير المواصلات والتجارة في المنطقة الغنيّة بالموارد الطبيعية، منبهةً إلى التحدّيات التي واجهت المشروع من ظروف جغرافية صعبة ومعارضة العشائر المحليّة، مركزةً على «اشتداد» المنافسة الأوروبية على النفوذ في المنطقة، خاصة بين بريطانيا وألمانيا، وهو أمر أظهر أهميّة منطقة بلاد ما بين النهرين استراتيجياً واقتصادياً بالنسبة إلى القوى الأوروبية يوم ذاك^(٦٦).

تُظهر هذه الاهتمامات بالأخبار المتعلّقة بسكّان العراق في الصحافة البريطانية في أواخر العهد العثماني، عمقَ هذا الاهتمام وحجمه بدراسة أدق التفاصيل عن

The Times, 26/9/1871, p.5.

(٦٤)

Ibid.

(٦٥)

Manchester Courier, 2/7/1889, p. 12.

(٦٦)

البلاد لما شكّلتها من أهمية كبيرة في المنظور الاستراتيجي البريطاني للعراق وموقعه في حساباتها الإقليمية والدولية.

فلا مرأ من أن نجد هناك تصاعداً متناغماً في ما بين الإعلام البريطاني المُمثّل بـ«صحافتها» يومئذٍ وتطلّعات الحكومة البريطانية بفرض هيمنتها على العراق، في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين الميلاديين إلى درجة حدث ببعضها التسرّع عن عزم الحكومة البريطانية باحتلال أجزاء من «بلاد ما بين النهرين» لحماية مصالحها في المنطقة والدفاع عنها^(٦٧). فعلى سبيل المثال كتبت صحيفة لارن ريبورتر أند نورثرن كاونتيز (*Larne Reporter and Northern Counties Advertiser*) بتاريخ ٢٣ أيار ١٨٩٦ مقالاً حمل عنواناً واضح المغزى والدلالة «إنكلترا وبلاد ما بين النهرين»، بينت في محتواه أهمية العراق الاستراتيجية لبريطانيا، لذا لا تستبعد إقدام حكومتها عن الشروع باحتلاله لتأمين مصالحهما في المنطقة، وحماية وجودها في الهند^(٦٩).

وسّعت صحيفة ريل وي نيوز (*Railway News*) في عددها الصادر في ٥ حزيران ١٩٠٠ بمقالها الموسوم «روسيا وآسيا الصغرى» إلى لفت أنظار الرأي العام إلى حدّة التنافس بين الدول الكبرى (ألمانيا، وروسيا القيصرية، وفرنسا) وبريطانيا في الاستحواذ على المنطقة، وتعزيز نفوذها ووجودها فيها، محدّرةً من سرعة ازدهار النشاط التجاري الألماني في الدولة العثمانية، وما سيؤول إليه هذا النشاط من تحقيق نجاحات في التجارة مع بلاد ما بين النهرين، وبخاصة أنّهم نجحوا في بناء موانئ ومستودعات ربطت بينها وبين سكك الحديد في الأناضول، وحذّرت بتشديد في ثنايا

Elina Hannele Multanen, "British Policy Towards Russian Refugees in the Aftermath of the Bolshevik Revolution", PhD thesis, University College London, 2016.

(٦٨) لا يبدو أنّ لدى صحيفة لارن ريبورتر أند نورثرن كاونتيز انتماءات حزبية واضحة المعالم، إذ ظهرت تغطيتها للأخبار المحليّة والعالمية من منظور محايد، موضحةً في مقالها تزايد الطموحات الإمبراطورية البريطانية في المنطقة. ويبدو أنّ بريطانيا كانت تحاول إثارة الاضطرابات كذريعة لاحتلال بلاد ما بين النهرين من خلال دعمها قبيلة الدواسر العربية مالياً للمساعدة في زعزعة استقرار السيطرة العثمانية.. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: <<https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>> .

Larne Reporter and Northern Counties Advertiser, (Newspaper), Antrim, (٦٩) Northern Ireland, 23/5/1896, p. 2.

مقالها من إمكانية استخدام «عربات الشحن الألمانية» في سكك الحديد عبر مضيق البسفور نزولاً إلى الأناضول ومن ثم الوصول إلى أراضي العراق^(٧٠).

وتوافقاً مع ما تقدّم بدأ «إيقاعُ الإعلام البريطاني» بصحافته يتصاعدُ شيئاً فشيئاً حول أهمّية العراق وضرورة تعزيز الوجود البريطاني في «تناغم» واضح مع المسعى الحكومي البريطاني وخططه إزاء أراضي العراق^(٧١)، وهو تناغم ازدادت حدّته وزخمه مع اقتراب العالم من اندلاع الحرب العالمية الأولى^(٧٢)، وهو زخم عبّرت فيه معظم الصُحف عن تأييدها لاجتياح بلاد ما بين النهرين مع اندلاع الحرب^(٧٣)، مرحبة بتعبئة الجيش البريطاني في الهند^(٧٤)، وعملياته القتالية في البلاد ضد الجيش العثماني، وهو تغطية مؤيدةٌ شابهها بعض «الفتور» واللوم بل، وحتى «التقريع» جراء الانتكاسات التي تعرّض لها الجيش البريطاني في العراق^(٧٥).

يبدو واضحاً ممّا تقدّم أنّ الصحف البريطانية، أولت مسألة النفوذ البريطاني وتعزيز تغلغله في بلاد ما بين النهرين خلال المدة (١٨١٩ - ١٩١٤) اهتماماً واضحاً، وعلى اختلاف اتجاهاتها السياسية: فالصحف «المحافظة» التي كان من بينها، على سبيل المثال لا الحصر، صحف: ذا سن، ومورننغ هيرالد، ويكسفورد إندبندنت وسواها، أفردت مقالات خصّت مضامينها دعم النفوذ الإمبراطوري البريطاني وتغلغله في بلاد ما بين النهرين، معتبرة إياه وسيلة لتوسيع الإمبراطورية البريطانية من جهة، ولتعزيز المصالح التجارية في المنطقة من جهة أخرى. فيما رأت الصحف ذات «الاتجاه الليبرالي»، ومن بينها صحيفة «بليت»: أكثر انتقاداً إلى حدّ ما للتوسع

Railway News, (Newspaper), London, England, No.1896, 5/5/1900, p. 25. (٧٠)

Rush Alan, "Record of Iraq 1914-1918," *Telegram*, No. 998, 10/8/1914, p.18. (٧١)

James Alan Anslow, "The tabloid Trickster: a post-jungian evaluation of early twenty-first century popular British newspaper journalism characterised by that of The Sun", PhD thesis, University of Essex, 2016. (٧٢)

Railway News, London, England, No. 1896, 5/5/1900, p. 25. (٧٣)

Ibid. (٧٤)

(٧٥) للمزيد حول تأثير وسائل الإعلام البريطانية على الحملة البريطانية على العراق، انظر:

Chris Nineham, "Making the News: The Media and the Movement against the Iraq War", PhD thesis, University of Westminster, Communication and Media Research Institute, 2013.

الإمبراطوري، إلا أنّها دعمت إلى حدّ ما الوجود البريطاني المتزايد في المنطقة. وفضّلت اهتمام الحكومة بالسياسات الإصلاحية الداخلية في بريطانيا، وقد انقسم محرّري الصحف ذات الطابع «الليبرالي»، فمنهم من عدّ النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين استغلالاً للسلطة، فضلاً عن إعراب بعضهم يوم ذاك عن مخاوفهم بشأن المبررات الأخلاقية وعواقب التوسّع الإمبراطوري واحتمال تصدّع العلاقات البريطانية - الأوروبية، فيما رأى آخرون فوائد لتغلغل وترسيخ النفوذ في البلد الآنف الذكر في نشر مُثل التجارة الحرة، والإصلاحات الديمقراطية، والتحديث، والتنمية في تلك البلدان.

فيما اتّسمت مواقف الصحف ذا «الاتجاه الاشتراكي» من التغلغل البريطاني في بلاد ما بين النهرين، ومنها على سبيل المثال صحيفة **كلاريون**، بالنقد أو معارضة الاتجاه التوسّعي من منظور يساري، ولكن كان توزيعها محدوداً. أمّا الصحف الاقتصادية مثل **مانشستر غارديان** دعمت المصالح التجارية الاقتصادية في بلاد ما بين النهرين كأسواق جديدة لتصريف المنتجات البريطانية، في حين كان للصحف «الراдикаلية»، مثل صحيفة **رينولدز**: تأثير محدود في السياسة الخارجية. بشكل عام، يمكننا القول إنّ الصحافة البريطانية السائدة يوم ذاك كانت تغطية إيجابية للتوسّع الاستعماري البريطاني في بلاد ما بين النهرين والمنطقة، ممّا ساعد على بناء الدعم الشعبي لهذه السياسات.

ويبدو واضحاً ومن خلال ما تقدّم أنّ الصحافة البريطانية، ومنذ أوائل القرن التاسع عشر، تسلّط الأضواء على بلاد ما بين النهرين، وعلى الصّعد كافّة «اقتصادية، وسياسية، واجتماعية»، وهو اهتمام ازداد في النصف الثاني من القرن المذكور، لينعطف انعطافاً تاريخية كبيرة مع بدايات القرن العشرين وتساعد حدّة التنافس الدولي بين الدول الكبرى على المنطقة عموماً، والعراق على وجه الخصوص، وهو تنافس تحوّل إلى «صراع» ومن ثم إلى «صدام» في حرب عالمية أولى، كان العراق وأراضيه أحد ميادينها الرئيسية، التي أثمرت عن طرد العثمانيين واحتلاله من قبل البريطانيين، وهو أمر أسفر عن مواجهة بين المُحتل البريطاني و«الشعب العراقي»، مواجهة وصلت إلى أوجها باندلاع الثورة العراقية الكبرى في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، وهذه الصفحة المُشرّفة من تاريخ العراق المعاصر عالج الباحث سطورها في ثانيا الفصل الرابع، والفصول الآتية من كتابه هذا.

الفصل الرابع

الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠: دراسة موجزة في الأسباب والنتائج والمفهوم

أولاً: أسباب الثورة

لقد تصدّى العديد من الباحثين والكتّاب، أكاديميين وغير أكاديميين، من العراقيين وسواهم، في البحث والدرس والتقويم لواحدة من أهم الأحداث التاريخية في تاريخ العراق المعاصر، ألا وهي الثورة العراقية الكبرى التي اندلعت في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ ضد الوجود البريطاني المحتل ومن ثم المُتدب في البلاد^(١). وأوضح أولئك الباحثون أنّ وراء اندلاع الثورة تكمن أسباب عديدة، تباينت آراؤهم حولها، واختلفت أرقامهم في تحديد أولوياتها، وأنّ بعضهم أولى اهتمامات بحثه عن الأسباب في سبب بعينه أو سببين أو أكثر تتوافق مع اتجاهاتهم الانتمائية: عقائدية أو فكرية أو سياسية أو مناطقية أو عشائرية أو سواها من الداخل العراقي أو الخارج الأجنبي المنطلق من تطلعاته الاستعمارية ومصالحه الخاصة^(٢).

(١) على سبيل المثال لا الحصر أنظر: عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ (قم: مؤسسة المحيين، ٢٠٠٥)؛ محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ط ٢ (لندن: مطبعة دار اللام، ١٩٩٠)؛ عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ (بغداد: مطبعة دار السلام، ١٩٧٥)؛ وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية «الاستقلالية» في العراق، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥)؛ أرنولد ويلسن، الثورة العراقية، ترجمة جعفر الخياط (بيروت: مطبعة دار الكتب، ١٩٧١)؛ العراق في رسائل المس بيل ١٩١٧-١٩٢٦، ترجمة: جعفر الخياط (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٣).

(٢) حميد المطيعي، «عوامل في انبثاق ثورة العشرين»، مجلة تراث النجف، العددان (٢٣) - (٢٢)، حزيران ٢٠٠٩، ص ٦٤ - ٦٦.

بيد أنَّ العديد من الباحثين العراقيين والكتاب المحليين ممن أرخوا للثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ وبحثوا في تفاصيلها ومعطياتها، وتوافقوا على جملة من الأسباب التي دفعت العراقيين إلى القيام بثورتهم ضد الوجود البريطاني في البلاد، كان في مقدمتها هو «نكثهم لوعودهم، وعهودهم في منح البلاد استقلالها وحرّيتها»، وعلى حدّ تعبير الجنرال فردريك ستانلي مود^(٣) (Frederick Stanley Maude) في بيانه^(٤) الصادر بتاريخ ١٩ آذار ١٩١٧ في أعقاب احتلاله بغداد وطرده العثمانيين منها جاء فيها ما نصّه:

«الغرض من معركتنا الحربية دحر العدو وإخراجه من هذه الأبقاع ... وأن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم قاهرين أو أعداء، بل محرّرين ... فأمنية الحكومة البريطانية هي أن تحقّق ما يطمح إليه نفوس فلاسفتكم وكتابكم مرة أخرى، ولسوف يعيد أهالي بغداد ويتمتعون بالغنّى المالي والمادي بفضل نظمات تتوافق وقوانينهم المقدّسة وأطامحهم القومية»^(٥).

لقد استشعر العديد من ضباط الإدارة العسكرية البريطانية في البلاد خطورة

(٣) فردريك ستانلي مود (٢٤ حزيران ١٨٦٤-١٩١٧): جنرال بريطاني، ولد فريدريك ستانلي مود في جبل طارق، التحق بالكلية العسكرية الملكية، ساندهيرست، قبل أن ينضمّ إلى حرس كولديستريم في عام ١٨٨٤. عُرف في الجيش باسم «جو»، خدم في السودان عام ١٨٨٥، ثم في حرب البوير الثانية (١٨٩٩-١٩٠٢)، عُيّن سكرتيراً عسكرياً للحاكم العام لكندا عام ١٩٠١، شغل منصب السكرتير الخاص لوزير الحرب البريطاني عام ١٩٠٥، شغل سلسلة مناصب هيئة الأركان العامة، رُقي بعدها إلى رتبة عميد في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٤ وتولّى قيادة اللواء الرابع عشر. وتّمّت ترقّيته إلى رتبة لواء عام ١٩١٥ بعد أن أصيب بجروح خطيرة في فرنسا. قاد الحملة البريطانية على بلاد ما بين النهرين حين احتل بغداد في آذار/مارس عام ١٩١٧ Spencer C. Tucker, *World War I: A Country-by-Country Guide* (London: ABC-CLIO, 2019), Vol. 1, pp. 314-315.

(٤) عن هذا البيان وأصدائه، انظر ما كتبه غيرترود بيل في رسالتها المؤرخة في ١٠ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٢٠ أوضحت فيها امتعاضها من ظروف وضع البيان وتوزيعه، وكذلك موقف مود بإزائه. وعبرّت كذلك عن نفورها منه ومن الصحافة البريطانية التي أعلّت من شأنه: «إنّ الصحف تكتب هراء مثل قولها إنّ إدارة شؤون العرب قد سارت في الاتجاه الخطأ منذ وفاة مود. فهو لم يكن له أدنى فكرة عن حكم الشعوب. للمزيد انظر: العراق في رسائل المس بيل، ١٩١٧-١٩٢٦، المصدر نفسه، ص ٢١٨.

(٥) محمد مهدي البصير، المصدر نفسه، ص ٣٦-٣٧؛ عبد الله فياض، المصدر نفسه، ص ١٤٤-١٤٥؛ وميض جمال عمر نظمي، المصدر نفسه، ص ٦٥.

«نكث الوعود» التي قطعتها بريطانيا على نفسها للشعب العراقي، فعلى سبيل المثال لا الحصر، كتب الكابتن جيمس مان^(٦) (James Saumarez Mann) في رسالة بعثها إلى والده في ٤ حزيران ١٩٢٠، أي قبل بضعة أسابيع من اندلاع الثورة، جاء فيها ما نصّه:

«إن لهم [أي العراقيين] صرخة حقيقية واحدة، وهي أنّ الحلفاء، ونحن منهم، نقضنا وعودنا، ومنها الخطاب الموجّه إلى أهل بغداد في يوم دخولنا الظافر إليها في آذار ١٩١٧، سوف ترى صحة هذا القول»^(٧).

أدرك بوقت مبكر علماء ومجتهدي حوزة النجف الأشرف وبقية العتبات المقدسة في البلاد السياسة البريطانية وألاعيبها الاستعمارية، لذا بادروا إلى التشديد على ضرورة إيفاء البريطانيين لوعودهم بما يضمن استقلال البلاد «استقلالاً ناجزاً»، مرسلين وفداً لمقابلة الحاكم السياسي في تشرين الثاني عام ١٩١٨، مطالبين إياه بإرسال رسالتهم المتضمنة لمطالبهم المشروعة إلى حكومة بلاده، بيد أنّ الأخير أجابهم إجابةً غير مُقنعة يلوح في مضامينها التسويف والمماطلة لا غير^(٨).

أضحّت تلك الوعود السياسية الخادعة نقطة ضعف الاحتلال البريطاني، إذ شرع بدءاً العديد من النخب السياسية وقادة الرأي في البلاد بتذكير إدارة الانتداب البريطاني، وعلى نحو هادئ، بالعهد المعلن من قبل حكومتهم، بيد أنّ مطالبهم لم تلق آذاناً مُصغية، أو أنّها أفضت أحياناً إلى مُعاملة عدائية.

(٦) جيمس مان (١١/١٠/١٨٩٣ - ٢٢/٧/١٩٢٠): ولد جيمس مان في بروملي إحدى مقاطعات كنت في بريطانيا، تلقى تعليمه في كلية دولويتش وباليلول بأكسفورد، انضم إلى فوج ويست كينت عام ١٩١٤. أصيب بجروح بالغة في فرنسا عام ١٩١٥، وتمّ تعيينه في منصب مساعد إداري في بلاد ما بين النهرين عام ١٩١٩، تولّى منصب الحاكم السياسي لمنطقة الشامية والنجف الأشرف في ٢٨/٨/١٩١٩. قُتل برصاصة قناص أثناء حصار الكوفة في ٢٢/٧/١٩٢٠. للتفاصيل أنظر:

James Saumarez Mann, *An Administrator in the Making: James Saumarez Mann, 1893-1920* (London: Longmans, 1921).

(٧) مذكرات الكابتن مان، ترجمة: كاظم هاشم الساعدي، تقديم وتحقيق وتعليق: كامل سلمان الجبوري (بيروت: مؤسسة العارف للمطبوعات، ٢٠٢٣)، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٨) علاء عزيز كريم، موقف الحوزة العلمية في النجف الأشرف من التطوّرات السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٢٤، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٧، ص ٨٩؛ وجيه علم الدين، العهد المتعلّقة بالوطن العربي، ١٩٠٨ - ١٩٢٢ (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨)، ص ٨٨-٨٩.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، ذهب وفد من خمسة عشر نخبياً ووجيهاً^(٩) من أهالي بغداد بتاريخ ٢٥ أيار ١٩٢٠ لمقابلة الحاكم السامي العسكري البريطاني أي. تي. ولسن، لإجراء مفاوضات مع إدارته «باسم الشعب» من أجل إلغاء «إدارة الاحتلال البريطاني» على حد تعبيرهم، وإحلال بدلاً عنها حكومة وطنية، أولاً: مُسندة الى انتخاب «مؤتمر يُمثل الأمة العراقية»، أي مجلس تأسيسي يُقرّر سياستها الداخلية والخارجية، فضلاً عن المطالبة بمنح «حرية النشر»، ثانياً، وأخيراً، التشديد على «حرية الاتصالات» الداخلية والخارجية بين العراقيين ومحيطهم الإقليمي للتواصل فيما بينهم بشؤون البلاد وتقرير مصيرهم بحرية وبعيداً على الرقابة البريطانية.

سعى الحاكم البريطاني إلى المراوغة السياسية والمماطلة في الاستجابة لهذه المطالب الوطنية المشروعة، بل اتسمت مواقفه بالحدة والتزمّت^(١٠) موضحاً أنّ تحقيق هذه المطالب يحتاج إلى عدّة شهور من إجراءات وعمل حثيث، هو أمر أغاظ أعضاء الوفد، فقد تلمّسوا في أقواله روح المماطلة وعدم الاهتمام^(١١).

كما بيّن «أي. تي. ولسن» مدى تأثير الصحافة البريطانية في الرأي العام لدى النخبة المثقفة العراقية بهذا الصدد، مُشيراً إلى أنّها، وعلى حد تعبيره بخصوص «الاستقلال»، مبدئياً شديد انزعاجه من مُتابعته لأخبار العراق وتطوّرات الموقف فيه من الوجود البريطاني، في لمحة واضحة إلى تحميلها تبعات تمسك العراقيين بالاستقلال، فضلاً عن أثرها في الرأي العام البريطاني وانماء قناعاته بهذا الخصوص^(١٢).

(٩) كان من بينهم: محمود جليبي الأستر آبادي، وعبد الحسين آل الجلبي، ومحمود الكيلاني، وساسون حسيقل، وخسرو قيومجيان، وآخرين. للتفاصيل انظر: محمد مهدي البصير، المصدر نفسه، ص ٨٩.

(١٠) حسين جميل، العراق شهادة سياسية، ١٩٠٨-١٩٣٠ (لندن: دار اللام، ١٩٨٧)، ص ٥١-٥٢؛ وانظر بالصدّد ذاته ما كتبه الكابتن مان: مذكرات الكابتن مان، المصدر نفسه، ص ٢٩١-٢٩٢.

(١١) حول انعقاد الاجتماع مع الوفد المذكور أعلاه، وتفاصيل مجرياته، انظر: محمد مهدي البصير، المصدر نفسه، ص ٨٩-٩٥.

(١٢) برقية رقم ٦٩١٨ في ١٩٢٠/٦/٩ من الحاكم المدني في بغداد إلى وزارة الهند لندن: «خلال الـ ١٨ شهراً الأخيرة وفر للرجال من جميع الطبقات في هذه البلاد سبباً للاعتقاد بأننا قد بتنا مستعدّين أو أنّنا بوضع سنلتزم بما تعهّدنا به بموجب الخطابات والكلمات في الصحافة والآراء التي تمّ نقلها عبر وكالة رويتر التي قد أكّدت مثل هذا الاعتقاد. للمزيد من التفاصيل انظر: مؤيد الوندادي، العراق من الإعلان البريطاني-الفرنسي لسنة ١٩١٨ إلى ثورة عام ١٩٢٠ (بغداد: مكتبة النهضة العربية، ٢٠٢٣)، ص ١١٦.

ويبدو واضحاً تماماً أنّ إدارة الانتداب البريطاني في تصريحاتها وبياناتها، وحتى لقاءاتها مع مختلف الوفود العراقية، كانت تسعى إلى التهذئة واحتواء المواقف تكتيكياً، والعمل الجاد على إرساء وجودها في البلاد استراتيجياً، فما إن استتبت الأمور لها، وتمكّنت من ربة البلاد، حتى تنصّلت عملياً من عهودها السابقة، وضربت بها عرض الحائط^(١٣)، ولعلّ من المفيد هنا أن نقتبس شيئاً مما كتبه «أي.تي. ولسن» عن حقيقة الوجود البريطاني في العراق، ومدى جدّيتهم إزاء المطالب المشروعة لشعبه، فقد كتب ما نصه:

"إن العراق قد بقي قروناً عديدة يحكمه الأتراك حُكماً مباشراً، فليس له أن يتطلّع إلى أن يحكّم نفسه، بل إن ذلك يضرّ العراق، وقد يؤدّي ذلك إلى عكس المطلوب"^(١٤).

كما أنّ لإجراءات إدارة الانتداب البريطاني المُعبّرة عن مسعاها في تعزيز وجودها في البلاد، هو ما أقدم عليه الحاكم السياسي البريطاني الأنف الذكر في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨، ما عُرف بأدبيات تاريخ العراق المعاصر بـ«الاستفتاء»^(١٥) على شكل الحُكم في العراق، حاشداً له من الانتهازيين والمنتفعين من العلاقة مع بريطانيا وأنصار بقائها في البلاد^(١٦)، حاضاً إياهم في

(١٣) المر هولدين، ثورة العراق ١٩٢٠، ترجمة: فؤاد جميل (بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٠)، ص ١٠؛ علاء حسين عبد الأمير الرهيمي، الثورة العراقية الكبرى لعام ١٩٢٠ الذكرى المئوية الأولى، وقائع مؤتمر كلية الآداب، جامعة الكوفة ٢٢-٢٣ تشرين الثاني ٢٠٢٠، ص ١٩ - ٢٦.
(١٤) كامل سلمان الجبوري، الكوفة في ثورة العشرين (النجف: مطبعة الآداب، ١٩٧٢)، ص ٥١.

(١٥) تضمن الاستفتاء ثلاثة أسئلة موجهة للعراقيين وهي «هل ترغبون في حكومة عربية مستقلة تحت الوصاية الإنكليزية يمتدّ نفوذها من أعالي شمالي الموصل إلى خليج العجم؟»، وهل ترغبون في أن يرأس هذه الحكومة أمير عربي؟»، من يكون ذلك الأمير الذي تختارونه؟». للمزيد انظر: محمد مهدي البصير، المصدر نفسه، ص ٨١-٨٢.

Foreign Office, 882 /23/3/33, "Telegram from Secretary of State for India to Political Baghdad, 30th November 1918".

(١٦) كان من بين هؤلاء جمع من التجار الأثرياء في المدن والإداريين العثمانيين السابقين الذين استفادوا من التعامل مع البريطانيين، فأما الطبقة البرجوازية الوطنية التي كانت متمثلة حينذاك بالتجار المحليين وعدد قليل جداً من أصحاب المعامل الصغيرة، فإنّها اتخذت موقفاً مناقضاً تماماً لموقف الأجنحة الأخرى للبرجوازية. للمزيد انظر: كاظم المظفر، ثورة العراق التحريرية عام ١٩٢٠ (النجف: =

المُطالبة ببقاء إدارتها وتمتين وجودها في إدارة البلاد^(١٧).

بيد أنّ مسعى إدارة الانتداب البريطاني الذي تعرضت إلى مجابهة حازمة من قبل مرجعية النجف الأشرف وحوزتها، والعديد من علماء كربلاء المقدسة والكاظمية المقدسة^(١٨)، مُطالبين بضرورة أن يكون حاكم البلاد «عربي مسلم»^(١٩)، بل إن البعض طالب أن يكون أحد أنجال الشريف حسين ملك الحجاز يومئذ، مُعبرين عن رفضهم لروح «الاستفتاء» البريطاني ومعناه ومبتغاه، وكانت فتوى المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٩ منعطفاً تاريخياً في غاية الأهمية شدد فيه على أن ليس «لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم» في «حكم الأمانة والسلطنة» في البلاد^(٢٠).

أثمر موقف المرجعية الحازم الآنف الذكر عن قيام مُدن العتبات المقدسة بالانطلاق بموقفها الرافض للاستفتاء وبقاء الوجود البريطاني في العراق، بل صعدت من مواقفها تلك بإدانة زخم المعارضة للسياسة البريطانية في البلاد ورفضها بصورة حاسمة^(٢١).

= مطبعة الآداب، ١٩٧٢)، ج ٣، ص ١٧٧؛ سؤدد كاظم مهدي، «أرنولد ولسن ودوره في السياسة العراقية»، رسالة ماجستير، جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٥.

Scott Jones, "Occupation and resistance in Southern Iraq: a study of Great Britain's civil administration in the Middle Euphrates and the Great Rebellion, 1917-1920", Master of Arts thesis, DePaul University, College of Arts and Social Sciences, 2018, p. 47.

(١٨) بعد أن احتلت بريطانيا العراق جرت مناقشات ومداولات كثيرة في المحافل الدينية الموجودة في المدن المقدسة حول الموقف من الاحتلال البريطاني، فكان دعاة المطالبة بالحقوق بطريقة سلمية في مقابل المطالبين بالحقوق حتى وإن تطلّب استخدام القوة، وقد تغلب دعاة الحرب والجهاد وكان غالبيتهم من العرب. للتفاصيل انظر: عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، ص ١٥١-١٥٣.

(١٩) برقية رقم ٧٨٢٣ في ١/٧/١٩٢٠ من الحاكم المدني في بغداد إلى وزارة الهند، لندن. للمزيد من التفاصيل انظر: مؤيد الوندائي، المصدر نفسه، ص ١٢٠-١٢١.

(٢٠) عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٦٦)، ص ١١٩؛ مؤيد الوندائي، العراق من الإعلان البريطاني-الفرنسي ...، ص ٩٨؛ علاء عباس نعمة، «محمد تقي الشيرازي ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٨-١٩٢٠»، رسالة ماجستير، جامعة بابل: كلية الآداب، ٢٠٠٥.

(٢١) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط (بيروت: دار الكشف، ١٩٤٩)، ص ١٢٢-١٢٤.

وقد تناغم مع «التنصّل» عن العهود والمواثيق وسوء إدارة الانتداب البريطاني للبلاد، وما اكتنفه من «تعسف» و«تعالٍ» من قبل ضباطها في مختلف مناطق العراق، فضلاً عن احتكاكاتهم غير المُبررة مع فئات المجتمع العراقي المختلفة، مما ضاعف من حنق العراقيين إزاء الوجود البريطاني، وعلى حدّ تعبير المؤرخ الثبت عبد الرزاق الحسني أن إجراءاتهم «التعسفية» ضد العراقيين، خاصةً مع قادة الحراك الوطني من علماء ونُخب سياسية «زاد من كُره الشعب وبغضه للبريطانيين»، وهو أمر شكّل بحد ذاته سبباً آخر لاندلاع الثورة العراقية الكبرى^(٢٢).

كان في مقدّمة سوء الإدارة البريطانية في البلاد، اتخاذها نظاماً قانونياً مستنبطاً من النظام القانوني في الهند، خاصة في ما عُرف بـ«قانون دعاوى العشائر»^(٢٣)، للاستناد إليه في تعاملاتها القانونية مع العشائر العراقية التي اعتادت ومنذ أيام الوجود العثماني عدم الانصياع للسلطات الحاكمة وتنفيذ إراداتها، وهو أمر لم يكن ببعيد عن أذهان البريطانيين، ومع ذلك سياساتهم العملية في البلاد كانت غير متوافقة مع الواقع العشائري فيها^(٢٤).

لم تُشكّل المُتغيّرات القانونية بحدّ ذاتها استفزازاً للعراقيين، بقدر ما شكلته إسناد مهام تنفيذها إلى موظّفين حديثي العهد في العمل القضائي، إلى جانب افتقارهم إلى الخبرة والدراية في التعامل مع المجتمع العراقي بمختلف فئاته

(٢٢) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ١١٩؛ عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط ٧ (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩)، ج ١، ص ١٨٤.

(٢٣) حين اتّمت القوات البريطانية احتلال العراق طبّقت نظاماً قضائياً مستورداً من الهند استند إلى القانونين المدني والجنائي الهندي، وكان التفسير الذي قدّمه المسؤولون البريطانيون بشأن التغيرات في النظام القضائي هو «الافتقار» إلى السجلات القضائية والقضاة الأكفاء، فضلاً عن هروب العديد منهم ومن موظفي المحاكم، واختفوا مع سجلاتهم أو تمّ تدميرها. Rafael Rene Ortega Fabal, “The British Administration of Iraq and Its Influence on the 1920 Revolution”, Master’s thesis, University of Oslo, 2015, p.3؛ جلال كاظم محسن الكناني، «الدور السياسي للعشائر العراقية ١٩١٨-١٩٢٤»، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ٢٠٠٣، ص ٧٦.

(٢٤) لتفاصيل انظر: Bonham Carter, “Report on the Administration of Justice for: the Year 1920 in Iraq: Administration Reports 1914 - 1932”, vol. 6, p. 441 - 448. رافائيل رينييه أورتيجا فابال، موسوعة ثورة ١٩٢٠ الكبرى في بلاد ما بين النهرين بأقلام أجنبية: الإدارة البريطانية في العراق وتأثيرها على ثورة العشرين، ترجمة: قاسم محمد حسن الأسدي، ج ٥ (بابل: مؤسسة أبعاد للترجمة والنشر والتوزيع، ٢٠٢٣)، ص ٩٣-٩٥.

وانتماءاته^(٢٥)، فضلاً عن توظيف إمكانيات البلاد إدارياً واقتصادياً إلى مُتطلّبات الوجود البريطاني وحاجات قواته فيها^(٢٦).

وانسجماً مع ما تقدّم، تمّ تعيين صغار الضباط البريطانيين في إدارة شؤون ألوية «محافظات» البلاد وأقضيّتها، بسلطات شبه مُطلقة، مكّنتهم في إدارة شؤونها وفوق ما يرتأون أو «ما يشاؤون» وبروح ملئها «الغطرسة»، وعنجهية «المُحتل» الغشوم في التعامل مع الأهالي^(٢٧)، وكانت هذه الإجراءات الإدارية محلّ «استغراب» وإثارة حتى لدى بعض من أولئك الضباط البريطانيين ممّن أسهموا فيها، فعلى سبيل المثال، كتب النقيب جيمس مان في إحدى رسائله، مُعبّراً فيها عن دهشته لتعيينه حاكماً بعمر ست وعشرين سنة في هذه المناطق، جاء فيها ما نصه:

«من الغريب أنّ رجلاً أجنبياً لم يكن يعرف كلمة واحدة من لغة أهل البلد، ويتميّز بفكر أبعد ما يكون عنهم، يوضع مباشرة في منصب لا سيطرة لأحد عليه فيه، فيُلقي رغباته على جوقه تردّد: كلّ شيء تؤمر بيه إن شاء الله يصير»^(٢٨).

أدّى تولّي العسكريين مهام رجال السياسة وفي طباعهم إلقاء الأوامر من دون «اعتراض» و«الناس في العراق لم تألف هذه الحالات»^(٢٩). فالبنون الشاسع بين سياسة المحتلين وأخلاق العراقيين، ممّا كان عاملاً مهماً في

(٢٥) كان هؤلاء الضباط بلا خبرة في الإدارة، لذلك تعيّنوا على أثر التحاقهم بالإدارة المدنية مساعدين للحكام السياسيين في الشرطة، وقلعة سكر، والديوانية، وعفج، ومعظم موظفي الإدارة المدنية الآخرين كانوا من موظفي حكومة الهند المعتادين على إدارة مركزية مستقرة، وكان معظمهم من ضباط الجيش المعروف بالتيريتوريال «Territorial Army» (جيش المقاطعات) الذين جرى توظيفهم على إثر تسريحهم من الجندية. وجميع هؤلاء بلا سابق خبرة في الإدارة. محمد مهدي البصير، المصدر نفسه، ص ٦٥؛ عدنان هريز الشجيري، «النظام الإداري في العراق ١٩٢٠-١٩٣٩»، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٥.

(٢٦) فيليب ويلارد أيرلاند، المصدر نفسه، ص ٩٥؛ عبد الكريم العلوجي، الصراع على العراق من الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الأمريكي (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٧)، ص ١٣.

(٢٧) مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح، تقديم وتعليق: كامل سلمان الجبوري (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٨٦)، ص ٦٩.

(٢٨) مذكرات الكابتن مان، المصدر نفسه، ص ٢٣٢.

(٢٩) عبد الرزاق الحسني، أحداث عاصرتها، ط ٢ (بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٤)، ص ٢٩؛ علاء حسين عبد الأمير الرهيمي، الثورة العراقية الكبرى لعام ١٩٢٠ الذكرى المئوية الأولى، ص ٢٢.

إيقاظ العراقيين وتوحيد صفوفهم لمجابهة البريطانيين^(٣٠).

ولعلّ من المفيد هنا أن نضع بين أيدي القارئ الكريم، بعض من الأمثلة عن تلك السياسات الإدارية السيئة للبريطانيين في البلاد وما تمخّص عنها من ردود أفعال، أودت بحياة بعض من أولئك الضباط على أيدي شيوخ العشائر أو أبنائها؛ ثاراً لكراماتهم ومكاناتهم، ودفاعاً عن انتمايتهم ومعتقداتهم^(٣١)، كان منها على سبيل المثال لا الحصر ما قام به الميجر ديلي، الحاكم العسكري للواء الديوانية، حين فرض على كلّ رئيس عشيرة إلا يدخل مدينة الديوانية وهو راكب فرسه، بل عليه أن يترجل قبل دخول المدينة بمسافة، فضلاً عن فرضه على العشائر القيام بكري وتطهير جدول المليحة غرب الديوانية لا لغرض الزراعة بل لأجل التنكيل والانتقام وإذلال العشائر ورؤسائهم^(٣٢).

وكذلك إهانة العقيد لجمان^(٣٣) شيخ عشيرة زوبع الشيخ ضاري ظاهر محمود

(٣٠) مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح، ص ٦٩؛ كمال مظهر، صفحات من تاريخ العراق المعاصر: دراسة تحليلية (بغداد: مكتبة البديلي، ١٩٨٧)، ص ٧٢.

(٣١) إنّ الفرد العراقي بوجه عام، والعشائري بوجه خاص يعتزّ بكرامته الشخصية اعتزازاً كبيراً، لذا لا يتردّد في أن يجازف بحياته ويتعرّض للموت ثائراً لكرامته وقد كان الحكّام الترك يعرفون ذلك فيه ويدارونه، وهو أمر لم يدركه الحكّام والبريطانيون. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٧٧)، ج ٥، ص ٢٨؛ صفحات من مذكرات السيد سعيد كمال الدين أحد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠، تحقيق: كامل سلمان الجبوري (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٨٧)، ص ١٣.

(٣٢) كامل سلمان الجبوري (تحقيق)، المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٣٣) جيرارد إيفلين ليتشمان (١٨٨٠/٧/٢٧ - ١٩٢٠/٨/١٢): ولد جيرارد إيفلين ليتشمان في بترسفيلد بمقاطعة هامبشاير، التحق بأكاديمية ساندهيرست عام ١٨٩٨. عُيّن عام ١٩٠٠ في اللواء الملكي ساسكس، اشترك في حرب البوير، انتقل بعدها إلى الهند عام ١٩٠٩، تمّ تعيينه كضابط سياسي في بلاد ما بين النهرين، أجاد اللغة العربية الفصحى، قُتل على يد الشيخ ضاري الزوبع في الفلوجة عام ١٩٢٠. للمزيد أنظر: Norman Napier Evelyn Bray, *A paladin of Arabia; the biography of Brevet Lieut.-Colonel G. E. Leachman, C.I.E., D.S.O., of the Royal Sussex regiment* (London: J. Heritage, The Unicorn press Ltd, 1936).

(٣٤) ضاري ظاهر (١٨٤٨-١٩٢٨): شيخ عشيرة زوبع، اشتهر إثر قتله الضابط البريطاني في لواء الدليم ليجمن، وهو أمر اضطره إلى الفرار والتخفي حتى تمّ إلقاء القبض عليه عام ١٩٢٧، وتمّت محاكمته وإعدامه بتاريخ ١٩٢٨/٣/١، للتفاصيل انظر: عبد المنعم الغلامي، الضحايا الثلاث (الموصل: مطبعة الهدف، ١٩٥٥)، ص ٥٣-٧٢.

الزوبعي^(٣٤)، وهو أمر أثار حفيظة الأخير، فأقدم على اغتيال لجمان في مدينة الفلوجة^(٣٥)، ومن ذلك ما ذهب إليه أحد شهود العيان على تلك السياسيات والتعاملات السلبية للبريطانيين مع العراقيين، وهي تعاملات وعلى حد تعبيره أطاحت بكرامات الناس وباتت «تُداس بالأقدام»، وحقوقهم تُغتصب، ومُقدساتهم تُهان، والشريف أصبح «وضيعاً»، والوضع شريفاً^(٣٦) وهو أمر دفع إلى تأسيس حزب الاستقلال^(٣٧)، على حدّ تعبير أحد الباحثين، مبيناً أن السياط التي رآها تتلوى على رؤوسهم وظهورهم في أحد أسواق بغداد المزدحمة كانت دافعاً إلى تأسيس الجهود الوطنية وتنظيمها في مواجهة الإدارة البريطانية^(٣٨).

وعلى ما يبدو أنّ العديد من الضباط البريطانيين في إدارة الانتداب في العراق، لم يتوافقوا مع الرأي الموضوعي إلى حدّ ما مع رأي مس بيل، وكان منهم، على سبيل المثال لا الحصر، ضابطُ الاستخبارات البريطانية والمؤرخ في الشأن العراقي ستيفن هيمسلي لونغريغ^(٣٩) (Stephen Hemsley Longrigg)، كان بين أسباب الثورة، أو ما أسماه على وفق نصّ تعبيره «بالتمرّد»، كان جزءاً من رغبة العشائر في

(٣٥) قتل الكابتن الجمان في ١٢/٨/١٩٢٠ على أثر إهانة الشيخ ضاري، شيخ عشيرة زوبع. للمزيد من التفاصيل انظر: عبد الجبار العمر، مصرع الكولونيل لجمان (بغداد: دار القاسية للطباعة، ١٩٨٣)؛ هـ. سنت جون فليبي، القضاء العراقي مصرع الكولونيل لجمان (بيروت: دار الكشاف، ١٩٥٠)، ص ٧؛ علي الوردي، المصدر نفسه، ص ٣٢؛ رسالة غير تروّد بيل إلى أبويها في ١٠/١٠/١٩٢٠.

(٣٦) طالب مشتاق، أوراق أيامي، ١٩٥٨-١٩٥٠ (بيروت: دار الطليعة، [د. ت.]), ص ٧١.

(٣٧) حزب الاستقلال: جمعية وطنية سياسية عراقية تأسست نهاية شباط ١٩١٩ وضمت في عضويتها كلاً من: محمد الصدر، جعفر أبو التمن، علي البازركان، يوسف السويدي، وآخرين، عملت ضد الاحتلال البريطاني للعراق، للمزيد من التفاصيل عن هذه الجمعية ينظر: عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٥٦-٥٩.

(٣٨) عبد الجبار العمر، المصدر نفسه، ص ٥٥ - ٥٦.

(٣٩) ستيفن هيمسلي لونغريغ (٧/٨/١٨٩٣-٩/١١/١٩٧٩): ولد في سيفينوكس التابعة لمقاطعة كنت في بريطانيا، تلقى تعليمه في مدرسة هايغيت وكلية أوريل بجامعة أكسفورد، خدم في اللواء الملكي ورويكشاير خلال الحرب العالمية الأولى قبل أن يعود إلى أكسفورد لإكمال دراسة الماجستير، لينضم بعدها إلى الإدارة البريطانية في العراق، وخدم كمفتش عام للإيرادات للمدة ١٩٢٧-١٩٣١، ألف كتاب «أربعة قرون من العراق الحديث» عام ١٩٢٥، انضم إلى شركة النفط العراقية وظلّ يعمل فيها حتى تقاعده في عام ١٩٥١. للمزيد أنظر: Jeffrey R. Macris, *The Politics and Security of the Gulf* (London: Taylor & Francis, 2010), p. 302.

النهب والسلب وعدم الانصياع لأحكام السلطة التي لطالما كانوا رافضين الانصياع لها منذ العهد العثماني، مع عدم نُكرانه للدفاع الوطني، إلى جانب تحميله الإدارة البريطانية التي وصفها بـ«الخرقاء» أسباب اندلاعه في صيف ١٩٢٠^(٤٠).

كما أشار عددٌ من الباحثين والمعنيين بتاريخ الثورة إلى أن أحد أسبابها هو «العامل الاقتصادي»، عادين السياسة الضرائبية على الأرض الزراعية في البلاد إحدى عوامل اندلاعها الأساسية، إلى جانب أنّ إدارة الاحتلال، ومن ثمّ الانتداب البريطاني، كانا بحاجة إلى إعادة تأهيل الاقتصاد، ومحاولة جعل وجودها أقلّ تكلفاً بالنسبة للحكومة في بريطانيا، وكانت الإدارة الجديدة حازمةً في أساليب جمع الضرائب، لذا سعت إلى تحقيق أهدافها من خلال «تحذير» ملاك الأراضي من أنّهم إذا لم يزرعوا أراضيهم، فستتولى الحكومة إدارتها، ولن يتمّ تقديم أي ضمانات بخصوص استعادة الأرض^(٤١).

لم تتحدّث التقارير البريطانية حتى الثُلث الأول من عام ١٩٢٠ عن أي مشاكل مع العشائر في منطقة الفرات الأوسط، بل على العكس منه فقد أشارت التقارير البريطانية^(٤٢) إلى التعاون، وأنّ المشاكل الطارئة كانت تُحلّ بيسر وسهولة بهذا الخصوص، كما أنّها أكّدت أنّ عشائر المنطقة لم ترفض سلطتها، وقد أكّد ذلك كلّ من «أي. تي. ولسن» و«مس بيل»، مشيرين إلى استتباب الأوضاع واستقرارها إلى حدّ ما^(٤٣).

وبيّنت بعض تقاريرهم المرفوعة إلى وزارة الخارجية البريطانية هذه المضامين، فعلى سبيل المثال لا الحصر، كتب بيرسي كوكس في تقريره المرفوع إلى وزارة الخارجية بتاريخ ٢٩ تموز ١٩٢٠ ما نصه:

«لا أعتقد أنّ الشوار لهم أيّة ظلامّة زراعية، فالضرائب خفيفة العبء، والحاصلُ

(٤٠) ستيفن همسلي لونكريك، المصدر نفسه، ص ١٩٩.

Rafael Rene Ortega Fabal, op. cit., p. 31.

(٤١)

(٤٢) برقية برقم ٧٨٢٣ بتاريخ ١/٧/١٩٢٠ من الحاكم السياسي العام في العراق إلى وزارة الهند: «إنّ دفع الضرائب الآن أصبح أكثر انتظاماً من ذي قبل، وبات الوضع في المنطقة أكثر اعتياداً ولا سيّما في الفرات الأوسط، وهنالك تحسّن متواصل في الوضع في جميع مناطق الشيعة». للمزيد من التفاصيل انظر: مؤيد الوندائي، العراق من الإعلان البريطاني-الفرنسي...، ص ١٢١.

(٤٣) وميض جمال عمر نظمي، المصدر نفسه، ص ٣٧٤.

جيداً، ولو كانت هناك ظُلامات من هذا القبيل لما اقتصرَت الاضطرابات على المناطق الشيعية الواقعة في متناول النجف وكربلاء، ولا شك في أنَّ العشائر لا تزيد رغبتها في عدم دفع الضرائب على رغبة سائر الناس في هذا الشأن، لكن هذا لم يكن سبباً للثورة لو لم نكن نحنُ ضُعفاء»^(٤٤).

وعلى ما يبدو أنَّ ما ذهب إليه أولئك الباحثين في أنَّ العامل الاقتصادي «الضريبي» كان سبباً أساسياً في اندلاع الثورة، لم يكن منسجماً تماماً مع ما ذهب إليه الوثائق البريطانية التي نصّت مضامينها على «إلغاء ضرائب أساسية» و«تأجيل» أخرى، فضلاً عن منح العديد من عشائر الفرات الأوسط وجنوب البلاد ومختلف مناطق العراق حُرية ملموسة في إدارة شؤونها من ضمن مناطقها، ولأهمية الموضوع من جهة، وطبيعة الإجراءات الضريبية البريطانية في مرحلة ما قبل الثورة من جهة أخرى، نقتبس فقرات واضحة في دلائلها من تقرير بعثة وزير الدولة لشؤون الهند في ٤ آب ١٩٢٠، يفند فيه العامل الضريبي في اندلاع الثورة، فمما جاء فيه:

«تم إلغاء الضرائب الرئيسية التي تمّ جمعها من قبل العُثمانيين، وهي ضريبة الممتلكات، وضريبة المهن، وضريبة النفقات العامة، وضريبة تحويل الخدمة العسكرية. ولم يتم فرضُ ضرائب جديدة»... «بالنسبة للإيرادات الزراعية، لم يتم فرض معايير الإنتاج العُثمانية للحصاد في الأراضي التي وجدت أنها زائدة، وتم تخفيضُ نسبة المحصول الذي يتمّ الحصول عليه من الإدارة بشكل عام من ٢٥٪ إلى ١٢٪ مقارنةً بالحصة التي تمّ الحصول عليها من قبل العُثمانيين، لذا فإنَّ العبء المتزايد سيقع على الجهد البريطاني لتعويض العجز. ولا بدّ من الإشارة إلى أنَّ جمع الضرائب في الفرات الأوسط خاصة كانت بدون تأخير أو صعوبة»^(٤٥).

وأوضح آخرون أنَّ «خنق الحريات العامة» والرقابة المُشدّدة عليها من قبل البريطانيين كان سبباً مهماً في تحفيز الشعور الوطني والنهوض بوجه الوجود البريطاني؛ لذا سعت إلى إحكام قبضتها على الصحافة المُعارضة في البلاد. ولعلَّ هذا ما يفسّر لنا. ردّة فعل الثُخب المُثقف والسياسية العراقية وقيامها بتأسيس ثلاث

(٤٤) أرنولد ويلسن، الثورة العراقية، ص ١٤٩-١٥٠.

(٤٥) The National Archives' reference, Circulated by the Secretary of State for India., CAB 24/110/49, p. 1.

صُحِفَ سياسية على أثر اندلاع الثورة^(٤٦)، منها جريدة الاستقلال البغدادية، وجريدتا الاستقلال والفُرات النجفيتين، وكانت جميعُها لسان حال الثورة ومجرياتها، بل وجهازها الإعلامي الواعي لمعطيات هذا الحراك السياسي الكبير^(٤٧).

إنَّ العواملَ والأسبابَ الآتفةَ الذكر، وبغضِّ النظرِ عن مدى إسهامها الفاعل في تأجيج الأوضاع داخل البلاد ضد الوجود البريطاني، ومدى دفعها في تفجيرها بثورة عارمة، شكَّلت بمجموعها، عاملاً أساسياً وفاعلاً، لا يُمكن «تحييد» أو «تجسيم» أثره في اندلاعها، والمتمثِّل بالشعور الوطني الصادق في الخلاص من ربة الاحتلال أو الانتداب البريطاني، والمضي قدماً في حرية البلاد واستقلالها، وإدارتها من قبل أبنائها بحُكم وطني دستوري ديمقراطي. ومن المهمَّ بمكان أن نورد هنا شيئاً مما كتبه توماس إدوارد لورنس^(٤٨) (Thomas Edward Lawrence) المعروف بلورنس العرب

(٤٦) أنشأ محمد باقر الشبيبي جريدة الفرات في النجف الأشرف، وهي جريدة أسبوعية سياسية أدبية تاريخية، وبرز عددها الأول في يوم السبت ٨/٧/١٩٢٠، وتوارت عن الأنظار بعد صدور عددها الخامس في ١٥/٩/١٩٢٠. كما أصدرت النجف الأشرف ثاني صحف الثورة جريدة الاستقلال، وهي جريدة سياسية أدبية اجتماعية، أصدرها رئيس تحريرها محمد عبد الحسين الكاظمي إثر احتجاب جريدة الفرات، صدر العدد الأول لها في ١/١٠/١٩٢٠، وصدر منها ثمانية أعداد، فيما صدرت رصيفتها جريدة الاستقلال في بغداد على يد رئيس تحريرها عبد الغفور البديري في ٢٨/٩/١٩٢٠، وهي جريدة يومية عربية حرة. للمزيد من التفاصيل انظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الصحافة العراقية في ربع قرن ١٩٠٨-١٩٣٣، ط ٣ (مطبعة العرفان: صيدا، ١٩٧١)، ص ٦٠، ٨٠-٨١؛ كمال مظهر أحمد، صفحات من تاريخ العراق المعاصر، ص ٧٨. عبد الرسول حسين وعدنان حسين، صحافة ثورة العشرين وموقف صحف بغداد من الثورة (بغداد: مطبعة دار السلام، ١٩٧٠)؛ هاشم أحمد نعيمش، «صحافة النجف ١٩١٠-١٩٦٨»، رسالة ماجستير، جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٥، ص ٦٢؛ صالح محمد حاتم، «صحيفة الاستقلال في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠ - ١٩٣٢»، رسالة ماجستير، بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٥، ص ٣٧.

(٤٧) حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز أو الشرارة الأولى لثورة العشرين (بغداد: دار الحرية، ١٩٧٥)، ص ٢٣٣.

(٤٨) توماس أدوارد لورنس (١٨٨٨-١٩٣٥): ولد في تريمادوك في ويلز، ينتمي إلى أسرة نبيلة، كان والده من كبار مُلاك الأراضي في إيرلندا، دخل في عام ١٨٦٩ المدرسة العالية في أكسفورد، حصل عام ١٩٠٧ على منحة دراسية لدراسة التاريخ من «كلية يسوع»، أحبَّ المطالعة والقراءة، وأجاد عدَّة لغات إلى جانب لغته الأم، أكمل دراسته العليا في جامعة أكسفورد، زار العديد من مناطق الشرق الأوسط (سوريا، لبنان، فلسطين، مصر) خلال الأعوام (١٩٠٨-١٩١٣)، أسهم وبصورة فاعلة في التنظيم الميداني للثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦. للتفاصيل انظر: حسام علي محسن المدامغه، لورنس والقضية العربية ١٨٨٨-١٩٣٥ (دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ص ١٧-٥٦.

في مقالٍ نشره لصحيفة التايمز اللندنية في معرضِ ردّه على أحد أعضاء مجلس العموم البريطاني بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٢٠، له مغزاه الواضح في تحديد هدف «الاستقلال» دافعاً أساسياً في قيام الثورة، إذ جاء فيه ما نصه:

«... إن العرب لم يخاطروا بحياتهم في المعارك من أجل تغيير الحكومة، أو ليصبحوا مواطنين بريطانيين أو مواطنين فرنسيين، ولكن «البحث عن الاستقلال». لذا لا عجب أن ينفذ صبرُ العراقيين بعد سنتين من الاحتلال، فإنّ الحكومة التي أقمناها هناك إنكليزية الطابع وتدير أمورنا باللغة الإنكليزية. لذا فهناك ٤٥٠ موظفاً تنفيذياً يديرونها وليس فيها أي فرد من أبناء البلاد»^(٤٩).

عموماً، إنّ جدلَ الباحثين بخصوص أسباب الثورة وعواملها قد تباينت وتنوعت، وهو أمرٌ حدا ببعضهم إلى اعتبارها جزءاً من ثورة الشريف حسين في الحجاز ضد العثمانيين^(٥٠)، بينما أشار الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد إلى أنّها كانت متممةً لأحداث دير الزور وتلعفر^(٥١)، وراح آخرون في الإشارة إلى العامل الاقتصادي^(٥٢) وراء اندلاعها، وغالى آخرون بتمجيد عشيرته من دون سواها^(٥٣)، كما

The Times, 23/7/1920, p. 15.

(٤٩)

(٥٠) يرى ناجي شوكت أنّ الثورة العراقية كانت جزءاً متمماً للثورة العربية الكبرى، ويؤكد هذا الدكتور عبد الله فياض أيضاً، إذ يقول بأنّ من الدلائل التي تشير إلى تأثير ثورة الحجاز في العراق أنّ شيوخ العشائر في منطقة الفرات الأوسط كانوا عند نشوب الحرب العالمية الأولى على اتصال مع الشريف حسين، وعندما أجري الاستفتاء عام ١٩١٨ عقد اجتماع كبير في بغداد طالب فيه المجتمعون بتأسيس دولة عربية برأسها أحد أنجال الشريف حسين، فضلاً عن دور بعض الضباط العراقيين الذين اشتركوا في ثورة الشريف حسين وتأثيرهم في العراقيين فيما بعد. للتفاصيل انظر: حيدر خلف العكيلي، الثورة المفترى عليها - ثورة العشرين في مذكرات رجالها (بغداد: مكتبة عدنان، ٢٠٢٢)، ص ٢٦.

(٥١) كمال مظهر أحمد، دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية (بغداد: مطبعة الحوادث، ١٩٧٨)، ص ٤٧؛ IOR MIL/1715/42, Military Report on Mesopotamia, 1922, 32-35; FO 406/44, Report on the Recent Attack in Tal Afar, 559.

(٥٢) ل. ن كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة: عبد الواحد كرم، ط ٢ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥)؛ وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق؛ محمد حسن سلمان، طلائع الثورة العراقية العامل الاقتصادي في الثورة العراقية الأولى، ط ٢ (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٨٧)؛ عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى.

(٥٣) فريق مزهر آل فرعون، المصدر نفسه؛ كريم برهان الجنابي، دور الجنابيين في ثورة العشرين (بابل: [د. ن.], ٢٠١٥).

في كتاب **الحقائق الناصعة**^(٥٤) بل جانب الحقيقة بعضٌ منهم قفزاً على حقائق التاريخ، على حدّ تعبير من عاصرها^(٥٥)، فيما عدّها آخرون دفعاً باتجاه العامل القومي، عادين أنّه العمود الفقري للثورة^(٥٦).

فيما ثبتّ آخرون دوافع شخصية^(٥٧) وراء اندلاع الثورة، وهو رأيٌ غريبٌ من نوعه، ويجانب الموضوعية تماماً في تحديد الأسباب العملية في قيام الثورة، ونظر بعضهم الآخر إلى أنّ الثورة نتاجٌ لحركة النجف عام ١٩١٨^(٥٨). ولعل ذلك التباين والاختلاف في الرأي راجع إلى اختلاف مشارب الكُتّاب وانتماءاتهم من أشخاص وجماعات بحسب ثقافتهم وعقائدهم ومآربهم، لذا فإنّ ثورة العشرين من منطلق قانون الترابط بين الأحداث وتطوّراتها، لم تكن ببعيدة عن مجريات أحداث الداخل ومعطياته، إلى جانب التأثير بالتطوّرات الإقليمية، وخاصةً في العالمين العربي والإسلامي^(٥٩).

نخلص من ذلك كله إلى أنّ دوافع الثورة لم تكن لأسباب إدارية نابذة عن جهل السلطات الحاكمة بعادات العراقيين وتقاليدهم، أو اقتصادية أو ضرائبية، بقدر ما كانت عوامل مساعدة للعامل الأساس «هدف الاستقلال»، وليست أساسية في اندلاع

(٥٤) اطلق جعفر الخليلي، فراتي، على الكتاب اسم «الحقائق غير الناصعة» بعد أن نحى فريق مزهر آل فرعون باللائمة على كل من محمد مهدي البصير، وعبد الرزاق الحسني، وأمين سعيد «لأنّهم وثّقوا أحداث ثورة عام ١٩٢٠ «كل حسب غايته». فراتي، على هامش الثورة العراقية الكبرى (بغداد: شركة الشر، ١٩٥٢)، ص ٢٤.

(٥٥) حاول الشيخ فريق مزهر آل فرعون أن يمتاز عن بقية رجال الثورة بالقول: «وإذا بأكثرية الثائرين تلين وفي طليعة الثابتين على مبدئهم عبد الواحد الحاج سكر، وإذا بالبعض يستهوي قلوبهم الذهب غير عبد الواحد»، ويرى فراتي، أن تبعيض فريق مزهر آل فرعون من جهة وتعميمه، من جهة أخرى، حين تستثني الحاج عبد الواحد وحده من دون جميع الثوار ليست أقلّ مصيبة من هذه الظليمة. حتى أنّ الحاج عبد الواحد استاء بنفسه من كلام فريق آل فرعون. فراتي، المصدر نفسه، ص ٣٥-٣٦.

(٥٦) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق.

(٥٧) رشيد الخيون، لاهوت السياسة: الأحزاب والحركات الدينية في العراق (بيروت: دار الجمل، ٢٠٠٩).

(٥٨) Copy Telegrams between Balfour, Political Officer Najaf to A.T. Wilson
Political Baghdad: 303/2/33-34; 303/2/51-52; 303/2/42-43, 303/2/44; 303/2/45-46; 303/2/64.

(٥٩) كمال مظهر أحمد، ثورة العشرين في الاستشراق السوفييتي (بغداد: مطبعة الزمان، ١٩٧٧)، ص ٤٧.

الثورة، وقد وجد الباحث من المفيد أن يعرّج على أهم تطورات الثورة لتكتمل الصورة لدى القارئ الكريم.

ثانياً: إعلان الثورة وتطوراتها

مهّد بعض رجال الدين وشيوخ العشائر للقيام بالثورة بعد فشل السبيل السلمية، التي بدأت بالاتصال بالحسين بن علي^(٦٠)، ونجله فيصل بن الحسين^(٦١)، إذ عُدَّت تلك النشاطات من قبل بعضهم بمثابة المُقدمات الرئيسة لاندلاع الثورة^(٦٢).

وبادرَ البريطانيون بتشكيل «المجالس البلدية»، معتبرين إياها نوعاً من الحكم الذاتي والاستقلال السياسي من أجل احتواء مطالبهم الوطنية^(٦٣)، بدءاً بتشكيل مجلس «لواء النجف والشامية»^(٦٤) في كانون الثاني ١٩٢٠ بأمر من الميجر نوربري،

(٦٠) الشريف حسين بن علي (١٨٥٣-١٩٣١): ولد في إسطنبول وتلقّى علومه الأولى فيها، عاد إلى مكة في سن الثالثة من عمره وبقي في كنف عمّه الذي قرّبه إليه وأسند إليه بعض المهام. قاد الثورة العربية الكبرى بالتحالف مع بريطانيا ضد العثمانيين، نجح في تشكيل مملكة الحجاز بعد أن دعا إلى استقلال العرب عن الدولة العثمانية، نُفي إلى العقبة عام ١٩٢٤، للمزيد انظر: المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد ٣٣، العدد ١٣١، ٢٠١٥، ص ٦٨.

(٦١) فيصل بن الحسين (١٨٨٣-١٩٣٣): ولد في الطائف، تعلّم القراءة والكتابة في الحجاز ليسافر مع والده إلى إسطنبول عام ١٨٩٦، أجاد اللغتين التركية والإنكليزية وقليلًا من الفرنسية، فضلاً عن لغته الأم العربية، عاد بعدها إلى الحجاز ليتربّع عرش مملكة سوريا للمدة (١٩٢٠-١٩١٨)، ثم أبعد عنها بسبب معارضة فرنسا له، ثم رشّحه البريطانيون ملكاً على عرش العراق في آب ١٩٢١. اتخذ الوسطية في إدارته العراق سعيًا إلى استقراره والتخلّص من قيود الانتداب، ونجح في تحقيق ذلك عام ١٩٣٢. وافاه الأجل عام ١٩٣٣ في سويسرا إثر إصابته بسكتة قلبية. للمزيد من التفاصيل انظر: عبد المجيد كامل عبد اللطيف، «دور فيصل الأول في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ - ١٩٣٣»، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، معهد القائد المؤسس للدراسات القومية والاشتراكية العليا، ١٩٩٠؛ مير بصري، إعلام السياسة في العراق الحديث (لندن: دار الحكمة، ٢٠٠٤)، ص ٧-١٠.

(٦٢) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقوماتها ونتائجها، ١٩٢٣-١٩١٤ (بيروت: دار المؤرخ العربي، ٢٠٠٩)، ج ٣، ص ٦٨؛ حميد أحمد حمدان التميمي، السيد علوان الياسري الزعامة العشائرية والعمل الوطني: دراسة في سيرته ومواقفه الوطنية في تاريخ العراق المعاصر، ١٨٧٥ - ١٩٥١ (بيروت: العارف للمطبوعات، ٢٠١٣)، ص ١١٥-١٣٠.

(٦٣) مذكرات السيد محسن أبو طيخ، ١٩٦٠-١٩١٠ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١)، ص ٧٥.

(٦٤) ضم المجلس، على سبيل المثال لا الحصر: عباس الرفيعي، هادي النقيب، عبد المحسن شلاش، محسن أبو طيخ، عبد الواحد الحاج سكر، علوان الحاج سعدون، الحاج عبد الرحيم =

الحاكم السياسي للواء النجف والشامية^(٦٥).

تطوّرت الأحداث بصورة دراماتيكية إزاء الوجود البريطاني وتصاعدت معه اجتماعات «الخارج» و«الداخل» العراقي، وهو أمر دفع عدداً من العراقيين في دمشق إلى عقد مؤتمرهم العام يوم ٨ آذار ١٩٢٠^(٦٦) للمطالبة باستقلال البلاد^(٦٧)، تلاها عقد أول اجتماع سرّي في النجف الأشرف في آذار ١٩٢٠ بتوجيه من الشيخ محمد تقي الشيرازي بحضور عدد من العلماء ورؤساء العشائر، ليعتلى أثره عدة رسائل^(٦٨) إلى عدد من الوجهاء ورؤساء العشائر والشخصيات في عموم البلد بأطرافه الدينية المتعددة^(٦٩).

انتدب الشيخ محمد تقي الشيرازي الشيخ محمد رضا الشيباني^(٧٠) في ٢٦ أيار

= البوشهري، وسواهم. وعقد المجلس أول جلساته في ١٩٢٠/١/٢٥ والتي اقتضت مهامه على الصحة والزراعة والخدمات، إلا أنّ أعضاءه سرعان ما قدّموا استقالتهم، مذكرات السيد محسن أبو طيخ، المصدر نفسه، ص ٧٦-٧٧.
(٦٥) المصدر نفسه.

(٦٦) تألف المؤتمر العراقي من مندوبي بغداد وجنوبي العراق: جعفر العسكري، تحسين علي، سعيد الشخيلي، توفيق السويدي، ناجي السويدي، فرج عمار، سامي الأورفلي، جميل المدفعي، علي جودت الأيوبي، ثابت عبد النور، إسماعيل نامق، وغيرهم، للتفاصيل انظر قائمة أسماء أعضاء المؤتمر العراقي: مذكرات تحسين علي، ١٨٩٠-١٩٧٠، تقديم ومراجعة: صالح محمد العابد (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤)، ص ٩٥.

(٦٧) نادى المؤتمر في ١٨/٣/١٩٢٠ بـ«استقلال العراق» و«اتحاده بسوريا سياسياً واقتصادياً» مع التشديد على إسناد العرش العراقي إلى الأمير عبد الله بن الحسين ملكاً للبلاد. للمزيد من التفاصيل انظر: الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب (القاهرة: مطبعة الأيام، ١٩٣٧)، ص ٣١٦.

(٦٨) الرسالة الموجهة إلى الشيخ موحان الخير الله أحد شيوخ عشائر المنتفق في ٢٥ آذار ١٩٢٠. تلتها رسالتان بالمضمون ذاته أرسلها الشيخ الشيرازي في نفس اليوم إلى علي الفضل، والأخرى إلى أحد شيوخ بني سعد في المنتفق، وهو الشيخ نايف آل مشاري. للمزيد من التفاصيل انظر: علي الوردي، المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٦٩) عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي، «حركة التيار الإصلاحي النجفي ١٩٠٨-١٩٣٢»، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠٠٢، ص ٢٢٠.

(٧٠) محمد رضا الشيباني (١٨٨٩-١٩٦٥): هو أحد أفراد عائلة آل الشيباني النجفية المعروفة، عدّ الشيباني أحد رجال الفكر الأدبي والسياسي والعلمي، من مؤلفاته المذكرات الحقيقية عن ثورة ١٩٢٠، تسلّم منصب وزارة المعارف عامي ١٩٣٥، ١٩٤٨، عُيّن رئيساً للمجمع العلمي العراقي عام ١٩٥٢. للمزيد من التفاصيل عن حياته ودوره السياسي والفكري، انظر: علك عبد شناوه، «محمد رضا =

١٩٢٠ لحمل رسالتين، الأولى إلى الأمير فيصل بن الحسين^(٧١)، والثانية إلى الأمير علي بن الحسين^(٧٢)، ولي عهد مملكة الحجاز، تنفيذاً لبنود مُقرّرات المؤتمر المُنعقد في دار السيد علوان الياسري في ١٦ نيسان ١٩٢٠، خاصة ما تعلق بـ«تعريف سائر الأقطار العربية بأهداف العراق على الأخص القطر الحجازي وسيّده الملك حسين»^(٧٣)، بعد أن زوّد بالوثائق والمُستمسكات^(٧٤).

احتضنت النجف الأشرف اجتماعاً ثانياً في ٢٠ نيسان ١٩٢٠، ضمّ عدداً من رجال الدين البارزين وشيوخ العشائر والوجهاء، قرّر على أثره المجتمعون إرسال هادي زوين وعبد المحسن شلاش^(٧٥) إلى بغداد لبحث الوضع السياسي هناك مندوبين عن منطقة الفُرات الأوسط. وعلى أثر ذلك عُقد اجتماع موسّع آخر في

الشبيبي ودوره الفكري والسياسي حتى عام ١٩٣٢»، رسالة ماجستير، جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٢؛ علك عبد شناوه، محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي، ١٩٣٢-١٩٦٥»، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٧.

(٧١) شدّدت مضامين الرسالة على قضية الوحدة، ومما ورد فيها: «لا زلنا نسمع أنباء تفاديكم العظيم في سبيل إحياء الجامعة العربية التي هي عنوان المجد الإسلامي»، فضلاً عن مناشدته ضرورة إيصال صوت العراقيين ومطالبهم في الحرية والاستقلال إلى العالم الحر. وميض جمال عمر نظمي، المصدر نفسه، ص ٣٥١-٣٥٢.

(٧٢) تضمّنت رسالة الشيرازي إلى الأمير علي بن الحسين ذات المطالبات التي طالب بها أبيه الأمير فيصل في التشديد على الوحدة العربية والاستقلال من النفوذ البريطاني. علك عبد شناوه، محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري حتى عام ١٩٣٢، ص ٧٤.

(٧٣) كان من بينها: تأسيس جمعية «الجامعة الإسلامية» في النجف الأشرف، ولها فروع في سائر أنحاء العراق وقد حملت هدف توحيد الصفوف ولمّ الشمل وتحفيز الجماهير، وتحشيد الناس في الأماكن العامة، فضلاً عن الإيعاز إلى أفراد العشائر بعدم الطاعة التامة للحكومة في شؤون جباية الضرائب، والدعوة إلى العصيان المدني، وبث رسالة من الزعيم الروحي إلى سائر رؤساء العشائر بالتساند والتكاتف والعمل الاجتماعي السلمي على إنقاذ المسلمين وتخليص البلاد من محتتها، وتعريف سائر الأقطار العربية بأهداف العراق. للمزيد من التفاصيل انظر: فراتي، المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٧٤) عالية حسين علي، «محمد باقر الشبيبي: آراؤه ومواقفه السياسية حتى عام ١٩٣٢»، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ٢٠٠١، ص ١٢٠.

(٧٥) عبد المحسن شلاش (١٨٨٢-١٩٤٨): أحد التجار العراقيين المعروفين، شهدت داره عقد بعض الاجتماعات قبيل انطلاق ثورة العشرين، أسندت إليه مسؤولية رعاية الأسرى البريطانيين في النجف الأشرف آنذاك، وبعد الثورة تسّم حقيبة وزارة المعارف في الوزارة النقيبية الثالثة في تشرين الأول ١٩٢٢، توفي عام ١٩٤٨. للتفاصيل انظر: أمير أحمد رحيم الشمري، «عبد المحسن شلاش ١٨٨٢ - ١٩٤٨، دراسة تاريخية»، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠١٢.

بغداد بتاريخ ٢٢ نيسان ١٩٢٠، حضره أعضاء جمعية حرس الاستقلال وبين فيه السيد هادي زوين للمجتمعين استعداد أهالي الفرات الأوسط وتأهبهم لمقاومة قوات الاحتلال، مطالباً إياهم بتحديد مواقفهم^(٧٦).

في خضم هذه التطورات، عُقد مؤتمر سان ريمو^(٧٧) بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٢٠، وهو أمر أفضى بفرض الانتداب^(٧٨) البريطاني على العراق، وجاءت مقرراته مُناقضةً تماماً للتصريح (الفرنسي - البريطاني)^(٧٩) الصادر في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨. ممّا ولّد استياءً شعبياً واسع المدى^(٨٠)، وعلى أثر ذلك تم عقد الاجتماعات السرية للوقوف بحزم من مقررات مؤتمر سان ريمو^(٨١).

عُقد اجتماع سري ليلاً في ٣ أيار ١٩٢٠ في منزل السيد أبي القاسم الكاشاني^(٨٢)، حضره عددٌ من شيوخ العشائر ورجال الدين والوجهاء من مختلف

(٧٦) وميض جمال عمر نظمي، المصدر نفسه، ص ٣٧٣-٣٧٤.

(٧٧) مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠/٤/٢٥): مؤتمر دولي هام عُقد في مدينة سان ريمو في إيطاليا، هدف إلى مناقشة مستقبل الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الأولى وتحديد مصير المناطق التي كانت تحت الحكم العثماني. اتخذ المؤتمر العديد من المقررات والقرارات التي أثّرت في المنطقة بشكل كبير، ومن بين أبرزها: وضع العراق تحت الانتداب البريطاني. للمزيد من التفاصيل انظر: مجموعة من المؤلفين، الحكومة العربية في دمشق: التجربة المبكرة للدولة العربية الحديثة، ١٩١٨ - ١٩٢٠ (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢٠)، ص ٣٣١.

(٧٨) الانتداب (Mandate): نظام سياسي نصّت عليه المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم عام ١٩١٩، ابتدع فكرته الجنرال سمطس (Smuts)، رئيس وزراء جنوب إفريقيا عند نهاية الحرب العالمية الأولى، قُصد به وضع البلدان العربية التي تسكنها شعوب «غير الناضجة» سياسياً تحت إشراف بعض الدول المتقدمة ورعايتها بمراقبة عصبة الأمم ذاتها للنهوض بهذه الشعوب حتى تستطيع تولي زمام أمورها بنفسها. للتفاصيل انظر: أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ط ٣ (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٨)، ص ١٣٠.

(٧٩) التصريح (البريطاني - الفرنسي): جاء فيه «أن الحكومتين الفرنسية والبريطانية اتفقتا على تأسيس حكومات وطنية للشعوب المحرّرة التي هضم الأتراك حقوقها وترك لها الخيار في تأسيس حكوماتها حسب رغائبها». ينظر عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ص ٤٢؛ ج. لودر، القول الحق في تاريخ سورية وفلسطين والعراق، ترجمة: نزيه المؤيد العظم (دمشق: المطبعة الحديثة، ١٩٢٥)، ص ٥٣.

(٨٠) FO 371/5081, Baghdad Police Reports, January-June 1920, 10 April 1920.

(٨١) محمد باقر أحمد البهادلي، السيد هبة الدين الشهرستاني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية (بيروت: مؤسسة الفكر الإسلامي، ٢٠٠٢)، ص ١٦٦.

(٨٢) أبو القاسم الكاشاني (١٨٨٥-١٩٦٢): ولد في مدينة طهران في إيران، سافر إلى العراق =

مناطق الفرات الأوسط^(٨٣)، وتداول المجتمعون قضية الثورة المسلحة ضد الوجود البريطاني في العراق، فكانت هذه المسألة مثار جدل فيما بينهم، أيدها بعض وعارضها بعض الآخر، وتم الاتفاق أخيراً على ضرورة أخذ رأي الشيخ الشيرازي في هذه المسألة الخطيرة، فاختاروا خمسة مندوبين منهم لمقابلة الشيخ محمد تقي الشيرازي، واجتمع المندوبون الخمسة مع الشيرازي في منزله بتاريخ ٤ أيار ١٩٢٠ الموافق ١٥ شعبان ١٣٣٨ هـ^(٨٤).

إثر الاجتماع الآنف الذكر، أكد المندوبون الخمسة قدرتهم على حفظ الأمن والنظام في البلد، عند ذلك أجابهم الشيخ محمد تقي الشيرازي «إذا كانت هذه نيّاتكم وهذه تعهداتكم فالله في عونكم»^(٨٥). رافقت التحركات «النخبوية» إقامة تظاهرات سلمية ضد البريطانيين، وعقدت اجتماعات ولقاءات واحتفالات دينية، خاصة تلك التي انعقدت بجامع الحيدر خانة^(٨٦)، حضرها المسلمون من سنة وشيعة،

= مع والده السيد مصطفى الكاشاني في سن السادسة عشر ربيعاً من عمره، درس في النجف الأشرف، نال درجة الاجتهاد في ريعان شبابه، شارك في القتال ضد القوات البريطانية الغازية للعراق سنة ١٩١٤، عاد بعدها إلى إيران ووقف هناك ضد الأسرة البهلوية وضد الاستعمار الغربي لإيران. للمزيد من التفاصيل أنظر: عبد الرحيم محمد علي البخشايشي، كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٢)، ص ٢٣٩-٢٤٧.

(٨٣) كان من بين الحضور: نور الياسري، جعفر أبو التمن، عبد الكريم الجزائري، محسن أبو طيخ، عبد الواحد الحاج سكر، شعلان أبو الجون، عبد الوهاب الوهاب، هبة الدين الشهرستاني، وآخرين. عبد الرزاق آل وهاب، كربلاء في التاريخ (بغداد: مطبعة الشعب، ١٩٣٥)، ج ٣، ص ٥٩-٦٠.

(٨٤) علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٨٥) كامل سلمان الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقية الكبرى، ١٩٢٠ (بيروت: دار القارئ، ٢٠٠٥)، ص ٤٩، محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء (النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٤)، ج ٢، ص ٢١٦. محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ (بغداد: مطبعة التضامن، ١٩٧١)، ص ٢١٦.

(٨٦) جامع الحيدر خانة: جامع كبير وسط بغداد، له قبة من أكبر القباب في بغداد مع قبتين صغيرتين ومنارة باسقة، وكلها مغطاة بالكاشي الملون والمعرق مع فناء واسع تحيطه حجرات لطلبة العلم ممن يدرسون فيه. وله ثلاثة أبواب، اثنان منها على الشارع العام والثالث على الرزاق الشمالي للجامع الذي شيده الوحيه الشهير حيدر جلبي الشاهبندر، أبو مصطفى ابن الحاج محمد جلبي الشاهبندر، قبل عام ١١٠٠ هـ وسط أملاكه التي حوت معظم المحلة التي سميت باسمه حيدر خانة، =

مُعلنين بذلك عن وحدة الصف، عازمين على المواجهة، وهو أمر مثّل «تمرداً علينا»^(٨٧) يدلّ على قرب انفجار الثورة في العراق».

سعى «أرنولد ولسن» إلى عقد اجتماع في ٣ حزيران عام ١٩٢٠، حضره عدد من وجهاء بغداد^(٨٨) أكّد لهم فيه عزم حكومته على تأسيس حكومة وطنية في العراق، وفي الوقت نفسه أعلن أنّ بلاده مُلزَمة بتنفيذ مُقرّرات مؤتمر سان ريمو. ومما جاء في بيان أرنولد ولسن:

«لبريطانيا أن تفرض الانتداب على العراق، وأن الحكومة البريطانية بموجبه قد قررت ذلك، وعلى العراقيين قبوله»^(٨٩).

شعرت الإدارة البريطانية بضرورة إعادة انتشار قوّتها العسكرية خاصة في منطقة الفرات الأوسط تحسّبا لأي طارئ من شأنه أن يزعزع الوجود البريطاني فيها. لذا قام

= أي بيت حيدر، وعرف الجامع باسم المحلّة. ولأهمية هذا الجامع جدّد والي بغداد داود باشا عمارته عام ١٨٢٦. وحيدر جليبي هذا، وكنيته أبو مصطفى ابن الحاج محمد جليبي الشاهيندر. للمزيد أنظر: رؤوف البحراني، مذكرات رؤوف البحراني: لمحات عن وضع العراق منذ تأسيس الحكم الوطني عام ١٩٢٠ ولغاية عام ١٩٦٣ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٩)، ص ٥٢.

(٨٧) محمد طاهر العمري، تأريخ مقدّرات العراق السياسية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٧)، ج ٣، ص ٣٣٥.

(٨٨) برقية السير برسي كوكس برقم ٥٨٦١ بتاريخ ١٩٢٠/٦/٣ إلى وزارة الهند: قمت بتوجيه الدعوة إلى حوالي خمس وعشرين شخصية من النبلاء في المدينة، بما في ذلك يهود ومسيحيين ليكونوا حاضرين. لقد افتتحت اللقاء الذي جرى اليوم بكلمة نصّها متاح في برقيتي اللاحقة لهذه البرقية، والمندوبون الخمسة عشر حينها قدّموا وثيقة تضمنت المطالب التالية: التشكيل الفوري لمؤتمر بلاد النهرين ومقرّه بغداد وبهدف كتابة مقترحات لإقامة حكومة وطنية عربية لبلاد النهرين ومثلما تمّ الوعد به في الإعلان - البريطاني - الفرنسي، وأنّ سكّان بلاد النهرين أيضاً يطالبون بالحرية. ولقد طالبوا أيضاً بحرية الصحافة. وفي جواب من طرفي وعدت أن أطلب من حكومة صاحب الجلالة بتسريع الأمور قدر المستطاع، لأنّه من المحتمل في الوضع الحالي أن الاقتراح الذي يجب أن يقدّم لهذه البلاد، حتى لفترة محدودة، وهو دستور مؤقت لم تتم استشارتهم بشأنه، سيقابل من جانب القوميين بإعلان الاستقلال. مثل هكذا مقترحات يمكن أن تمثّل بوصفها مقترحات موازية للإعلان البريطاني - الفرنسي وهي مقترحات من شأنها أن تجعل الرأي العام يتشدّد ضدّها. للمزيد من التفاصيل أنظر: مؤيد الوندوي، العراق من الإعلان البريطاني-الفرنسي لسنة ١٩١٨ إلى ثورة عام ١٩٢٠، ص ١١٤-١١٥.

(٨٩) سلمان هادي آل طعمة، كربلاء في ثورة العشرين (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، ٢٠٠٨)، ص ٣٣.

الميجر بولي، الحاكم السياسي للواء الحلة، قيادة قواته بنفسه بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩٢٠ صوب كربلاء^(٩٠) وطوّقها بالمدافع الرشاشة، وأصدرَ أوامرهُ باعتقالِ عددٍ من المُعارضين في كربلاء^(٩١) ونفيهم إلى جزيرة هنجام^(٩٢)، وكان من بينهم محمد رضا نجلُ الشيخ محمد تقي الشيرازي^(٩٣)، فكان لهذه الخطوة البريطانية أثرها العميق في تأزيم المواقف واحتقان الواقع السياسي في البلاد ومنها الشطرة^(٩٤). وهو أمر دفع علماء النجف الأشرف إلى بعث رسالة بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٢٠ إلى آرنولد ولسن أكدت مضامينها ضرورة إطلاق سراح المحتجزين^(٩٥).

وجاءت قضية اعتقال الشيخ شعلان أبو الجون^(٩٦) على يد اللفتنان هيات

(٩٠) وميض عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣٧٥.

(٩١) استدعى الميجر بولي، حاكم الحلة السياسي، كلاً من الشيخ محمد رضا نجل الشيخ الشيرازي، والشيخ عبد الكريم العوَّاد، ومحمد شاه الملقب بالهندي، وأحمد القنبر، والشيخ هادي آل كمونة، والشيخ كاظم أبو ذان، والسيد محمد علي الطباطبائي، والشيخ عمر الحاج علوان، وإبراهيم أبو والده، وعبد المهدي القنبر، والسيد أحمد البير، وعثمان العلوان وأعرض ولسن عن طلب العلامة السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني لتحقيقه من إصابته بالرمد. فريق مزهر آل فرعون، **الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠: ونتائجها** (بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٩٥)، ص ١٥٦؛ سلمان هادي آل طعمة، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٩٢) جزيرة هنجام: جزيرة صخرية في الخليج العربي، تتميز بطقس صعب، فحرارتها مرتفعة وتزداد فيها نسبة الرطوبة، وتكثر فيها الحشرات. ينظر: فيليب ويلارد أيرلاند، **العراق: دراسة في تطوره السياسي**، ترجمة جعفر خياط (بيروت: دار الكشف، ١٩٤٩)، ص ٢٠٥.

(٩٣) جاء اعتقال الشيخ محمد رضا الشيرازي بتهمة أنّه كان قبض المال من الأتراك، كجزء من سياسة التشويه التي روّجت لها السياسة البريطانية يوم ذاك، والدليل على ذلك أنّه رفض أموالاً طائلة أرسلها له ولسن بوساطة أحد مساعديه وهو محمد حسن خان في التاسع من آب سنة ١٩١٩، كما اتهم الشيخ محمد رضا بأنّه كان يروّج للدعوة البلشفية في كربلاء. للمزيد من التفاصيل انظر: المس بيل، **فصول من تاريخ العراق القريب**، ص ٤٤٠؛ عبد الرزاق الحسيني، **الثورة العراقية الكبرى**، ص ٩٠؛ فيليب ويلارد أيرلاند، المصدر نفسه، ص ١٦٤.

(٩٤) عندما بلغ الشطرة نبأ تسفير الإنكليز لنجل الشيخ الشيرازي قامت الجمعية الإسلامية في الشطرة باستقدام كافة الزعماء، وكونت منهم وفود احتجاج يتقدّم الوفد تلو الوفد إلى الحاكم السياسي فيكلمونه بلغة السيف والنار، وهكذا تتابع الأعمال حتى إذا انطلقت رصاصات الرميثة تجمهرت القبائل في مدينة الشطرة، ممّا دفع بالحاكم الإنكليزي فيها من الهرب بطائرة عسكرية. فراتي، المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٩٥) محمد مهدي البصير، المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٩٦) شعلان أبو الجون (١٨٦٤-١٩٣٠): أحد شيوخ عشيرة الطولم، عارض العثمانيين =

(Lieutenant P. T. Hyatt)^(٩٧) نائب الحاكم السياسي في الرميثة، لتعلن عن انطلاق الثورة وتؤشر الشرارة الأولى بإشعال فتيلها في الرميثة بتاريخ 30 حزيران 1920.

وبإزاء تلك التطورات أرسلت الكتب^(٩٨) وعُقدت الاجتماعات في الفرات الأوسط، وكان من بينها، على سبيل المثال لا الحصر، الاجتماع الذي عُقد في مضيف الشيخ عبد الواحد الحاج سكر^(٩٩) في ١١ تموز ١٩٢٠، وقرروا على أثره توسيع عمليات الثورة، وفي ١٢ تموز رفعت راية السيد نور الياسري، وانطلقت الأهazيج وتقدمت جموع العشائر نحو أبي صخير لمحاصرتها. لذا عرضت السلطات

= والبريطانيين، إثر اعتقاله من قبل القوات البريطانية، وقد عد تاريخ تحريره من سجن البريطانيين بداية قيام الثورة في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠. للتفاصيل انظر: مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث (لندن: دار الحكمة، ٢٠٠٤)، ج. ٢، ص ٣٩٢.

(٩٧) وصفت المصادر البريطانية الملازم هيات (Lieutenant P.T. Hyatt) بكونه أحد الضباط المبتدئين وعديمي الخبرة في الإدارة المدنية، تولى منصبه في تشرين الأول ١٩١٩، وفي ٢٥ حزيران، أبلغ هيات رئيس فرقته الرائد سي. دالي، أنّ شعلان أبو الجون كان «يحرّض شعبه على التمرد» ويثير السخط، وطلب من دالي النصيحة حول كيفية التعامل مع الشيخ شعلان. وقد أبلغه دالي في اليوم نفسه أنّ عشيرته، الطوالم، قد رفعت أعلامهم (مما يدلّ على رفض طاعة الإدارة)، وبتفويض من ويلسون، أمره باعتقال الشيخ وإرساله بالسكك الحديد إلى الديوانية.

Ian Rutledge, *Enemy on the Euphrates: The Battle for Iraq, 1914-1921* (London: Saqi Books, 2015), p. 22.

(٩٨) منها كتاب السيد نور عزيز الياسري المرسل إلى مندوبي النجف والشامية يوم ٧/٨/١٩٢٠، أكد فيه ضرورة إطلاق سراح الميرزا محمد رضا الشيرازي نجل محمد تقي الشيرازي وجميع المنفيين الآخرين. عبد الشهيد الياسري، المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(٩٩) عبد الواحد الحاج سكر: ولد عام ١٨٨٠ في منطقة المشخاب، كان من بين الوجهات الاجتماعية التي شاركت في معركة الشعية عام ١٩١٥ ضد البريطانيين، فضلاً عن كونه أحد أبرز قادة ثورة العشرين. حكم عليه بالنفي خارج العراق إثر فشل الثورة، وأطلق سراحه عام ١٩٢١، كما كان من بين أعضاء المجلس التأسيسي العراقي لعام ١٩٢٤. توفي عام ١٩٥٦. للمزيد انظر: صالح عباس ناصر حسون الطائي، «عبد الواحد الحاج سكر ودوره الوطني في العراق حتى عام ١٩٥٦»، رسالة ماجستير، بغداد، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، ٢٠٠٣؛ ناجح عبد الحسين عبد علوان، الشيخ الواحد الحاج سكر ودوره السياسي في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ١٨٨٠-١٩٥٦، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠٠٤، ص ٣-٢٩؛ عبد الزهرة تركي فريح، الشيخ عبد الواحد آل سكر (النجف الأشرف: دار الضياء للطباعة، ٢٠٠٦)، ص ٢٠-٣٤.

البريطانية على الثوار إجراء مفاوضات وإيقاف القتال لمدة مؤقتة لفك الحصار عن الحامية، وقبل الثوار العرض هذا ووافقوا على الاجتماع معها شريطة اشتراك وفد النجف والشامية فيه^(١٠٠).

شرعت حامية أبي صخير يوم ١٨ تموز بالانسحاب صوب الكوفة بحماية الشيخ مزهر الفرعون، إلا أنَّ البريطانيين نقضوا وعودهم بمجرد وصولهم إلى حامية الكوفة بل إنهم لجأوا بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٢٠ إلى استعمال سلاحهم الجوي تجاه المُصلّين في مسجد الكوفة، إذ قصفت طائراتهم نيران رشاشاتها وقنابلها على مسجد الكوفة وعلى من فيه من أناس أبرياء عزّل من السلاح، الأمر الذي دفع بالثوار إلى تشديد حصارهم على القوات البريطانية المجتمعة في الكوفة^(١٠١)، وهو أمر دفع القيادة العسكرية البريطانية بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٢٠ إلى تصعيد المواقف، خاصّة بعد إصدار الأوامر إلى ثمانية آلاف من قوّاتها في الحلّة بالتحرك باتجاه الكفل، ومنها إلى الكوفة المقدسة^(١٠٢).

ما إن وصلت القوات البريطانية منطقة الرستمية^(١٠٣)، حتى باغتها الثوار من ثلاث جهات، دارت على أثرها معركة حامية استمرّت ست ساعات تشتّتت فيها القوات البريطانية، وتكبّدت خسائر كبيرة، وتمكّن الثوار من قتل أعداد كبيرة منهم وأسروا آخرين، وهو أمر اعتبرته الصحافة البريطانية «انتكاسة خطيرة»^(١٠٤)، حفزت

(١٠٠) عكاب يوسف الركابي، «علوان الياسري ودوره السياسي في تاريخ العراق المعاصر حتى العام ١٩٥١: دراسة تاريخية»، مجلة آداب البصرة، جامعة البصرة، العدد ٥٠، ٢٠٠٩، ص ٦٩.

(١٠١) عبد الجواد علي الكلدان، تاريخ كربلاء وحائر الحسين (النجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٦٧)، ص ٢٣٨.

(١٠٢) كامل سلمان الجبوري، الكوفة في ثورة العشرين، ص ١٠٧-١٠٨.

(١٠٣) عدت معركة الرانجية (الرستمية)، من المعارك الكبرى في ثورة العشرين، في ٢٥ تموز ١٩٢٠، التي جرت في جنوب مدينة الحلّة، تكبّد فيها البريطانيون خسائر كبيرة بالأرواح والمعدّات من رتل مانشستر، وكانت مكوّنة من قوات مشتركة، سرّيتين من الخيالة وفوج من المشاة مع بطرية مدفعية، وسريّة فنيّين ومستشفى ميداني. وعن طبيعة تلك المعركة الكبيرة، بنتائجها السياسية والعسكرية، وصفها المرّ هالدين بـ«فاجعة» لأنّها أوقعت فيهم خسائر قدرها بنحو ٢٠ قتيلًا وفق تقديرات البريطانيين، فيما قدّرها أرنولد ولسن بـ«١٨٠ قتيلًا»، وستين جريحاً وحوالي ١٦٠ أسيراً. وكان من نتائج الانتصار في تلك المعركة جلاء المحتلّين من مناطق عديدة في الفرات الأوسط من مثل المسيب والهندية، فضلاً عن التحاق عشائر الدغايرة وعفك بالثورة. للمزيد انظر: محمد مهدي البصير، المصدر نفسه، ص ٢١٨؛ عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٤٥-١٥٢.

(١٠٤) فصل الباحث ردود أفعال الصحافة البريطانية إزاء معركة الرستمية في الفصل العاشر.

الثوار على التوجه صوب الحلة، ليسيّطروا على طويريج في ٢٧ تموز، تلاها السيطرة على سدة الهندية^(١٠٥).

امتدّت نيران الثورة إلى منطقة الديوانية، نتيجة الإجراءات التعسّفية للقوات البريطانية ضد أهاليها، ممّا حدا بالعشائر في الديوانية على الاندفاع إلى صفوف الثوار^(١٠٦)، الأمر الذي اضطرت القوات البريطانية إلى تهيئة الانسحاب إلى الحلة إثر شكوك بدعم أمريكي للثوار^(١٠٧). فقام الثوار بعدّة هجمات ضدّها إلى جانب تدمير أجزاء واسعة من خطوط السكك الحديدية. وفي الخامس عشر من آب ١٩٢٠ استطاع الثوار الهجوم على الحامية البريطانية المنسحبة وقتل سبعة وعشرين من أفرادها. وواصلت القوّات البريطانية تقدّمها في ١٩ آب ١٩٢٠ إلى الحلة بعد أن مُنيت قوّاتها بخسائر متلاحقة على أيدي الثوار^(١٠٨). أمّا في جبهة كربلاء، أحد أبرز مراكز قيادة الثورة، فقد تمكّن أهاليها من السيطرة عليها وطرّد البريطانيين منها، إذ تمكّنوا من رفع إحدى رايات الثورة على دار بلديتها^(١٠٩).

في غمرة تصاعد الأحداث وتلاحقها توفي الشيخ محمد تقي الشيرازي في ١٧ آب ١٩٢٠، فأصدر شيخ الشريعة الأصفهاني بياناً نعى فيه الشيخ الشيرازي، مؤكّداً ضرورة شدّ العزائم ومتابعة الجدّ والنشاط للدفاع عن البلاد، كما تصدّى شيخ

(١٠٥) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقوماتها ونتائجها، ١٩١٤ - ١٩٢٣، ج ٤، ص ٦٨.

(١٠٦) للمزيد من التفاصيل عن خارطة العشائر العراقية آنذاك انظر: مؤيد إبراهيم ادهم الوندائي، عشائر وشخصيات في وثائق بريطانية (بغداد: مكتبة دار النهضة، ٢٠٢٤).

(١٠٧) ورد في إحدى الوثائق السرية أنّ شركة سوني النفطية كانت تموّل الحركة المناهضة لبريطانيا في بلاد ما بين النهرين، إذ من الواضح أنّ قنصل الولايات المتحدة أجرى محادثات متكرّرة ذات طبيعة حميمة مع المتطرفين، إلى حدّ أنّه في الاجتماعات الأخيرة في المساجد، كانت هناك صرخات أثارها المتطرفون مثل: «تحيا أمريكا وقنصلها» Telegram sent by the British Civil Commissioner in Baghdad, to the Secretary of State for Foreign Affairs, 3 August 1920.

IOR/L/PS/10/556, F. 29 Public Domain Creative Commons Licence.

(١٠٨) محمد صالح الزبيدي، سلام محمد علي، الثورة العراقية الكبرى لعام ١٩٢٠ الذكرى المئوية الأولى، وقائع مؤتمر كلية الآداب، جامعة الكوفة ٢٢-٢٣ تشرين الثاني ٢٠٢٠، ص ٢١٩.

(١٠٩) سلمان هادي آل طعمة، المصدر السابق، ص ٦١؛ رزاق كردي العابدي، كربلاء في سنوات الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ (بغداد: معهد التاريخ العربي، ٢٠٠٢).

الشريعة الأصفهاني للمرجعية العليا للحفاظ على زخم الثورة وعملاً بما تقتضيه مصلحة البلاد^(١١٠).

أسهم السير أرنولد ولسن في خلق حالة من الانشقاق في الرأي بين زعماء الثورة إثر عرضه للصالح في ٢٧ آب، فكان هناك من يطلب المفاوضة مع البريطانيين، ومنهم من كان يرفضها، إلا أن ردّ شيخ الشريعة أنهى الجدل بهذا الخصوص حين رفض العرض البريطاني، مذكراً إياهم بالمواقف السابقة للبريطانيين إزاء المفاوضات والمطالب المشروعة للعراقيين، تلك المطالب التي لطالما قوبلت بالقتل والسجن والنفي^(١١١).

تمكّنت القوات البريطانية في ٩ أيلول ١٩٢٠ من استعادة بعقوبة وشهربان في الوقت نفسه من دون قتال، فضلاً عن قيام السلطات البريطانية باعتقال ونفي معظم مندوبي بغداد والزعماء الوطنيين، فكان الأمر ضربةً عنيفةً توجّهها السلطة البريطانية نحو الرموز الوطنية في بغداد ممّن عُرف عنهم صلابة الموقف الرفض للوجود البريطاني^(١١٢).

أحرز البريطانيون نجاحات عسكرية متتالية في لواء الرمادي وديالى، مكّنتهم من القضاء على الثورة في ٢٨ أيلول ١٩٢٠، بل فرض على مشايخها توقيع مضبطة «وثيقة» استسلام لقواتها، وتناغم مع نجاحات القوات البريطانية وصول السير برسي كوكس في الأول من تشرين الأول إلى البصرة، متّصلاً برؤساء العشائر القريبة منها، وباحثهم حول تأسيس الحكومة المنشودة في العراق، ثمّ غادرهم يوم ٥ تشرين الأول ليصل إلى العمارة والكويت متوجّهاً إلى بغداد التي وصلها في ١١ تشرين الأول، حين ألقى كلمة في محطة القطر، شدّد فيها على عزم حكومته تأسيس حكومة عربية في العراق، مشدداً على أنّ ما يعيق مسعاها هذا هو استمرار الثورة،

(١١٠) جواد ظاهر، ثورة العشرين ثورة الشعب العراقي الكبرى عام ١٩٢٠، تصدير: حسين أمين (بغداد: مطابع شركة مجموعة العدالة للطباعة والنشر، ٢٠١٠)، ص ١١١.

(١١١) عبد الحسين الحلي، شيخ الشريعة: قيادته في الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، تحقيق: كامل سلمان الجبوري (بيروت: دار القارئ، ٢٠٠٥)، ص ٥٠.

(١١٢) صباح مهدي رميضي، عشائر ديالى في ثورة العشرين خصوصية الميدان وتقييم نتائج المواجهة الوطنية، وقائع مؤتمر كلية الآداب، جامعة الكوفة ٢٢-٢٣ تشرين الثاني ٢٠٢٠، ص ١٣٥-١٦٠.

مشيراً إلى تأجيل تأسيسها حتى تتوقف أعمال الثوار، وأذيع ذلك في منشور تمّ تعميمه على جميع طوائف العراق وعشائره^(١١٣).

وإزاء الجهد السياسي للسير برسي كوكس، شهدت كربلاء تحركاً عسكرياً بقيادة اللواء ٥٣ يوم ١٢ تشرين الأول باتجاه كربلاء، واستطاعت قواته احتلال منطقة طويريج، وعلى أثر ذلك اضطر أهالي كربلاء لإنهاء القتال وتسليم السلاح المطلوب، واستطاعت القوات البريطانية دخولها دونما مقاومة، وأخذت بتفتيش البيوت بحثاً عن المطلوبين، تلاها سيطرة البريطانيين على الكفل بعد معركة دامية، مواصلين الزحف صوب الكوفة، وفي أثناء وجودها في مقرّها الجديد، أرسلت النجف الأشرف في ١٨ تشرين الأول وفداً للتفاوض مع أمر اللواء، فكانت أولى مطالب البريطانيين تسليم أسراهم، فتّم إطلاقهم في اليوم التالي، وكان عددهم تسعة وسبعين بريطانياً وثمانية وثمانين هندياً، وأعلن بتاريخ ٢٠ تشرين الأول استسلام المدينة إلى القوات البريطانية من دون قيد أو شرط^(١١٤).

كان من نتائج تلك التطوّرات الطلب من عدد من وجهاء النجف الأشرف وبعض من رؤسائها الحضور إلى مقرّ الإدارة البريطانية في ١٦ تشرين الثاني، وتمّ تسليمهم جملة من الشروط والمطالب التي فُرضت على أهالي المدينة، وكان من بينها دفع «١٢٧٦» بندقية حديثة و«١٤٢٩» بندقية صالحة للاستعمال وثمانية رشاشات من طراز «لويس» ورشاشين من طراز «هو شكيس» مع ٢٠٠ ألف خرطوشة، وتسليم خمسة أشخاص للإدارة البريطانية، وفي أثر ذلك دخلت قواتهم إليها^(١١٥).

تمكّنت القوات البريطانية من السيطرة على الشامية في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ إثر قصف الطائرات البريطانية للمدينة^(١١٦)، وبعد أن سلّم أكثر الشيوخ ورؤساء العشائر أنفسهم صدر بيان رسمي في يوم ٢٦ تشرين الثاني أعلن فيه انتهاء المعارك

(١١٣) المصدر نفسه، ص ١٣٥-١٦٠.

(١١٤) كامل سلمان الجبوري، الكوفة في ثورة العشرين، ص ١٤٢.

(١١٥) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(١١٦) AIR 5/269, Air Staff, Re-remarks on Iraq Intelligence Summaries No. 51- 53 of September 19, September 26, October 29; AIR1/426/15/260/3; AIR1/426/15/260/3, Air Staff, "On the Power of the Air Force and the Application of That Power to Iraq Police".

في تلك المنطقة، وعقدت اتفاقية بين الطرفين في ٢٠ تشرين الثاني، كان من شروطها إقامة حكومة وطنية مستقلة في العراق، وإعفاء العشائر من الضرائب لعام ١٩٢٠، وعدم مطالبتهم بأي تعويض، وفي المقابل تعهد الثوار بحفظ الأمن والسلم في مناطقهم مع حماية خطوط السكك الحديدية التي تمرّ فيها^(١١٧).

كان للاستعمال المفرط للقوة تجاه الثوار في العراق قد بلغ مديات خطيرة، خاصةً بعد أن بات من العسير على قوات الاحتلال مقاومة عنفوان الثورة الممتد من أقصى الفرات الأوسط إلى جنوبه، فضلاً عن مدن ديالى وشمال العراق. لذا أشارت بعض الدراسات الحديثة إلى استعمال القوات البريطانية أسلحة غير تقليدية^(١١٨)، اشتملت على بعض الغازات السامة، على سبيل المثال غاز الكلور الحربي^(١١٩)، وقد تم إطلاقها عن طريق مقذوفات الطائرات الحربية، ولم تسلم المدن العراقية من هذا الاستعمال للأسلحة التي تمّ تحريمها دولياً.

جادل المؤرخون بشأن استعمال الأسلحة الكيميائية في بلاد ما بين النهرين عشية ثورته الكبرى عام ١٩٢٠، ومنهم على سبيل المثال الدكتور ريمون دوغلاس

(١١٧) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقوماتها ونتائجها ١٩١٤ - ١٩٢٣، ج ٣، ص ٣٥-٣٦.

(١١٨) استخدم السلاح غير التقليدي ضد العراقيين عام ١٩٢٠ في إطار إخماد الثورة الكبرى هناك، حيث استخدمت القوات البريطانية الغاز السام بشكل واسع في محاولة لكبح جماح الثورة العراقية. وفي شهر أيار/مايو من ذلك العام، قامت القوات البريطانية بإطلاق غاز الكلور على قرية في وادي العذيب بالقرب من الحدود العراقية-السورية، ممّا أدى إلى مقتل عدد كبير من المدنيين والجنود العراقيين. كما قامت القوات البريطانية بإطلاق غاز الخردل على العراقيين في مناطق متفرقة من البلاد. للمزيد من التفاصيل انظر: مادلين أولبرايت، الجبروت والجبار، ترجمة: عمر الأيوبي (بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٧)، ص ١٦٠-١٦١.

(١١٩) غاز الكلور الحربي (Chlorine gas): نوع من الأسلحة الكيميائية التي تستخدم في الحروب والنزاعات. يعتبر الكلور غازاً ساماً يستخدم للإصابة والقتل وإحداث ضرر جسيم على المدنيين القصير والطويل. يتم استخدامه في شكل غاز سام يسبب تأثيرات صحية خطيرة على الأفراد، ويعمل عن طريق التفاعل مع الأغشية المخاطية والجهاز التنفسي للأفراد المعرضين له. يسبب التعرض للكلور الحربي حروق في الجهاز التنفسي والعيون والجلد، ويمكن أن يؤدي إلى ضيق التنفس والاختناق والوفاة في حالات الاستنشاق الشديد. يرجع تاريخ استخدامه كسلاح إلى الحرب العالمية الأولى، حيث استخدمته القوات العسكرية البريطانية في عدة معارك. للمزيد انظر: جايلز ميلتون، استخدام ونستون تشرشل المروّع للأسلحة الكيميائية، صحيفة الإنديبنندنت، ٢٠١٣/٩/١.

(Raymond Douglas) ^(١٢٠) الذي استند إلى الكثير من الحقائق التي تثبت استعمال بعض الغازات السامة ضد العشائر في بلاد ما بين النهرين عام ١٩٢٠، وكان من بين أبرزها إشارته إلى استعمال القوات البريطانية للأسلحة الكيميائية ضد العراقيين بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة استناداً إلى وثيقة نُسبت إلى أحد كبار الضباط البريطانيين ^(١٢١)، حين استشهد برسالة تعود إلى عام ١٩٢١ من مسؤول في وزارة الطيران البريطانية يقول فيها إن: «قذائف الغاز استخدمت ضد المتمردين العرب «بتأثير أخلاقي ممتاز»، وهو يرى أنّ الأثر الأخلاقي يشير إلى موافقة وزارة الطيران البريطانية على استخدام القنابل الغازية السامة» ^(١٢٢).

ويشير الباحث الأمريكي دوغلاس إلى رفض وزارة الحرب البريطانية قبل عام ١٩٢٠، لطلبات القادة الميدانيين باستعمال الغاز في بلاد ما بين النهرين المحتلة. وهو يعتقد أنّ هذا الأمر قد تغيرَ بعد حزيران ١٩٢٠، عندما اندلع تمرد عربي منظم، وأعطى السير ونستون تشرشل ^(١٢٣)، وزير الحرب، القادة الميدانيين الإذن باستعمال «المخزونات الموجودة» من قذائف مدفعية الغاز المسيل للدموع. ويضيف الدكتور دوغلاس قائلاً:

«توقعاً لتجدد الأعمال العدائية، طلب قائد في سلاح الجو الملكي الإذن في

(١٢٠) ريمون دوغلاس: أستاذ التاريخ البريطاني في جامعة كولغيت في الولايات المتحدة الأمريكية، حاصل على شهادة بكالوريوس، جامعة دبلن، ١٩٨٧؛ ثم الماجستير من جامعة ولاية أوهايو عام ١٩٨٩؛ والدكتوراه من جامعة براون عام ١٩٩٦. حاصل على شهادات وجوائز عدّة منها، على سبيل المثال لا الحصر: جورج ديهيو بوشيريس (ألمانيا) عام ٢٠١٤. جائزة جورج لويس بير (أفضل كتاب في التاريخ الأوروبي الدولي) عام ٢٠١٣. جائزة هانز روزنبرغ للكتاب (أفضل كتاب في تاريخ أوروبا الوسطى) عام ٢٠١٣. للمزيد من التفاصيل أنظر الموقع الرسمي لجامعة كولغيت على الرابط التالي: <<https://www.colgate.edu/about/directory/rdouglas>> .

R. M. Douglas, "Did Britain Use Chemical Weapons in Mandatory Iraq," *The Journal of Modern History*, Vol. 81, No. 4, December 2009, p. 862.

The Independent: 11/8/2006, p. 6.

(١٢٢)

(١٢٣) صرح ونستون تشرشل في ١٢/٦/١٩١٩ بأنّه: «يؤيد بشدة استخدام الغازات السامة ضد القبائل غير المتحضرة». للمزيد من التفاصيل انظر: Richard Langworth, *Churchill by Himself: The Definitive Collection of Quotations* (London: Curtis Brown Ltd., 2008), p. 189.

عام ١٩٢٢ لتحويل قذائف المدفعية غير المستخدمة إلى قنابل يمكن إسقاطها من الطائرات. وافق تشرشل على الطلب، لكنه اضطر إلى إلغاء إذنه بعد أيام فقط عندما أصدر مؤتمر نزع السلاح في واشنطن قراراً يحظر استخدام الغاز السام^(١٢٤).

ثالثاً: نتائج الثورة ومعطيات مفهومها

تمخّضت ثورة عام ١٩٢٠ في العراق عن جملة من النتائج، كان من بين أبرزها تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠، ولاسيما بعد أن بات واضحاً للحكومة البريطانية صعوبة الحكم المباشر في العراق بعد الثورة العراقية الكبرى التي عمّت أغلب مدن العراق وألحقت بها خسائر كبيرة في الأرواح والأموال^(١٢٥). لذلك تيقّنت الإدارة المحتلة أنّ مصالحهم يمكن تأمينها من خلال إدارتها بصورة غير مباشرة من قبلهم من خلال تكوين دولة عربية تحت إشرافهم ومتحالفة معهم^(١٢٦)، فضلاً عن عودة المنفيين السياسيين من خارج العراق. وكانت هذه الأمور من بين النتائج المهمة، وخاصةً إن الحكومة البريطانية كانت ترفض باستمرار مناقشة هذا الملف مع القيادات الدينية والعشائرية، ممّا دفع عدداً من علماء الدين في النجف الأشرف إلى حث أمير المحمرة الشيخ خزعل، ومن خلال صلاته مع البريطانيين على اتخاذ ما يلزم لإطلاق سراحهم وهي جهود تكلّلت بالنجاح^(١٢٧).

إنّ ما جرى في عام ١٩٢٠ في العراق هو ثورة بكلّ ما تعنيه من كلمة، وذلك بشهادة العديد من الإداريين البريطانيين ممن كانوا معيّنين بالشأن العراقي أو باحثين وكتاباً سياسيين كانت اهتماماتهم متعلّقة بالتطورات السياسية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين. ولعلّ من المفيد هنا أن نقبس ما كتبه «الميجر هيوبرت ونثروب يونغ» (Hubert Young)^(١٢٨) إذ جاء ما نصه:

(١٢٤) R. M. Douglas, op. cit., p. 887.

(١٢٥) قُدّرت الخسائر الاقتصادية لبريطانيا بـ (٢٠) مليون ليرة استرلينية، وعدد القتلى من البريطانيين والهنود بـ (٤٠٠). للتفاصيل انظر: عبد الله فياض، المصدر نفسه، ص ٣٢٢.

(١٢٦) عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٧)، ص ١١٤-١١٥.

(١٢٧) حسين هادي الشلاه، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٨)، ص ٤١٧.

(١٢٨) هيوبرت ونثروب يونغ (٦/٧/١٨٨٥-٢٠/٤/١٩٥٠): تلقّى تعليمه في الأكاديمية =

«إن أمة ضُحِتْ بِـ»ثمانية آلاف شهيد خلال بضعة أشهر، لا يمكن أن تقتنع بنزاهة مقاصدنا ما لم نستجيب لأهداف الثورة»^(١٢٩).

فيما اعترفت المس بيل أنَّ الحكومة البريطانية لم يدر في خلدِها منح العراقيين مكاسب نتيجة مباشرة للثورة العراقية الكبرى، وهذا بحد ذاته مؤشِّر على النتائج التي ترتبت على الثورة العراقية الكبرى من إخضاع الإدارة البريطانية للنظر في «مطالب» شرعية أكدتها المرجعية العليا في النجف الأشرف وحوزته.

«لم يدر بخلد أحد ولا حتى الحكومة البريطانية أن تمنح العراقيين ما تم منحه من مكاسب نتيجة الثورة»^(١٣٠).

فيما عد جيلبرت كلايتون (Gilbert Clayton)^(١٣١)، أحد المندوبين الساميين، «إنَّ الانتفاضة كانت ثورية حقاً نظراً إلى تأثيرها على صانع القرار البريطاني»^(١٣٢). وهذا رأي آخر يدعم ما ذهب إليه العديد من الكُتَّاب على أنها «ثورة» «وطنية» «تحررية»، أثرت في صناع القرار البريطاني، لا بل عدَّتْها الأكاديمية والمؤرخة «إليزابيث مونرو» (Elizabeth Monroe)^(١٣٣) هزّت الثورة قناعات الرأي العام

= العسكرية الملكية في وولويتش. خدم في كتيبة المدفعية الملكية عام ١٩٠٤، وفي عام ١٩٠٨ انتقل إلى كتيبة المهرات ١١٦ في الجيش الهندي. أتقن اللغة العربية، كما خدم في وزارة الخارجية البريطانية للمدة (١٩١٩-١٩٢١)، وسكرتيراً مساعداً في قسم الشرق الأوسط في المكتب الاستعماري للمدة (١٩٢١-١٩٢٧). عين عام ١٩٢٩ مستشاراً للمفوضية السامية في العراق. وتمَّ تعيينه في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٢ أول مبعوث فوق العادة ووزيراً مفوضاً في بغداد. للمزيد من التفاصيل أنظر: Chronicle, The West India Committee Circular, No.1025,13 January 1938, p. 49; <<https://archiveshub.jisc.ac.uk>> .

(١٢٩) عبد الإله توفيق الفكيكي، المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(١٣٠) المصدر نفسه.

(١٣١) جيلبرت كلايتون (١٨٧٥/٤/٦ - ١٩٢٩/٩/١١): من عائلة أيرلندية نبيلة، عمل ضابط استخبارات بريطانياً ومسؤولاً استعماريّاً، خدم في عدّة بلدان في الشرق الأوسط في أوائل القرن العشرين، أثناء الحرب العالمية الأولى، كما خدم في فلسطين والجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين، وساعد في عشرينيات القرن الماضي، بصفته مديراً استعماريّاً، في التفاوض على حدود البلدان التي أصبحت فيما بعد الأردن، وسوريا، والمملكة العربية السعودية، والعراق. للمزيد من التفاصيل أنظر: Sir Gilbert Clayton, *An Arabian Diary* (London: University of California Press, 2023), p. 45.

(١٣٢) عبد الإله توفيق الفكيكي، المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(١٣٣) إليزابيث مونرو: (١٩٠٥/١/١٦ - ١٩٨٦/٣/١٠): مؤرخة الشرق الأوسط الحديث، =

البريطاني من جدوى الوجود في بلاد ما بين النهرين»^(١٣٤).

وبعد مرور أكثر من مئة عام، ما زال الكتاب مختلفين حتى في اختيار اسم أو توصيف يُطلق على ثورة حزيران ١٩٢٠، ولعلّ السبب في ذلك تشوش «المصطلح السياسي» في التعاطي مع الحدث التاريخي، فالارتباك واضح في استعمال المُصطلحات التاريخية، بأسلوب غير علمي في معظم دراساتنا، وإنّ من يتصفّح المؤلفات العراقية، على سبيل المثال، يستطيع عدّ عشرات «الثورات» التي شهدتها العراق في غضون أقل من سبعين عاماً من تأريخه الحديث والمعاصر، فكل انتفاضة جماهيرية، وكلّ اعتراض على الفساد، وكل رفض عشائري، وكل حركة عسكرية للقطعات تستهدف الدولة، هي «ثورة» بحسب تعبير الأغلبية الساحقة من مؤرخينا، بينما لكل من هذه الأحداث مفهومه الخاص تبعاً لطابع الحدث وأهدافه والقوى العاملة فيه^(١٣٥).

ويمكننا أن نصل من ذلك إلى نقطة مفادها، أنّ الثورات هي تلك الحركات التي تستهدف المجتمع وتؤدي بالنتيجة إلى حدوث تغيير فيه، كأن تُحوّل العلاقات أو النسق الاقتصادي، من الإقطاع إلى البورجوازية، مثلما حدث في الثورة الفرنسية، أو تحدث تغييراً في العلاقات الاقتصادية الرأسمالية إلى علاقات اشتراكية مثل ثورة تشرين الأول الروسية. أمّا ما حصل في العراق عام ١٩٢٠، فهو بالنسبة إلى البريطانيين، تمرّد عشائري، بينما يراه الباحثون السوفييت، انتفاضة شعبية تحررية، موجهة ضد مستعبد أجنبي، أحدثت تغييرات سياسية لاحقة^(١٣٦).

ونجد بعض الكتاب المُعاصرين يُسقط أحكامه، المؤسّسة على وجهة نظر معاصرة على الأوضاع التاريخية قبل قرن من الزمان، أي وضع معيار اليوم على

= وهي زميلة فخرية في كلية سانت أنتوني في أكسفورد، وحصلت على وسام CMG لخدماتها في دراسات الشرق الأوسط. للمزيد من التفاصيل انظر: Grenville M. Dodge, and William Arba Ellis (eds.), *Norwich University, 1819-1911* (London: Capitol City Press, 1911), p. 369.

(١٣٤) عبد الإله توفيق الفكيكي، المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(١٣٥) كمال مظهر أحمد، ثورة العشرين في الاستشراق السوفييتي (بغداد: مطبعة الزمان، ١٩٧٧)، ص ٢٧-٢٨؛ صادق الطائي، «ثورة العشرين: جدل عراقي متجدّد»، القدس العربي، ٥/٧/٢٠٢٠.

(١٣٦) صادق الطائي، المصدر نفسه.

خريطة علاقات عمرها «مائة عام» ويزيد، ويريد الخروج بأحكام ونتائج صحيحة، وهذا بالتأكيد مناف للدقة والموضوعية، فالثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ أتمت في الكثير من تفاصيلها «بالوطنية»، والمشاركون رغم كونهم من البسطاء في الغالب، إلا أن من تسّم قيادة الثورة هم قادة المجتمع من علماء الدين وشيوخ العشائر. إذاً يمكن القول عن الحدث الأبرز في تاريخ العراق الحديث، بأنّه حدثٌ عراقيٌّ، وطنيٌّ، مناهضٌ للاستعمار، اشترك فيه أغلب العراقيين وبمقياس المكان والزمان. وبناءً عمّا سبق ذكره، فإن جملة التصورات السياسية السابقة، مع تداعياتها ذات الأثر على الصعيدين الداخلي، «العراق»، والخارجي، «بريطانيا»، كان له صدًى وأثراً ملحوظاً في توجهات ومعالجات السلطة الرابعة في داخل بريطانيا، وهو ما سيشكل محور الحديث في الفصول التالية.



القسم الثاني

مواقف الصُحف البريطانية من العمليات العسكرية

والوجود في العراق:

قراءة أولية في عوامل الثورة العراقية الكُبرى

(١٩١٤ – ١٩٢٠)



الفصل الخامس

مواقف الصحافة البريطانية من العمليات العسكرية في العراق (١٩١٤ - ١٩١٥)

أدى تضافر عوامل: اقتصادية واستراتيجية في الخليج العربي إلى دفع البريطانيين إلى التفكير الجاد والحثيث بغزو أجزاء من بلاد ما بين النهرين الجنوبية واحتلالها لقربها من حقول النفط في عبادان، فضلاً عما تمثّله الأجزاء الجنوبية من السيطرة على الخليج العربي بأكمله^(١)، أعلنت بريطانيا في ٥ تشرين الثاني ١٩١٤ الحرب على الدولة العثمانية^(٢)، وفي ٦ تشرين الثاني قامت القوات البريطانية بقيادة الجنرال ديلامين (Walter Sinclair Delamain)^(٣)، بعملية إنزال قرب محطة البرق العثمانية في مدينة الفاو^(٤) بعد أن صَبَّت حمم مدافع الباخرة أودين على المواقع

LOR/L/PS/18/B236, Political Secretary, India office the Political Reasons for (١) Expedition, p. 2; (L/MIL/17/15 /73), Naval staff operations 15 in Mesopotamia and the Persian Gulf, July, 1921, The Inception of the Expedition, Vol. 6, p. 22.

(٢) شكري محمود نديم، العراق في عهد السيطرة العثمانية: مرحلة المشروطية الثانية (عمان: دار دجلة، ٢٠٠٨)، ص ١٧٥، dated ١٧٥ Telegram No. 998, 1914-1918, Rush Alan; the 10th August 2014, p. 18.

(٣) ديلامين (١٨٦٢-١٩٣٢م): جنرال بريطاني وقائد لواء المشاة الهندي السادس عشر للحملة البريطانية على بلاد ما بين النهرين، ووحدة دورست الثانية عشر، وقائد المشاة الخاصة بالدوق كامبريدج براونلوز بنجاب رقم ٢٠ وقائد بندق ويلسلي رقم ١٠٤ وقوات مهراطة رقم ١١٧. ينظر: India Office Records L/MIL/5/749; James Edmund Henderson Neville, *History of the 43rd and 52nd (Oxfordshire and Buckinghamshire) light infantry in the great war, 1914-1919* (Aldershot: Gale & Polden, Ltd., 1938), p. 388.

(٤) الفاو: مركز لقضاء يحمل الاسم نفسه في محافظة البصرة، وهي من الأقضية المهمة جنوبي العراق، فهي ميناء مهم للعراق على شط العرب، وعلى الضفة اليمنى منه، والفاو من المدن الزراعية =

العثمانية^(٥) ممّا أدّى إلى إيقاف أربعة مواقع، مما حدّ من انطلاق العمليات العسكرية^(٦)، تلاها إنزال مفرزة من قوة الحملة «D»^(٧) إلى برّ الفاو محتلةً حصنها من دون خسائر في الأرواح^(٨)، وهو أمر اضطرت معه القوات العثمانية إلى الانسحاب تاركةً مواقعها والعديد من أسلحتها^(٩) وبخاصةً بعد نجاح الباخرة «اسبىكل» في إنزال مفرزةً مسلحةً استطاعت قطع أسلاك الاتصال ما بين الفاو^(١٠) والبصرة^(١١).

أصدر السير «برسي كوكس» الضابط السياسي المرافق للقوات البريطانية بياناً زعم فيه أن حكومته أُجبرت على دخول الحرب^(١٢) نظراً إلى موقف العثمانيين المُعادي ولحمية تجارتها وأصدقائها^(١٣)، فتحرّكت القوات البريطانية باتجاه جنوب البصرة^(١٤)، وبعد اشتباكات عدّة مع العثمانيين تمكّن البريطانيون من التقدم باتجاه محور شط العرب^(١٥)

= المهمة حيث توجد غابة من النخيل تمتدّ على الضفة اليمنى من شط العرب. للمزيد ينظر: جمال بابان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٨-٢١٩.

(٥) الكولونيل كرسى، حرب العراق دروس في السّوق والتعبية، تعريب فخري عمر (بغداد: مطبعة المعارف، [د.ت.])، ص ٩.

(٦) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٤، ص ١١٤.

(٧) اطلقت تسمية الحملة بالحرف (D) إشارة إلى قائد الحملة الجنرال دلامين، شكري محمود نديم، العراق في عهد السيطرة العثمانية: مرحلة المشروطية الثانية، ص ١٧٥.

(٨) طوزند، مذكرات الفريق طوزند، قدّم له وعلّق عليه: حامد أحمد الورد، ط ٢ (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٦)، ص ٥١.

(٩) Eleanor Franklin Egan, *The War in the Cradle of the World, Mesopotamia* (New York, London: Harper and Brothers, 1934), p. 99.

(١٠) شكري محمود نديم، حرب العراق، ١٩١٤-١٩١٨، ص ٢٤.

(١١) الكولونيل كرسى، المصدر نفسه، ص ٩.

(١٢) Stuart A. Cohen, *British Policy in Mesopotamia, 1903-1914* (London: Ithaca, 2008).

(١٣) فيليب ويلارد إيرلند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط (بيروت: دار الكشف)، ١٩٤٩، ص ٧.

(١٤) محمد حمدي الجعفري، المصدر السابق، ص ١٦؛ طه الهاشمي، حرب العراق الحركات العسكرية من إعلان الحرب إلى معركة سلمان باك، ط ٢ (بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٣٦)، ج ١، ص ٤٤.

(١٥) شط العرب: يطلق على المخرج الذي تكوّن بفعل المدّ والجزر من اجتماع مجريي نهري الفرات ودجلة بعد التقائهما عند كربة علي فيكوّنان شط العرب ليمتد على مسافة ١١٠ كم حيث يصب في الخليج العربي عند مدينة الفاو، وقد عرف سابقاً باسم «دجلة العوراء» و«فيض البصرة». للمزيد ينظر: جمال بابان، المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٦.

متقدّمين إلى البصرة التي دخلوها في ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩١٤^(١٦).

رصدت الصحافةُ البريطانية، وباهتمام كبير ومتابعةٍ حثيثةٍ العمليات العسكرية البريطانية في العراق، مسلطةً أضواءها في مقالاتها المواقف الشعبية والرسمية للاحتلال البريطاني لمدنهِ وقُراه^(١٧). إلا أنّها «شكّت» في الوقت عينه «شخّة» الأخبار الواردة من جبهات القتال، وعلى سبيل المثال لا الحصر «شكّت» صحيفةُ تروث (Truth)^(١٨) في عددها الصادر بتاريخ ٥ شباط ١٩١٩ في مقال لها، من «ندرة» أخبار الحملة العسكرية ضد بلاد ما بين النهرين، ووفق نص تعبيرها، عازيةً السبب إلى «خوف» الدوائر البريطانية، عسكريةً أكانت أم سياسيةً، من «إفشاء المعلومات» للعدو عبر صفحاتِ صحفها المنتشرة على امتداد الأراضي البريطانية، منوهةً إلى «تأخّر» نشر التقارير من قبل الجهات ذات العلاقة، وهو أمر «أفقد» أخبار تلك الصحف اهتمامَ جمهور القُراء «المُتطلع» بقلقٍ بإزاء أخبار الحملة الآتية الذكر، موضحةً اقتصار تغطية الحملة إعلامياً من قبل مراسلٍ صحفي «واحد»^(١٩) مرافق

(١٦) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ص ١٤.

(١٧) Ann Gower Matters, "British Imperialism in Iraq, 1914-1932: Asking for Trouble", PhD thesis, Flinders University, South Australia, Faculty of Social and Behavioural Sciences, 2015.

(١٨) صحيفة "تروث" صحيفة أسبوعية ساخرة ومعارضة سياسياً ذات توجه راديكالي، تأسست عام ١٨٧٧، أسسها الدبلوماسي والسياسي هنري لابوشير. واستمرّت حتى عام ١٩٥٧. انتقدت بشدة السياسيين والسلطة المستبدة، ودعمت الإصلاحات الاجتماعية والسياسية، وانتقدت الطبقة الأرستقراطية والنظام الملكي، وعارضت الحزب المحافظ وسياساته. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: .

(١٩) مثل الصحفي إدموند كاندلر (١٨٧٤-١٩٢٦) جمهور وسائل الإعلام البريطانية لتغطية تطوّرات الحملة الحربية، عمل مدرساً وصحفيّاً، ورجل أعمال، وكاتب رحلات وروائياً، اشتهر بتصويره الأدبي للهند الاستعمارية. تلقى تعليمه في مدرسة ريتون وكلية إيمانويل، كامبريدج، تخرّج عام ١٨٩٥. بدأ كاندلر حياته المهنية في الهند كمدرسٍ للأدب، ثم أنتج مقالات لمجلة ماكميلان ومجلات أنغلو- هندية مختلفة تمّ جمعها لاحقاً باسم (A Vagabond in Asia)، غادر الهند إلى التبت، انضم هناك إلى بعثة يونغهازبند كمراسلٍ خاص لصحيفة ديلي ميل. كما عمل مراسلاً حربياً خلال حرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨، جذبته فكرة الاصطدامات بين الشرق والغرب التي قدّمت له مغامرات شبيهة بالصّور الوسطى. أصدر مذكرات مهمة وسمت بعنوان «احتلال العراق: مشاهدات مراسل حربي مرافق للجيش البريطاني ١٩١٧م»، فصل فيها جميع مراحل الحملة البريطانية. للمزيد انظر: إدموند كاندلر، احتلال العراق مشاهدات مراسل حربي مرافق للجيش البريطاني ١٩١٧م، ترجمة: محمد حسن =

للقوات البريطانية، مذكراً أن ليس له الحق في تقديم «تفاصيل» العمليات القتالية، وعلى حدّ تعبيرها^(٢٠).

اتخذَ اهتمام الصحافة البريطانية، ومنذ انطلاق الحملة البريطانية على بلاد ما بين النهرين^(٢١) أشكالاً شتى، تضمّنت بين طياتها أخباراً، ومقالات، وخرائط، وصور، وجدول، وسواها، فقد نشرت على سبيل المثال لا الحصر صحيفةً مانشستر كورير^(٢٢) (Manchester Courier) في عددها الصادر بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩١٤ مقالاً حملَ عنواناً «الهنود يحتلون ميناء تركي»، أرادت من خلاله إبراز دور الجهد العسكري الهندي في حملة بلاد ما بين النهرين، ووصفت فيه نجاح الخطة البحرية والبرية البريطانية - الهندية لاحتلال ميناء الفاو الاستراتيجي^(٢٣)، والتي نتج منها قصف وسحق الدفاعات التركية المتمركزة هناك، مبيّنةً أن احتلال ميناء الفاو جاء إثر ساعات من القتال مع القوات العثمانية والتي أثمرت عن عمليات ناجحة بفعل زخم النيران المكثفة والمركزة للقوات العسكرية البريطانية - الهندية، مؤكّدةً إعطاب مدافع «العدو» بعد ساعة من المقاومة، ومن ثمّ احتلال المدينة من قبل القوات البرية والفرقة البحرية^(٢٤). وقد نقلت

علاوي وخضر علي سويد(بيروت: دار الراافدين، ٢٠١٧م)، ص ٧.

Benita Parry, *Delusions and Discoveries: India in the British Imagination, 1880-1930*, forwarded by Michael Sprinker (London: Verso, 1998), pp. 127-129.

Truth (London), 5/2/1919, p. 36.

(٢٠)

(٢١) للمزيد من التفاصيل حول التصورات البريطانية والحرب على بلاد ما بين النهرين انظر:

Nadia H. Atia, "War in the 'Cradle of Civilization': British Perceptions of Mesopotamia, 1907- 1921", PhD thesis, University of London, Queen Mary, 2010.

(٢٢) صحيفة محلية دعمت المحافظين، جاء تأسيسها ردّاً على تأسيس صحيفة مانشستر غارديان الليبرالية، التاييمز لاحقاً، تأسست على يد توماس سولر وشقيقه جيمس في عام ١٨٢٥ كصحيفة أسبوعية. حولت عائلة سولر اهتمام الصحيفة من عمل تجاري إلى وسيلة لدعم قضايا المحافظين. عند وفاة توماس سولر عام ١٨٥٧، انتقلت ملكية الصحيفة إلى ولديه، توماس جون وأخيه، اللذين خفّضا سعرها إلى بنس، مكوّنة من أربع صفحات يومياً عام ١٨٦٤. تملّك توماس جون الصحيفة إثر وفاة أخيه جون عام ١٨٧١، ومُنح وسام الفروسية عام ١٨٨٩ لخدماته في مجال الصحافة، ولكونه محافظاً قوياً ونشطاً. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: .

IOR/L/MIL/17/15/86, Plan for Operations in Turkish Mesopotamia, printed (٢٣) by Government monotype press, 1914, p. 2.

Manchester Courier, 9/11/1914, p. 6.

(٢٤)

الصحف الصادرة في اليوم نفسه المضمون ذاته^(٢٥).

وواصلت الصحف ذات الاتجاه المحافظ اهتمامها بنجاح العمليات العسكرية في مدينة البصرة، فعلى سبيل المثال نشرت كلٌّ من صحيفتي «غلوب» (Globe)^(٢٦) أبردين برس آند جورنال (Aberdeen Press and Journal)^(٢٧) تقريراً في عدديهما الصادرتين بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٤ تعلّقت مضامينه باحتلال البصرة، واصفةً نجاح العمليات العسكرية في البصرة، بـ«أكبر وأسرع ممّا كان متوقعاً»، بعد أن ألحقت هزيمةً بالقوات العثمانية وعلى مدار يومي (١٥ - ١٧)، مُحملةً القوات العثمانية تلك الخسائر نتيجةً لـ«سوء إدارتها المعركة»، وهو أمر أدى إلى مقتل «العشرات»^(٢٨) في معركة مدينة البصرة، المشهورة بعدد سكانها البالغ «أربعين ألف نسمة»^(٢٩)، والواقعة على ضفاف نهر الفُرات، على بعد «٦٠ ميلاً» من مصبّه في «الخليج الفارسي»^(٣٠)، عند ملتقى نهري دجلة والفُرات^(٣١).

Newcastle Evening Chronicle, No. 9076, p. 4; *Guernsey Evening Press and Star*, No. 5014, p. 4; *Nottingham Journal*, No. 17051, p. 3; *Westminster Gazette*, No. 66856, p. 7, 9/11/1914.

(٢٦) ذا غلوب صحيفة مقرّها لندن، رصدت العمليات العسكرية البريطانية المبكرة ضد المواقع العثمانية في المنطقة مع بدء الحرب العالمية الأولى، حين احتلت البصرة بعد هزيمة العثمانيين. كان هذا بمثابة بداية الغزو العسكري البريطاني لبلاد ما بين النهرين من العثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnews-paperarchive.co.uk> > .

(٢٧) أبردين برس آند جورنال: صحيفة إقليمية غطّت منطقة أبردين، اسكتلندا والمناطق المحيطة بها، وكانت ذات اتجاه ليبرالي يساري، رأت في احتلال البصرة تقدّم مبكر في غزو بريطانيا لبلاد ما بين النهرين من العثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى. نقلت باهتمام المعارك التي شنتها القوات البريطانية والتي لاقت نجاحات مبكرة عام ١٩١٤ تمثّل باحتلال البصرة التي لا زالت تحت ظل السلطة العثمانية يوم ذاك. للمزيد أنظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnews-paperarchive.co.uk> > .

Globe (London), 24/11/1914, p. 8; *Aberdeen Press and Journal* (Aberdeenshire, Scotland), 24/11/1914, p. 4.

(٢٩) يذكر أداموف أن عدد سكّان البصرة في منتصف القرن الثامن عشر كان لا يقل عن مائة ألف نسمة، فأصبح حتى عام ١٨٢٥ «عشرة آلاف» بفعل الأمراض القاتلة والأوبئة. حسين بن سعدون، البصرة ذات الشواحين: التاريخ والسياسة والثقافة (القاهرة: مكتبة مدبولي، [د.ت.ل.])، ص ٢.

(٣٠) هكذا ورد في أصل النص.

Aberdeen Press and Journal, 24/11/1914, p. 4.

(٣١)

واستمرت الصحف المحافظة دعمها الحملة البريطانية على بلاد ما بين النهرين، وكان من بينها، على سبيل المثال، صحيفة يوركشاير بوست اند ليدز إنتلجينسر (*Yorkshire Post and Leeds Intelligencer*)^(٣٢) في عددها الصادر في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٤، في مقال مطول «مشاعر في الهند: ولاء السكان المسلمين» مبيّنة خداع الأتراك من قبل ألمانيا في حربها ضد البريطانيين وعلى أرض المسلمين في بلاد ما بين النهرين، ومؤكدة أنّ الحكومة البريطانية يمكنها الاعتماد على ولاء جميع المسلمين في «بلوشستان»^(٣٣)، ومطمئنة المسلمين حين أشارت إلى إعلان تم تداوله على نطاق واسع في جميع أنحاء الهند بالتزام بريطانيا قدسية الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز، وأضرحة العراق، معلنة أن كل من فرنسا وروسيا أعلنتا تأكيدات مماثلة^(٣٤). وانظر أيضاً ما نشرته الصحف المحافظة بالخصوص ذاته ومنها صحيفة إنغلش مانز أوفر ميل (*Englishman's Overland Mail*)^(٣٥) حين أثنت على «الجهد الهندي الحربي» في الحملة البريطانية على بلاد ما بين النهرين، فقد وشّحت عددها الصادر بتاريخ ٣ كانون الأول ١٩١٤، مقالاً وسم بعنوان ذا مغزى واضح: «العدو على الأبواب»، مبيّناً أنّ العمليات القتالية جنوب العراق أظهرت أنّ الأتراك

(٣٢) صحيفة بريطانية ذات توجه محافظ سياسياً، صدرت عام ١٨٦٦، غطت موضوعات إخبارية مختلفة لجميع أنحاء يوركشاير ومناطق شمال ديربيشاير ولينكولنشاير، وتجاوزت الصحيفة البعد المحلي من خلال نشرها الأخبار المحلية، فضلاً عن الوطنية والدولية يومذاك. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> >

(٣٣) بلوشستان منطقة تقع في جنوب غرب آسيا، تضم أجزاء من باكستان وإيران وأفغانستان، ويقع الجزء الأكبر من بلوشستان داخل حدود باكستان، في مقاطعة بلوشستان الباكستانية، من أهم المدن الرئيسة في بلوشستان هي: كويتا وغوادر وتوربات في باكستان، وزاهدان في إيران. للمزيد حول جغرافية المنطقة أنظر: Naseer Dashti, *The Baloch and Balochistan: A Historical Account from the Beginning to the Fall of the Baloch State* (Bloomington: Trafford Publishing, 2012).

(٣٤) *Yorkshire Post and Leeds Intelligencer* (Yorkshire, England), 4/11/1914, p. 2-3.

(٣٥) صحيفة بريطانية ذات توجه محافظ سياسياً، دعمت احتلال البصرة، مؤيدة وجود عسكري بريطاني قوي لمواجهة النفوذ الألماني- العثماني. وهذا الاتجاه تماشى مع المنظور المحافظ المؤيد للإمبراطورية الذي فضّل إبراز القوة البريطانية. ويبدو واضحاً من مقال الصحيفة الآنف الذكر تأييدها تقدّم بريطانيا باتجاه بغداد لتعزيز سيطرتها ومواجهة التهديدات العثمانية الألمانية، إذ باتت بلاد ما بين النهرين جبهة رئيسة في التنافس بين الطموحات الإمبراطورية البريطانية والعثمانية عام ١٩١٤. للمزيد انظر: أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> >.

بقيادة «الضباط الألمان لا يُضاهون القوات الهندية»^(٣٦)، مستشرفةً المستقبل القريب بتحقيق النصر اعتماداً على القيادة المشتركة مع «الجيش الهندي»^(٣٧)، موجهة نداءً إلى القيادات العسكرية لـ «مهاجمة البدو» و«تفريقهم»، مشجعةً في الوقت نفسه على احتلال مُدن وقصبات أخرى؛ «إذا أصبحت بغداد مُمكنةً، فلماذا لا نحتل كلاً من القدس ودمشق أيضاً؟»^(٣٨) كما أن صحيفة نورثن ويج الصادرة في اليوم نفسه، نقلت المضمون ذاته^(٣٩).

ويبدو واضحاً إنَّ سببَ التقدّم السريع للقوات البريطانية في الفاو^(٤٠) راجعٌ إلى عدة أسباب، منها الاستحكامات العثمانية غير المدروسة، وضعف التحصينات العثمانية، إذ لم تكن التحصينات والمواقع الدفاعية العثمانية في الفاو قويّة بما يكفي لصدّ الهجوم البريطاني، فضلاً عن التخبّط الواضح للقيادات العثمانية في مواجهة

(٣٦) قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى لم يكن لبريطانيا العظمى اهتمام كبير لاستغلال خدمات الجيش الهندي في الدفاع عن مصالحها في أوروبا ومناطق أخرى من العالم بأعداد كبيرة من المجنّدين، إلا أنَّ مشاركة الجيش الهندي في الحرب العالمية الأولى أثبت قدرته وكفاءته، لذلك اجتهد البريطانيون في العمل على تنظيم هذا الجيش وتطويره خدمة لمصالحهم. للمزيد أنظر: Tusharbindu Chakrabarti, *Indian Army and British Strategy in Arabistan 1914-1915*, Proceedings of the Indian History Congress, 1987, Vol. 48 (1987), pp. 654-659; Brian D. N. Stevens, "The Expansion of the Indian Army during World War I," *Journal of the Society for Army Historical Research*, Spring 1998, Vol. 76, No. 305 (Spring 1998), pp. 34-42.

(٣٧) سعى مكتب الهند للتأثير على التغطية الإخبارية البريطانية للشؤون الهندية من خلال الترويج للقصص الإخبارية التي احتفلت بالدعم الهندي للحرب والتقليل من أهمية التهديدات لأمن الإمبراطورية. تم تحقيق بعض هذا من خلال الاتصالات غير الرسمية بين أوستن تشامبرلين، وزير الدولة لشؤون الهند، حزيران/يونيو ١٩١٥ - تموز/يوليو ١٩١٧، وكبار الصحفيين البريطانيين، ونائبي الملك الهندي الذين خدموا أثناء الحرب، اللورد هاردينغ واللورد تشيلمسفورد، لذلك قدّمت الصحافة البريطانية في الأشهر الأولى من الحرب صورة إيجابية للجنود الهنود على أنّهم رعايا موالون قدموا بشجاعة لإنقاذ الإمبراطورية البريطانية في وقت الحاجة. للمزيد أنظر: Chandrika Kaul, *Reporting the Raj: The British Press and India, 1880-1922*, (Manchester: Manchester University Press, 2003), pp. 119-34; Cate Haste, *Keep the Home Fires Burning Propaganda in the First World War* (London: Allen Lane, 1977), p. 21.

Englishman's Overland Mail, 3/12/1914, p. 6. (٣٨)

Northern Whig, 3/12/1914, p. 4. (٣٩)

(٤٠) محاربي في العراق، أو، خواطر تاووزند، ترجمة: عبد المسيح وزير (بغداد: المكتبة العصرية، ١٩٢٣)، ص ٥٧.

الحملة البريطانية، علاوة على فارق العُدّة والعتاد البريطاني، وكذلك مصالح الطبقة البرجوازية^(٤١) في البصرة الداعمة للوجود البريطاني^(٤٢) بعد أن اتخذ العثمانيون موقفاً دفاعياً في بلدة القرنة شمال البصرة^(٤٣). ولأنّ كُلاً من نهري دجلة والفرات يلتقيان معاً في القرنة، جعل منها موضعاً دفاعياً ومثالياً. كان لدى العثمانيين حوالي «ألف رجل» تحت قيادة العقيد صُبحي بك^(٤٤)، والي البصرة يوم ذاك^(٤٥).

واصلت الصحف البريطانية ذات الاتجاه الليبرالي اهتمامها في بيان مواقف سُكّان العراق من الحملة البريطانية، كان منها على سبيل المثال ما نشرته صحيفة *ليدز ميركوري* (Leeds Mercury)^(٤٦) وفي عددها الصادر بتاريخ ٤ تشرين الثاني

(٤١) تعود جذوره إلى اللغة اللاتينية منذُ القرون الوسطى، وقد استعمله الفرنسيون مبكراً لوصف الطبقة المتوسطة التي تملك أو تستحوذ على الأراضي الزراعية لصالحها الخاص. ينظر: جيل فيريول، *معجم مصطلحات علم الاجتماع*، ترجمة: أنسام الأسعد (بيروت: دار البحار، ٢٠١١)، ص ٣٨.

(٤٢) ارتباط العديد من التجّار والمتنفذين من أهالي ولاية البصرة بالمصالح البريطانية، تطوّر إلى تأييد سياسي للنفوذ البريطاني متجاهلين القيم والمشاعر الدينية السائدة آنذاك في المنطقة إزاء العلاقة والتقرّب مع البريطانيين، لتتطوّر هذه العلاقة أكثر مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، فما إن احتلت القوات البريطانية البصرة حتى أسرع العديد من كبار متنفّذي المدينة، وعلى رأسهم التجار، إلى إرسال برقية تهنئة حارة إلى الملك البريطاني، بل بادروا إلى التبرع بالأموال للصليب الأحمر الإنكليزي في وقت كانت القوات العثمانية والمجاهدين لا زالوا متمركزين بالقرب من المدينة للقيام بالهجوم المضاد. ينظر: كمال مظهر أحمد، *صفحات من تاريخ العراق المعاصر*، ص ٣٥-٣٦.

(٤٣) IOR L/MIL/5/749, 27 Nov. 1914, Persian Gulf Operations.

(٤٤) صبحي بك: والي البصرة وقائد الجنود العثمانية استلم قيادة الولاية بعد عزل والي سليمان شفيق باشا، فأُسندت أمور ولاية البصرة إليه في ١٩١٤، وكان هو آخر والي يعيّن في البصرة. ينظر: عبد القادر باشا أعيان العباسي، *البصرة في أدوارها التاريخية* (بغداد: دار البصري، ١٩٦١)، ص ٦٣؛ ابن غملاس، *ولاة البصرة ومتسلّموها من تأسيس البصرة حتى نهاية الحكم العثماني* (بغداد: دار البصري، ١٩٦٢)، ص ٨٤.

(٤٥) B.T. Reynolds, "The Battle of Qurna," *The Military Engineer*, Vol. 29, No. 164 (March-April, 1937), pp. 101-106.

(٤٦) صحيفة إقليمية تأسست عام ١٧١٨، وهي واحدة من حوالي مائة صحيفة إقليمية كانت موجودة يومذاك، اعتمدت في تمويلها على أجور الإعلان مصدراً رئيساً للدخل، وحققت ربحاً بلغ حوالي ٣٠٠٠ جنيه إسترليني سنوياً بحلول عام ١٨٣٠، اتخذت الصحيفة أقصى اليمين الليبرالي، وقد ركّزت في مقالاتها بشكل رئيس على تغطية الأخبار والقضايا المحليّة في المنطقة. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> >.

١٩١٤، مقال عنون «ولاء المسلمين: تركيا ليست حارسة المصالح الإسلامية»^(٤٧)، نقلت فيه نص رسالة بعث بها «صاحب السمو» آغا خان الثالث^(٤٨) إلى عموم المسلمين، مبيّنة أن الآغا خان شعر «بحزن عميق» إزاء تعاون الحكومة التركية مع ألمانيا، في حرب مجنونة وغير مبررة ضد «حاكم عظيم» مثل الملك الإنكليزي بفعل إرادة «الضباط الألمان»، منوّهة إلى أن ألمانيا والنمسا لم تكن يوماً صديقتين محايدتين للإسلام، وبينما استولت إحداهما على البوسنة، كانت الأخرى تتآمر منذ فترة طويلة لتصبح صاحبة السيادة على بلاد ما بين النهرين ومدنه المقدسة في كربلاء والنجف، محدّرة إذا نجحت ألمانيا «- لا سمح الله -»، ووفق نص تعبير الصحيفة، فستصبح تركيا تابعة لألمانيا، والقيصر الحاكم الحقيقي لتركيا، وسيضم المدن المقدسة في النجف وكربلاء. مذكّرة أن تركيا كانت وصية على الإسلام، إلا أن قبولها أن تكون أداة في أيدي الألمان، فإن تركيا تدمّر نفسها، وفقدت مكانتها وصية على الإسلام، مختتمة باستشراف المستقبل بانتصار البريطانيين، وبالتالي فإن «واجبنا» الآن البقاء مخلصين ومطيعين لتحالفنا الدنيوي والعلماني^(٤٩). كما أن الصحف الصادرة في اليوم نفسه، نقلت رسالة آغا خان إلى عموم المسلمين^(٥٠).

كما ركزت مقالات الصحف البريطانية ذات الاتجاه الاشتراكي على مُجريات

Leeds Mercury, Devon, England, 4/11/1914, p. 4.

(٤٧)

(٤٨) الآغا خان (١٨٧٧-١٩٥٧): هو السلطان محمد شاه، آغا خان الثالث، الإمام الثامن والأربعون للطائفة الإسماعيلية. كان من بين المؤسسين الأوائل ورئيس رابطة مسلمي عموم الهند. كان هدفه تعزيز أجندة المسلمين وحقوقهم في الهند. لم تكن الرابطة، حتى ثلاثينيات القرن الماضي، منظمة كبيرة، لكنها مثّلت مصالح المسلمين في الأراضي والتجارة في المقاطعات المتحدة الخاضعة للحكم البريطاني (تُعرف الآن بـ أتر برديش). تشارك آغا خان الثالث معتقد السير سيد أحمد خان القائل إن على المسلمين أولاً بناء رأس المال الاجتماعي من خلال تحسين التعليم، ثم الانخراط في السياسة. دعا الآغا خان التاج البريطاني إلى اعتبار المسلمين أمة منفصلة داخل الهند، أي ما يُطلق عليه «نظرية الأمتين». وحتى بعد تقاعده من رئاسة رابطة مسلمي عموم الهند عام ١٩١٢، بقي يمارس تأثيراً كبيراً على سياساتها وأجندتها. رُشح الآغا خان لتمثيل الهند في عصبة الأمم عام ١٩٣٢، وشغل منصب رئيس عصبة الأمم بين عامي ١٩٣٧-١٩٣٨. < <https://ar.wikipedia.org> >

Leeds Mercury, 4/11/1914, p. 4.

(٤٩)

Croydon Times, No. 5343, p. 8; *Croydon Times*, No. 85, p. 5; *Huddersfield* (٥٠)

Daily Examiner, No.14652, p. 3; *Sheffield Daily Telegraph*, No.18510, p. 7; *Sheffield Daily Telegraph*, p. 3, 4/11/1914.

«معركة القرنة»، فعلى سبيل المثال، أوردت صحيفة ديلي ستزن (*Daily Citizen*)^(٥١) في عددها بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٩١٥، خبراً «في الشرق» مبيّنة أهمية هزيمة «الأتراك» في القرنة متزامنة مع التحركات الروسية في المجر، مستدركةً أنّه لمن «الغريب» عدم إيلاء اهتمام للحملة البريطانية إلى بلاد ما بين النهرين^(٥٢)، بخاصة إثر استيلاء البريطانيين على «القرنة»، عند ملتقى نهري دجلة والفرات، معتبرةً أيّاه مكسباً مهماً، «إذ يعطينا، كما هو الحال، سيطرة على كلا الممرّين المائيين»، إذ إن امتلاك «شط العرب» يعني فشل مخططات الألمان^(٥٣) مشيرةً في الوقت ذاته في حال ما «سقطت بغداد» بأيدي البريطانيين، فهو أمر يُعدُّ ضربةً عنيفةً «لألمانيا» لا تقلُّ أهميةً عن «تركيا»^(٥٤)، إن لم تكن «أهم منها» على حدّ تعبيرها^(٥٥). وهو أمر أيّدته صحيفة ديلي مرر الصادرة في اليوم نفسه^(٥٦).

(٥١) صحيفة يومية بريطانية اتخذت مدينة لندن مقراً لها، وقد تأسست عام ١٩١٢، وكانت بمثابة الناطق الرسمي لحزب العمال البريطاني الذي تأسس حديثاً آنذاك. أدمجت عام ١٩١٥ مع صحيفة «*Daily Herald*» لتشكيل صحيفة واحدة. لذلك استمرّت في الصدور لمدة ٣ سنوات (١٩١٢-١٩١٥) عندما توقفت، وقد مثلت وجهة نظر الحزب العمالي والاشتراكيين آنذاك. للمزيد أنظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: .

(٥٢) قامت الحكومة التركية في ٢٣ أيلول/سبتمبر ١٩١٥، بتعيين القائد الألماني فون در غولتز (Rüdiger von der Goltz) قائداً عاماً للجيش السادس التركي الذي شمل مجاله العراق وإيران، وقد كان بصحبته ثلاثون ضابطاً ألمانياً.

(٥٣) كان من بين أبرز القوى المتنافسة على العراق في العهد العثماني الأخير كل من بريطانيا، فرنسا، روسيا، ألمانيا، الولايات المتحدة الأمريكية. للتفاصيل ينظر: بيير دي فوسيل، *الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤-١٩١٤*، ترجمة أكرم فاضل (بغداد: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، ١٩٦٨)، ص ١٥٤؛ باسم وحيد جوني الربيعي، «بيانات وإعلانات الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١»، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية: المعهد العالي للدراسات السياسية الدولية، (٢٠٠٥)، ص ١٣-١٤؛ غفار جبار جاسم الجنابي، «تغلغل نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في العراق حتى عام ١٩١٤»، *جامعة تكريت للعلوم الانسانية* (مجلة)، العدد ١١، ٢٠١٣، ص ٧٨٦.

(٥٤) ظلت الجيوش العثمانية في الشرش، ولكن بعد إنزال قوات من مزيرة إلى القرنة بواسطة السفن، أسرع الشيخ حسين الفضل إلى الضابط التركي صبحي وأخبره عن الإنزال، فرفض الانسحاب لأنّه كان يرى في موقع القرنة أهمية استراتيجية، إلا أن الحامية التركية استسلمت للقوات الزاحفة، فتمّ أسرها مع القائد صبحي بك وأُرسلت إلى الهند. عبد علي سلمان عبد الله، *المجتمع الريفي في العراق* (بغداد: الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والاعلام؛ دار الرشيد، ١٩٨٠)، ص ٩٧.

Daily Citizen, Lancashire, England, 19/1/1915, p. 2.

(٥٥)

Daily Mirror, 19/1/1915, p. 2.

(٥٦)

ويبدو أنّ موقف الصحيفتين إيجابي تجاه التطوّرات العسكرية لقوات الحلفاء في الحرب، وخاصة التقدّم البريطاني ضد القوات التركية والألمانية. كما أبدت الصحيفة شكوكاً حول الإعلانات الألمانية بشأن نواياهم في فرنسا.

ووقع من ضمنَ اهتمامات الصّحف العثمانية «معركة القرنة»، التي سعت جاهدة إلى ضرب معنويات الجيش البريطاني من جهة، وإيهام الرأي العام التركي بإحراز النصر في بعض الجبهات في «بلاد ما بين النهرين» من جهة أخرى، فقد أصبحت الحرب دائرة إعلامية بحد ذاتها، فلا استطع أحد خوض حرب ما من دون وسائل الإعلام «فالكتاب قد تحوّل إلى قنبلة في زماننا»، ونستطيع القول إن الصحف قد تحوّلت إلى قنابل وصواريخ، ولس غرباً القول أنّ الحرب هي «ساسة» بوسائل أخرى، كون الإعلام ساسة بامتاز، بل إن الاتصال بات من أدوات الصراع فما بن الدول، ناقلاً لعناصر القوة في الدول وعاكساً لها^(٥٧).

فيما حملت صحيفة دندي كوريير (Dundee Courier)^(٥٨) بقوة في عددها الصادر بتاريخ ٣ شباط ١٩١٥، في مقال لها عنوانه —«الحرب الجديدة من أجل جنة عدن»^(٥٩)، حملة بريطانية على الأراضي التوراتية في «بلاد ما بين النهرين».

(٥٧) عبد الحميد حجازي، الرأي العام والإعلام والحرب النفسية (القاهرة: دار الرأي العام للنشر، ١٩٨٧)، ص ٥٧.

(٥٨) صحيفة اسكتلندية يومية مقرّها في مدينة دندي، تأسست عام ١٨٠١، واستمرّت في الصدور حتى عام ١٩٦٤. تبنّت الصحيفة توجّهاً باتجاه اليمين الوسط، مع تاريخ في دعم القضايا المحافظة والوحدوية، وتاريخياً، ارتبطت الصحيفة بالحزب الوحدوي الاسكتلندي، الذي اندمج لاحقاً مع حزب المحافظين. وغالباً ما اتخذت موقفاً انتقادياً تجاه حزب العمال والأحزاب اليسارية الأخرى. ومع ذلك، في السنوات الأخيرة، حاولت الصحيفة وضع نفسها على أنّها أكثر حيادية من الناحية السياسية، بهدف توفير تغطية متوازنة للأخبار المحلية والوطنية. ظهرت ميولها المحافظة، خاصة في قضايا مثل القانون والنظام والسياسة الاقتصادية، فقد نشرت أيضاً مقالات رأي تلك التي تنتمي إلى اليسار، وركّزت بشكل رئيس على الأخبار والشؤون المحلية، فضلاً عن تغطيتها التطوّرات السياسية والاقتصادية دولياً. اشتهرت بتقاريرها وتحقيقاتها الصحفية العالية الجودة، وهو أمر زاد من تداولها يومذاك. ظهر لها دور واضح في تشكيل الرأي العام في بريطانيا. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>.

(٥٩) أوردت العديد من الصحف البريطانية تسمية «جنة عدن» على بلاد ما بين النهرين في إشارة واضحة لما ورد في الكتاب المقدس (سفر التكوين) حيث ورد في بعض أسفاره ما نصه: «وكان =

منتقداً «تركيز» الصحف البريطانية على أخبار «الساحة الأوروبية» عسكرياً، وإهمالها ساحة «بلاد ما بين النهرين»، فقد صرفت «المعارك العظيمة»، على الحدود الأوروبية^(٦٠)، الأنظار عما هو «أكثر أهمية» من كل الحملات العسكرية البريطانية، وهو الهجوم على «بلاد ما بين النهرين»^(٦١)، ومستشرفاً «أهميته» في وضع «كامل دلتا الفرات» الغني بموارده الطبيعية تحت «السيطرة البريطانية»، فضلاً عن الأهمية «الدينية» لقدسية البلاد، و«الاقتصادية»، حيث «الاستثمارات» البريطانية في هذه البلاد، مقدراً إياها بـ «ملايين الجنيهات الإسترلينية» وذلك وفق نص تعبيرها^(٦٢).

وأولت صحيفة سندرلاند ديلي إيكو اند شينغ غازيت (*Sunderland Daily Echo and Shipping Gazette*)^(٦٣) في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ١٢ شباط ١٩١٥ بعنوان: «في مدينة السندباد»^(٦٤) اهتماماً بالغاً بموقف الأقليات الدينية في بلاد

= نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. اسم الواحد فيشون، واسم النهر الثاني جيحون، واسم النهر الثالث حداقل (دجلة) والنهر الرابع الفرات». للمزيد ينظر سفر التكوين ١٠: ٢-١٤؛ ادموند كاندلر، المصدر السابق، ص ٢٥٧ - ٢٦٢.

(٦٠) للمزيد حول المعارك التي خاضها الجيش البريطاني على الساحة الأوروبية انظر:

Robin Prior, *Conquer we must: a military history of Britain, 1914-1945* (New Haven: Yale University Press, 2022).

(٦١) صحيفة دندي كورير: عبّر المراسل الصحفي ادموند كاندلر عن استيائه من إدارة الحرب في بلاد ما بين النهرين للتعطيل الإعلامي الصارخ الذي مارسه الإدارة البريطانية عن الخسائر التي منيت بها القوات البريطانية على أراضي بلاد ما بين النهرين. ادموند كاندلر، المصدر السابق، ص ٧.

Dundee Courier, 3/2/1915, p. 2.

(٦٢)

(٦٣) صحيفة تأسست عام ١٨٧٣ في مدينة سندرلاند في بريطانيا، ركزت على أخبار الشؤون البحرية، وعموماً يمكن القول إن للصحيفة اصطفاً سياسياً معتدلاً، على الرغم من بعض مواقفها الأكثر تحفظاً بشأن بعض القضايا. تقليدياً كانت الصحيفة داعمة لليبراليين، ولاحقاً لحزب المحافظين، خاصة في القضايا المتعلقة بالأعمال والاقتصاد. ومع ذلك، فقد انتقدت أيضاً بعض السياسات الحكومية، مثل تخفيضات الإنفاق العام وإصلاحات الرعاية الاجتماعية. وقد ركزت على القضايا التي أثرت محلياً في الدفاع عن مصالح سكانها، فضلاً عن دعمها الحملات لإنقاذ المستشفيات المحلية ومعارضة خطط التطوير التي هددت المعالم الطبيعية السياحية للمدينة، وتوقفت عن الصدور عام ١٩٣٧. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> > .

Sunderland Daily Echo and Shipping Gazette, (Newspaper), Sunderland, (٦٤)

Durham, 12/2/1915, p. 6.

ما بين النهرين من الحملة البريطانية، متطرقاً إلى الأوضاع مدينة البصرة «الكبيرة والعشوائية»، ذات الشوارع «الضيقة جداً»، و«القذرة»^(٦٥)، واصفاً إياها بالمدينة «الأكثر قذارة» في العالم، معللاً ذلك لانعدام «الصرف الصحي»^(٦٦).

وأطنبت الصحيفة في المقال نفسه أن سكان البصرة من «اليهود» و«الأرمن» و«الكلدانيين» و«المسيحيين» رحبوا بـ«احتلال البصرة»، مشددة على «ابتهاجمهم»، مبرراً بـ«الرب» الذي أصاب الأقليات منذ انسحاب العثمانيين، وهو أمر أدى إلى «إغلاق كافة محالهم التجارية». ويبدو واضحاً ممّا تقدّم أنّ الإعلام البريطاني هدف من نقل هكذا أخبار إلى «مناغة المشاعر الدينية» للرأي العام البريطاني من أجل «دعم» سير العمليات العسكرية في جنوب بلاد ما بين النهرين والتي واجهت رفضاً «اجتماعياً» و«عسكرياً» من مختلف فئات الشعب العراقي، وهو أمر أيدته فيما ذهبت إليه الصحيفة الآتفة الذكر صحيفة انديا في عددها الصادر في التاريخ نفسه^(٦٧).

وعلى ما يبدو أنّ الصحف البريطانية، ومنذ بدء الحملة، قد أولت اهتماماً ملحوظاً بالخسائر البشرية «المتصاعدة» للقوات البريطانية - الهندية مع تنامي حدة إتوار الحرب وأتونها، فقد نشرت، على سبيل المثال، صحيفة دبلن ديلي اكسبريس (Dublin Daily Express)^(٦٨) وصحيفة برادفورد ديلي تليغراف (Bradford Daily Telegraph)^(٦٩)، في عدديهما الصادرين بتاريخ ٨ آذار ١٩١٥، خبرين تأسفتا فيهما

(٦٥) أعطت سلطات الاحتلال البريطاني الجانب العسكري الأولوية في إطار الخدمات البلدية التي نقّذتها في العراق، ولا سيما تلك التي تتعلّق بمسألة المحافظة على سلامة أفرادها وتأمين الحاجات الرئيسية لها. لى عبد العزيز مصطفى، «الخدمات البلدية في العراق بين عامي ١٩١٤-١٩١٨»، ملحق جريدة المدى في موقعها: < <https://almadasupplements.com> >

(٦٦) Sunderland Daily Echo and Shipping Gazette, 12/2/1915, p. 6.

(٦٧) India, 12/2/1915, p. 8.

(٦٨) صحيفة يومية أيرلندية تأسست في ١/١/١٨٥٥ في مدينة دبلن، وتوقفت عن الصدور عام ١٩٥٨. سياسياً، كانت الصحيفة ذات توجه يميني أو يمين الوسط، على الرغم من أنّها لا تُعرف بشكل صريح بأنّها يمينية أو يسارية، إلا أنّ موقفها التحريري يميل إلى التوافق مع مواقف أحزاب يمين الوسط، كما دعمت الاستقلال الأيرلندي وانتقدت الحكم البريطاني وسياسته دولياً ركّزت في نشرها على القضايا والأحداث السياسية في أيرلندا، فضلاً عن تغطية الأخبار المحلية والدولية. اتسمت بشعبية كبيرة بين الجمهور الأيرلندي المؤيد للاستقلال والانفصال عن بريطانيا. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> >.

(٦٩) صحيفة إقليمية يومية تأسست عام ١٨٦٨ في مدينة برادفورد في بريطانيا، انحازت سياسياً =

لخسائر بلادهما، «الفادحة»، وفق نص تعبيرهما، والبالغة «مئة وتسعة وثمانون قتيلاً وجريحاً»^(٧٠)، مبيّنتين أنّ القتال انتقل إلى أطراف البصرة عند الحدود مع «الأهواز»^(٧١)، كما أشارتا إلى ضخامة قوات العثمانيين، منوّهتين بأنّ خسائر البريطانيين «كبيرة، وتمّ تقديم أسماء الضبّاط الذين قُتلوا وجُرحوا»^(٧٢). وتناولت الموضوع ذاته صحف أبردين آند جورنال، دبلن ديلي إكسبريس، سكوت مان، لندن إيفنغ ستاندر، هارتلبول نورثرن ديلي ميل، في عددها الصادر في التاريخ نفسه^(٧٣).

وتناغماً مع تغطية الصحف البريطانية لآخر مستجدّات الحرب في البصرة، من جهة، والتركيز على «معركة الشعبة»، من جهة أخرى، نشرت صحيفة ويسترن تايمز (Western Times)^(٧٤) في عددها الصادر بتاريخ ١٧ نيسان ١٩١٥ مقالاً تحت عنوان: «معركة الشعبة: المزيد من التفاصيل حول النصر الهندي ومهمته الرائعة».

= إلى الخط المحافظ، وكانت معروفة بدعم القضايا والأحزاب اليمينية، بما في ذلك حزب المحافظين، وقد ركّزت بشكل رئيس على الأخبار والقضايا ذات الصلة بمدينة برادفورد، وغطّت الأحداث والتطوّرات المحليّة السياسية والاقتصادية والرياضية والثقافية، توقفت عن الصدور عام ١٩٥٠. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها:

< <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> > .

Dublin Daily Express, (Newspaper), Dublin, Republic of Ireland, 8/3/1915, p. 8. (٧٠)

(٧١) بعد الاستيلاء على الفاو، وردت معلومات إلى القيادة العسكرية البريطانية تفيد بتقدّم مزيد من القوات العربية والعثمانية باتجاه الأحواز قادمة من العمارة عبر مدينتي السين وكليلة، وأنّ السماح لهذه القوات بالانتشار سيسمح بانشقاق القبائل التي بقي ولاؤها لشيخ المحمرة، وهذا يعني شن هجمات من قبائل البختارية، وسيسمح بنشوب حرائق في حقول النفط، وبالتالي، خسارة حقول النفط وخط أنابيب عبادان، لذا أصبح من الضروري إرسال قوات بريطانية إلى الكارون. ادموند كانلدن، المصدر نفسه، ص ٢٤؛ مجموعة باحثين، الشيخ خزعل أمير المحمرة، ط ٢ (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩) L/MIL/17/15/73, Naval operations in Mesopotamia and the Persian Gulf, July, 1921, the Inception of the Expedition. Vol. 6. pp. 22-23,

Bradford Daily Telegraph, 8/3/1915, p. 6. (٧٢)

Aberdeen Press and Journal, No. 18773, p. 6; *Dublin Daily Express*, No. 21612, (٧٣) p. 8, *The Scotsman*, No. 22388, p. 6, *London Evening Standard*, No. 28311, p. 6; *Hartlepool Northern Daily Mail*, No. 11482, p. 8, 8/3/1915.

(٧٤) صحيفة إقليمية يومية غطّت مقاطعة ديفون جنوب غرب بريطانيا، تأسست عام ١٨٥٧ في مدينة إكسستر بمقاطعة ديفون، ركّزت بشكل رئيس على تغطية الأخبار والشؤون المحلية في منطقة جنوب غرب بريطانيا بما فيها أخبار السياسة والأحداث في ديفون وكورنوال والمناطق المجاورة، فضلاً عن اهتمامها بالشؤون الاقتصادية والرياضية. عُدّت الصحيفة مؤيدة لجناح يمين الوسط للاتجاه =

متغنية بصولات الجهد القتالي الهندي، واصفة إياهم «بأبطال الشعبية»^(٧٥) حين أحرزوا النصر بعد تقدّم «ثمانية آلاف» جندي تركي مع ثلاثين مدفع، يساندتهم حوالى «عشرة آلاف» من العرب^(٧٦)، معظمهم من «عشائر المنتفق»^(٧٧) ناهيك عن «ثلاثة آلاف» من الكورد، من الجهة الشمالية الغربية^(٧٨).

كما تناولت الصحف الصادرة بتاريخ ١٧ نيسان ١٩١٥، ومنها على سبيل المثال: بانفشاير هيرالد، بيرنلي نيوز، ديلي ركورد، دندي بيبولز جورنال، إيست لندن اوبزيرفر، فايف فري برس آند كيركالدي غارديان، غرائثام جورنال، هاليفاكس إيفنغ كورير، هيدرسفيلد وهولمفيرث اكسامنر، ليستر ديلي ميركوري، ليفربول جورنال أوف كومارس، لندنديري سنتينل، ميرثر اكسبرس، ميد أولستر ميل، نورثهامبتون كرونكل وإيكو، أبردين إيفينغ إكسبرس، أرمي آند نفي غازيت: الموضوع نفسه^(٧٩)، حول معركة الشعبية ونعي الضباط البريطانيين القتلى في

= المحافظ. كما عُرفت في سنواتها الأولى بدعمها لحزب المحافظين ومعارضتها للحركات الليبرالية والراдикаلية. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: <<https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>> .

(٧٥) في الحادي عشر من نيسان وصل الجنرال نيكسون وتولّى القيادة العليا بدلاً من الجنرال السير آرثر باريت لقيادة عديد القوات التي وصل تعدادها فيلقاً كاملاً. آدموند كاندلر، المصدر السابق، ص ٢٦.

(٧٦) إزاء الخطر المحدق بالبصرة والعراق، استجابت المرجعية الدينية وعلماء الدين في العتبات المقدسة في العراق بتاريخ ١١/٦/١٩١٤، مصدره فتاوى الجهاد المساندة للجيش العثماني إثر إرسال أهالي البصرة برقية إلى العتبات المقدسة في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في ٩/١١/١٩١٤ لحثهم على تعبئة وتحشيد العشائر: «ثغر البصرة الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح نحن نخشى على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع»، وقد جاءت استجابة مرجعية النجف والمدن المقدسة في العراق وعلمائها في العتبات المقدسة سريعة، فأفتوا بوجوب الدفاع عن «بيضة الإسلام» و«الوقوف بوجه الكفار»، فكان إعلاناً ببدء حركة الجهاد ضد الغزو. للمزيد من التفاصيل انظر: علاء حسين عبد الأمير الرهيمي، بتول رسول سلمان، الاستعدادات العسكرية البريطانية وغزو العراق في عام ١٩١٤، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجزء ١، العدد ٥٣، ٢٠١٩، ص ٨٤.

(٧٧) للمزيد حول دور الشيعة في التصدي لقوات الاحتلال البريطاني انظر: Eissa Dashti, "The Shiite Resistance Against the British Occupation in Iraq 1914-1921", PhD thesis, Bangor University: School of History, 1970.

Western Times, 17/4/1915, p. 4. (٧٨)

= Banffshire Herald, No.1201, p. 7; Burnley News, No.253, p.12; Daily Record, (٧٩)

العراق^(٨٠)، مقدرة عدد قوات «العدو» بـ «عشرة آلاف» من المشاة النظاميين، و«ألف» من سلاح الفرسان، ومدفعين، ونحو «اثنى عشر ألفاً» من العشائر العربية والكوردية^(٨١).

وأُظنّت صحيفة إيفتنغ دسباتش في عددها الآنّف الذكر أنّ القوّة العسكرية في الشعبية تألّفت من «الفرقة السادسة» بقيادة العميد الجنرال «والتر ديلامين»، و«اللواء ١٨» بقيادة الجنرال «سي. آي. فراي»^(٨٢) مشيرةً إلى أسر «ثمانية عشر» ضابطاً و«ثلاثمائة جندي» وإعطاب «ستة مدافع» موجهة لوماً شديد اللهجة إلى «العرب» لتحالفهم مع العثمانيين^(٨٣) مختتمة المقال بذكر إقدام القائد التركي «سليمان باشا»^(٨٤) الانتحار بعد تجميع ضباطه متهمّة المقاتلين العرب بـ «الخيانة» و«السرقة» لحلفائهم السابقين^(٨٥)!!!

No. 21292, p. 3; Dundee People's Journal, No.2990, p. 7; East London Observer, No.3005, p. 2; Fife Free Press, & Kirkcaldy Guardian, No.2242, p. 2; Grantham Journal, No. 1854, p. 4; Halifax Evening Courier, No. 1892, p. 6; Huddersfield and Holmfirth Examiner, No. 14789, p.8; Leicester Daily Mercury, p. 3; Liverpool Journal of Commerce, No. 27617, p. 7; Londonderry Sentinel, p. 5; Merthyr Express, No. 2624, p. 4; Mid-Ulster Mail, No. 1263, p. 3; Northampton Chronicle and Echo, p. 4; Aberdeen Evening Express, No.11359, p. 3; Army and Navy Gazette, p. 13, 17/4/1915.

(٨٠) للمزيد من التفاصيل حول عناوين الصحف البريطانية في نعي قتلى البريطانيين من الضباط والمراتب الأخرى لعامي ١٩١٥-١٩١٦، أنظر الملحقين (٥) و(٦).

The Times, 15/4/1915, p. 10.

(٨١)

(٨٢) الجنرال سي آي فراي (١٨٨٤-٩): قائد اللواء الثامن عشر في الجيش البريطاني - الهندي وفرقة نورفولك وقائد فرقة مشاة مهراطة الخفيفة رقم ١١٠ ومشاة راجبوتا رقم ١٢٠ وقوات راجبوت الخاصة بالدوق كورنول رقم ٧. ينظر: J. E. H. Nevill 43rd and 52nd History of the (Oxfordshire and Buckinghamshire) in the Great war 1914-1919, the 3rd Light infantry, p. 388.

Evening Despatch, (Newspaper), Warwickshire, England, 15/4/1915, p. 9. (٨٣)

(٨٤) سليمان عسكري بيك (١٩١٥-٩م): من زعماء الاتحاديين وقائد عسكري برتبة مقدّم، كان شجاعاً ولكن ينقصه الفن والخبرة في الإدارة العسكرية. عين قائداً للجيش العثماني خلفاً للقائد جاويد باشا، توفي يوم ١٤ من نيسان ١٩١٥م إثر الهزيمة في معركة الشعيبة. ينظر: هبة الدين الحسيني الشهرستاني، معركة الشعيبة أسرار الخيبة من فتح الشعيبة، دراسة وتحقيق علاء حسين الرهيمي وإسماعيل الجابري، ط ٢ (بغداد: مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، ٢٠١٥)، ص ٣٩.

Evening Despatch, 15/4/1915, p. 9.

(٨٥)

وللمزيد من التفاصيل حول مواقف الصحف البريطانية من معركة الشعيبة ومدى تأثيرها في الرأي العام البريطاني، فقد أشر الباحث، وبكل تواضع، إرفاق ملحق (٣) لنماذج من عناوين الصحف البريطانية التي نقلت وقائع معركة الشعيبة (١١ - ١٤ نيسان) في الصحف البريطانية الصادرة للمدة (شباط - كانون الأول) ١٩١٥.

وسلّطت صحيفة التايمز في عددها الصادر بتاريخ ٧ حزيران ١٩١٥ الأضواء على مضامين تقرير حول «احتلال مدينة العمارة»، مشيرةً إلى استسلام والي العمارة برفقة ثلاثين ضابطاً وحوالي «سبعمئة جندي» في تمام الساعة ٣:٠١ مساءً يوم ٣ حزيران بعد أسر «ثمانون ضابطاً»، من بينهم «ثلاثة أسرى» ألمان، و«ألفا رجل»، وسبعة مدافع ميدانية، وستة مدافع بحرية، وسفينة «مرماريس»، وقاربين فولاذيين كبيرين، وسفينة نهريّة كبيرة، وثلاث سفن صغيرة، فضلاً عن عدد كبير من البنادق والذخيرة من جميع الأنواع^(٨٦).

وتجلّى اهتمام الصحف البريطانية بالحملة البريطانية على بلاد ما بين النهرين، ما نشرته صحيفة التايمز في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ تموز ١٩١٥، واستعرضت في مقال خبري تحت عنوان «العمليات في بلاد ما بين النهرين»، عوامل انتشار مرض يصيب الأمعاء، أصاب «سبعة وعشرين جندياً»، فضلاً عن وفاة «سبع حالات» بسبب «الحُمى»، مؤكّدة ارتفاع درجات الحرارة بشدّة في البلاد، موضحة بأنه يجب اتخاذ سلسلة من الإجراءات للتخفيف من آثار الحر الشديد، كان من بينها تزويد القوات بملايس حماية، ونظارات، وشباك للبعوض، ومشروبات معدنيّة، والخضروات الطازجة القادمة من بومباي في الهند، فضلاً عن تجهيز المباني بالمراوح^(٨٧).

وأشارت الصحيفة في المقال ذاته إلى استمرار العمليات العسكرية على نهر الفرات في المنطقة الممتدّة بين سوق الشيوخ والناصرية، بقيادة اللواء ج. ف. جورنج، والاشتباك مع مواقع «العدو» المتقدّمة والرئيسية، إثر صمود ومقاومة شديدة من قبل العثمانيين والعرب، وهو أمر أدّى إلى قصف الناصرية بحيث اضطّر معه الأتراك إلى الانسحاب شمالاً بشكل غير منتظم ليلاً، وهو ما مكّن البريطانيين من احتلال الناصرية من دون مقاومة^(٨٨)، فيما بيّنت من جهتها صحيفة أبردين ايفنغ

The Times, 7/6/1915, p. 8.

(٨٦)

Ibid.

(٨٧)

The Times, 27/7/1915, p. 8.

(٨٨)

اكسبريس (Aberdeen Evening Express) أن عدد الخسائر البريطانية بلغت «مئة وتسع» ما بين قتيل وجريح بعد إتمام السيطرة على سوق الشيوخ^(٨٩).

ولم ينقطع اهتمام الصحف البريطانية عن التعريف والتنويه بثروات العراق المتعددة، فما فتئت بين الفينة والأخرى، توشح صفحاتها بإيجاز عن مضامين «مستقبل بلاد ما بين النهرين» للقراء مع بيان أهمية تلك البلاد: (حضارياً، وتاريخياً، واستراتيجياً)، فضلاً عن النواحي الاقتصادية البالغة الأهمية في التطلعات الاستعمارية، فقد كتبت صحيفة فليتوود كرونكل (Fleetwood Chronicle) في عددها الصادر في ٣ آب ١٩١٥ تحت عنوان «الهيمنة التركية محكومة بالزوال» بينت فيه الإمكانيات الاقتصادية للعراق، تلك المنطقة الشاسعة التي تروى بمياه دجلة والفرات، مشيرةً إلى أنّ أهميتها الكبيرة يعود إلى قدمها وعراقة تاريخها الموغل في الزمن، وثروتها من المعالم التاريخية، وإمكانياتها التجارية المحتملة بالنسبة إلى بريطانيا، عادةً مستقبلها أمراً ذا أهمية قصوى، سياسياً وتجارياً^(٩٠).

وأطنبت الصحيفة في المقال نفسه أنّ البريطانيين تمكّنوا من إيقاف «القرصنة» في مياهها، وفتح أنهارها وممراتها المائية للملاحة، فضلاً عن تزويد شوارعها بمصابيح الإنارة، بفضل إنفاق كثير من «الدماء» و«الأموال». وهو أمر أدى إلى أن تصبح تجارة المنطقة بأكملها «بيدنا»، فالسفن البريطانية تجوب دجلة من منبعه إلى البصرة، وعلى نهر الفرات. شُيد المهندسون البريطانيون سداً عبر النهر، بفضل تم إعادة زراعة مئات آلاف الفدان من الأراضي الصحراوية وجعلها خصبة. واختتمت بذكر «الأهمية السياسية» للبلد، حيث «قضينا» على المشروع الألماني، سكة حديد بغداد - برلين^(٩١)، والسيطرة على الطرق إلى «مدنها المقدسة» التي يزورها حجاج هنود. معتبرة تلك أهم الأسباب لاحتلال المنطقة^(٩٢).

Aberdeen Evening Express, 23/7/1915, p. 2.

(٨٩)

Fleetwood Chronicle, 3/8/1915, p. 3.

(٩٠)

IOR/L/PS/18/B153, this document is the Property of his Britannic Majesty's (٩١)
Government Memorandum Respecting the Baghdad Railway, the Baghdad Railway
Convention of March 1903, pp.7-12; LOR/L/PS/18/B160, secretary of state for India,
Baghdad Railway, pp. 1-2.

Fleetwood Chronicle, 3/8/1915, p. 3.

(٩٢)

من جهتها نقلت صحيفة لينليثغوشاير غازيت (Linlithgowshire Gazette) خبراً في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٥، دارت مضامينه حول معركة «المدائن»، مؤيدة التقدم صوب بغداد، وهو أمر سيحقق «نصراً» ساحقاً لبريطانيا باتجاه حقول نفط «الموصل»^(٩٣)، منبهة إلى دور «القوات الاستكشافية» بقيادة الجنرال «جون نيكسون»^(٩٤) التي التحمت بمعركة كبيرة في «طيسفون»، ٣٥ على بعد كم جنوب شرق بغداد، مع العثمانيين، وتم الاستيلاء على موقع للقوات العثمانية، وصدّ هجماتهم المضادة، محدّرة من مغبة الانسحاب جنوباً إلى نهر دجلة بسبب «نقص المياه»^(٩٥). فضلاً عمّا نشرته صحيفة أبينجدون فري برس (Abingdon Free Press)^(٩٦)، وصحيفة نيو كاسل ديلي كرونكل (Newcastle Daily Chronicle)^(٩٧) بالخصوص نفسه.

ورصدت صحيفة مانشستر إيفنغ نيوز (Manchester Evening News) في عددها الصادر في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٥، الأخبار الواردة إلى لندن التي أفادت وصول البريطانيين إلى العزيزية^(٩٨)، على بعد خمسين ميلاً عن بغداد^(٩٩). وكذلك

(٩٣) عُدت حقول الموصل من بين أغنى حقول نفط في العالم، وقد دخلت بريطانيا ميدان التنافس على نفط العراق مع ألمانيا والولايات المتحدة اثر عقد امتياز شركة دارسي في ٣/٢٦/١٩٠١، ويعود تاريخ أول امتياز في العراق إلى عام ١٩١٤ حينما أنشئت الشركة التركية للبترول برأسمال بريطاني ألماني عثماني، وبعد هزيمة ألمانيا والإمبراطورية العثمانية أصبحت هذه الشركة احتكاراً بريطانياً خالصاً. للمزيد انظر: عبد الحميد العلوجي، الأصول التاريخية للنفط العراقي (بغداد: وزارة الاعلام، ١٩٧٣)، مج ٢، ص ٤٥-٤٧.

(٩٤) جون نيكسون (١٨٥٧-١٩٢١): جنرال بريطاني تولى قيادة فرقة بلاد ما بين النهرين التي نمت إلى فيلق خلفاً للجنرال آرثر باريت الذي ترك المهمة لاعتلال صحته في ٩/٤/١٩١٥، ودعت أوامر نيكسون إلى احتلال العراق بالكامل حتى بغداد. للمزيد من التفاصيل أنظر: John F. Riddick, *The History of British India: A chronology* (Westport, Conn.: Praeger, 2006), p. 98.

(٩٥) Linlithgowshire Gazette, (Newspaper), West Lothian, Scotland, 26/11/1915, p. 5.

(٩٦) Abingdon Free Press, (Newspaper), Oxfordshire, England, 1/10/1915, p. 3.

(٩٧) Newcastle Daily Chronicle, Northumberland, England, 10/4/1916, p. 3.

(٩٨) بدأت القوات البريطانية في أوائل شهر تشرين الأول ١٩١٥ بالتخطيط لاحتلال مدينة بغداد بعد أن أتمت احتلالها للكويت، فتقدّمت واحتلت العزيزية القريبة من بغداد في ٥ تشرين الأول ١٩١٥، وهو أمر اضطر خليل باشا إلى نقل مقرّه إلى مدينة بغداد، وقد أعدّ خمسة خطوط دفاعية للدفاع عنها. للمزيد من التفاصيل انظر: جواد ظاهر، المصدر السابق، ص ٢٤.

(٩٩) Manchester Evening News, Lancashire, England, 15/11/1915, p. 5.

نقلت الصحف الصادرة في اليوم ذاته المضمون نفسه^(١٠٠).

بعد تحليل بيانات ملحق (٤) نجد أن عدد المقالات المنشورة في الصحف البريطانية فيما تعلق بأخبار الحملة البريطانية على بلاد ما بين النهرين للمدة (١٩١٤ - ١٩١٥)، كان منخفضاً نسبياً ما بين شهري تشرين الثاني وكانون الأول ١٩١٤، بحوالي ١٠٠ - ٢٥٠ مقالة شهرياً. ويبدو واضحاً أن السبب في ذلك راجع إلى أن انطلاق الحملة البريطانية كان في نهاية شهر تشرين الثاني عام ١٩١٤، وكانت الحملة على ما يبدو غير متوقعة لدى الصحف البريطانية من جهة، فضلاً عن تأخر وصول الأخبار إلى تلك الصحف من جهة أخرى. وكما أشار الباحث آنفاً شكت الصحف من تأخر وصول الإعلام الحكومي فيما تعلق بالحملة وتطوراتها من جهة ثانية. فضلاً عن إيلاء الصحافة البريطانية عموماً الجبهة الغربية أثناء الحرب العالمية الأولى.

استمر عدد المقالات الصحفية منخفضاً خلال الأشهر الأولى من ١٩١٥ حتى شهر آذار، بمتوسط ١٥٠ مقالة شهرياً، إلا أن الإيقاع الصحفي بدأ بالارتفاع التدريجي في عدد المقالات ابتداء من شهر نيسان ١٩١٥ حيث بلغ ٤٤٢ مقالة، واستمر هذا الارتفاع خلال الأشهر التالية حتى بلغ الذروة عند شهر كانون الأول ١٩١٥ بـ ٢٧٢٨ مقالة. وكان أعلى ارتفاع للمقالات والأخبار بين شهري أيلول وكانون الأول ١٩١٥. إذاً الارتفاع الحاد في عدد المقالات بدأ في منتصف عام ١٩١٥ واستمر حتى نهاية العام، مقارنةً ببداية ١٩١٥، حيث كان العدد منخفضاً نسبياً؛ إذ ركزت الصحف البريطانية خلال هذه المدة الزمنية على ما عُرف بأدبيات الصحافة البريطانية «كارثة الكوت - عمارة» في إشارة إلى حصار العثمانيين للقوات البريطانية - الهندية يوم ذاك.

Banffshire Herald, No.1201, p. 7; *Burnley News*, No. 253, p. 12; *Daily* (١٠٠) *Record*, No. 21292, p. 3; *Dundee People's Journal*, No. 2990, p. 7; *East London Observer*, No.3005, p. 2; *Fife Free Press*, & *Kirkcaldy Guardian*, No. 2242, p. 2; *Grantham Journal*, No. 1854, p. 4; *Halifax Evening Courier*, No. 1892, p. 6; *Huddersfield and Holmfirth Examiner*, No. 14789, p. 8; *Leicester Daily Mercury*, p. 3; *Liverpool Journal of Commerce*, No. 27617, p. 7; *Londonderry Sentinel*, p. 5; *Merthyr Express*, No. 2624, p. 4; *Mid-Ulster Mail*, No. 1263, p. 3; *Northampton Chronicle and Echo*, p. 4; *Aberdeen Evening Express*, No. 11359, p. 3; *Army and Navy Gazette*, No. 2882, p. 13, 17/4/1915.

ويبدو لنا ممّا تقدّم أن الصحف البريطانية ومع بدء الحملة البريطانية على بلاد ما بين النهرين عام ١٩١٤، قد تباينت وتداخلت ما بين توجهاتها السياسية من جهة، وتأثرت بالعديد من العوامل من جهة أخرى، وقد أدى ذلك إلى تباين آرائها إزاء الحملة ومجرياتها، وقد انقسمت ما بين صحف داعمة وغير داعمة قرار الحكومة البريطانية بشن حملة عسكرية ضد العثمانيين على أرض بلاد ما بين النهرين، ويبدو أنّ تلك المواقف الداعمة إزاء الحملة قد عزّزت من مكانة الإمبراطورية البريطانية، فضلاً عن كونها عدته جزءاً من الجهد الحربي العام أثناء الحرب، وبخاصة أنّ ما ميّز تأريخ بريطانيا عشية الحرب العالمية الأولى تصاعد مفهوم «نبذ الحرب»، وهو أمر عزّز الآفاق الانتخابية لحزب العمال بين الناخبين القدامى والجدد نتيجة مجموعة معقّدة من العوامل، بات معها حزب العمال أكثر حرصاً على استخدام الدولة لتعزيز حقوق الطبقة العاملة، إلا أنّ أحد مصادر التوتر الرئيس داخل الحزب تمثّل بنشوب الحرب العالمية الأولى.

وقد اتخذت صحف أخرى مواقف اتسمت بالتحفظ وجنوحها باتجاه المواقف المعتدلة، وبخاصة أن تلك الصحف التي أخذت تطرح أسئلة دارت مضامينها حول التكلفة والاستدامة والفائدة المحتملة لهذه الحملة. أمّا تلك الصحف التي عارضت الحملة الأنفة الذكر فقد عبّرت عن مخاوفها بشأن التوسّع الإمبراطوري والتكلفة البشرية والمالية للحملة، فضلاً عن إبدائها القلق بشأن استخدام القوى العسكرية المفرطة إزاء شعوب المنطقة. وقد تأثرت مواقف الصحف بأحداث الحرب والمعلومات المتاحة يومذاك، وتطوّرت المواقف مع تقدّم الحملة والأحداث الميدانية. مع ملاحظة أنّ الصحف كانت تمثّل آراء متنوّعة داخل المجتمع البريطاني، ولذلك كان هناك تباين في المواقف بين الصحف. وبشكل عام، يمكن القول إنّ مواقف الصحف البريطانية من الحملة مع بدء انطلاقها اتسمت بالحذر والترقب، في ظل قيود حكومية صارمة إزاء تزويد وسائل الإعلام بمعلومات دقيقة ومفصّلة. لذا يجد المتتبّع هذا التفاوت في الآراء بشأن حجم وأهداف الحملة والتضحيات المطلوبة لتحقيقها.

كان الغرض الأوّل من الحملة هو اتباع «سياسة دفاعية» محدودة، لكن سرعان ما تغيّرت تلك السياسة لتحلّ محلّها «مطامع» ناقصة المرمى والإيضاح، وهي ترمي إلى مجهود فجائي لم تُحسب نتائجه بدقّة. فبعد احتلال ولاية البصرة جميعها، وإذا

بخطط لاحتلال بغداد تلوح في سماء المحتلّ البريطاني، وقد اختلفت معه الآراء السياسية إزاء تلك الاستراتيجية الدافعة بالتقدّم صوب بغداد. وهكذا كان الجنرال «جون نيكسون» يسبق السياسة، ولا يتبع الاستراتيجية التي كانت تقضي عليه تحقيق غرض الحملة باحتلال (الأهواز - العمارة - الناصرية). إلا أنّ الحملة البريطانية أكملت مسيرتها باتجاه بغداد وباقي الولايات العراقية يومذاك، وهذا ما سيتطرّق إليه الباحث في الفصل السادس.

الفصل (الساوس)

مواقف الصحافة البريطانية من تطورات العمليات العسكرية في العراق (١٩١٦ — ١٩١٨)

أظهرت الاهتمامات «الحربية» للحملة على بلاد ما بين النهرين، في الصحافة البريطانية، عمق هذا الاهتمام وحجمه متمثلاً بدراسة أدق التفاصيل عن المعركة؛ لما شكّلت من أهمية كبيرة في المنظور العسكري - الاستراتيجي البريطاني للعراق وموقعه في حساباتها الإقليمية والدولية.

فلا غرو من أن نجد لها بين الفينة والأخرى تركّز في منشوراتها على المعارك الدائرة هنا أو هناك في العراق، أو التذكير بأهمية احتلال بعض مدنه من خلال إعادة نشر مقالات وموضوعات بعينها من دون سواها في محاولة واضحة، إن جاز لنا التعبير، في مُداعبة مشاعر الرأي العام البريطاني، وشحذ هممه لمساندة حكومته في حملته على بلاد ما بين النهرين، وهي حملة واجهت مقاومة ورفضاً شعبياً منقطع النظير، أخطأت الحسابات الرسمية البريطانية، وعلى كافة الصعد الميدانية أو السياسية فيها، في تقدير حجمها وتفاعلها مع فتاوى علمائها في المدن المقدسة.

ولم تقتصر تغطية الصحافة البريطانية على تلك الموضوعات والأخبار والقضايا التي خُصّت «حصار الكوت»^(١) للمدة (١٩١٥ - ١٩١٦) فحسب، وإنّما أفرد العديد منها مكاناً مميّزاً من صفحاته سلطت فيه الأضواء على أسباب «الفشل المدوّي»^(٢)، للعديد من المعارك التي وقعت ضمن محاور شمال البصرة، فعلى سبيل المثال لا

(١) للمزيد من عناوين الصحف البريطانية حول حصار الكوت، أنظر ملحق (٧).

(٢) Dorking and Leatherhead Advertiser, (Newspaper), Surry, England, 1/1/1916, p. 3.

الحصر كتبت صحيفة دوركينغ اند ليدز هيد ادفيرتايزر (*Dorking and Leatherhead Advertiser*) في عددها الصادر بتاريخ ١ كانون الثاني ١٩١٦، مقالاً مطوّلاً استعرضت فيه أسباب فشل الجهد العسكري البريطاني في المعارك «الأخيرة»، شمال المنتفق يومذاك، وعلى حد تعبيرها كانت «انتكاسة مؤسفة»، عازية السبب لـ «قلّة المياه»، وهو أمر أدّى إلى «إجبار» البريطانيين على التراجع نحو كوت العمارة، مشيرةً إلى إرسال تعزيزات عسكرية، متغنية بقرب «احتلال بغداد»^(٣).

وتناغماً مع ما تقدم نشرت صحيفة ديلي غازيت فور ميدلسبره (*Daily Gazette for Middlesbrough*)^(٤) مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ٣ كانون الثاني ١٩١٦ وسم بعنوان «خسائر العدو ١٠٥٠٠ جندي»، ذكرت فيه أنّ القوات العثمانية تقدّمت بطلب لعقد هدنة يوم ٢٩ كانون الثاني ١٩١٦ لإجلاء الجرحى والقتلى الذي ناهز «عشرة آلاف وخمسمائة» بحسب الصحيفة نفسها^(٥).

لم تقف اهتمامات ورصد الصحافة البريطانية سواء للحملة البريطانية في العراق، أو في كتاباتها عن واقع تلك العمليات فحسب، بل تجددت شكوى الصحف البريطانية من ندرة الأخبار الصادرة عن الجهات الحكومية، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة التايمز في عددها الصادر بتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩١٦ مقالاً تحت عنوان «لا نزال بالانتظار»، خصّت مضامينه ندرة أخبار الحملة البريطانية، منبهةً إلى أنّ

(٣) صحيفة محلية غطّت أخبار مدينة ساري في بريطانيا مع بدء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، ولكون الصحيفة محلّية المحتوى والأهداف، فقد ركّزت بشكل أساس على الأخبار والقضايا المحليّة بدلاً من السياسة الوطنية، ويبدو أنّ تغطيتها كانت تميل إلى الاتجاه المحايد سياسياً، فضلاً عن أن طروحاتها حول مجريات الحرب العالمية الأولى وجبهات القتال المتعدّدة ومنها بلاد ما بين النهرين، قد اتسمت بالموضوعية والواقعية، شأنها في ذلك شأن العديد من الصحف ذات الطابع المحلي في بريطانيا يوم ذاك. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> > .

(٤) صحيفة إقليمية تأسست عام ١٨٦٩، غطّت أخبارها مدينة فور ميدلسبره شمال شرق بريطانيا، وقد اتخذت تغطيتها موقفاً محايداً سياسياً، إذ نقلت الأحداث المحليّة والوطنية بشكل واقعي بخاصة مع اتساع دائرة الحرب العالمية الأولى، ولم يكن لصحيفة ديلي غازيت فور لميدلسبره أي انتماءات سياسية واضحة يوم ذاك على ما يبدو. للمزيد انظر أرشيف الصحف البريطانية على الموقع الرسمي لها: < <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk> > .

Daily Gazette for Middlesbrough, Yorkshire, England, 3/1/1916, p. 3.

(٥)

الإعلام الحكومي لم يسلط الضوء على حملة بلاد ما بين النهرين سوى النزر اليسير من تلك الجوانب الأوسع للصعوبات التي «نواجهها في الشرق الأوسط»، وبذلك فإنّ الجمهور لا يزال في «حيرة كبيرة»^(٦).

فيما أرجعت صحيفة ماريليبون ميركوري (*Marylebone Mercury*) في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ كانون الثاني ١٩١٦ خبراً لها تحت عنوان «حملة دجلة: توقفت بسبب الطقس»، أسباب تأخر الحملة البريطانية على بلاد ما بين النهرين لسوء الأحوال الجوية، منبهةً إلى أنّ طقس بلاد ما بين النهرين طقس «سيء»، فالأمطار تهطل بغزارة شتاءً، فضلاً عن «الفيضانات»^(٧)، وهو أمر صعب معه حركة الجند للغاية^(٨). وكذلك تناولت الموضوع صحيفة جيرنزي ايفننغ برس اند ستار في تعليق لها في عددها الصادر بتاريخ ٢١ تموز ١٩١٦، تناولت الموضوع نفسه إذ بلغت درجة الحرارة صيف عام ١٩١٦ «٤٩ درجة مئوية»^(٩).

وانسجماً مع ما تقدّم، نشرت صحيفة اليستريتد بوليس نيوز (*Illustrated Police News*) في عددها الصادر بتاريخ ١٠ شباط ١٩١٦ خبراً مقتضباً عن «طقس بلاد ما بين النهرين»، مشيرةً فيه إلى نقص حادّ في منسوب نهر دجلة صيفاً، فيما يشهد شتاؤه أياماً من الصقيع الباردة والرياح الجافة التي عملت على تجفيف الطين، على الرغم من تواصل الصقيع ليلاً، عادةً إياها عوامل «جوية قاسية»^(١٠). وكذلك تناولت صحيفة ألفريتون جورنال (*Alfreton Journal*) في عددها الصادر بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩١٦، الموضوع نفسه^(١١).

كما أشارت في المقال نفسه إلى معركة «شيخ سعد» في ٢١ كانون الثاني،

^(٦) *The Times*, 12/1/1916, p. 4.

^(٧) للمزيد من التفاصيل حول فيضانات بلاد ما بين النهرين انظر: أحمد سوسة، *فيضانات بغداد في التاريخ* (بغداد: مطبعة الأديب، ١٩٦٥)، ج ٢؛ محمود شوقي الحمداني، *لمحات من تطور الري في العراق: قديماً وحديثاً* (بغداد: مطبعة السعدون، ١٩٨٦).

^(٨) *Marylebone Mercury*, Somerset, 29/1/1916, p. 5.

^(٩) *Guernsey Evening Press and Star*, Guernsey, 21/1/1916, p. 4.

^(١٠) *Illustrated Police News*, Lancashire, 10/2/1916, p. 6.

^(١١) *Alfreton Journal*, Derbyshire, 28/1/1916, p. 6.

^(١٢) يرجع تاريخ بناء الخنادق الحربية في العراق إلى العقود الماضية، حيث استخدمت هذه الأساليب الدفاعية في العديد من الصراعات والحروب التي شهدتها البلد لما يتطلبه من مهارات هندسية =

موضحةً أن «الخنادق»^(١٢) التي بناها العرب في شيخ سعد كانت «مصممة بشكل ممتاز»، كونها عميقةً وضيقةً، ويمكن للقوات التحرك بسرعة على طولها من نقطة إلى أخرى من دون التعرّض للخطر. واختتمت الصحيفة بالإشارة إلى ثلاثة عوامل طبيعية أفادت الجيش العثماني في المعارك في بلاد ما بين النهرين تمثلت بـ: خلو الأرض من المياه الجوفية، أولاً، وكثرة المستنقعات المائية التي لا يمكن اجتيازها، ثانياً، والسطح المستوي الموحد للأرض، وعدم وجود أي تغطية طبيعية للمهاجم، سواءً أكانت الحركة مباشرة أم تطويقية، ثالثاً، مختمة المقال باقتصار العمليات، آنذاك، على القنص العشوائي وإطلاق النار المدفعي، والاستيلاء على كميات كبيرة من الأغنام والماشية^(١٣).

وانفردت صحيفة التايمز بنشر أبيات شعرية تحت عنوان «في بلاد ما بين النهرين» حاكت فيها ما يجري على بلاد ما بين النهرين من مأسٍ إنسانية؛ نتيجة للحملة البريطانية على بلاد ما بين النهرين، ودوي المدافع وصخب السلاح، وقد أشارَ الباحث هنا باقتباسها لأهميتها في نقل صورة شعرية عما كان يجري يومذاك في بلاد ما بين النهرين، أولاً، ولبيان احتجاج بعض الصحف البريطانية على تلك الحملة، ثانياً:

عجلاتٌ صاخبةٌ وخطوات عديدة للرجالِ والخيولِ بوتيرة غير منتظمةٍ
وصيحاتُ النساءِ غضباً ويأساً بينما أرتالُ التركِ أفسدت الهواء.
ثم تحوّلت فجأةً، كما تفعلُ الأطفالُ الصغارُ عندما يتركون مهامهم، ليروا عرضاً مسرحياً،
بدهشة وليس بخوف، ولا تزال تحتضن الفاكهة الذهبية التي كانت في انتظارها.
في حلمي أنا، كنتُ أشاهدها هناك وأرى بهاء شعرها الأحمر - الذهبي
يتلألأ بين الأوراق، وهي تتحركُ هنا وهناك لتراقبَ تلك الجموع القاسية -
لحظات قليلة.

= وتخطيط دقيق، ويتم حفر الخنادق عميقاً في التربة لتوفير حماية للقوات الموجودة فيها من النيران المعادية. انظر: أحمد سوسة، فيضانات بغداد في التاريخ، ج ٢؛ محمود شوقي الحمداني، لمحات من تطور الري في العراق، ص ١٩.

Illustrated Police News, 10/2/1916, p. 6.

(١٣)

ثم نزلت من مكانها بعد فترة قصيرة بعيون مشتتة وخبدين ملتهبين.
مستقيمة، رائعة، رأيها تقف تحمل مستقبل العالم بيدها المرفوعة.
يا أُمنا! فات الأوان، فات الأوان!
منذ زمن طويل، أغلق ملائكة الله بوابة البستان تلك.
إنها بلاد ما بين النهرين^(١٤).

ووشحت صحيفة شيفيلد ايفننغ تلغراف (Sheffield Evening Telegraph) في عددها الصادر بتاريخ ١٢ شباط ١٩١٦، في صفحاتها مقالاً وسم بعنوان ذي مغزى ودلالة واضحة: «العرب الودودون يهاجمون القوات البريطانية»، مبيّنةً مطاردة العشائر العربية لقوة استطلاعية بريطانية في الناصرية في شهر كانون الثاني، موضحةً تعرض قوة استطلاعية بريطانية لهجوم «غادر» من بعض العشائر «ممن كنا نعتقد سابقاً بوّدهم»، وهو أمر أدى إلى مقتل «ثلاثمائة وثلاثة وسبعين» من «جنودنا». أمّا عدد القتلى من العدو فقد فاق «الثلاثمائة قتيل». وهو أمر دفع بالبريطانيين إلى إرسال «قوة عقابية» ضد العشائر المهاجمة في ٩ كانون الثاني، ممّا فاجأ «العرب تماماً»، فضلاً عن «تدمير أربع قرى»^(١٥).

وسلّطت الأضواء صحيفة ايفننغ ستار (Evening Star) في عددها الصادر بتاريخ ١٦ شباط ١٩١٦، في تقريرٍ خبريٍّ لها، تصدّي الجنرال أيلمر هالدين (Aylmer Haldane)^(١٦) وقواته لهجمات تركية مكثّفة وهو بانتظار «مزيد من التعزيزات» قبل استئناف تقدّمه للالتقاء مع قوات الجنرال تاونسند، مستشفة بأنّ العمليات في بلاد ما بين النهرين التي كانت «تحكمها الهند»، ستصبح بعد مدّة وجيزة تحت إشراف «وزارة الحرب»^(١٧).

The Times, 14/2/1916, p. 9.

(١٤)

Sheffield Evening Telegraph, Lancashire, 12/2/1916, p. 6.

(١٥)

(١٦) أيلمر هالدين (١٧/١١/١٨٦٢ - ١٩/٤/١٩٥٠): أيلمر هالدين جنرال في الجيش البريطاني أصله من اسكتلندا، شغل منصب القائد العسكري العام للقوات البريطانية في العراق في نهاية سنة ١٩١٩، وحين تسلّم منصبه المذكور كان عمره ثمانين وخمسين سنة، وقبلها كان متقاعدًا، حاصل على عدد من الأوسمة العسكرية منها: وسام القديس ميخائيل، وسام الحمام، وسام الخدمة المتميّزة. للمزيد انظر: أرنولد ويلسن، المصدر السابق، ص ٨٩.

Evening Star, Suffolk, 16/2/1916, p. 4.

(١٧)

وسعت صحيفة ميدستون تلغراف (Maidstone Telegraph) في عددها الصادر بتاريخ ١٩ شباط ١٩١٦ بمقالها «بلاد ما بين النهرين» إلى لفت أنظار الرأي العام إلى تطمينات رئيس الوزراء البريطاني السير هربرت هتري أسكويث (Herbert Henry Asquith)^(١٨) حول الوضع في البلد الآنف الذكر في أثناء خطاب له في إحدى جلسات مجلس العموم، مؤكّدة أنّ سير الحملة «أثار» بعض «القلق» بين الحين والآخر، مشيرةً إلى أنّ الوضع قد تحسّن بشكل واضح، موضحةً أنّ الجنرال تاونسند محتفظ بموقعه مع إمدادات كافية، مراهنةً على قوات الجنرال أيلمر في مواصلة الزحف لاحتلال بغداد^(١٩).

وتوافقاً مع ما تقدّم، بدأ «إيقاع الإعلام البريطاني» بصحافته يتصاعد شيئاً فشيئاً حول «قوة» العرب، وضرورة الأخذ بالحسبان «الحيطة» من أساليبهم القتالية. وقد نشرت، على سبيل المثال لا الحصر، صحيفة التايمز في عددها الصادر بتاريخ ٢١ شباط ١٩١٦ مقالاً مطولاً وسم بعنوان «الفرسان العرب في بلاد ما بين النهرين»، أشارت فيه إلى أنّ فرسان العرب الذين قاتلوا «ضدنا» امتطوا خيولاً خفيفة، مشكّلين «كتل داكنة» تنتشر بحركة خفيفة في الأفق بأكمله، محلّقين في الأرجاء من دون سبب واضح، إلا ما يكون بدافع البهجة أو بدافع الغريزة، مقلّدين بذلك الطيور المفترسة، في حركات وأشكال معقّدة، فغالباً عندما «نلقي بقذيفة أمامهم» ينحرفون مثل سرب من البطّ بسرعة خاطفة، ويظهرون على الجانب الآخر، تاركين خلفهم الغبار المتلاشي، وهو أمر يصعب معرفة ما إذا كانوا على خيولهم أم راجلين، أو حتى تقدير عددهم^(٢٠).

(١٨) هربرت هنري أسكويث (١٨٥٢/٩/١٢ - ١٩٢٨/٢/١٥): سياسي بريطاني بارز، تولّى رئاسة الوزارة في بريطانيا للمدة (١٩٠٨ - ١٩١٦). خدم في العديد من المناصب الحكومية قبل أن يصبح رئيس الوزراء حين كانت بريطانيا تواجه تحديات كبيرة من بينها تطوّر العلاقات الدولية واقترب الحرب العالمية الأولى. عمل على تعزيز التجارة والعلاقات الدبلوماسية وتقديم الدعم للقوات المسلحة. تعرض أسكويث لانتقادات خلال رئاسته للحكومة بسبب أسلوب تعامله في الحرب، وسياسته الخجولة في تنفيذ الإصلاحات. استقال من منصبه عام ١٩١٦، وأصبح عضواً في مجلس اللوردات. للمزيد انظر: Margaret Elizabeth Philomena Marley, "Asquith, Home rule, and the Gladstonian Tradition", PhD thesis, University Belfast, 1972.

Maidstone Telegraph, 19/2/1916, p. 4.

(١٩)

The Times, 21/2/1916, p. 9.

(٢٠)

وأطنبت الصحيفة بالقول «في مسرح الحرب: كان العرب يشكّلون نوعاً من التشكيلات العسكرية غير المنتظمة للترك، فهم يترصّون دائماً على «جنباتنا»، و«يتبعوننا» مثل ثعالب، فهم ينهالون على بُعد ٨٠٠ ياردة على شكل قطيع مشيع بروح السلب والنهب، والقتل لديهم تمهيد للنهب والسلب، فهم يقتلون فريستهم قبل الاستيلاء على ما في الجيوب، تاركين الجثث خلفهم غير متردّدين من نبش القبور، واصفاً إياهم بـ «الأصدقاء الخونة» الذين قاتلوا رسمياً من أجل العثمانيين، معتبراً تعاطفهم الإسلامي شكلي ووقتي، سرعان ما انقلبوا ضد أصدقائهم وقتلواهم ونهبواهم»^(٢١).

وانسجماً مع اهتمام الإعلام البريطاني بمأزق الحصار المفروض على الجنرال تاونسند وجنده في الكوت، نشرت صحيفة غلوب في عددها الصادر بتاريخ ٧ آذار ١٩١٦، مقالاً استهجن فيه تطمينات رئيس الوزراء السير أسكويث حين صرح «أن لا قلق على جنودنا في الكوت المحاصرة» والذي نشرته الصحف البريطانية آنفاً. ولعل من المفيد هنا أن تقتبس شيئاً من مقاله المطوّل هذا، فمما جاء فيه:

«إن التفاؤل الذي أعلنه السيد أسكويث في مجلس العموم كان غير مبرر تماماً، ونعتقد أنّه من المشكوك فيه على الأقل ما إذا كانت قوة الجنرال أيلمر يمكن لها التقدّم لتخفيف عن قوات الجنرال تاونسند في الكوت، ونقول فقط، دون تعليق آخر، إن الموقف مؤسف»^(٢٢).

ولم تقف اهتمامات الصحافة البريطانية ورصدها العمليات العسكرية فحسب، بل تعدّتها إلى التعريف بأهمية الخرائط في الحروب، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة ويسترن ميل (*Western Mail*)^(٢٣) في عددها الصادر بتاريخ ٧ آذار ١٩١٦ مقالاً بعنوان «خريطة الحرب في بلاد ما بين النهرين»، مشيرةً إلى تلك الخرائط الخاصة بشركة «جي. دبليو. بيكونز» (G. W. Bacon's) لمالكها البريطاني الجنسية «جورج واشنطن بيكون»^(٢٤) (George Washington Bacon) والتي أصدرت خريطة جديدة

Ibid. (٢١)

Globe, 7/3/1916, p. 2. (٢٢)

(٢٣) للمزيد حول نشأة وتطور صحيفة ويسترن ميل انظر: Joanne Mary Cayford, "The Western Mail 1869-1914: A Study in the Politics and Management of a Provincial Newspaper", PhD thesis, University of Wales, 1992.

(٢٤) جورج واشنطن بيكون (١٨٣٠-١٩٢٢): ناشر للكتب والخرائط في لندن، نشط منتصف =

لبلاد ما بين النهرين ويسعر «سته بنسات»، معتبراً إياها «نعمة» لأولئك الذين يتابعون بعناية العمليات «المستمرة والمتغيرة» في البلد الآنف الذكر، منوهةً إلى أن الخريطة تضمّنت حدود وتفاصيل دول إيران وتركيا في آسيا، فضلاً عن البلاد الممتدة حتى قناة السويس، مؤكدةً أن طبعها امتازت «بوضوح ممتاز»، وفق تعبيرها^(٢٥).

وأفردت صحيفة بول مول غازيت (Paul Mall Gazette) في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ آذار ١٩١٦ جزءاً حيويّاً من إحدى صفحاتها في التعريف بمضامين إدارة المصحات التابعة للقوات البريطانية في بلاد ما بين النهرين، ونشرت عنوانه اختصاراً بـ «تقاسم المسؤولية في بلاد ما بين النهرين» موضحةً في سؤال موجه إلى السير «آرثر نيفيل تشامبرلين» (Chamberlain)^(٢٦) حول مدى مسؤولية السير «ويليام ماير» (William Meyer)^(٢٧) في نقل معدّات المستشفيات للقوات البريطانية في بلاد ما بين النهرين، مستدركةً بنقل جواب السير تشامبرلين. ولعلّ من المفيد هنا أن نقبس شيئاً من مقاله المطوّل هذا يشرح فيه أهميته للرأي العام البريطاني، فمما جاء فيه:

= القرن التاسع عشر وحتى أواخر أيامه. أسس شركة بيكون، واشترى بيكون وشركاه اللوحات التي أنشأها إدوارد ويلر، فضلاً عن إعداد الشركة للعديد من الأطالس الهامة الخاصة بها، بما في ذلك أطلس الذخائر الجديدة للجزر البريطانية. في عام ١٨٩٣، استحوذت شركة بيكون على أعمال نشر الخرائط الخاصة بـ J. Weld. ثم، في مطلع القرن، تم دمج (Bacon & Co) في دار النشر الاسكتلندية Vimalin Rujivacharakul, [et. al] (ed.), Architecturalized Asia: للمزيد انظر: (W. & A. K. Mapping A Continent Through History (Honolulu: University of Hawai'i Press, 2013), p. 250.

Western Mail, (Newspaper), London, 7/3/1916, p. 6. (٢٥)

(٢٦) آرثر نيفيل تشامبرلين (١٨/٣/١٨٦٩ - ٩/١١/١٩٤٠): سياسي بريطاني وعضو في حزب المحافظين، وعضو في مجلس العموم، ولد عام ١٨٦٩. تقلّد منصب رئيس الوزراء للمدة (٢٨/٦/١٩٣٧ - ١٠/٦/١٩٤٠) عُرف تشامبرلين بشكل خاص بدوره في معاهدة ميونخ عام ١٩٣٨، حيث قاد الجهود لتفادي التصعيد وبدء الحرب من خلال التوصل إلى اتفاق مع ألمانيا النازية بقيادة أدولف هتلر التي فشلت في منع نشوب الحرب العالمية الثانية. للمزيد انظر: Andrew David Stedman, "A synthesis and analysis of the alternatives to Chamberlain's policy of appeasing Germany, 1936-1939", PhD thesis, Kingston University, 2007.

(٢٧) ويليام ستيفنسون ماير (١٣/٢/١٨٦٠ - ١٩/١٠/١٩٢٢) ضابط في الخدمة المدنية الهندية، تمّ تعيينه رئيساً لمجلس التجنيد المركزي عام ١٩١٧، ونجح في استقطاب أعداد كبيرة من المجنّدين. تمّ تعيين السير ويليام كأول مفوض سام للهند في ١٩/٩/١٩٢٠. للمزيد انظر: "Obituary: Sir William Meyer," Journal of The Royal Central Asian Society, Volume 10, Issue 1, 1923.

«إنَّ السير ويليام ماير هو عضو مالي في حكومة الهند»، وبالتالي، ليس لديه أي مسؤولية في نقل معدّات المستشفى لبلاد ما بين النهرين، إنَّ حكومة الهند هي المسؤولة المباشرة عن تجهيزات جميع القوات القادمة من الهند، ووزارة الحرب مسؤولة عن تلك القادمة من أوروبا. ويتمّ تنظيم الإمدادات من قبل حكومة الهند بالتنسيق مع وزارة الهند أو وزارة الحرب وفقاً لطبيعة التوريد»^(٢٨).

شكّلت صحيفة التايمز «ثقلاً» واضحاً بين رصيفاتها الأخرى من الصحف البريطانية نظراً إلى تاريخها الممتدّ منذ عام ١٧٨٥، وهذا الإرث التاريخي وتفرّدها بنقل الأخبار وتحليلها، فضلاً عن تلك التحقيقات الصحفية للموضوعات والقضايا المهمّة، وهو أمر أضفى مصداقية وموثوقية لدى جمهور القراء.

وانسجماً مع ما تقدّم، فقد نشرت في عددها الصادر بتاريخ ٤ نيسان ١٩١٦، مقالاً لفت فيه اللواء المتقاعد «ألفريد إي تيرنر»^(٢٩) (Alfred E. Turner) أنظار الرأي العام والحكومي إلى أخطاء «كارثية» حدثت في أثناء معركة «كوت العمارة»، محذراً من تدخّل السياسيين في مجريات المعركة. وجاء المقال ردّاً على مقال سبق أن نشرته الصحيفة نفسها في عددها الصادر بتاريخ ١ نيسان ١٩١٦، موضحةً فيه تصريح اللورد «إزلينغتون»^(٣٠) (Lord Islington): «إنَّ السماح للجمهور بمعرفة ما

Pall Mall Gazette, (Newspaper), London, 29/3/1916, p. 4.

(٢٨)

(٢٩) ألفريد إي تيرنر (١٨٤٢/٣/٣ - ١٩١٨/١١/٢٠): اللواء السير ألفريد إدوارد تيرنر، ضابط بالجيش البريطاني في أواخر القرن التاسع عشر، ولد في ١٨٤٢/٣/٣ في لندن، التحق بمدرسة وستمنستر (١٨٤٥-١٨٥٦)، دخل الكلية العسكرية في أديسكومب عام ١٨٦٠، التحق بعدها بالمدفعية الملكية في ولويتش، خدم ببطارية ميدانية في البنغال عام ١٨٦٥، عاد إلى الهند للمدة (١٨٦٩-١٨٧٣)، حيث خدم في مدفعية الخيول في أمبالا وبيشاوور ليعود بعدها إلى إنكلترا حيث خدم في البطاريات الميدانية في نيوكاسل، كما خدم في المناصب الإدارية في أيرلندا. للمزيد انظر: Alfred E. Turner, *Sixty Years of a Soldier's Life* (London: Wentworth Press, 2019).

(٣٠) جون بويندر ديكسون (١٨٦٦/١٠/٣١ - ١٩٣٦/١٢/٦): سياسي بريطاني، وحاكم لنيوزيلندا للمدة (١٩١٠-١٩١٢)، عُيّن عمدة لويلتشاير عام ١٨٩٠، أُنتخب عضواً محافظاً في مجلس العموم البريطاني عن دائرة تشينهام عام ١٨٩٢، وانضم إلى الليبراليين عام ١٩٠٥. خدم في كتيبة المتطوّعين الاسكتلنديين الملكيين، تَمّت ترقّيته إلى رتبة نقيب في ١٨٩٨/١٢/٧، ثم اشترك في حرب البوير الثانية، عُيّن مسؤولاً لتموين الجيش في ١٩٠٠/٣/١٠، رُقّي إلى رتبة ملازم فخري في ١٩٠١/٢/٥، ثم إلى رتبة رائد في ١٩٠٢/٦/٣١. تم تعيين ديكسون حاكماً لنيوزيلندا للمدة (١٩١٠-١٩١٢). للمزيد انظر: < <https://api.parliament.uk> >.

حدث على نهر الفرات في كوت العمارة أضرّ بشدة بالمصلحة الوطنية»^(٣١) بل هو «ذروة السخافة»، مشددة على الصفات الرفيعة للجنرال تاونسند والصمود الرائع والشجاعة لقواته، وهو أمر أدى إلى تفادي ارتكاب خطأ فادح ينتهي بمأساة، مندة بتدخل السياسيين «الجهلة» الذين يصدرن أوامر القتال في الطرف الآخر من العالم، في ظروف يجهلون بها، ظروف وتعقيدات تتغير من يوم إلى آخر، ويمكن تقديرها بشكل صحيح فقط من قبل القائد العام الذي يقود المعركة في الميدان^(٣٢).

فلا مرأى إذ نجد تصاعداً متناغماً بين الإعلام البريطاني الممثل بـ «صحفه» يومئذ وتطلعات القادة الميدانيين بالسيطرة على العراق، وهو ما حدا ببعضها إلى التسرع باستشراق مستقبل «بلاد ما بين النهرين» في ظل وجود بريطاني «دائم»، فعلى سبيل المثال كتبت صحيفة إيست أنغليان ديلي تايمز (East Anglian Daily Times) بتاريخ ١٨ نيسان ١٩١٦ مقالاً حمل عنواناً واضح المغزى والدلالة هو «مسؤولية السير ج. نيكسون عن التقدم الى بغداد»، أشارت فيه إلى تصريح رئيس الوزراء «أسكويث» بشأن الرسالة الموجهة من الجنرال تاونسند إلى الملك بتاريخ ١٧ شباط ١٩١٦، نقلها «السير برسي لايك»^(٣٣) (Percy Lake) ولعلّ من المفيد هنا أن نقتبس شيئاً من مضامينها الذي توضح خفايا رسالة الجنرال تاونسند إلى الملك آنذاك، فمما جاء فيه:

«من الصعب عليّ التعبير بالكلمات عن مدى امتناني وتأثر جميع رتب قواتي برسالة جلالته الشخصية، ونيابة عنهم ونيابة عني، أودّ أن أعرب لجلالته، العاهل العزيز، عن أنّ الخبرة والمعرفة التي نمتلكها من تعاطف جلالته ستكون مصدر قوّتنا في قتالنا»^(٣٤).

The Times, 4/4/1916, p. 9.

(٣١)

Ibid.

(٣٢)

(٣٣) بيرسي هنري نويل ليك (١٨٥٥/٧/٢٩ - ١٩٤٠/١١/١٧): ضابط في الجيش البريطاني، شغل منصب قائد في الجيشين البريطاني والهندي، خدم خلال الحرب العالمية الأولى، ولد في بريستون، لانكشاير، إنكلترا، رُقي إلى ملازم ثان عام ١٨٧٣، ثم ملازم أول عام ١٨٧٨، قاتل في الحرب الأنغلو أفغانية الثانية، ثم في السودان عام ١٨٨٥، ثم رُقي إلى عميد عام ١٨٩٩، ثم لواء عام ١٩٠٥، ثم قائداً للجيش في بلاد ما بين النهرين عام ١٩١٦. للمزيد من التفاصيل انظر: H. Cary Gilson, "The Percy Sladen Expedition to Lake Titicaca, 1937," *The Geographical Journal*, Vol. 91, No. 6 (Jun., 1938), pp. 539-542.

East Anglian Daily Times, (Newspaper), Suffolk, England, 18/4/1916, p. 3.

(٣٤)

وأطنبت الصحيفة في عددها الآنف الذكر مستعرضة آراء ثلاثة أعضاء من مجلس العموم، حول قرار التقدم صوب بغداد، منوهةً بسؤال للسير «أونان بريس»^(٣٥) (Aunan Bryce) عما إذا كان قرار التقدم صوب بغداد قد تمّ اتخاذه من قبل «حكومة الهند» أم من قبل «الحكومة البريطانية»، وما إذا كان الاقتراح يحظى بموافقة الجنرال تاونسند. واستدركت الصحيفة بنقل جواب السير «تسامبرلين» الذي أفاد أنّ المقترح لم يُتخذ من قبل «حكومة الهند» أو «حكومة جلالة الملك»، وإنّما بتقدير من القائد العام في بلاد ما بين النهرين، جون نيكسون^(٣٦).

ونقلت الصحيفة رأي السير «تانانت»^(٣٧) (Teunant)، وكيل وزارة الحرب، ردّاً على السير «بيتو»^(٣٨) (Peto) الذي أفاد بأنّه أبلغ بأن الجنرال تاونسند^(٣٩) احتل المرتبة

(٣٥) جون أونان بريس (١٢/٨/١٨٤١-٢٥/٦/١٩٢٣): رجل أعمال وسياسي ليبرالي بريطاني. ولد في بلفاست، تلقى تعليمه في كلية باليول في أكسفورد حاملاً شهادة البكالوريوس في الآداب، وحصل على درجة الماجستير في الآداب في جامعة غلاسكو، عُرف عنه رفضه الاعتراف بحق المرأة في الاقتراع، وكتب للصحافة البريطانية مقالات عديدة بهذا الشأن وصوت ضد تغييرات القانون الانتخابي. دخل مجلس العموم البريطاني كعضو في البرلمان عن دائرة إينفيرنيس بورغس حتى عام ١٩١٨. للمزيد من التفاصيل انظر: Anthony Webster, "Business and Empire: A Reassessment of the British Conquest of Burma in 1885," *The Historical Journal*, Vol. 43, No. 4, 2000, pp.1003-1025.

East Anglian Daily Times, 1/4/1916, p. 3.

(٣٦)

(٣٧) باسل بيتو ادورد (١٣/٨/١٨٦٢-٢٨/١/١٩٤٥): سياسي بريطاني وعضو برلماني، خلال فترة الحرب العالمية الأولى، شغل بيتو منصب ضابط خاص للسلوك (Special Conduct Officer) في خدمة الجيش. كان هذا المنصب مسؤولاً عن مراقبة السلوك والانضباط على خطوط الاتصال في فرنسا، وهذا يشير إلى دوره المهم في ضمان تنظيم وسير العمليات العسكرية والانضباط في القوات المسلحة البريطانية. ارتبط سياسياً بحزب المحافظين منذ عام ١٩١٠، مثل منطقة ديغاييز في مقاطعة ويلتشير في البرلمان البريطاني للمدة (١٩١٠-١٩٣٧). للمزيد من التفاصيل انظر: Gladys Lloyd, *Lloyd's Who's who in the Great War: A Book of Brief Life Stories of the Rulers and the Diplomats* (London: Hodder & Stoughton, 1914), p. 97.

(٣٨) هارولد جون تينانت (١٨/١١/١٨٦٥ - ٩/١١/١٩٣٥): سياسي ليبرالي اسكتلندي. شغل منصب سكرتير اسكتلندا في عهد صهره أسكويث، رئيس الوزراء، عام ١٩١٦. وُلد هارولد تينانت في بيليشاير، تلقى تينانت تعليمه في كلية إيتون وفي كلية ترينيتي بكامبريدج. انتُخب نائباً في البرلمان عن بيرويكشاير عام ١٨٩٤، وعندما أصبح أسكويث رئيساً للوزراء عام ١٩٠٨، عُيّن تينانت أميناً برلمانياً لمجلس التجارة عام ١٩٠٩، ظل في هذا المنصب حتى عام ١٩١١، ثم خدم تحت إشراف أسكويث كسكرتير مالي لمكتب الحرب للمدة (١٩١١ - ١٩١٢) وكوكيل وزارة الخارجية =

«التاسعة والأربعين» على قائمة الجنرالات، ومن غير الصحيح استبداله بسبب المسار الذي سلكته العمليات في بلاد ما بين النهرين. مختتماً ببيان قرار مجلس العموم بإبقاء الجنرال تاونسند «الماهر» و«الشجاع»، نظراً إلى إدارته للعمليات المرتبطة بحصار الكوت^(٤٠).

كما سلط العديد من الصحف البريطانية الأضواء على «استسلام الجنرال تاونسند في الكوت»، فعلى سبيل المثال بيّنت صحيفة «برمنغهام ديلي غازيت» في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ٢ أيار ١٩١٦ تحت عنوان: «ضاعت كل الآمال»، موضحةً مضامين «استسلام» الجنرال تاونسند للقوات العثمانية في بلاد ما بين النهرين، مبيّنةً أنّ عدد الأسرى البريطانيين بلغ «خمسة جنرالات» و«متين وسبع وسبعين» ضابطاً بريطانياً وهندياً، فضلاً عن «ثلاثة عشر ألف وثلاثمائة» جندياً. مشيرةً إلى تصريح للقوات العثمانية وأفاد أنّ استسلام الجنرال تاونسند كان من دون أي «قيد أو شرط»، فضلاً عن السماح للجنرال تاونسند بالاحتفاظ بسيفه^(٤١).

وأفردت صحيفة ألدري وويلمسلو أدفرتايزر (*Alderley & Wilmslow Advertiser*) في عددها الصادر بتاريخ ٥ أيار ١٩١٦، جزءاً حيوياً من إحدى صفحاتها لمقالها الذي وسم بـ «ماذا تعلمنا من الحرب، وما تأثيرها على تجارتنا؟»، عدّت فيه أنّ ما يجري في بلاد ما بين النهرين «مأساة حقيقية»، مؤكّدة إنّ البريطانيين «يعيشون بالأمل» على أن يكون اليوم التالي أفضل، متمّية أن تتمكّن القوات «اللباسلة» تحقيق الإغاثة للقوات المحاصرة في الكوت، من خلال «الشجاعة

= للحرب (١٩١٢ - ١٩١٦). أدّى اليمين الدستورية في مجلس الملكة الخاص عام ١٩١٤، دخل مجلس الوزراء كوزير لإسكتلندا تحت قيادة أسكويث في تموز ١٩١٦. للمزيد من التفاصيل انظر: M. Curthoys, "Tennant, Harold John [Jack] (1865-1935), *Oxford Dictionary of National Biography*, published online, 8/10/2009, <<https://doi.org/10.1093/ref:odnb/58263>> .

(٣٩) تشارلز طاوزند (١٨٦١ - ١٩٢٤): ضابط بريطاني قاد خلال الحملة العسكرية على بلاد ما بين النهرين الحرب العالمية الأولى، والتي أدّت إلى هزيمة وتدمير سلطته. اشتهر باسم حصار الكوت، واستمر من كانون الأول ١٩١٥ إلى نيسان ١٩١٦. بعد إجباره على الاستسلام، واحتجز تشارلز كسجين حرب أطلق سراحه في تشرين الأول عام ١٩١٨. للمزيد ينظر: Trevor Nevitt Dupuy, Curt Johnson, David L. Bongard, *The Harper Encyclopedia of Military Biography*, (New York: HarperCollins, 1992) p. 749.

East Anglian Daily Times, 18/4/1916, p. 3.

(٤٠)

Birmingham Daily Gazette, 2/5/1916, p.1.

(٤١)

البارزة» و«الإصرار» في التغلب على المصاعب، مختتمة بتوجيه دعوة لـ«حليفنا العظيم روسيا»، بتقديم يد المساعدة «ليس فقط» من خلال سحب جزء كبير من قواتها، بل يمكن أن «تساهم حتى في تخفيف الضغط عن القوات المحاصرة حتى تستطيع الوصول إليها»^(٤٢). كما نقلت الصحف الصادرة في يوم ١٥ أيار ١٩١٥، المضمون نفسه^(٤٣).

وهذا ما ذهبت إليه أيضاً، وفي اليوم نفسه صحيفة ساسكس ديلي نيوز (Sussex Daily News) في عددها الصادر بتاريخ ١٩ أيار ١٩١٦، إذ نشرت فيه تقريراً خبرياً عنون به «وصف لحصار الكوت من الداخل»^(٤٤)، واصفةً في ثناياه وصفاً دقيقاً للجيش البريطاني المحاصر، مستشرفةً «الآثار» المستقبلية لحصار الكوت علي يد العثمانيين، مشيرةً إلى أنّ «البؤس الحقيقي» بدأ مع حصار الحامية في منتصف شهر شباط، خاصةً مع نفاذ «الحليب» في المشفى البريطاني بتاريخ ٢١ نيسان، لتقتصر المؤن على «دقيق الذرة» أو «ماء الرز» الذي قُدّم للمرضى، فضلاً عن حصص نظامية للجرحى، وهو أمر اضطر الحامية الاعتماد على المؤن المخزنة خلال المدة (٢٢) - ٢٥ نيسان، ممّا اضطر الطائرات إلى إعادة إسقاط المؤن مجدداً خلال المدة (٢٥) - ٢٩ نيسان»^(٤٥).

(٤٢) Alderley & Wilmslow Advertiser, (Newspaper), Cheshire, 5/5/1916, p. 3.

(٤٣) Sporting Times, No.2695, p. 5; Middlesex Chronicle, No. 2899, p. 7; The Sphere, No.799, p. 23; Sheffield Weekly Telegraph, No. 2990, p. 7; East London Observer, No. 3005, p. 2; Fife Free Press, & Kirkcaldy Guardian, No. 2770, p. 12; The Graphic, No. 2372, p. 24, 17/4/1915.

(٤٤) بدأت القوات العثمانية بمحاصرة الكوت في ٧/١٢/١٩١٥، بقيادة فون در غولتز (Von Der Goltz)، شهدت معارك عدة منها: معركة «شيخ سعد» للمدة من ٦-٨ / ١/ ١٩١٦، ومعركة «وادي كلال» في ١٣ كانون الثاني، ومعركة الحنة «الفلاحية الأولى» في ٢١ كانون الثاني، ومعركة «الفلاحية الثانية» في ٢٢ شباط، و(معركة سابس) في ٨ آذار، ومعركة «تلول زمير» في ١١ آذار، ومعركة «الفلاحية الثالثة» ١٢-٢٢/٤/١٩١٦، وقد فشل جميعها في فكّ الحصار عن القوات البريطانية المحاصرة في الكوت، فضلاً عن فشل محاولة رشوة القادة العثمانيين بالأموال، لغرض رفع الحصار عن القوات البريطانية. للمزيد انظر: محمد أمين العمري، تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى سنة ١٩١٤-١٩١٨ (بغداد: المطبعة العربية، ١٩٣٥) ج ١، ص ٤٠-١٤٠؛ شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، ص ٩١-١١٠؛ طونزند، مذكرات الفريق طونزند، ترجمة: حامد أحمد الورد، ط ٢ (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٦)، ص ٣٩١-٥٤٠.

(٤٥) Sussex Daily News, 19/5/1916, p. 8.

وأكدت الصحيفة في ذات التقرير الخبري أن «الجنود كانوا منهكين»، ووصل معها متوسط معدل الوفيات اليومي إلى «ثمانية بريطانيين» و«واحد وعشرين هندياً». فضلاً عن استنفاد الجيش كافة «أسلحة المدفعية وسلاح الخيالة والحيوانات اللازمة لأغراض النقل قبل سقوط الحامية»، مشددة على أن الجيش البريطاني اضطر إلى «ذبح البغال» من أجل إطعام الجنود. ولعل من المفيد هنا أن نقبس شيئاً من مقالها المطول هذا في شرح أهمية الرأي العام البريطاني، فمما جاء فيه:

«أُخذ قرارٌ بذبح البغال المتبقية، كان الجميع يفضل لحم البغال على الأحصنة، كما استخدم دهنها وقوداً للمصابيح. أما النفط الخام فقد استُخدم للطبخ، وكان استخدامه يُصدر أدخنة كريهة الرائحة، لهذا فقد كان يمكن تمييز أنواع الطعام التي تُحضّر ضمن الكتيبة بسهولة، لأنها كانت سوداء اللون كالمداخن»^(٤٦).

وأطنبت الصحيفة في عددها الآنف الذكر أن أفراد الجيش اضطروا إلى استعمال «التبغ العربي» المشابه لما استعمل في النرجيلة الهندية، وعند نفاده اضطر الجند إلى استعمال «الأوراق أو الزنجبيل»، موضحة ارتفاع أسعار السجائر، فالإنكليزي بلغ سعره «٤ جنيهات ونصف»، وأمّا العثماني فبلغ «١٣ جنيهًا استرلينياً»، فيما بلغت السجائر المصرية «٨ جنيهات استرلينية»، وأمّا صفيحة الحليب المكثف المُحلّى فبلغ «٢ جنيه استرليني»^(٤٧).

وسلّطت الصحيفة الآنفة الذكر الأضواء على آثار الحصار المفروض على قطعات الجيش، وهو أمر اضطر معه الجند إلى استثمار وقتهم في لعب «الهوكي والكريكيت»^(٤٨)، منوّهة بأن «اللجوء إلى الألعاب والتمرينات والتسلّيات» كان بهدف كسر «رتابة الحصار» على حدّ تعبيرها، مشددة على أن الضفة اليمنى من نهر دجلة،

Sussex Daily News, 19/5/1916, p. 8.

(٤٦)

Ibid.

(٤٧)

(٤٨) الكريكيت: رياضة جماعية يلعبها فريقان، فيهم أحد عشر لاعباً لكل فريق. تضرب فيها كرة بحجم قبضة اليد من قبل لاعب يدعى رامي الكرة، أمّا اللاعب الخصم الذي يدعى رجل المضرب فيحاول صدّ الكرة باستخدام مضرب نحيف شبيه بالمجذاف. يتركز الانتباه أساساً حول علامتين تشكّلان الأهداف تدعيان وركيت وهما مجموعة من ثلاثة عصي متصلة تسمى جذوع الكريكيت، يحاول رامي الكرة إصابتها لكي يوقع قطعتان خشبيتان اثنتان مثبتتان على الجذوع ويدعيان كفالات الكريكيت < <https://ar.wikipedia.org> >.

حيث تواجدت، الكتيبة ١١٠ مهراتا، والكتيبة ١٢٠ جنود المشاة، وفرقتان من نورفوك، «الذين قاموا بدورهم بالانتقال على متن العبارة ليلاً»، كانت أفضل حالاً، فقد كانوا يملكون ملعباً بلغ طوله ٥٠ ياردة وعرضه ٢٠ ياردة، مارسوا فيه لعبة الهوكي والكريكت باستعمال القضبان وكرة قماشية، فضلاً عن قضاء وقتهم باصطياد الأسماك، فكانت بمثابة حصص غذائية إضافية^(٤٩).

وتناغماً مع «الشد الإعلامي»، أولاً، وحملة «الانتقادات» الواسعة للصحف البريطانية، ثانياً، والكشف عن «سوء الخدمات الطبية» المقدمة إلى أفراد الحملة في بلاد ما بين النهرين، ثالثاً، وارتفاع أصوات ذوي الضباط والمراتب لسوء الخدمات الطبية في العراق^(٥٠)، رابعاً، سلّطت صحيفة لانكشاير ايفننغ بوست في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ تموز ١٩١٦، في تقرير لها تحت عنوان «بلاد ما بين النهرين ومجلس العموم» الأضواء أكّدت فيه أنّ الآلاف من الذين لديهم أبناء وأقارب يحاربون في «معاركنا» يعتقدون أنّ عمليات بلاد ما بين النهرين العسكرية «أهمّلت تماماً»، مستعرضةً مقترح رئيس الوزراء السير أسكويث بتحديد يوم الخميس ليكون «مخصصاً لمناقشة المسألة بأكملها» بشأن شكاوى الأهالي فيما يتعلّق بـ«الإهمال المتعمد» لأبنائهم^(٥١).

وتناغماً مع ما تقدّم نشرت صحيفة ايفننغ ميل، تقريراً خبرياً في الاتجاه نفسه تابعت فيه الخدمات الطبية السيئة لأفراد الحملة البريطانية في بلاد ما بين النهرين، وهو تقرير نشرته على إحدى صفحاتها بتاريخ ١٦ آب ١٩١٦، وسم بعنوان

Sussex Daily News, 19/5/1916, p. 8.

(٤٩)

(٥٠) تابعت الصحف البريطانية تقارير خصت الانهيار الطبي في مسرح العمليات في بلاد ما بين النهرين، فكانت أولى التقارير التي فجّرت قضية الخدمات الصحية صحيفة ذا تايمز في ١٤/٣/١٩١٦ مستندةً إلى رسالة من نجل الجندي جون بيرن (John Byrne)، نشرتها الصحيفة تحت عنوان «سوء الإدارة في بلاد ما بين النهرين»، وقد أشارت رسالة الجندي إلى والده، وقد تم تأكيدها من قبل مراسليها في بومباي، حول نقص حاد في الإمدادات الطبية والكوادر الأساسية مثل الممرّضات والأطباء. تضمّنت المراسلات الموجهة إلى الصحف من ذوي الجنود اقتباسات من رسائل خاصة من الجبهة العراقية، ورسمت صورة لجنود يعانون بحيث أثارت استياء الجمهور. وقد أدّى نشر الرسالة إلى انتقادات عامة ومطالبات بمحاسبة المسؤولين المقصّرين، ممّا وضع ضغطاً على الحكومة لمعالجة هذه المشاكل وتحسين الظروف للجنود الذين يخدمون في العراق. للمزيد من التفاصيل انظر:

The Times, 20/7/1916, p. 3.

Lancashire Evening Post, 14/3/1916, p. 3.

(٥١)

«عيوب المستشفيات في بلاد ما بين النهرين»، أوضحت فيه أنّ نقل العسكريين المرضى إلى المستشفى يتمّ بصورة «سيئة بشكل صادم»؛ منوّهة باستعمال سيارات الإسعاف الميدانية كمستشفيات، وهو أمر أدى معه إلى الاعتناء بـ «خمسمائة مريض» بدلاً من الحد الأقصى المسموح به والبالغ «مئة وعشرون مريضاً» بسبب نقص في الممرّضات^(٥٢)، ولمدة علاج بلغت ثلاثة أسابيع بدلاً من عدة أيام فقط. كما نبّهت أن سيارات الإسعاف الميدانية عانت من نقص في ثلث أعضائها بسبب المرض، وهو أمر أدى إلى معاناة المرضى و«أوجاع مروّعة» في «خيمة غير مريحة» بدلاً من أن يتمّ رعايتهم بشكل صحيح في المستشفيات. واختتمت أنّ هذا الأمر يثير «غضبنا الشديد» و«المشروع»، نتيجة لهذا الجنون، وعلى حدّ تعبيرها^(٥٣). وقد نقلت أيضاً الصحف الصادرة في يوم ١٦ آب ١٩١٦، المضمون نفسه^(٥٤).

وقد برز دور الصحف البريطانية في تسليط الأضواء على ما يجري في بلاد ما بين النهرين من مشاكل عدّة واجهها الجيش البريطاني على وجه الخصوص، في الوقت الذي تصاعدت الأصوات المنددة بالحملة البريطانية في بلاد ما بين النهرين، من جهة، كما كشفت الصحف عن ملفات شابها «فساد إداري» تتعلّق بمناقصات توريد المستلزمات الطبيّة إلى الحملة البريطانية، من جهة أخرى، وفي هذا السياق نشرت صحيفة شيفيلد إيفنينغ تلغراف في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ آب ١٩١٦، تساؤلاً للمعنيين بتوفير الخدمات الطبيّة للجيش عمّا إذا كان جميع الجند والخيول في بلاد ما بين النهرين قد تلقوا حصصاً «غذائية

(٥٢) للمزيد من التفاصيل حول دور الممرّضات والممرّضين في بريطانيا في الحرب العالمية الأولى انظر: S. Bonnerjee, “Nursing Politics and the Body in First World War Life: Writing”, PhD thesis, University of Nottingham, 2018.

Evening Mail, 16/8/1916, p. 2.

(٥٣)

(٥٤) Lincolnshire Echo, No. 2782, p. 1; Newark Advertiser, No. 3187, p. 6; The Tatler, No. 790, p. 42; Taunton Courier and Western Advertiser, No. 5615, p. 6; Birkenhead News, No. 3726, p. 3; The Bystander, No. 663, p. 8; Falkirk Herald, No. 6865, p. 3; Gloucestershire Echo, No. 774, p. 4; Hartland and West Country Chronicle, No. 238, p. 7; Huddersfield Daily Examiner, No. 15201, p. 3; Kirkintilloch Herald, 16/8/1916, p. 8.

كاملة»، وهو أمر أجبر السير لويد جورج في اليوم الآتي إلى الإدلاء بتصريح مفاده «إجراء تحقيق في مسألة التموين» في بلاد ما بين النهرين^(٥٥).

وصلت القوات البريطانية إلى بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ لتنتهي حقبة الحكم العثماني للعراق التي دامت نحو ٤ قرون. وأنتج الغزو البريطاني للبلاد آثاراً سياسية واجتماعية كبيرة، فضلاً عن تحوّل جذري في حياة العراقيين «اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً»، وانسجاماً مع الاهتمام البرلماني والحكومي بشأن التقدّم صوب بغداد، نشرت صحيفة «سكوت مانز» خبر «احتلال بغداد»^(٥٦) في عددها الصادر بتاريخ ١٢ آذار ١٩١٧ تحت عنوان «بغداد في أيدي البريطانيين»، موضحةً في ثنياه أنّ الخبر قد سقط على رؤوس سكّان الإمبراطورية العثمانية «كالقنبلة»، على حدّ تعبيرها، متغنيةً أن احتلال بغداد لم يولّد «غضباً» كبيراً فحسب، بل «استياءً بالغاً» في كل من برلين وفيينا وصوفيا واسطنبول^(٥٧).

فلا مرأى من أن نجد أنّ هناك تصاعداً متناغماً في أوساط الصحف البريطانية يومئذ وتطلعات حكومتها بضرورة الاستيلاء على بغداد، إلى درجة حدث ببعضها إلى الإعلان عن دعمها احتلال «بلاد ما بين النهرين» بأسرها، حمايةً لمصالحهما في المنطقة، وللدفاع عنها ضد التهديد الألماني المزعوم. لذا أوضحت الصحيفة الآنف الذكر أنّ آثار السيطرة على بغداد «ستؤثر» في كافة أنحاء الإمبراطورية العثمانية، بل أبعد من حدودها بكثير، على حدّ تعبيرها، واصفة إياها بـ «الحافز المحرّك» للحركة التحررية العربية من نير العثمانيين، على الرغم من كونها في «طور الإعداد» بين صفوف العرب، وهو أمر عدّه المقال ذا تأثير في مصر، ودول البلقان، والهند، وبلاد فارس، وهو يؤدّي إلى «الانسحاب السريع للقوات التركية التي غزت إيران»، فضلاً عن كونهم «مُحاطين بجيوش من الخلف والأمام»، واختتمت مقالها: إنّ القوات البريطانية تمكّنت من السيطرة على مدينة «معروفة» عبر التاريخ، «مليئة بالقدرات» تسمح بالوصول لمستقبل عظيم كعظمة ماضيها، فلا «الطقس» ولا «الفيضانات» عوامل أثّرت في السيطرة على بغداد، كما كان يُشاع آنذاك، و«رُفع العلم البريطاني»

Sheffield Evening Telegraph, 22/8/1916, p. 3.

(٥٥)

(٥٦) للمزيد من عناوين الصحف البريطانية لاحتلال بغداد انظر: ملحق (٨).

The Scotsman, 12/3/1917, p. 4.

(٥٧)

فوق مدينة «ألف ليلة وليلة» وهو أمر عدُّ حدثاً يستثير الخيال^(٥٨).

ويبدو واضحاً من خلال ما تقدّم، عمق تفاعل صُحف بريطانيا مع الحدث الأبرز، ألا وهو احتلال بغداد، وهو أمر دفع صحيفة ايفننغ ميل في عددها الصادر بتاريخ ١٢ آذار ١٩١٧، بالقول إنّ احتلال بغداد قد «حطّم حلم الاتحاد الجرمانى»، والذي دام لمدّة تزيد عن العشرين عاماً، منوّهً بأن حُلُم الألمان بالتمدّد في الشرق بات «موصداً تماماً»، على حدّ تعبيرها، متغنيةً بالسيطرة على سكك بغداد الحديدية، عادةً إياها «إنجازاً عظيماً» استحق «التقدير» من وجهة النظر العسكرية، مؤكّدة أنّ تأثيره المعنوي «أعظم بكثير»، مختتمّة عدّ احتلال بغداد ذا «أثر واضح وجلي على الوضع برمّته في الشرق الأوسط» من جهة، وساعد على «استعادة التوازن من وجهة النظر الشرقية» من جهة ثانية^(٥٩). وقد نقلت المضمون نفسه الصحف الصادرة في يوم ١٢ آذار ١٩١٧، التي نقلت المضمون نفسه^(٦٠).

ولم تفتأ الصُحف البريطانية في مواصلة اهتماماتها بقضية شغلت الرأي العام البريطاني التي تعلّقت مضامينها بـ«الخدمات الطبية السيئة» المرافقة للحملة البريطانية على العراق، فقد وشحت صحيفة ايفننغ ميل عددها الصادر بتاريخ ١٩ تموز ١٩١٦، بمقال وسم بعنوان «بلاد ما بين النهرين» لفتت فيه أنظار الرأي العام إلى اضطراب الوضع الصحي لعدد من «جرحانا ومرضانا» بسبب فشل تقديم الخدمات الطبية بـ«طريقة صحيحة»، منبهة إلى أنّ أولى التقارير المتعلقة بطرق المُعالجة غير الصحيحة للمرضى والجرحى وردت من الهند حين عدّت الخدمة الطبية نفدت بشكل سيئ^(٦١).

وعلى ما يبدو أنّ ما نشرته صحيفة ايفننغ ميل في عددها الآنف الذكر، قد

The Scotsman, 12/3/1917, p. 4.

(٥٨)

Evening Mail, 12/3/1917, p. 4.

(٥٩)

Burton Daily Mail, No. 5725, p. 4; *Daily Malta Chronicle and Garrison* (٦٠) *Gazette*, No. 4717, p. 4; *Grimsby Daily Telegraph*, No. 5948, p. 2; *Northampton Chronicle and Echo*, p. 2; *Birmingham Daily Post*, No. 18342, p. 5; *Coventry Evening Telegraph*, No. 8113, p. 3; *Dublin Daily Express*, No. 21805, p. 7; *Leeds Mercury*, No. 24156, p. 5; *Irish Independent*, No. 61, p. 3; *Liverpool Daily Post*, No. 19276, p. 5, 12/3/1917.

Evening Mail, 12/3/1917, p. 6.

(٦١)

لفت أنظار المعنيين وأثار اهتمامهم، إذ شكّلت لجنة برئاسة اللورد تشيلمسفورد (Lord Chelmsford)، لتقصّي الحقائق وتقديم تقرير حول الوضع الفتي للطبابة العسكرية في بلاد ما بين النهرين، منوهةً إلى تمكّن اللورد تشيلمسفورد من تنفيذ المهمة وجمع كافة الأدلة ذات الصلة بالموضوع، إلا أن اللورد عرض عليه منصب إداري مهم في الهند وهو أمر أدى إلى توقّف التحقيق في الموضوع الآنف الذكر^(٦٢).

وأُنبتت الصحيفة مواصلة الحكومة الجهود الرامية إلى التحقيق في مسألة رداءة الخدمات الصحية للطبابة العسكرية للقوات البريطانية، مبيّنةً إرسال طبيب إلى البصرة، قدّم تقريراً غير مرضٍ تماماً لحكومة الهند من حيث الشمولية وكمية المعلومات، وهو أمر استدعى إرسال مجلس العموم البريطاني «لجنة تحقيق ثالثة» في ٢٠ فبراير ١٩١٦، أجرت فحصاً شاملاً للظروف هناك، وقدمت تقريرها إلى الهند، إلا أن التقرير «حُجِبَ» عن الصحافة البريطانية، بل حتى حُجبت «تفاصيل محتواه»، وفق تعبيرها^(٦٣).

ومما تقدّم، نجد أنّ الأخبار والمقالات المنشورة في الصحف البريطانية فيما تعلّق بتطوّرات الحملة البريطانية على بلاد ما بين النهرين كان مستقرّاً نسبياً خلال عام ١٩١٦، مع متوسط شهري حوالى ٣٠٠٠ مقال، فيما شهد عام ١٩١٧ ارتفاعاً ملحوظاً في عدد المقالات، خاصة في شهري آذار وتموز حيث بلغ عدد المقالات ٤١٧٥ و٤٩١٣ على التوالي؛ إذ شهد خبر احتلال بغداد الشغل الشاغل يوم ذاك بين صفوف الصحف البريطانية وعلى اختلاف توجهاتها السياسية، وهو خبر تابعتة الصحافة البريطانية بالنقد والتحليل، مما أدّى إلى ارتفاع ملحوظ وواضح في عدد الأخبار والمقالات والتحليل الخبري إزاء حدث بلغت تداعياته مديات جغرافية وسياسية أكبر ممّا كان متوقعاً بين أروقة الإعلام البريطاني يومذاك، إلا أن الانخفاض في عدد المقالات المنشورة عاد إلى الانخفاض مرة أخرى في أواخر عام ١٩١٧ وبداية عام ١٩١٨، وشهد شهر حزيران ١٩١٨ أقلّ عدد مقالات منشورة، حيث بلغ ٨٢٨ مقالة فقط، معادواً الارتفاع قليلاً في أواخر عام ١٩١٨، وانخفض متوسط عدد

Ibid.

(٦٢)

Evening Mail, 12/3/1917, p. 6.

(٦٣)

المقالات الشهري من حوالى ٣٠٠٠ مقال وخبر في عام ١٩١٦ إلى أقل من ٢٠٠٠ في عام ١٩١٨؛ إذاً، الارتفاع الملحوظ كان في منتصف ١٩١٧ تزامناً مع أحداث أولتها الصحف البريطانية اهتماماً بالغاً آنذاك، ثم عاد إلى الانخفاض مطلع ١٩١٨ اثر اكتمال احتلال مدن العراق وصولاً إلى شمال البلاد.

ومع تقدّم الحملة العسكرية على بلاد ما بين النهرين سلطت الأضواء وعلى صُعد متعدّدة: «عسكرية، وسياسية واجتماعية»، وازدادت تدريجياً مع تصاعد أتون الصراع، لينعطف انعطافاً تاريخية كبيرة مع بدايات احتلال مدينة بغداد وتقهقر القوات التركية شمالاً، تقهقراً فصح المجال ميدانياً بـ«السيطرة» على آخر مدن البلاد الموصل، ثم فرض هدنة «مودروس» في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨، التي أنهت بموجبها العمليات العسكرية بين الحلفاء والدولة العثمانية، وأثمرت عن استسلام القوات العثمانية في الولايات العربية عامّة، والعراق على وجه الخصوص.

وخلال تلك الفترة الممتدة ما بين ١٩١٤ و١٩١٨، صورت الصحف البريطانية بشكل عام الانتصار البريطاني على تركيا واحتلال منطقة بلاد ما بين النهرين بشكل إيجابي. كما وسلّطت الصحف الأضواء على نجاح الحملة العسكرية والمزايا الاستراتيجية التي جلبها الاحتلال للإمبراطورية البريطانية. ومع ذلك، لم تكن هذه الصورة الإيجابية قد ارتسمت على طيات جميع الصحف، فقد تحدّثت بعض الصحف عن تحدّيات وصعوبات واجهتها القوات البريطانية أثناء مسيرتها العسكرية لإتمام الاحتلال، كان من بينها، على سبيل المثال لا الحصر، مقاومة السكان المحليين، والقضايا اللوجستية، والبيئة القاسية. وبشكل عام، اتجهت الصحف البريطانية إلى تقديم الاحتلال باعتباره «مسمى ضرورياً» و«ناجحاً»، للحفاظ على المصالح البريطانية في المنطقة وضمان استقرار الإمبراطورية البريطانية. ومن المهم ملاحظة أنّ هذه الصحف مثّلت موقفاً تحريراً معيّناً، ولم تعكس بالضرورة النطاق الكامل للآراء والمواقف بين الرأي العام البريطاني.

وكان من بين أهم القضايا التي شغلت الصحف البريطانية نقداً وتحليلاً، عقد الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى: «فرنسا، وبريطانيا، وإيطاليا، والولايات المتحدة، واليابان»، مؤتمرها للسلام في باريس بتاريخ ١٨ - ٢١ كانون الثاني عام ١٩١٩، مع افتتاح الجمعية العامة لعصبة الأمم، مشتملاً على توصيات رئيسة للمؤتمر كان من أبرزها المعاهدات الأربع مع الدول المهزومة في الحرب الآنف الذكر، وكان

الشغل الشاغل لوفد بريطانيا الحفاظ على مستعمراتها ومصالحها، فاتحاً الباب على مصراعيه لإقرار الانتداب البريطاني على بلاد ما بين النهرين في ٢٥ نيسان ١٩٢٠، بعد إقراره في مؤتمر سان ريمو، والذي شكّل مفصلية مهمّة في تاريخ العراق السياسي الحديث، سياسياً وجغرافياً. وقد تناول الباحث سطورها في ثانيا الفصل السابع والفصول التالية من هذا الكتاب.



الفصل السابع

مواقف الصحافة البريطانية من إعلان الانتداب البريطاني على العراق حتى الثلاثين من حزيران ١٩٢٠

فُرض الانتداب البريطاني على العراق بموجب مقررات مؤتمر «سان ريمو» المنعقد خلال المدة ١٩ - ٢٦ نيسان ١٩٢٠، ذلك المؤتمر الذي أهملت فيه المطالب الوطنية للعراقيين إهمالاً نهائياً^(١) وبموافقة عصبة الأمم^(٢). وعلى وفق المادة ٢٢ من ذلك الميثاق التي نصّت الفقرة الأولى منه على: «أنّ المستعمرات والأراضي التي لم تعد بعد الحرب تابعة لسيادة الحكومات التي كانت خاضعة لها سابقاً، والتي يعجز سكانها عن القيام بالحكم الذاتي في بلادهم تحت الظروف الصعبة في العالم الحديث، يجب أن يطبق المبدأ القائل أنّ رفاهية الشعوب وارتقاءها وديعة من ودائع المدنية» وبناءً على ذلك «أُعطي الانتداب على العراق لبريطانيا»^(٣) فتأكد الوطنيون، وحتى أولئك الذين صدقوا بالوعود البريطانية منهم، أنّ بريطانيا غير جادة في عودها، لذلك وُحّد الوطنيون صفوفهم وكانت النجف من مراكز الثورة المهمة إلى جانب كربلاء، وعقدت فيهما الاجتماعات السرية المتوالية لغرض التخطيط للثورة^(٤)، تلك الثورة التي كانت ردة فعل عنيفة ضد نظام الانتداب الذي فرضته على العراق

(١) رجاء حسين الخطاب [وآخرون]، المفصل في تاريخ العراق المعاصر (بغداد: منشورات بيت الحكمة، ٢٠٠٠)، ص ٢١١.

(٢) Gorge Lenczowski, *The Middle East in World Affairs* (Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1962), p. 91.

(٣) Henry A. Foster, *The making of modern Iraq; a product of world forces* (Norman, Oklahoma: University of Oklahoma Press, 1935), pp. 28-90.

(٤) نجدة فتحي صفوة، المصدر نفسه، ص ٨٢.

عصبة الأمم المتحدة، فكان طموح قادة الثورة هو الاستقلال التام، وإنهاء السيطرة البريطانية المتمثلة بالانتداب^(٥).

رصدت الصحافة البريطانية مقررات هدنة «مودروس» الصادرة في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨، لتتابع بنودها، ومدى تأثيرها في بلاد ما بين النهرين، باهتمام كبير ومتابعة حثيثة وعلى الصُّعد كافة «اجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً»، فعلى سبيل المثال لا الحصر، أوردت صحيفة مانشستر إيفنغ نيوز (*Manchester Evening News*) في عددها الصادر بتاريخ ١ تشرين الثاني ١٩١٨، مقالاً بعنوان «نص كامل للهدنة التركية»، موضحةً أنَّ توقيع «المعاهدة»^(٦) كان من جانب البريطاني الأميرال كالثورب (Calthorpe)^(٧)، مضيفاً أنه وعلى أثر التوقيع على المعاهدة أُطلقَ سراح الجنرال تاونسند، «بطل مدينة الكوت» على حدِّ تعبيرها، بهدف إجراء مفاوضات إطلاق سراح الأسرى^(٨).

أولت الصحف البريطانية فكرة الانتداب^(٩) في بداية عام ١٩١٩، فقد أوردت

(٥) كامل سلمان الجبوري، مذكرات إعلام الثورة العراقية ١٩٢٠، ومصادر دراستها- حقائق ووثائق ومذكرات من تاريخ العراق السياسي الحديث (دمشق: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢)، ص ٣٥.

(٦) للاطلاع على بنود هدنة مودروس ينظر: Alan Everard Montgomery, "Allied policies in Turkey from the Armistice of Mudros, 30th October, 1918, to the Treaty of Lausanne, 24th July, 1923", PhD thesis, University of London, 1969; Sevtap Demirci, "The Lausanne Conference: the evolution of Turkish and British diplomatic strategies, 1922-1923", PhD thesis, London School of Economics and Political Science, 1998.

(٧) سومرست آرثر جوف كالثورب (١٨٦٤-١٩٣٧): من كبار الأدميرالات البريطانيين خلال الحرب العالمية الأولى، والذي خدم مع الأسطول الكبير، بصفته اللورد الثاني للبحر والقائد العام للقوات المسلحة في البحر الأبيض المتوسط. وُلِدَ في كنف عائلة عسكرية، وهو ابن الجنرال سومرست جون جوف كالثورب، واختار غوف كالثورب دخول البحرية. التحق بالكلية البحرية الملكية في دارتموث عام ١٨٧٨. وسرعان ما ترقى إلى رتبة ملازم عام ١٨٨٦. وفي عام ١٨٩٥ انضم إلى الألوية البحرية العاملة على شاطئ السواحل الشرقية والغربية لإفريقيا، وتَمَّت مكافأته بترقيته إلى رتبة قائد في ١ يناير ١٨٩٦. للمزيد ينظر: .

(٨) Manchester Evening News, Lancashire, 1/11/1918, p. 2.

(٩) للمزيد حول فكرة الانتداب وتأثيرها في العراق انظر: H. J. F. Mejer, "The Birth of the Mandate Idea and its Fulfillment in Iraq up to 1926", PhD thesis, University of Oxford, 1970.

صحيفة «غلوب» في عددها الصادر بتاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩١٩، مقالاً عنون: «شرح خطة المستعمرات، تشكيل عصبة الأمم، الأراضي التركية مدرجة على الصعيد الدولي» بيّنت فيه أسس الانتداب المحتملة في بلاد ما بين النهرين^(١٠)، مشيرةً إلى تنفيذ عصبة الأمم^(١١) «رغبات» سكان الأقاليم غير القادر شعبها حكم نفسه، للحصول على «استقلال تام»، أو البقاء تحت «حماية» إحدى القوى الكبرى، وفق نصّ تعبيرها^(١٢).

وسلّطت صحيفة شيفيلد ايفننغ تلغراف (Sheffield Evening Telegraph) الأضواء على الانتداب في بلاد ما بين النهرين في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ١ شباط ١٩١٩، وتحت عنوان «عودة رئيس الوزراء»^(١٣).

وأطنبت الصحيفة في المقال نفسه إلى أنّ ما تمّ تداوله هو إجراءات مؤقتة ويمثّل في الوقت الحاضر أكثر من قبول القوى المعنيّة بمبدأ الواجب القانوني لهذه البلدان. ورأت الصحيفة أنّ تأجيل تفاصيل الاتفاقية المقترحة لاحقاً، مبررةً «أنّ السلطة الواجبة ستحتاج في بعض الحالات إلى سلطة أكبر على السكان منها في الحالات الأخرى»، موضحةً وجود أنواع مختلفة من الواجبات، مستشرفةً المستقبل بالاعتماد على حكومة الهند لتكون مسؤولة عن الإدارة التي ستُنشأ في بلاد ما بين النهرين وسكانها غير المتحضرين^(١٤).

وتناغماً مع تغطية النشاط السياسي البريطاني في مؤتمر السلام، من جهة،

(١٠) للاطلاع على شروط الانتداب البريطاني على العراق انظر: Edwin S Montagu, Mesopotamia. Political and Military Situation, CAB 24/109/49, 15 June 1920, p. 2.

(١١) جاء في المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم الخاصة بالانتداب: «إن بعض الشعوب التي كانت تعود سابقاً إلى الإمبراطورية العثمانية وصلت إلى درجة من التطوّر بحيث يمكن أن يعترف بوجودها كأمم مستقلة بشرط أن توجّه حكمها نصائح ومساعدة الدول المتقدّمة إلى الوقت الذي تصبح فيه أهلاً لأن تقود نفسها، ويجب أن تؤخذ رغبات هذه الشعوب بنظر الاعتبار قبل أي شيء آخر عند اختيار الدولة المنتدبة. ألبرت منتشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٨م)، ص ١٥٧-١٥٨؛ فؤاد مفرج، رسالة في الانتداب (بيروت: مطبعة صادر، ١٩٣٣).

Globe, 31/1/1919, p. 1.

(١٢)

Sheffield Evening Telegraph, Yorkshire, 1/2/1919, p. 4.

(١٣)

Ibid.

(١٤)

والوقوف على آخر الترتيبات اللازمة لإقرار مبدأ الانتداب، من جهة أخرى، ونشرت صحيفة لانكشاير إيفنينغ بوست (*Lancashire Evening Post*) في عددها الصادر بتاريخ ٣ شباط ١٩١٩، مقالاً تحت عنوان: «روح الصحافة: انفلات الأمور في عصبة الأمم»، متسائلةً ما إذا كان سيتم رسم خط على طول حافة المنطقة المستقرة في بلاد ما بين النهرين، أو رسمه بين المناطق المسيحية والإسلامية في الصحراء، معتقدة بوجود إيجاد رقعة «أرض محظورة»، معتبرةً أيّاً كان الخط الذي يرسم، سيترك العرب لأمرهم الخاص، والحدود الأخرى التي يجب على العرب احترامها ستكون لمملكة الحجاز. فمن المرجح أن يصبح ملك الحجاز عضواً في عصبة الأمم، ويجب أن تضمن العصبة حدوده ضدّ أيّ عدو لا يستطيع أن تتعامل معه بنفسه^(١٥).

وتجلى اهتمام الصحف البريطانية بمسألة الانتداب على بلاد ما بين النهرين، فيما نشرته صحيفة سيفل اند ميلل تري غازيت (*Civil & Military Gazette*) وفي عددها الصادر بتاريخ ٤ شباط ١٩١٩، من مقال استعرضت فيه قراءة أولية للانتداب على أراضي العراق وسم بعنوان «سلطة بموجب تفويض»، أشارت فيه إلى أنّ تفاصيل الانتداب لم يتمّ العمل عليها بعد، فيما يتعلّق بالترتيبات المؤقّنة للتعامل مع الأراضي التركية المحتلة، واستشرفت نتائج الانتداب بأنّها ستكون «مرضية»، وستحقّق كل «الآمال المعقودة» فيما يتعلّق بمستقبل بلاد ما بين النهرين، مشيرةً إلى أنّ «القوة الإلزامية» للانتداب سوف تتطلّب سلطة أكبر، منبهةً الوفد البريطاني المفاوض إلى ضرورة التأكيد في مؤتمر السلام السماح للسلطة المنتدبة العمل دونما «تدخل أحدٍ بما فيه عصبة الأمم»^(١٦).

ولم تقتصر تغطية الصحافة البريطانية على تلك الموضوعات والأخبار والقضايا التي خصّت فكرة الانتداب فحسب، وإنّما أفرد العديد منها مكاناً مميّزاً من صفحاتها سلّطت فيه الأضواء على «صعوبة إقرار الانتداب وتنفيذه»، فعلى سبيل المثال لا الحصر، كتبت صحيفة ديلي مرر (*Daily Mirror*) في عددها الصادر بتاريخ ٨ آذار ١٩١٩، مقالاً مطوّلاً شملت مضامينه «الانسداد السياسي» في «مؤتمر السلام بباريس»، مستعرضةً نقاط الخلاف الجوهرية بين الدول، وفق نصّ تعبيرها، مسترسلةً

Lancashire Evening Post, 3/2/1919, p. 2.

(١٥)

Civil & Military Gazette, 4/2/1919, p. 5.

(١٦)

في سرد انطباعات الصحيفة يومذاك، مشيرةً إلى عودة ممثلي دول الحلفاء إلى بلدانهم للحصول على «تعليمات إضافية»^(١٧).

وتطرّق المقال بشيء من التفصيل إلى لبّ المشكلة، مبيناً أن «من شروط الهدنة» في نسخته «الأصلية»، بند نص على أن الحلفاء «ملزمون» بتقديم «السّلة الغذائية» لألمانيا قبالة تسليم سفنها التجارية، مشيراً إلى إعلان ألمانيا رفضها الامتثال لهذا البند، بحجة أن الحلفاء لم يتعهدوا بشكل «واضح» و«صريح» بتقديم المواد الغذائية لألمانيا، وهو أمر سيدفع بألمانيا إلى السيطرة على القناة الوحيدة التي يمكنها من خلالها الحصول على الغذاء في حال اختيار الحلفاء ترك ألمانيا من دون توفير المؤن. موضحاً أن دول الحلفاء غير راغبين في التفاوض مع «العدو المهزوم» بشأن «كمية» المواد الغذائية الواجب توفيرها، مشيراً إلى «الموقف الفرنسي» خاصةً والرافض لطلب ألمانيا بضرورة تزويدها «بمليونين ونصف المليون طن» من المواد الغذائية، موضحاً في الوقت عينه «الموقف البريطاني» الرافض بالسماح للألمان بتحويل تزويدهم بالغذاء إلى «عقد ملزم» لهم، مؤشراً إلى أن «الأمريكيين» كانوا أكثر تساهلاً من الفرنسيين الذين أظهروا صرامة في مطالبهم، مختتماً بأن «التفاهم قد تم» فيما يخص وصاية بريطانيا على بلاد ما بين النهرين^(١٨).

هذا إلى ما نشرته صحيفة شيفيلد إندبندنت (*Sheffield Independent*) بالخصوص نفسه في عددها الصادر بتاريخ ٨ شباط ١٩١٩، بأن «جوهر الخلاف» حول الاتفاق على بنود مؤتمر السلام في باريس وإقرار «نظام الانتداب»، إنّما هو راجع في الأساس إلى مشكلة «تزويد ألمانيا بالمواد الغذائية» اللازمة لسكان البلاد الخارجين من حرب طاحنة، منوهةً إلى أن الانتداب على بلاد ما بين النهرين تم إبرامه والاتفاق على مضامينه^(١٩).

وعلى ما يبدو أن الصحف البريطانية قد أولت، ومنذ نشر بنود مؤتمر باريس للسلام، اهتماماً ملحوظاً بمسألة الانتداب على العراق، فقد نشرت، على سبيل المثال، صحيفة إليستريتد لندن نيوز (*Illustrated London News*)، في عددها

Daily Mirror, 8/3/1919, p. 3.

(١٧)

Ibid.

(١٨)

Sheffield Independent, 8/3/1919, p.1.

(١٩)

الصادر بتاريخ ١٥ آذار ١٩١٩، مقالاً تحت عنوان «العرب في بلاد ما بين النهرين» أوضحت فيه أهمية الانتداب لبلاد ما بين النهرين، واصفةً «الفرصة الذهبية» بوضع البلاد تحت قيادة سلطات الانتداب الأوروبية، مشيرةً إلى «تأخر العرب» في الحجاز وملكهم وابنه الأمير فيصل^(٢٠)

وأكدت صحيفة ديلي نيوز في خبر مقتضب نشرته بتاريخ ١٣ أيار ١٩١٩ أيضاً، تحت عنوان «مهمة إلى الشرق»، أنّ بريطانيا ستتولى وصايتها على بلاد ما بين النهرين، إلا أنّ القرار بشأن ذلك «سيعتمد إلى حدّ كبير» على توصيات «اللجنة المشتركة» التي ستتوجّه إلى الشرق لمناقشة أمور مشابهة أخرى^(٢١).

وتناغماً مع ما تقدّم، نشرت أيضاً صحيفة غلوستر سيتيزن (Gloucester Citizen)، بتاريخ ١٧ أيار ١٩١٩، مقالاً تحت عنوان «فرض شروط السلام على ألمانيا» أشارت فيه إلى محاولة الألمان إيجاد أعذار أو تبريرات لكلّ بند من شروط السلام، إلا أنّهم لم يجدوا شجاعة كافية لمناقشة الآفاق غير المريحة، فحساب بسيط للأراضي التي سيفقدونها بموجب شروط السلام ستشكّل أراضي شاسعة سيفقدها الألمان طبقاً لشروط السلام الآنف الذكر^(٢٢).

وأرفقت الصحيفة في ذات المقال جدولاً بالأراضي التي ستضاف إلى أراضي الإمبراطورية البريطانية بحيث كانت ستتم إضافة ما يقرب من مليون ميل مربع إلى الإمبراطورية البريطانية، بما في ذلك مساحة بلاد ما بين النهرين وفلسطين، وقد أشار الباحث هنا باقتباس الجدول (٣) الآنف الذكر لأهميته:

Illustrated London News, 15/3/1919, p. 8.

(٢٠)

Daily News, 13/5/1919, p. 1.

(٢١)

Gloucester Citizen, (Newspaper), Gloucestershire, 17/5/1919, p. 4.

(٢٢)

جدول (٣)

الأراضي المحتمل وقوعها تحت الوصاية البريطانية بعد إقرار الانتداب^(٢٣)

ت	البلد	المساحة
١ -	الأراضي الألمانية في شرق أفريقيا	٠٧٩,٣٨٤ ميل مربع
٢ -	ناميبيا الألمانية	٣٤٨,٣٢٢ ميل مربع
٣ -	غينيا الجديدة الألمانية	٠٠٠,١٥٠ ميل مربع
٤ -	بلاد ما بين النهرين	٠٠٠,٥٥ ميل مربع
٥ -	جزر ساموا (٨ جزر)	١٥٠,٩ ميل مربع
٦ -	فلسطين	٠٠٠,٨ ميل مربع
إجمالي المساحة		٥٧٧,٩٢٨ ميل مربع

فلا مرء من أن نجد أن هناك تصاعداً متناغماً بين الإعلام البريطاني الممثل بـ «صحافة» بريطانية يومئذ و«تطلعات» دول بفرض وصايتها على بلاد ما بين النهرين، فعلى سبيل المثال كتبت صحيفة دبلن إيفننغ تلغراف (Dublin Evening Telegraph) مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ١٧ آيار ١٩١٩، حمل عنوان «نشر الشروط في الأسبوع المقبل - نهاية تركيا - الفرنسيون غير راضين عن تقسيم الغنائم»، وأكدت مضامينه على اتخاذ قرار بعدم انتظار توقيع الألمان على مسودة قرار السلام، قبل نشر بنود المعاهدة، ووعدت قراءها بالحصول على «إذن» لنشر نصوص المعاهدة في الأعداد اللاحقة للصحيفة^(٢٤). مستشرفةً نهاية الإمبراطورية العثمانية بعد تخصيص «الجزء الأوروبي» منها لليونان، بحيث تُشكّل باقي الأراضي دولة مستقلة في إسطنبول، مشيرةً إلى احتمالية وضعه تحت الوصاية الأمريكية إثر رفض فرنسا هذه المهمة، مختتمةً بوضع بلاد ما بين النهرين تحت سيطرة بريطانية^(٢٥).

وتناغماً مع تغطية النقاشات والآراء على صفحات الصحف البريطانية حول

Ibid.

(٢٣)

Dublin Evening Telegraph, Ireland, 17/5/1919, p. 1.

(٢٤)

Ibid.

(٢٥)

مسألة الانتداب على العراق، من جهة، والوقوف على تأثيره في المصالح البريطانية، من جهة أخرى، نشرت صحيفة سكوتسمانز في عددها الصادر بتاريخ ١٦ تموز ١٩١٩ مقالاً تحت عنوان «سياستنا في بلاد ما بين النهرين» استعرضت فيه سياسة بريطانيا المستقبلية إزاء حفظ الأمن في بلاد ما بين النهرين، مشيرةً إلى احتمال استقدام «مجنّدين محليين»، في إشارة إلى الآشوريين، لحفظ الأمن الداخلي. مبيّنةً وبوضوح لا لبس فيه أنّ سياسة «جيش الاحتلال»، على حد تعبيرها، تنصّ على «خفض» تعداد الجيش قدر المستطاع، مؤيدةً تجنيد أكبر عدد ممكن من «الهنود»، رافضة الاعتماد على «جنود محليين» مهما كانت كفاءتهم^(٢٦).

وانسجماً مع الاهتمام بقضية الانتداب في بلاد ما بين النهرين، أولت صحيفة ايفننغ ميل اهتماماً بمستقبل العراق سياسياً في إحدى مقالاتها الذي حمل عنواناً واضحاً المغزى والدلالة هو «المشكلة العربية، اقتراحاتٌ للتسوية، والسلام في الشرق»، في عددها الصادر بتاريخ ٨ تشرين الأول ١٩١٩، إذ اقترحت «تقسيم» العراق على قسمين، «منطقة شمالية» تتضمن الولايات العثمانية السابقة، بغداد والموصل، و«منطقة جنوبية»، تتضمن ولاية البصرة وإمارة المحمّرة. ورأت أنّه من «الواجب» أن تتألف المنطقة الشمالية، بوصفها منطقة «عربيةً مستقلة»، مع تمثيل حكومي عربي من السكّان، وتتركّ لبريطانيا مهمّة الإشراف على المناطق المُنتدبة. أمّا المنطقة الجنوبية، فيُمكن عدّها وحدة «سياسيّة مستقلة»، تُمنَح قدراً كبيراً من «الحكم الذاتي» تحت الانتداب البريطاني، وفق نص تعبيرها^(٢٧).

وعلى ما يبدو أنّ الصحف الأيرلندية^(٢٨)، ومنذ إقرار نظام الانتداب في العراق، قد أولت اهتماماً ملحوظاً بنواح متعدّدة في هذا البلد، فقد نشرت على سبيل المثال صحيفة بلفاست نيوز ليدر (*Belfast News Letter*) مقالاً مطوّلاً تحت عنوان: «الانتداب في بلاد ما بين النهرين: الواجب، والشرف»، في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٢٠، نقلت فيه وقائع إحدى جلسات مجلس اللوردات، وطرح عدّة تساؤلات إثر الإيضاح الذي قدّمه إدوين صموئيل مونتاغو (Edwin Samuel)

The Scotsman, 16/7/1919, p. 8.

(٢٦)

Evening Mail, 8/10/1919, p. 4.

(٢٧)

Ciaran M. G. Bartlett, "A History of Newspaper Journalism in Belfast, 1855-1910", PhD thesis, University of Ulster: Faculty of Arts, 2014.

(٢٨)

Montagu^(٢٩) في المجلس بخصوص بلاد ما بين النهرين، مشيرةً إلى الانتقاد «شديد اللهجة» الموجّه من النائب الأيرلندي اللورد إيسلينغتون (Lord Islington) بسبب «الإنفاق غير المبرّر» في تلك البلاد. مطالباً بمزيد من المعلومات حول «المُبرّر» لقيام نظام «مستعمرة التاج» في العراق، وهي مستعمرة بريطانية يتحكّم التاج في إدارتها وتشريعاتها، ومنبهةً إلى أنّ الأمر يُحمّل دافعي الضرائب البريطانية «ثقلًا ماليًا» غير مبرّر، وفق تعبيرها، متهمّةً على سياسة الحكومة وخاصة أنّ «العرب» كان بإمكانهم إقامة دولتهم، لو اتاحت لهم الفرصة، مباشرةً بعد وقف إطلاق النار، وهو أمر كان «سيوفّر» ملايين جنيهات دافعي الضرائب. مشدّدةً على «أنّ إدارتنا الموجودة هناك تشكل خطراً على سمعتنا في الشرق»^(٣٠).

وأُطبعت الصحيفة في عددها الآنف الذكر في إيضاح مداوالات مجلس اللوردات المخصّصة لمناقشة نظام الانتداب في العراق، مبيّنةً مداخلة عضو مجلس اللوردات السير «فيكونت جوشن» (Viscount Goschen) الذي شدّد على ضرورة الاحتفاظ بالموصل «المنطقة الغنيّة بالنفط، وترتبتها الخصبة الصالحة للزراعة على نطاق واسع». إلا أنّ السير اللورد جورج ناثنال كورزون (Earl Curzon) «برر» ذلك باعتباره أنّ السلطات البريطانية «اضطرت» إلى تأسيس «إدارة مؤقتة» مشابهة للإدارة الهندية بما يتناسب مع وضع الحرب، فضلاً عن بناء حواجز في العديد من الأماكن لحماية المدن والقرى والطرق والمواشي والمحاصيل، مبيّناً أنّ من ضمن مسؤولياتنا «تعليم الأطفال»، وتلبية «ضروريات الحياة»، معتبراً «العرب» غير مؤهلين «لتولي السلطة التنفيذية»، مؤكّداً أنّه تمّ بذل «كل جهد ممكن» لحثّ السكّان المحليين على

(٢٩) إدوين صموئيل مونتاجو (١٨٧٩/١١/٦ - ١٩٢٤/١١/١٥): سياسي بريطاني بارز خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها، شغل منصب وزير شؤون الهند للمدة (١٩١٧-١٩٢٢)، وكان عضواً في الحزب الليبرالي البريطاني، عارض سياسة بريطانيا في العراق بعد الحرب العالمية الأولى وطالب بإنهاء الانتداب، كما شارك في مناقشات مجلس العموم حول الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، وعُدّ واحداً من أبرز المنتقدين للسياسة الاستعمارية البريطانية يومذاك. أولى إدوين صموئيل مونتاجو الشأن العراقي اهتماماً خاصاً؛ إذ شغل منصب وزير مساعد لشؤون الهند (١٩١٧- ١٩٢٢)، فقد أطلع على تفاصيل السياسة البريطانية في المنطقة. كان من المعارضين للاستعمار البريطاني، ودعا إلى منح الهند والمستعمرات الأخرى الاستقلال. للمزيد انظر: Dan Cohn-Sherbok, *Dictionary of Jewish Biography* (London: Bloomsbury Publishing, 2010), p. 204.

Belfast News Letter, 26/6/1920, p. 8.

(٣٠)

«المشاركة» في النشاط السياسي ووضع دستور للبلاد بإشراف السير برسي كوكس، مجيباً في الوقت نفسه على أسئلة «اللورد ايسلينغتون» بتعيين «أربعمئة وأربعة وعشرين» موظفاً يعملون في الإدارة المدنية، رافضاً تشكيل قوات عسكرية محلية للدفاع عن البلاد، منوهاً إلى حيابة قوات بلاده حوالى «خمسة عشر ألف أسير» و«سبعة وعشرين ألف لاجئ»، في إشارة إلى الآشوريين^(٣١)، وهم بحاجة إلى «أربع كتائب» للعناية بهم، مختتماً بالقول: «إنه من المستحيل التنبؤ بمستقبل بلاد ما بين النهرين»^(٣٢).

ولفتت صحيفة شيفيلد ديلي تلغراف الأنظار في مقال لها بتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٢٠ وسم بعنوان «البداية»، إلى الموقف البريطاني من مداولات «الانتداب» في بلاد ما بين النهرين، مشيرةً إلى أنّ الحلفاء لن يشنوا حرباً جديدة مع تركيا تحت أي ظرف، نظراً إلى «كلفتها المرتفعة»، مختتمةً بالإشارة إلى عودة «السير لويد جورج» إلى لندن إثر توقف جلسات مؤتمر السلام «من دون الإفصاح» عن أي معلومات جديدة فيما يخص مداولات المؤتمر وفق تعبيرها^(٣٣).

وتناغماً مع تغطية النشاط «المحموم» للصحف البريطانية للمداولات المتعلقة بنظام الانتداب على العراق، من جهة، والوقوف على أهمية البلد تجارياً، من جهة أخرى، نشرت صحيفة سوشليست (Socialist) في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٠ مقالات عدة تحت عناوين متعددة خصّت بلاد ما بين النهرين، وسم

(٣١) ورد في إحدى الوثائق السرية حول اللاجئين الآشوريين في بلاد ما بين النهرين: جاء قسم من هؤلاء من الجبال الواقعة شمالي الموصل، وأتى القسم الآخر من منطقة أورمي، الواقعة في الأراضي الفارسية، وتكمن الصعوبة في إيجاد موطن لهم، بما أنّ حكومة جلالة الملك قد اتخذت القرار المتعلقة بمنطقة كردستان، وهذا ما جعل من الممكن إعادة القادمين الجدد إلى الجبال في شمال الموصل، ممّن قدموا إلى المنطقة، وبينما كان الآخرون غير مرغوبٍ فيهم في بلاد فارس، حيث قام السكان المسلمون هناك بالاستيلاء على ممتلكاتهم في وقتٍ سابق، أرسل السيد إي ويلسون، بتاريخ ٣٠ آذار، برقية تتضمن اقتراحاً بترحيلهم إلى منطقةٍ يقع جزء منها في بلاد ما بين النهرين، والجزء الآخر، في أراضي بلاد فارس، حيث كان باعقدهم أنّهم قادرون على الحفاظ على أنفسهم هناك، من دون تقديم مساعدة أخرى من قبلنا، في حال تمّ تسليحهم بالبنادق، وبعض المدافع الجبلية. للمزيد انظر: Edwin S Montagu, Memorandum. Former Reference: CP 1570. Title: The Assyrian: and Armenian Refugees in Mesopotamia, CAB-24-108-72, 5/7/1920, pp. 1-2.

Belfast News Letter, 26/6/1920, p. 8.

(٣٢)

Sheffield Daily Telegraph, 12/1/1920, p. 7.

(٣٣)

الأول منها: بـ«الانتداب البريطاني»، استعرضت فيه معلومات عن البلد الأنف الذكر والتطلّعات البريطانية تجاهه، داعمةً فكرة الانتداب البريطاني للعراق و«بشدة»، مبيّنةً أنّ لفهم الموقف البريطاني لا بدّ أولاً من الاستيعاب الكامل للنقاط الأربع الرئيسة التالية^(٣٤):

أولاً: تاريخ التنافس البريطاني في المناطق الممتدة بين موانئ البحر الهندي والموانئ على السواحل الشمالية للخليج الفارسي^(٣٥).

ثانياً: التركيبة العرقية والاختلافات الطبقية لسكان المنطقة المشار إليها بشكل مبهم باسم بلاد ما بين النهرين، مع العلم أنّ العمليات البريطانية خلال الحرب اقتضت على الجزء السفلي من بلاد ما بين النهرين وعلى ما يبدو، المنطقة التي سينطبق عليها الانتداب البريطاني.

ثالثاً: موقف المسلمين في الجزء السفلي من بلاد ما بين النهرين تجاه أتباع الديانات الأخرى.

رابعاً: الدعاية المناهضة للبريطانيين التي قامت بها تركيا وألمانيا فور اندلاع الحرب. هذه هي العوامل التي تتطلّب أكبر قدر من الاهتمام في تحديد مستقبل البلاد^(٣٦).

وأُنبتت الصحيفة في عنوانها الثانوي «الشحن البريطاني» بسرد تأثير النفوذ البريطاني المبكر في «الخليج الفارسي»^(٣٧)، مشيرةً إلى أنّ الوجود البريطاني في تلك المنطقة، كان على أساس الواجب من دون السيادة، إلا أنّ «سياساتنا لم تترك انطباعاً إيجابياً على الشعب الذي تأثر بها»، مذكّرةً إنه ومع بداية الحرب، كانت «المصالح البريطانية» في جنوب بلاد ما بين النهرين كبيرة، تألّفت أساساً من «شركات تجارية» و«شحن» مختلفة، مثل شركة «غراي وماكنزي» (Gray and Mackenzie) و«ستريك - سكوت» (Strick-Scott) وشركة «لينش بروس» (Lynch Bros)، واصفةً إياها جميعها بالشركات «الكبيرة» التي تمتلك مكاتب في البصرة وبغداد. منوهةً بأنّ نصف

(٣٤) Socialist, (Newspaper), Midlothian, Scotland, 22/1/1920, p. 5.

(٣٥) هكذا ورد في أصل النص.

Socialist, 22/1/1920, p. 5.

(٣٦)

(٣٧) هكذا ورد في أصل النص.

وارداته وصادراته تأتي من الإمبراطورية البريطانية أو تذهب إليها، ونسبة الشحن البريطاني إلى الشحن التركي هي «واحدة إلى ثلاثين»^(٣٨).

وبينت الصحيفة أنّ سكان بلاد ما بين النهرين مُقسّم إلى فئات: «العرب الحضريين» و«الفلاحين»، و«العرب البدو»، واصفة العلاقات بينهم بـ«الودية»، مشددة على «تنوّع المصالح» المرتبطة بإدارة البلاد، مطالبةً بالتعامل مع السكان بـ«البصيرة» و«الدبلوماسية» لحلّ المشاكل المطروحة^(٣٩).

واختتمت الصحيفة مقالها تحت عنوان فرعي حمل اسم «خطط مثيرة» واصفةً الفرص التجارية مع بلاد ما بين النهرين، من استيراد وبيع للسلع مثل الأقمشة والسيارات وما إلى ذلك «جديرة بالنظر بشكل كبير»، فضلاً عن الخدمات العامة، وخدمات البنوك، والصحافة، وما إلى ذلك، مختتمّة المقال مستشرّفةً مستقبل العراق بالاعتماد على بريطانيا، وعلى حدّ تعبيره، القوّة الرائدة للعمل على «تحضّر» بلاد ما بين النهرين، وأنّ «البلد الذي يكون تحت رعايتنا سينعم بمستقبل واعد عظيم»^(٤٠).

لم تنقطع مواكبة الصحف البريطانية يومئذ لكلّ ما هو متعلّق بمداولات الانتداب المعنيّة ببلاد ما بين النهرين، والاهتمام بتعريف «صعوبة» إدارة البلاد الأنف الذكر للقراء والمهتمّين، فقد أوردت صحيفة سيفيل اند ميليتري غازيت في عددها الصادر بتاريخ ٧ شباط ١٩٢٠، مقالاً بعنوان «کردستان وبلاد ما بين النهرين - الدرس الكبير الأخير - سياستنا الخارجية»^(٤١) مشيرةً إلى أنّه وقبل حسم الأمر نهائياً مع تركيا، يجب «التوصل» إلى قرار يُحدّد بالضبط إلى أي مدى «ستتمكن» من إدارة «المنطقة الضخمة المعروفة باسم بلاد ما بين النهرين»، معتقدة أنّ الاقتراح الجديد بقبول الوصاية على ولاية الموصل من الأخبار «المفرحة»، وهو أمر «سيوصلنا إلى جبال وسط كردستان»، محذرةً في الوقت ذاته من مغبة الاستعجال باتخاذ قرار كهذا «من دون التحقيق الدقيق والدراسة الشاملة»، موضحة أنّ الكلمة الفصل يجب أن

Socialist, 22/1/1920, p. 5.

(٣٨)

Socialist, 22/1/1920, p. 5.

(٣٩)

Ibid.

(٤٠)

(٤١) للمزيد حول السياسة البريطانية تجاه كردستان انظر: Hawkar Muheddin Jalil, "The British Administration of South Kurdistan and Local Responses, 1918-1932", PhD thesis, University of Leicester: School of History, Politics & International Relations, 2017.

تكون لـ «وزير المالية»، معتبرة إياه المسؤول عن التمويل اللازم. مختمة المقال بتوضيح «التجارب السابقة» التي أشارت إلى صعوبة تشكيل قوات شرطة «مخلصة» من الأفراد الأكراد، لذا يجب علينا «قبل دخول كردستان مراجعة التزاماتنا الحالية في مواقع أخرى، ومستقبل قواتنا المسلحة وموقفنا المالي في البلاد»^(٤٢).

وتابعت بعض من الصحف الأيرلندية متابعهً حثيثةً مداولات مشروع قرار الانتداب على بلاد ما بين النهرين، فقد نشرت صحيفة أيرش ويكلي اند ألستر اكزامنر (Irish Weekly and Ulster Examiner) في عددها الصادر بتاريخ ١٤ شباط ١٩٢٠، مقالاً عنون بـ «تأخير إبرام السلام مع تركيا غير مفهوم»، مبيّنة في ثنائيه أهميّة التوصل إلى اتفاقات بين الدول الكبرى فيما يخصّ منح الولايات المتحدة حق الانتداب على تركيا، مستشفةً أنّ رفض الولايات المتحدة تحمل جزء من العبء زاد من مسؤولية بقية الدول المنتصرة، مشيرةً إلى أن قبول أمريكا للانتداب أم لا، لا يعني أنّ بريطانيا ستقبل التحدّث عن «تقييد» «نشاطاتنا في العراق». منوهاً بأنّ أيّ تلميح بتراجع بريطانيا عن قبولها الانتداب على العراق سيولد هناك حالة من «الذعر التام» في تلك البلاد^(٤٣).

وتناغماً مع ما تقدّم نشرت صحيفة ويسترن غازيت، مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ٢ نيسان ١٩٢٠، بعنوان «سياستنا تجاه مؤتمر السلام»، مبيّنة تصريح للسير لويد جورج، واصفةً إياه بـ «المهم» و«المفصل» للسياسة الخارجية، رداً على انتقادات السير آسكويث في مجلس العموم فيما تعلّق بالقضية التركية، مبيّنة عدم اقتراحه بوضع السلطان تحت الولاية البابوية. وإذا تبيّن أنّ السلطان يمارس السيطرة في اسطنبول وعلى أراضيه في آسيا الصغرى، فإنّ الحلفاء ستكون لهم الحرية في إعادة تقييم موقفهم. كما أشارت إلى احتمال تكبّد مصاريف هائلة في بلاد ما بين النهرين من قبل البريطانيين، معتبرةً أن ليس من الحكمة إعادة البلاد إلى فوضى واضطراب، مقترحةً أن يحكم الشعب هناك «بمشورتنا»، مشددة على المطالبة بالوصاية على العراق والموصل كاملاً عند توقيع معاهدة السلام مع تركيا^(٤٤).

Civil & Military Gazette, 7/2/1920, p. 3.

(٤٢)

Irish Weekly and Ulster Examiner, (Newspaper), Antrim, Northern Ireland, 14/ 2/1920, p. 5.

(٤٣)

Western Gazette, (Newspaper), Yeovil, Somerset, 2/4/1920, p. 12.

(٤٤)

وتابعت بعض الصحف البريطانية متابعةً حثيثةً المواقف المعارضة للانتداب البريطاني على العراق، فقد نشرت صحيفةً ذا سكوتسمانز في عددها الصادر بتاريخ ٦ نيسان ١٩٢٠ مقالاً عنون به «المرشح الليبرالي المستقل السير والتر رونسيمان»، مبيّنةً في ثناياه الخطاب الذي ألقاه في اجتماع عام يوم ٥ نيسان من العام نفسه في كلية «بروتون رود» بحضور (٢٠٠ فرد) من مؤيديه، متناولاً في خطابه «خطر» الالتزامات البريطانية «المفرطة» في العراق، وهو أمر سيسمح للحكومة بهدر المال العام، وبخاصة في وزارة الحربية، منوهاً إلى خطورة خطابات أولئك الداعمين للوجود البريطاني في العراق^(٤٥).

وأُتبت الصحيفة في عددها الآنف الذكر في إيضاح اعتراض السير رانسيمان الذي عدّ الانتداب على العراق «خطأً كبيراً»، منبهاً إلى أنّ الحملة العسكرية على بلاد ما بين النهرين تمّ تحقيقها بفضل «مهاراة وتنظيم مدهشين»، وقد أشار الباحث هنا إلى اقتباس جزء من خطابه لأهميته في منظور الصراعات الدولية يومذاك أولاً، وليبان آليات الصحافة البريطانية وأساليبها في التأثير على الرأي العام البريطاني وإثارة مخاوفه ثانياً، فمّا جاء فيه:

«بعد أن وصلنا إلى هذا القدر من التقدّم في البلاد، ما هي الأسباب الموجبة للبقاء هناك؟ لم يتم ذكر أبداً أنّها لحماية الشعب المحلي، ولا لصالح الأتراك أو العرب (ضحك). إذا كنا سنحصل على ما بين النهرين تحت الوصاية، فإننا سنبنّي التزامات عسكرية ضخمة لأنفسنا. يمكننا أن نتحمّل كثيراً في الإمبراطورية البريطانية، لكننا قبل الحرب كان لدينا بالفعل كثير ممّا يمكننا عمله. كلّما انسحبنا من الجزء الرئيس من بلاد ما بين النهرين، وجعلنا حدودنا في مكان معقول بالقرب من البصرة على الخليج الفارسي^(٤٦)، كلّما تخفّفنا من تقديراتنا وتخفّفنا من قلق المملكة المتحدة وحكومة الهند البريطانية. إذا اتخذنا ما بين النهرين تحت الوصاية، فلن نكون قادرين على استرداد ثروات النفط لمصلحة مواطنينا، حيث سيتعيّن علينا بموجب الوصاية السماح للتجمّعات الفرنسية، وفي وقت لاحق حتى التجمّعات الألمانية، بالعمل هناك، بينما سنضطر إلى الدفاع عن الأراضي» (هتافات)^(٤٧).

The Scotsman, 6/4/1920, p. 5.

(٤٥)

(٤٦) هكذا ورد في أصل النص.

The Scotsman, 6/4/1920, p. 5.

(٤٧)

وتناغمًا مع ما تقدّم نشرت صحيفة كوفنتري ايفنينغ تلغراف (Coventry Evening Telegraph)، بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٢٠، مقالاً أفصحت فيه عن الاتفاق المبرم بين السير لويد جورج ومؤتمر سان ريمو، وقد أصدرنا بياناً مشتركاً لإعلان بنود الانتداب البريطاني على بلدان العراق وفلسطين، فضلاً عن الاتفاق على شروط البيان الفرنسي - البريطاني، مشيرةً إلى نشر النص مساءً، مبيّنةً أنّ الحلفاء سيجمعون بممثلي المستشار الألماني في باريس في ٢٥ من حزيران ١٩٢٠ لمناقشة نزع السلاح الألماني^(٤٨).

وقد تناولت صحيفة ايفنينغ ميل^(٤٩)، وصحيفة ليستر ديلي بوست^(٥٠) وصحيفة غيرنزي ايفنينغ برس اند ستار (Guernsey Evening Press and Star) بالخصوص نفسه في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٢٠، بالاتفاق على منح حق الانتداب لبريطانيا على العراق وفلسطين. وشرّ الباحث إرفاق جدول (٤) والرسم البياني (١) يوضح فيهما مواقف مختلف الصحف البريطانية إزاء قرار الانتداب البريطاني على العراق كما يلي:

جدول (٤)

مواقف الصحف البريطانية من قرار الانتداب على العراق^(٥١)

٢٤ نيسان ١٩٢٠

ت	اسم الصحيفة بالانجليزية	اسم الصحيفة بالعربية	تاريخ الخبر	موقف الصحيفة
1	Aberdeen Press and Journal	أبردين برس اند جورنال	1920/04/26	محايدة
2	Belfast News-Letter	بلفاست نيوز ليدر	1920/04/26	محايدة
3	Derry Journal	ديري جورنال	1920/04/26	محايدة
4	Daily News	ديلي نيوز	1920/04/26	محايدة

(٤٨) Coventry Evening Telegraph, Coventry, Warwickshire, 26/4/1920, p. 3.

(٤٩) Evening Mail, 26/4/1920, p. 5.

(٥٠) Leicester Daily Post, 26/4/1920, p. 6.

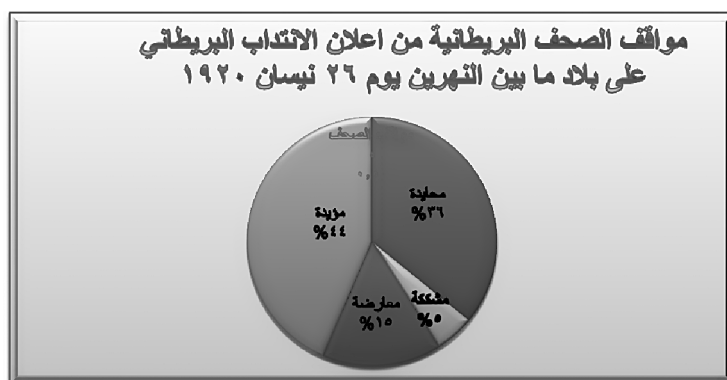
(٥١) الجدول بالاعتماد على أرشيف الصحف البريطانية: <<https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>>.

ت	اسم الصحيفة بالانجليزية	اسم الصحيفة بالعربية	تاريخ الخبر	موقف الصحيفة
5	Edinburgh Evening News	ادنبره ايفننغ نيوز	1920/04/26	محايدة
6	Globe	غلوب	1920/04/26	محايدة
7	Leeds Mercury	ليدز ميركوري	1920/04/26	محايدة
8	North Star	نورث ستار	1920/04/26	محايدة
9	Pall Mall Gazette	بال مول غازيت	1920/04/26	محايدة
10	Sheffield Daily Telegraph	شيفيلد ديلي تلغراف	1920/04/26	محايدة
11	Staffordshire Sentinel	ستافوردشاير ستينيل	1920/04/26	محايدة
12	Sunderland Daily Echo and Shipping Gazette	سندرلاند ديلي إيكو اند شبنغ غازيت	1920/04/26	محايدة
13	The Scotsman	ذا سكوتسمانز	1920/04/26	محايدة
14	Westminster Gazette	وستمنستر غازيت	1920/04/26	محايدة
15	Gloucestershire Echo	جلوسسترشاير إيكو	1920/04/26	مشككة
16	Portsmouth Evening News	بورتسموث ايفننغ نيوز	1920/04/26	مشككة
17	Daily Herald	ديلي هيرالد	1920/04/26	معارضة
18	Exeter and Plymouth Gazette	إكستراند بليموث غازيت	1920/04/26	معارضة
19	Gloucester Journal	غلوستر جورنال	1920/04/26	معارضة
20	Western Evening Herald	ويسترن إيفننغ هيرالد	1920/04/26	معارضة
21	Western Mail	ويسترن ميل	1920/04/26	معارضة
22	Yorkshire Evening Post	يوركشاير ايفننغ بوست	1920/04/26	معارضة
23	Western Daily Press	ويسترن ديلي بريس	1920/04/26	مؤيدة
24	Birmingham Daily Gazette	برمنغهام ديلي غازيت	1920/04/26	مؤيدة
25	Birmingham Mail	برمنغهام ميل	1920/04/26	مؤيدة
26	Bristol Times and Mirror	بريستول تايمز آند ميرور	1920/04/26	مؤيدة
27	Coventry Evening Telegraph	كوفنتري إيفننغ تلغراف	1920/04/26	مؤيدة
28	Daily Mirror	ديلي مرر	1920/04/26	مؤيدة

ت	اسم الصحيفة بالانجليزية	اسم الصحيفة بالعربية	تاريخ الخبر	موقف الصحيفة
29	Dundee Courier	دندي كارير	1920/04/26	مؤيدة
30	Evening Mail	إيفنغ ميل	1920/04/26	مؤيدة
31	Freeman's Journal	فريمانز جورنال	1920/04/26	مؤيدة
32	Hull Daily Mail	هوال ديلي ميل	1920/04/26	مؤيدة
33	Leicester Daily Post	ليستر ديلي بوست	1920/04/26	مؤيدة
34	Liverpool Daily Post	ليفربول ديلي بوست	1920/04/26	مؤيدة
35	Nottingham Evening Post	نوتنغهام إيفنغ بوست	1920/04/26	مؤيدة
36	Nottingham Journal	نوتنغهام جورنال	1920/04/26	مؤيدة
37	Sheffield Independent	شيفيلد إنديبندنت	1920/04/26	مؤيدة
38	Western Daily Press	ويسترن ديلي بريس	1920/04/26	مؤيدة
39	Western Morning News	ويسترن مورنغ نيوز	1920/04/26	مؤيدة

الرسم البياني (١)

النسب المئوية لمواقف الصحف البريطانية من قرار الانتداب على العراق^(٥٢)
٢٦ نيسان ١٩٢٠



(٥٢) اعد الرسم البياني من قبل الباحث بالاعتماد على أرشيف الصحف البريطانية: <<https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>> .

يوضح لنا الجدول (٣)، والرسم البياني (١) أن الصحف البريطانية قد تباينت في مواقفها إزاء خبر إقرار الانتداب البريطاني على العراق يومذاك، إلا أن حصّة الأسد كانت لتلك الأصوات التي دعمت مشروع الانتداب بنسبة مئوية بلغت «٤٤٪» فيما شكّلت الصحف المحايدة للانتداب نسبة مئوية بلغت «٣٦٪»، تلتها على التوالي الصحف المعارضة والمشكّكة بقرار الانتداب وبنسب مئوية بلغت «١٥٪» و«٥٪».

ويبدو لنا جلياً ممّا تقدّم أنّ الصحف البريطانية عالجت قرار الانتداب البريطاني في العراق برؤى مختلفة، وقد صوّرت بعض الصحف الانتداب على أنّه تطوّر إيجابي، مؤكّدة دوره في إرساء الاستقرار في المنطقة والفوائد التي سيجلبها للعراق والإمبراطورية البريطانية. وغالباً ما سلّطت الصحف الأضواء على دور الإدارة البريطانية في تعزيز التقدّم والتحديث. ومن ناحية أخرى، أبدت صحف أخرى قلقها بشأن مشروع الانتداب الآنف الذكر؛ إذ شكّكت هذه الصحف في شرعية التدخل البريطاني وأثارت مخاوف بشأن العواقب المحتملة للحكم البريطاني، بما في ذلك مقاومة السكّان المحليين وتحديات حكم منطقة متنوّعة الأعراق، مثّلت فسيفساء للديانات والطوائف والقوميّات، مطالبة بمزيد من الحكم الذاتي أو الاستقلال للعراق. وبشكل عام، اتّسمت مواقف الصحف البريطانية من إعلان الانتداب البريطاني في العراق بالتباين؛ إذ سعى كل من تلك الصحف إلى تذكير الرأي العام البريطاني بالآثار الاقتصادية والاجتماعية، التي رافقت الحملة البريطانية على العراق، وهذا ما سنفضّله في ثنايا الفصل الثامن والفصول اللاحقة من هذا الكتاب.

الفصل الثامن

الآثار الاقتصادية والاجتماعية للوجود البريطاني في العراق حتى ٣٠ حزيران ١٩٢٠

إن دراسة موضوع تاريخ العراق الاجتماعي الحديث من المواضيع التي ألقت بظلالها على المتصدين لدراسة أوضاع المجتمع العراقي وما آل إليه من تطورات وعلى مختلف الأصعدة متأثراً بالمتغيرات «المحلية، والإقليمية، والدولية»، فقد شهد العراق الحديث وتحديداً في نهاية العهد العثماني وفي أثناء عهد الاحتلال البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، متغيراتٍ جوهرية نتيجة للظروف القاسية التي عاناها العراقيون تحت وطأة السيطرة العثمانية وفي ظل الاحتلال البريطاني، تلك المعاناة التي تجسّدت بمحاولة عهدي السيطرة العثمانية والاحتلال البريطاني، والتي كانت نتائجها إذلال الشعب العراقي والهيمنة على مقدراته لتسهيل عملية السيطرة عليه واستعمار أرضه.

عُدّت المدة الممتدة بين عامي ١٩١٤ - ١٩٢٠ مرحلة حاسمة بالنسبة إلى النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين الذي تحوّل عملياً منذ أواسط القرن التاسع عشر إلى منطقة نفوذ بريطانية. ومنذ ذلك الوقت لم تسمح بريطانيا بمنافسة أحد لها في العراق، ولاسيما النفوذ الروسي^(١) بل وصل الأمر بالبريطانيين إلى حد أنهم عدّوا قيام الحكومة العثمانية بإنشاء قلعة محصّنة في الفاو عام ١٨٧١م تجاوزاً على منطقة نفوذهم، استوجب تقديم احتجاج خاص إلى الباب العالي^(٢).

(١) فوز مطر نصيف الدليمي، «التنافس البريطاني - الروسي في منطقة الخليج العربي ١٧٩٨ - ١٩٠٧»، رسالة ماجستير، جامعة بغداد - كلية الآداب، ٢٠٠٧.

(٢) محمد توفيق حسين، عندما يشور العراق (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٩)، ص ٨٠.

وبفضل هذا الحرص البريطاني لم يتطرق شيء من الخطر إلى مكانة بريطانيا في العراق حتى أوائل القرن العشرين حين ظهرت المنافسة الألمانية^(٣) متجسدة في مشروع سكة حديد بغداد^(٤). لذا، ومن أجل الحفاظ على دائرة المصالح البريطانية في العراق، أعلنت بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية حليفة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى في الخامس من تشرين الثاني عام ١٩١٤، حين بدأت حملة القوات البريطانية من الجنوب لاحتلال العراق الذي كلف البريطانيين حتى نهاية الحرب خسارة في الأنفس تقدّر بمئة ألف إصابة بين قتيل وجريح ومفقود، وخسارة في الأموال تقدّر بمائتي مليون جنيه استرليني^(٥).

أهتمّت الصحف البريطانية، بشكل كبير ومتابعة حثيثة بالكثير من موضوعات الاقتصاد بصورة عامة، وما تعلّق بمجمل النشاط الزراعي بخاصة^(٦)، نظراً إلى أهمية «الزراعة» في تحقيق مردود مالي للبلاد، من جهة، وتموين الجيش، من جهة ثانية، من بين أولويات المعالجات المبكرة لتلك الصحف آنذاك خصوبة أراضي «جنات عدن» المعنية ببلاد ما بين النهرين، والاهتمام بتعريف «مشاريع الري» فيها للقراء والمهتمين، لافتةً الأذهان إلى تلك الأراضي الزراعية، أولاً، ووفرة المياه هناك، ثانياً، فقد أوردت صحيفة التايمز في عددها الصادر بتاريخ ٧ كانون الثاني ١٩١٤، مقالاً وسم بعنوان «أعمال الري في بلاد ما بين النهرين، إكمال سدّة الهندية»، مشيرة فيه إلى تحويل مياه نهر الفرات إلى قناة الهندية الجديدة إثر اكتمال الجزء الأول من مخطط شامل أوصى بها السير ويليام ويلكوكس للحكومة العثمانية لتنظيم الفيضانات وللحفاظ على المياه وإقامة أعمال الري في دلتا الفرات ودجلة^(٧).

(٣) للمزيد حول التنافس البريطاني الألماني ينظر: جودت جلال كامل عبد اللطيف التكريتي، التنافس البريطاني - الألماني في العراق، ١٩٣٣-١٩٤٥، رسالة ماجستير، جامعة تكريت - كلية التربية، ٢٠٠٤؛ حسين طعمة شذر، «العلاقات العراقية - الألمانية، ١٩٣٢-١٩٤١، دراسة تاريخية»، رسالة ماجستير، جامعة بغداد - كلية التربية، ١٩٨٨.

(٤) LOR/L/PS/18/188, The secretary of state for India in council, Baghdad- Basra (٤) Railway, p. 4.

(٥) زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨)، ص ١٤٢.

(٦) Elizabeth Rosemary Ellison Institute of Archaeology, "A study of diet in Mesopotamia (c.3000 - 600 BC) and associated agricultural techniques and methods of food preparation", PhD thesis, University of London: Faculty of Arts, 1978.

The Times, 7/1/1914, p. 1.

(٧)

وبيّنت الصحيفة أنّ مساحة دلتا الفرات تبلغ حوالي ١٢ مليون فدان، إذ تُشكّل الصحراء حوالي ثلثي المساحة، والباقي مستنقعات مياه عذبة. وتتراوح كميّة الأمطار فيها حوالي (٢٠,٣٢ سنتيمتراً) سنوياً، ويقدر أنّ الفيضانات الشديدة في نهر الفرات تمثّل تدفقاً بحجم ١٢٠ ألف قدم مكعب في الثانية، بينما تكون كمية تدفق النهر المنخفض حوالي ١٠ آلاف قدم مكعب في الثانية. أمّا بالنسبة إلى نهر دجلة، فإنّ الأرقام المقابلة تتراوح بين ١٨٠ ألف و ١٠ آلاف قدم مكعب في الثانية، وارفقت الصحيفة مخططاً توضيحياً لسدّة الهندية اقتبسها الباحث للتوضيح^(٨).

لم يقف اهتمام الصحف البريطانية ورصدها عند الزراعة في بلاد ما بين النهرين فحسب، وإنّما تعدّاه إلى التركيز على أهميّة بعض المدن العراقية، على وجه العموم، والبصرة، على وجه الخصوص، فقد نشرت صحيفة التايمز في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٤ مقالاً عن البصرة وفق تعبيرها، مشيرةً فيه إلى شهرة مدينة البصرة في جميع أنحاء الشرق، لأنّها المورد الرئيسي إلى مدينة بغداد وبلاد ما بين النهرين بأكملها، مذكّرةً بأهميتها التجارية فهي وفق نص تعبيرها «مركز التمر التجاري»، فضلاً عن تواجد عدد من الشركات البريطانية التي تأسست في البصرة آنذاك، مشيرةً إلى أنّ قيمة التجارة للاستيراد والتصدير مجتمعاً زاد على ٢ مليون جنيه إسترليني^(٩).

وبيّنت صحيفة انغلشزمان أوفرلاند ميل الصادرة بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٤، في مقال لها وسم بعنوان «البريطانيون في البصرة» الجهود البريطانية «لإحياء الأراضي الزراعية» التي تحوّلت إلى أرض جرداء بفعل «سوء إدارة» البلاد، من جهة، و«سوء الحكم» التركي، من جهة أخرى، وعلى حدّ تعبيرها، منبّهةً إلى تحوّله من «جنة عدن» إلى «صحراء قاحلة»، مشدّدة على وجود «أسبابٍ سياسيّة» تدعو إلى عدم التهرب من مسؤوليّة إدارة بلاد ما بين النهرين، مذكّرةً بأنّ هذه الأراضي كانت في يومٍ من الأيام «مقرّاً» لعديد من «الحضارات المزدهرة»، مخمّنةً بأن «جنّات عدن» تقع في مكان ما بين نهر دجلة والفرات^(١٠).

Ibid.

(٨)

The times, 24/11/1914, p. 8.

(٩)

Englishman's Overland Mail, 26/11/1914, p. 3.

(١٠)

ولفتت الأنظار في المقال نفسه إلى أهميّة القنوات المائية في بلاد ما بين النهرين ناقلة آراء المهندس البريطاني «ويليام ويلكوكس»^(١١) بأنّ الأراضي الزراعية الخصبة في بلاد ما بين النهرين^(١٢) إنّما كانت بفعل وجود نظام متقن من القنوات المائية، واصفةً إياها آنذاك بـ«المهمة» المليئة بالظمي نتيجةً لظروف الحرب، متمنّيةً تحويلها إلى بلادٍ رائعة لـ«زراعة القمح»، مستشرفةً واقع البلاد بتغيرها إلى «بلاد جديدة» و«عظيمة» تنمو وتزدهر من جديد في ظل «الحكم البريطاني»^(١٣).

كما ركّزت الصحافة البريطانية اهتمامها بـ«الشأن التجاري» أيضاً في بلاد ما بين النهرين يومذاك، ومنها ما جاء في صحيفة سكوتسمانز في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ آب ١٩١٤، في مقال لها تحت عنوان «أزمة زراعية في بلاد ما بين النهرين»، أوضحت فيه معاناة التجار عام ١٩١٣، وهو أمر عانت معه «البصرة بشكل خاص» من النتائج المترتبة على الحروب الكارثية في منطقة الشرق الأدنى، فضلاً عن مدة «الحصاد القصيرة» و«غير المرضية»^(١٤)، كما أنّ انخفاض أسعار الحبوب في كلٍّ من روسيا وأمريكا والهند، أدت إلى «انخفاض» أسعار محاصيل حبوب بلاد ما بين النهرين^(١٥).

(١١) ويليام ويلكوكس (١٨٥٢ - ١٩٣٢): مهندس بناء بريطاني عمل في مصر والعراق وتركيا في إنشاء قطاع الري. أنشأ في مصر سدة أسوان وأثناء عمله في العراق سدة الهندية. ترجم الإنجيل إلى اللهجة المصرية وكان من أول الدعاة لتبنيها بدلاً من العربية الفصحى في مصر كلغة للكتابة والقراءة إضافة إلى كونها لغة للتخاطب. ألّف كتاب بعنوان «جنة عدن . إلى عبور الأردن» وزعم فيه أنّ جنة عدن المذكورة في الكتب المقدسة موجودة في جنوب العراق، حيث يلتقي نهرا دجلة والفرات . < <https://ar.wikipedia.org/wiki> > .

(١٢) حاول خبير الري الإنكليزي وليم ويلكوكس من خلال مجموعة من الدراسات والبحوث التي تولّى نشرها خلال تلك المرحلة استقطاب أنظار بريطانيا إلى الثروات الكامنة في العراق، ففي بحثه الموسوم «إعادة مشاريع الري القديمة على نهر دجلة وإحياء رخاء الدولة الكلدانية» الذي تضمّن خطط لتطوير الري في العراق، أكد ويلكوكس أنه «يعتمد نجاح تلك المشاريع على تسويق المحاصيل الزراعية التي سيتم إنتاجها للأسواق الأوروبية، ولهذا إنّ الحاجة إلى مدّ سكة حديد من بغداد إلى الاسكندرية على سواحل البحر المتوسط تكون أساسية لنجاح مثل تلك المشاريع المقترحة وكذلك تطرّق ويلكوكس في بحثه إلى الثروة المائية الكامنة في نهري دجلة والفرات». أحمد سوسة، **فيضانات بغداد في التاريخ**، ج ٢، ص ٦٣٧.

Englishman's Overland Mail, 26/11/1914, p. 3.

(١٣)

The Scotsman, 25/8/1914, p. 6.

(١٤)

Ibid.

(١٥)

وأوضحت الصحافة البريطانية أنَّ تكلفة المواد الغذائية ارتفعت إلى «عشرون، وثلاثون بالمئة لعدَّة أشهر» وكان يتم استيراد «القمح والدقيق والأرز من الهند»^(١٦)؛ لتلبية احتياجات السكَّان في بلاد ما بين النهرين. لقد كان موسم الحصاد أدنى من ذلك في السنة الماضية، ولم يرَ تجَّار الحبوب أملاً في الحصول على ٦ جنيه استرليني لكلِّ سلعة من الحبوب، والتي كانت تكلفة شرائها على الأقل تصل إلى «٧ جنيه استرليني»، إذ لم يكونوا على عجلةٍ من أمرهم فيما يتعلَّق بالتخلُّي عن أرصدتهم. وقد شعرت الطبقات الكادحة بنتائج هذه الحالة، وسادت حالة من «الأس الكبير»، وخاصَّةً بين البدو الذين يعمل ما يزيد عن ١٠٠٠٠ شخص منهم في أعمالٍ ترتبط بتجارة الحبوب على المرفأ، ونقل الحبوب عبر النهر، وغربلتها وتنظيفها وتخزينها، وتحميل البضائع على متن السفن البخارية الراسية في الميناء. لقد كان الطلب في الداخل على المنتجات والمصنوعات الأجنبية محدوداً نسبياً. ولا تزال كمية هائلة غير مُباعة، أو يجري التخلُّص منها بخسارة. كما بينت «أنَّ مجموعَ قيمة الصادرات لعام ١٩١٣ بلغ «١,٩٣٩,٢٥٩ جنيه استرليني»، بالمقارنة بـ «٣,٢٤٦,٥٦٠ جنيه استرليني» لعام ١٩١٢، مظهرَةً انخفاضاً بقيمة «١,٣٠٧,٣٠١ جنيه استرليني»، أو ما يُقارب ٤٠٪. ويعود سبب الانخفاض، بشكل رئيس، إلى «الفشل في حصاد الحبوب» وإلى «قلَّة الكميات المُصدَّرة»، ممَّا أدَّى إلى هبوط قيمة الصادرات لما يُقارب ٥٠٪، وانخفضت كمية الصمغ المُصدَّرة عن السنة السابقة^(١٧).

وتظهر مقالات أخرى خصَّت مضامينها ازدياداً ملحوظاً في كمية الصادرات العراقية يوم ذاك، إذ قاربت كمية جذور عرق السوس المُصدَّرة بنسبة ثلاثة أضعاف عن عام ١٩١٢، وازدادت كمية التمور^(١٨) المُصدَّرة إلى «٣٤٢٥٣٤ صندوق»، ووصلت قيمة الجلود إلى «١١٠٩٥٥ جنيه استرليني». وقد بلغ مجموع كمية الحبوب

Ibid.

(١٦)

The Scotsman, 25/8/1914, p. 6.

(١٧)

(١٨) احتلت التمور مكانة الصدارة في الصادرات العراقية، بشكل وصل حجم التصدير إلى ما بين أربعين ألف وخمسين ألف طن سنوياً، وكانت أغلب بواخر تحميلها تابعة لشركات بريطانية. للمزيد من التفاصيل انظر:

L/MIL/17/15/73, Naval staff monographs (historical) fleet Issue monographs 15 naval operations in Mesopotamia and Persian Gulf, July 1921, the Inception of the Expedition; British Shipping and Trading Interests in Mesopotamia, Vol. IV, p. 1.

المُصدَّرة «٤٤٢٨٣ طن في العام ١٩١٣»، بقيمة «٤٣٠٠٧١ جنيه استرليني»، مظهرًا انخفاضاً بقيمة «١٨٦٨٨٨ طناً»، أو «١٤٣٤٦٣٥ جنيهًا استرليني».

وأُظنَّت الصحافة في إيضاح مناخ البصرة القريب من مناخ «منطقة البنجاب»، وبالتالي فالإمكانية واردة لتحوُّل إلى «جَنَّاتِ عدنٍ» بالفعل، وأن تزدهر مثل الورود: إنَّ «المناخ هناك رائع»، داعية إلى «تهنيد البلاد» فلا يمكن أنَّ التخيُّل بوجود بلاد «ملائمة للهجرة» أكثر منها، وفق حد تعبيرها^(١٩).

وأُفردت صحيفة دومفريز اند غالواي ستاندرد (*Dumfries and Galloway Standard*) في عددها الصادر بتاريخ ١ كانون الأول ١٩١٥، جزءاً حيويًا من إحدى صفحاتها في التعريف بتاريخ مدينة كربلاء المقدَّسة الذي نشرت عنوانه اختصاراً بـ«مدينة أخرى في بلاد ما بين النهرين»، وما احتوت مضامينه من معلومات قيَّمة عن المدينة، مذكرة بأنَّ كربلاء، مدينة مشهورة للحج لدى المسلمين عامة، والمسلمين الشيعة خاصة، منبهةً إلى أنَّ الحجَّ إلى كربلاء المقدَّسة في الحياة، فضلاً عن نقل الآلاف منهم من «مسافات بعيدة» بعد موتهم «لدفنهم» في «أرضه المقدَّسة»، معتبرةً تلك الظروف هي إحدى «الدوافع» التي دفعت بالحملة البريطانية في هذه الأراضي المقدَّسة^(٢٠).

وتناغماً مع ما تقدَّم نشرت أيضاً صحيفة «ليفربول ديلي بوست» (*Liverpool Daily Post*) مقالاً تحت عنوان «إمكانات مدينة البصرة» في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ آذار ١٩١٥، منوهةً بخصوبة أراضي البصرة حيث المياه الوفيرة، معبرةً عن اندهاشها لـ «الإمكانات الهائلة» لولاية البصرة، التي «عانت بشدَّة» من سوء الحكم التركي، وفق تعبيرها، منوهةً بأنَّ سكانها من البدو مبعثرون هنا وهناك. مستشرفةً مستقبل الولاية بإنفاق مبلغٍ صغير لتصبح «ميناءً رائعاً»، فضلاً عن أنَّ أراضيها «خصبةٌ جدًّا»، ولا يلزم إلا «التوسُّع في مشاريع الري» لتصدير كامل «منتجاتها الزراعية» إلى «البلدان المجاورة» كبلاد فارس وسواها^(٢١).

وانسجماً مع الاهتمام بأراضي بلاد ما بين النهرين وثرواته الطبيعية، ولا سيَّما

The Scotsman, 25/8/1914, p. 6.

(١٩)

Dumfries and Galloway Standard, (Newspaper), 1/12/1915, p. 4.

(٢٠)

Liverpool Daily Post, 27/3/1915, p. 4.

(٢١)

الزراعية منها، نشرت صحيفة «غلوب» على صفحاتها مقالاً مطوّلاً وسم بعنوان «صومعة حبوب جديدة» في عددها الصادر بتاريخ ١٠ نيسان ١٩١٥، منوّهة فيه بالإمكانات الزراعية الكبيرة لبلاد ما بين النهرين، معتبرة إياها «الكلمة المباركة» بالنسبة إلى مخزون القمح العالمي البالغة «اثني عشر مليون هكتار» بقيمة بلغت «مئة مليون جنيه استرليني»، مرجعة السبب وراء ذلك إلى جهود المهندس البريطاني ويليام ويلكوكس^(٢٢)، الذي أسس لمشاريع الري حديثة^(٢٣)، وهو أمر ارتفع معه الناتج السنوي إلى «أربعين مليون جنيه استرليني» مركزة على الاهتمام بـ «زراعة القطن»^(٢٤) التي تُزرع مرتين في العام^(٢٥)، مشددة على أنّ من بين أسباب احتلال العراق تلك «الأطماع الألمانية»^(٢٦) بهذه الأرض الخصبة^(٢٧) فيما رجّحت صحيفة

(٢٢) سعى الإنكليز بعد احتلال بلاد ما بين النهرين إلى أن يكون العراق «حقل حنطة وأرضاً يستنزفون منها الخيرات الأخرى»، وحاولوا أن يكسبوا ودّ بعض رجال وشيوخ العشائر بمنحهم حقّ التصرف بأراضي جديدة لتعزيز مركز الشيخ خدمة للمصالح البريطانية، لذا عملت على توسيع نفوذهم بإغداق المال عليهم ومنحهم الامتيازات، مثل الإعفاء من الضرائب والاستفادة من الأراضي الأميرية ومنحهم أراضي واسعة وجعل ولاء أفراد العشائر للشيخ بدلاً من السلطة. سهيل صبحي سلمان، المصدر نفسه، ص ٩؛ إسماعيل نوري مسير الربيعي، المصدر نفسه، ص ٩.

(٢٣) IOR/L/PS/10/87, Mesopotamia -Irrigation, 3131/1905; IOR/L/PS/10/87, Mesopotamia -Irrigation, 3131/1905, 184; IOR/L/PS/10/87, Mesopotamia -Irrigation, 3131/1905, p. 87.

(٢٤) اقتصر زراعة القطن على المناطق المحيطة بالمدن والقرى الواقعة على الطرق التجارية الكبرى، والمناطق التي تروى بالترع ذات الاتساع المحدود. ورغم توفر التربة الغرينية الخصبة لزراعة القطن، وطقسه المعتدل، إلا أن زراعته واجهت مشاكل من بينها نوعية البذور المحلية الرديئة، فضلاً عن موجات الجراد الموسمية، يضاف إليها التخوف من الخسارة لانخفاض أسعار القطن في الأسواق الأوروبية، ممّا يعمل بصورة عامة ضد التوسع في زراعة القطن في بلاد ما بين النهرين. شارل عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب، ١٨٠٠-١٩١٤ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠)، ص ٥١٣ - ٥١٤.

(٢٥) أبدت بريطانيا اهتماماً متزايداً في بداية القرن العشرين بالزراعة في العراق من أجل خدمة مصالحها، فقد رأت أنّ العراق يمتلك إمكانيات اقتصادية لا حدود لها من إنتاج محاصيل الرز والقطن والحنطة والشعير، فكان ذلك أحد أسباب ودوافع الاحتلال البريطاني للعراق، ففي أحد التقارير التي قدّمها أحد موظفي الزراعة في الهند عام ١٩٠٣م تطرّق فيه إلى الإمكانيات الزراعية في العراق بقوله: «إن أرض ومناخ العراق صالحة لزراعة القطن بجميع الوجوه». أحمد سوسة، تطوّر الري في العراق (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٦)، ص ٧٠-٧١.

(٢٦) LOR/L/PS/18/B285, The Baghdad railway negotiations, p. 4.

(٢٧) Globe, 10/4/1915, p. 2.

بيرنلي اكسبرس (Burnley Express) بأنّها «جنات عدن» المذكورة في الكتاب المقدس لخصوبة تربتها^(٢٨) التي تناغمت معها صحيفة كيلكيني مودريتر (Kilkenny Moderator)، مستشرفةً مستقبل تلك الأراضي لترجع كما وصفها الكتاب المقدس، «تفيض بالحليب والعسل»^(٢٩). إنّ تربة هذه البلاد غنيّة إلى درجة أنّه يمكن جني محصولين أو ثلاثة في السنة الواحدة، من خلال توسيع إصلاح تربتها^(٣٠).

وانسجاماً مع الاهتمام بالجانب الصحي^(٣١) في العراق، أولت صحيفة نوتغهام إيفينغ بوست^(٣٢) في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ آذار ١٩١٦، مقالاً وسم لـ «العناية بالجرحى في بلاد ما بين النهرين»، مؤكّدة أنّ التدابير الطبيّة في بلاد ما بين النهرين هي في المقام الأول خاضعة لسيطرة السلطات في الهند، فضلاً عن خدمات المجلس العسكري والبالغة «مائة وعشرين ضابطاً طبياً» من مصر، و«مئتين وخمسين» من الرتب الأخرى، و«الفيلق الطبي» في الجيش الملكي. وذكرت أنّ المشكلة الرئيسة في البلاد تمثّلت بنقص المشافي^(٣٣)، فكان هناك «مستشفى بريطاني عام»، مزوداً

(٢٨) Burnley Express, (Newspaper), 12/6/1915, p. 2.

(٢٩) للمزيد من التفاصيل حول تاريخ وأهمية الزراعة في العراق انظر:

IOR/L/PS/10/87 Mesopotamia Irrigation, 3131/1905; IOR/L/PS/10/87, Mesopotamia Irrigation, 3131/1905, 184; IOR/L/PS/10/87, Mesopotamia Irrigation, 3131/1905, p. 87.

Ibrahim H. Abid, "The Agriculture Sector in Iraq: policy, performance, and impact", PhD thesis, University of Keele, Department of Economics, 1995.

Kilkenny Moderator, (Newspaper), Kilkenny, Republic of Ireland, 4/1/1919, p. 4. (٣٠)

Newcastle Daily Chronicle, 25/11/1915, p. 3. (٣١)

(٣٢) للمزيد من التفاصيل عن الأوضاع الصحية في العراق خلال الاحتلال البريطاني

انظر: Walter Timothy James, "Nine Months In Mesopotamia In 1916", Doctor of Medicine thesis, the University of Edinburgh, 1917.

(٣٣) كان لنقص المؤسسات الصحيّة دور في زيادة سوء الخدمات الصحية في العراق، فقلّة المؤسسات الصحية في الولايات «بغداد والبصرة والموصل»، وخصوصاً المستشفيات التي من الممكن أن تلعب دور كبيراً في تفادي الأمراض والأوبئة المنتشرة بين سكان العراق. لقد أسست المستشفى المدني الأول في العراق وافتتح عام ١٨٧٢، وقد خصّص للأشخاص المسّنين الذين ليس لديهم أقارب يقدمون لهم الرعاية، لذا أطلق عليه اسم «مستشفى الغرباء» أو «مستشفى الفقراء»، وقد أهمل هذا المستشفى لاحقاً، وتأسّس مستشفى آخر في بغداد عام ١٩٠١، وتم تجهيزه بأدوات جراحية من أوروبا، علاوةً على ذلك أسّس مستشفى آخر في بغداد وهو «المستشفى العسكري» ورغم قلّة هذه =

بألفٍ وأربعين سرير، و«مستشفى ثابت» مجهّز بأربعمئة سرير، يسندها «أربع مشافٍ هندية عامّة» مجهّزة بألفي سرير بطاقم طبي فرنسي، مضاف إليها «مشفى هندي ثابت» مجهّز بمئتي سرير وثلاثة وثلاثين من أفراد الطاقم الطبي، مشيرةً في الوقت عينه إلى «قوافل إسعافية آليّة» مكوّنة من خمسين سيارة^(٣٤).

وظل موضوع تطوير «زراعة أراضي العراق»^(٣٥) تتداوله صفحات الصحف بين مدّة وأخرى، فقد كتبت صحيفة هول ديلي ميل (Hull Daily Mail) مقالاً وسم بعنوان «عرضة للغزو» في عددها الصادر بتاريخ ٨ كانون الثاني ١٩١٨، موضحةً حجم الدمار الذي شهدته بلاد ما بين النهرين على يد الأتراك على الرغم من طبيعتها الجميلة، وطقسها اللطيف، ومناظرها الطبيعية المبهجة، وأرضها الخصبة، وغناها بالثروات المعدنية، إلا أنّها أهملت وباتت «أرضاً جرداء»، مُطلقةً على الأتراك بـ«المدمرين». معتبرةً أنّ لا وجود لبلد في العالم تعرّض «للتدمير» أكثر من بلاد ما بين النهرين، إذ تعرّث واضطهدت على يد قادة «متغطرسين»، و«جُهلاء»، ولهم «طباع فظّة»، مؤكّدة أنّ نتيجة ذلك كله أن «أهملت الأرض وباتت مناطق شاسعة جرداء»^(٣٦).

أما صحيفة سكوتسمانز الصادرة في ٤ تشرين الثاني ١٩١٨، فقد أشارت إلى كمّية الحبوب التي تمّ حصادها، إذ كتبت مقالاً تحت عنوان «الحصاد في بلاد ما بين النهرين»، إذ علّمت من اللجنة الزراعية في الجيش أنّه قد تمّ جني المحاصيل في

= المستشفيات رافقها قلّة في الكوادر والخدمات من حيث الأطباء والصيادلة والعاملين فيها، وهذا بدوره لا يتناسب مع عدد السكان في بغداد في فترة العهد العثماني. عبد العظيم عباس نصار، بلديات العراق في العهد العثماني، ١٩١٤-١٥٣٤ (طهران: المكتبة الحيدرية، [د. ت.])، ص ٣١؛ كمال رشيد خماس العكيلي، المصدر نفسه، ص ٢٩-٤١.

Nottingham Evening Post, 24/3/1916, p. 5.

(٣٤)

(٣٥) اتسمت السياسة الزراعية البريطانية في بلاد ما بين النهرين بكونها موجهة نحو خدمة بريطانيا وجيشها المحتل، ومن هنا يمكن القول إنّ قوات الاحتلال ما كانت تهدف من توجيهها نحو الزراعة إلا توفير احتياجاتها وخدمة أهداف بريطانيا البعيدة، حيث اهتمت بزراعة المحاصيل النقدية كالقطن والتبغ وتربية دودة القز لإنتاج الحرير ومحصول التمر، وكان توجيههم هذا يفصح نحو غايتهم التي تحكم وجودهم في العراق المتمثلة بالهدف الاقتصادي الذي يتلخّص في جعل العراق مصدراً للمواد الأولية وسوقاً لتصريف المنتجات البريطانية. عماد أحمد الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي في العراق: دراسة في التطورات العامة، ١٩١٤ - ١٩٣٢ (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨)، ص ٤١٤.

Hull Daily Mail, 8/1/1915, p. 5.

(٣٦)

بلاد ما بين النهرين بمساعدة ومراقبة الجيش، وأنتج ذلك ما يقارب «٤٧٥٠٠٠ طن» من الحبوب^(٣٧).

وأشارت صحيفة رونكورن غارديان (*Runcorn Guardian*) الصادرة بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٩١٨ إلى موارد بلاد ما بين النهرين المتنوعة، فقد كتبت مقالاً بعنوان «بلاد ما بين النهرين: مواردها الرائعة»: ذكرت فيه خصب أرضها المثمرة، بفضل اتباع نظام «سقاوية وحراثة فريدين» وهو أمر ظهر معها بـ «شكل ملحوظ» بأسعار المنتجات الزراعية، ضارباً مثلاً بشراء عشر بيضات «بنس واحد»، وطائر واحد «بخمسة بنسات»، متغنياً بجهد المهندسين البريطانيين في مدّ «خطوط الكهرباء» و«الهاتف»، و«تعبيد الطرق»، و«بناء خمسة جسور»، وإنشاء «مرافئ جيّدة» بوجود «ست سفن تجارية»^(٣٨).

وتطرقت في المقال نفسه إلى «جُني محصول قياسي» في شهر أيار ١٩١٨، على حد تعبيرها، فضلاً عن تجهيز «٤٧٥ ألف طن» من القمح الجاهز للإرسال إلى «الجزر البريطانية»، محمّلةً في نهاية مقالها «الألمان» بالسعي إلى تدمير «الإمبراطورية البريطانية»، منبهة إلى تحريض الألمان العالم الإسلامي، وكان عديده ثلاثة ملايين مسلم آنذاك، على الدخول في «حرب مقدّسة». إلا أن الشعب الإسلامي لم «يستغ» الثورة» ضد البريطانيين وحلفائهم، وبقوا مخلصين لهم، على حد تعبيرها^(٣٩).

ولم ينقطع اهتمام الصحف البريطانية في التعريف والتنويه بتاريخ مدن العراق، فما فتئت بين الفينة والأخرى، أن توشح صفحاتها بإيجاز عن تاريخ مدينة بغداد للقراء مع بيان أهمية تلك البلاد «حضارياً، وتاريخياً، واستراتيجياً»، فضلاً عن النواحي الاقتصادية البالغة الأهمية في التطلّعات الاستعمارية، فقد كتبت صحيفة دالكيث ادفيرتيزر (*Dalkeith Advertiser*) مقالاً بعنوان «بغداد، نواة الشرق» في عددها الصادر بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٩١٥، واصفةً القباب الذهبية للمراقد المقدّسة في الكاظمية ذات «اللمعان الذهبي المميّز» الذي يمكن رؤيته عبر النهر من خلال حافة النخيل، معتبرةً إياها «ضاحية شيعية»، وكذلك واصفةً أول منزل مهم

The Scotsman, 4/11/1918, p. 2.

(٣٧)

Runcorn Guardian, (Newspaper), Cheshire, 19/11/1918, p. 2.

(٣٨)

Runcorn Guardian, 18/11/1918, p. 2.

(٣٩)

على الضفة الشرقية لنهر دجلة هو «المقيمة البريطانية»، منزل بفناء ومظهر إيطالي نوعاً ما، وهو من دون شك أكثر روعة في بغداد. مثل كل شيء هنا، يتم بناؤه من الطوب، وهذا هو أحد أسرار الشرق الحقيقي. إن بغداد مبنية من الطوب، وحين تسقط الأمطار حتى بشكل طفيف جداً، يكون مصير المباني المبنية من الطوب عادةً التفكك. مختمة «ويغلب على سكان بغداد الشيعة والموظفون الألمان في شركة سكة حديد بغداد»^(٤٠).

وقد شددت صحيفة شيفيلد إندبندنت^(٤١) الصادرة في يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٨، في مقال لها تحت عنوان «إعادة تنظيم بلاد ما بين النهرين»^(٤٢) على أهمية ميناء البصرة كشریان أساسي للتجارة في بلاد ما بين النهرين: إن إعادة تنظيم القوات في بلاد ما بين النهرين بهدف التمهيد للتقدم في مدينة بغداد، وتحسين المرفأ في البصرة، وإتاحة أسطول نهري ضخم على نهر دجلة، عمل على خلق مطالب جديدة في الهند تستلزم إجراء تغييرات واسعة النطاق فيما يتعلق «بتنظيم مصادر التمويل». فعند اندلاع الحرب، اتخذت عدة وحدات تطوعية على عاتقها مسؤولية استبدال النظاميين المتواجدين واستكمالهما من ضمن حاميات محددة، لأطول مدة ممكنة، التي تكون العمالة فيها تقدم خدمات ممتازة^(٤٣).

ولم تقتصر تغطية الصحافة البريطانية على تلك الموضوعات والأخبار والقضايا التي خضت العراق، أي «الزراعة، والقنوات المائية، وسبل تطويرها» فحسب، وإنما أفرد عديداً منها مكاناً مميّزاً من صفحاته سلّطت فيه الأضواء على التطور الاجتماعي في بلاد ما بين النهرين، فعلى سبيل المثال لا الحصر كتبت صحيفة نورث ستار (North Star) في عددها الصادر بتاريخ ٧ كانون الأول ١٩١٨ مقالاً تحت عنوان

Dalkeith Advertiser, (Newspaper), 18/11/1915, p. 2.

(٤٠)

(٤١) صحيفة شيفيلد إندبندنت: تأسست شيفيلد المستقلة في كانون الأول عام ١٨١٩ من قبل هنري أندرو بيكون، وسرعان ما احتاجت إلى المزيد من رأس المال، وشريكين جديدين. جاء أسلين وارد ومايكل إليسون إلى الصحيفة في كانون الأول عام ١٨٢٠. اشترى روبرت ليدر (١٧٧٩-١٨٦١) الصحيفة في عام ١٨٢٩. حافظ على المبادئ السياسية والتجارية الليبرالية للصحيفة التي تأسست عام ١٨١٩. وقد خلفه في ملكيتها ابنه روبرت ليدر (١٨٠٩-١٨٨٥)، الذي كان محرراً وكتائباً رئيسياً من عام ١٨٣٣ حتى عام ١٨٧٥. للمزيد ينظر أرشيف الصحف البريطانية: <<https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>>.

Sheffield Independent, 27/11/1918, p. 6.

(٤٢)

Ibid.

(٤٣)

«تحويلات في بلاد ما بين النهرين: يجب على البريطانيين البقاء»، متغنية بجهود بلادها، واصفة جنودها بـ «أناس رائعون، إلى حد «يتعجب» معه العالم «لعملنا المدهش» في هذه الأرض «المعزولة» عن العالم، ضاربة مثلاً بولاية البصرة التي حوت «الآن مرفأً عملاقاً» فضلاً عن أميال من الأرصفة التي شُيِّدت على الأرض^(٤٤).

وقد استرسلت الصحف في سرد انطباعاتها عن البصرة يومذاك، وهو أمر باتت معه «المصابيح الكهربائية» تضيء الشوارع، وأنشئ «نظام اتصال هاتفي» أكبر من ذلك الموجود في مدينة بومباي، فضلاً عن إنشاء «مصنع للمثلجات»، وآخر «للمياه الغازية»، وتمّ تجهيزها بـ «سيارات الإطفاء». وباتت شبكات الصرف الصحي في «حالة مثالية»، إذ لم يكن هنالك وجودٌ للصرف الصحي. وعلى النهر ترسو سفن قادمة من عدة بلدان، معرجة على «مدينة الكوت» التي أمست «تتفاخر» بـ «خطوط للسكك الحديد المجهزة بالإضاءة الكهربائية»، و«خطوط التليغراف» و«الهاتف»^(٤٥).

وتابعت الصحيفة بالانتقال إلى «بغداد» حيث ازدحام الشوارع المليئة بالسيارات المحملة بالبضائع، فضلاً عن حركة النساء المُحجَّبات والتجار العرب والضباط، والمساجد المبهرة والمنازل والأسواق المحليّة والإعلانات المطلية. وهو أمر «ساد الازدهار» معه، وبات الشعب «ينعم بالاستقرار والأمان والسلام»، مختتمةً مقالها بشكر أبناء العراق «لتحمّله تكاليف هذا الإنجاز العمراني»^(٤٦).

لم تقف اهتمامات الصحافة البريطانية ورصدها، سواء للأنشطة البريطانية في العراق، أو في كتاباتها، على واقع البلاد الاجتماعي والاقتصادي، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة *فريمانز جورنال* (Freeman's Journal) مقالاً وسم بعنوان «إنّهم لا يدفعون الضرائب» في عددها الصادر بتاريخ ٣١ كانون الأول ١٩١٨، ووفق تعبيرها أدى ذلك إلى نقص رؤوس الأموال في بلاد ما بين النهرين، مؤكّدة أن «لا أموال في بلاد ما بين النهرين»، وأنّ «القمح والفاكهة والجلود» هي وسائل التبادل الوحيدة «المتاحة هناك». مذكرة بأن «لا رجال شرطة»، ولا «محاكم» أو «قضاء»، معتبرة

North Star, (Newspaper), Durham, 7/12/1918, p. 1.

(٤٤)

Ibid.

(٤٥)

Ibid.

(٤٦)

سكان البلاد لا يدركون معنى القتال في سبيل الحرية لأنهم «بالأصل أحرار»^(٤٧).

من جهتها، أشارت صحيفة «كيلكيني ماريتزر» الصادرة بتاريخ ٤ كانون الثاني عام ١٩١٩، إلى الأهمية التجارية لبلاد ما بين النهرين، فقد كتبت مقالاً تحت عنوان «التجارة في بلاد ما بين النهرين»^(٤٨)، مشيرةً إلى أنَّ الأسواق في متناول اليد، سواء من خلال وجود «السكك الحديدية» الواصلة إلى الإسكندرية، أو من خلال «الموانئ» على البحر المتوسط، سالكة طريق البصرة ومنها عبر «الخليج الفارسي»^(٤٩)، وصولاً إلى الهند، محملة ألمانيا مسؤولية «تدمير» السكة الحديدية في بغداد، فضلاً عن حسابات ذات «قيمة عسكرية» وفق تعبيرها، مشيرةً إلى الجهد الفني البريطاني في تأهيل السكك المتضررة: «أنهينا مد طريق السكة الحديدية في الجنوب نحو البصرة»، وفي الشمال، «إلى ما بعد مدينة سامراء». وفضلاً عن التحكم بجريان نهر دجلة «قمنا بجرف وتغيير مجرى نهر دجلة لتنظيم سرعة جريانه وانتظامه»^(٥٠).

وأفردت صحيفة شيفلد ديلي تلغراف في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ كانون الثاني ١٩١٩ جزءاً حيوياً من إحدى صفحاتها للتعريف بمضامين الجهد البريطاني المدني

Freeman's Journal, Ireland, 31/12/1918, p. 3.

(٤٧)

(٤٨) كانت السوق الرئيسة للتجارة العراقية في مجالي الاستيراد والتصدير بريطانيا والهند، حيث كان من الطبيعي أن تمثل بريطانيا سوقاً مهماً للصادرات العراقية بحكم واقع الانتداب الذي أتاح لها حرية التحرك في المجالات الحيوية لبلاد ما بين النهرين، وعليه كانت الروابط التجارية مع بريطانيا وثيقة جداً، حيث شملت أهم سوق للحبوب العراقية، وعدت السوق الثانية لصادرات العراق من التمور ولهذه العلاقات أسباب كثيرة منها حاجة العراق إلى المنتجات والشاي واللبن والتوابل والأخشاب، وهذه كلها تنتجها بريطانيا والهند. كذلك كانت السوق العراقية توفر المواد الأولية والغذائية والتمور والحبوب لكليهما، وعليه كانت الروابط التجارية سابقة لعهد الانتداب بزمان طويل. إنَّ المعلومات المتوافرة عن صادرات العراق خلال المدة (١٩١٤-١٩٢٠) قليلة جداً، فكلما وجد من معلومات وردت في تقرير (الأحوال التجارية في العراق عام ١٩٢٠)، وكانت صادرات الصوف حسب ما ذكر في التقرير (١٦،٣٤٣) بالة في عام ١٩١٦، و(١٣،٠٦٣) بالة عام ١٩١٧، و(٢٧،٥٠٠) بالة عام ١٩١٨، أما صادرات التمور فكانت تقدر بنحو (٨٥،٠٠٠) ألف طن عام ١٩١٦، وانخفضت النسبة قليلاً في عام ١٩١٨ إلى نحو (٨٠،٠٠٠) ألف طن. مظفر حسين جميل، سياسة العراق التجارية (القاهرة: [د.ن.ن.]، ١٩٤٩)، ص ٩٧٨؛ إسماعيل نوري الربيعي، تاريخ العراق الاقتصادي في عهد الانتداب البريطاني ١٩٢١-١٩٣٢، ص ٣٤؛ محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق، ج ١، ص ١٣٦.

(٤٩) هكذا ورد في أصل النص.

Kilkenny Moderator, 4/1/1919, p. 4.

(٥٠)

في بلاد ما بين النهرين الذي نشرت عنوانه اختصاراً بـ «تركيا المشاغبة»، موضحة أن العام الآنف الذكر وسم بعام «الحصاد الأكبر»، والذي اسمته صحيفة أبردين بريس اند جورنال بـ «أعظم حصاد منذ عهد نبوخذنصر»^(٥١)، متغنيةً بالبصرة على حد وصفها بـ «مدينة الميناء الأكبر»، مشيرةً إلى أن جميع المنشآت الحديثة أُدخِلت إليها، فضلاً عن تطوير «الملاحة البحرية»، ومدّ «السكك الحديدية»، بمسافات ناهزت «مئات الأميال»، وهو أمر بموجبه «ازدهرت المدينة تحت حكمنا»، وعلى حدّ تعبيرها، وطوّرت أساليب الري والسقاية. كما تمّ توطيد الأمن، ممّا أدّى إلى زيادة الإنتاج الزراعي، وأصبح كذلك لبغداد «نظام إنارة كهربائية»، ومدّ «خطوط مائية» حديثة، ممّا «استلزم الإبقاء على جيش الاحتلال لبعض الوقت»، المتألف من «الجند الهنود» بصفةٍ غالبية^(٥٢).

لم تقف اهتمامات الصحافة البريطانية ورصدها، سواء للأنشطة البريطانية في العراق، أو في كتاباتها عن واقع البلاد الاجتماعي والاقتصادي، بل تعدّتها إلى إبراز الوضع الصحي له، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة بيرتون أوبزرفر اند كرونكل (Burton Observer and Chronicle) في عددها الصادر في ٨ شباط ١٩١٩، مقالاً عنون بـ «رغبة العرب الدائمة في القتال» خست مضامينه بما تعرّضت له البلاد من نكبات صحية، مشيرةً إلى المصاعب الصحية العديدة في البلاد باعتبار أن غالبية البلاد «صحراء»^(٥٣) مقتصر على «مساحة ضيقة» يقطنها السكّان على ضفاف الأنهار، وهي «المصدر الوحيد» للتزوّد بالمياه، التي تسحب من النهر بوساطة عربات نقل الماء، إذ تتم معالجتها بعملية «التأين الكيميائي»، لتكون بذلك صالحة للشرب، فضلاً عن انتشار حشرات متنوعة تتعرّض لها البلاد، إذ تتواجد على شكل أفواج، مثل: «الدبابير والبعوض وذباب الرمل» و«العقارب» بكثرة في هذه البلاد^(٥٤).

أمّا صحيفة هارتلبول نورثرن ديلي ميل (Haltlepool Northern Daily Mail) الصادرة بتاريخ ٢٨ شباط ١٩١٩ فقد نشرت مقالاً تحت عنوان «عهدٌ جديد في بلاد

Aberdeen Press and Journal, 24/4/1919, p. 4.

(٥١)

Sheffield Daily Telegraph, 24/1/1919, p. 5.

(٥٢)

Consett Guardian, Durham, 10/5/1918, p. 9.

(٥٣)

Burton Observer and Chronicle, Staffordshire, 8/2/1919, p.10.

(٥٤)

ما بين النهرين»، مشيرةً فيه إلى أهمية سكك الحديد في بلاد ما بين النهرين، معلنة افتقار البلاد للسكك الحديد قبل وصول القوات البريطانية، ما عدا وجود سكة حديد تربط بين سامراء وبغداد، بلغ طولها ٧٥ ميلاً، ولغاية تشرين الثاني ١٩١٨، شُيد خط سكة حديد رئيس، يصل طوله إلى ما يقارب «٨٠٠ ميل مع المسارات»^(٥٥).

لم تقف اهتمامات الصحافة البريطانية ورصدها سواء للأنشطة البريطانية في العراق، أو في كتاباتها عن واقع البلاد الاجتماعي والاقتصادي والخدمي والصحي، بل تعدّاه إلى تسليط الأضواء على واقع التعليم في البلاد^(٥٦)، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة برمنغهام ديلي غازيت في عددها الصادر بتاريخ ٥ تشرين الثاني ١٩١٩ مقالاً وسم به «التعليم في بلاد ما بين النهرين»^(٥٧) أوضحت فيه إشراف الرائد إتش إي بومان (H. E. Bowman)^(٥٨) بترتيب التفاصيل المتعلقة ببناء المدارس لصالح العرب، مشيرةً إلى أن النظام التعليمي التركي، الذي تأسس في البلاد بعد عام ١٩٠٩، كان «جيداً من الناحية النظرية»، إلا أنه «سيئاً من الناحية العملية»، مرجعة السبب وراء ذلك إلى «تراخي الموظفين المحليين»، مبيّنة أن لكل مدينة مدارسها «الابتدائية» الخاصة بها، التي هدفت بالأساس إلى «تريك العرب» أما التعليم فعُدّ «أمراً ثانوياً»^(٥٩)، منبهةً إلى أن التلاميذ كانوا «يؤدّون السّلام للعلم التركي»، الذي

Haltlepool Northern Daily Mail, 28/2/1919, p. 3.

(٥٥)

(٥٦) للمزيد من التفاصيل انظر: مؤيد الوندادي، مؤسسات الدولة العراقية الحديثة، ١٩١٤-١٩٢٠ (بغداد: مكتبة النهضة العربية، ٢٠٢٤).

Birmingham Daily Gazette, 5/11/1919, p. 4.

(٥٧)

(٥٨) إتش إي بومان: كان الرائد طالباً في جامعة إينون، وقد تخرّج من الكلية الجديدة في جامعة أكسفورد، وله سجل طويل من التعليم النافع تحت الحكم المصري، المصدر نفسه.

(٥٩) إثر فرض الانتداب تولّت بريطانيا إدارة التعليم لمصلحتها وتوجيهه عن طريق مستشارين فنيين مسؤولين عن التخطيط والإدارة، وكان المسؤول الكبير عن التعليم وإدارة المعارف مدير بريطاني، وبعد ذلك أوكلت مهمة الإشراف على شؤون التعليم في المناطق المحتلة عند احتلال العراق بأكمله إلى السير هنري دويس. للمزيد من التفاصيل انظر: مؤيد إبراهيم الوندادي، العراق في التقارير السنوية للسفارة البريطانية؛ أمال محمود، دور التعليم في التنمية الاقتصادية للقطر العراقي (بغداد: نقابة المعلمين، ١٩٨١)، ص ١١٤؛ إبراهيم خليل أحمد، تطوّر التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢ (البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي، [د.ت.])، ص ٦٧؛ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١٢، ص ٣٠٣؛ هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ص ٣٣٧؛ عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٧٥)، ص ١٨.

يرفرف فوق المدارس، وكان ارتداء «الزي الأوروبي» «إلزامياً» وفق تعبيرها^(٦٠).

وفي السياق نفسه أشارت الصحيفة الآنف الذكر، إلى أنّ مهمّة الرائد بومان تمثلت بـ «تحويل ما هو جيّد في النظام القديم والاستفادة منه على أفضل وجه»، و«تطعيم المخزون القديم» من شجرة المعرفة الجديدة بنظام تعليم يديره رجال مُدرَّبون «متعاطفون» مع التقاليد الشرقيّة، معتبراً أنّ الخطوة الأولى تمثلت بـ «استبدال اللغة العربيّة باللغة التركيّة» في المدارس والمدن التُركمانيّة، فضلاً عن تدريس اللغة الإنكليزيّة، وبصورة اختيارية^(٦١) ولعلّ من المفيد هنا أن تقتبس شيئاً من مقاله المطوّل هذا في شرح الأهميّة للرأي العام البريطاني، فمما جاء فيه:

«هدفنا الأساس تقديم تعليم زراعي، وتقني، وتجاري على العكس ممّا كان مُتبعاً من نظام تعليم أدبي في جميع أرجاء بلاد ما بين النهرين في نظامنا التعليمي وبطريقة منهجية. وخلال أسبوعين أو ثلاثة من سقوط الموصل، كان المسؤول التعليمي يمارس عمله لإعادة تنظيم المدارس. هناك طلاب محليّون قدموا من الموصل، وفتحت المدارس التجاريّة والتقنيّة بشكل معتدل في بغداد. إنّ افتتاح مدارس التعليم الثانوي في كل من بغداد، والموصل والبصرة^(٦٢) وهو من ضمن برامجنا، كما نفكر بافتتاح كليّة للحقوق»^(٦٣).

ويبدو ممّا تقدم أنّ مواقف الصحافة البريطانية إزاء آثار الحملة البريطانية في

Birmingham Daily Gazette, 5/11/1919, p. 4,

(٦٠)

Ibid.

(٦١)

(٦٢) تأسّس عدد من المدارس الثانوية في إنحاء العراق، وطبقاً لإحصائيات عام ١٩١٥ فقد بلغ عدد المدارس الرسميّة الثانوية في العراق حوالي (٤) مدارس (٢) في درجات سلطاني في بغداد وكرّوك و(٢) في درجة عداوي في الموصل والبصرة، أمّا عدد مدرّسي هذه المدارس فكان (٤٩) وعدد طلابها (٨١٨) طالباً، منهم (٤٧٣) في الصفوف الابتدائية و(٣٤٦) فقط في الصفوف الثانوية، هذا إلى جانب كل من مدرستي الحقوق والصنائع. أمّا بالنسبة إلى ولاية البصرة، فقد تأخر التعليم الثانوي فيها حتى أواخر عام ١٩١٧، حيث فتح صف ثانوي في أبي الخصيب، واكتفي في مركز البصرة بمدرسة البعثة التبشيرية الأمريكيّة، ولم يكن بوسع السلطات البريطانيّة في ولاية بغداد اتباع السياسة التي سارت عليها في ولاية البصرة، إذ إنّها لم تفتح أي مدرسة ثانوية فيها قبل الحصول على معلّمين مؤهلين لها خشية من الفئات المثقفة البغدادية التي كانت تطالب بضرورة إعطاء التعليم ما يستحق من الاهتمام. إبراهيم خليل أحمد، تطوّر التعليم الوطني في العراق ١٩٣٢-١٨٦٩، ص ٧٩.

Birmingham Daily Gazette, 5/11/1919, p. 4.

(٦٣)

بلاد ما بين النهرين قد اتّسمت بالتعقيد وإثارة الرأي العام البريطاني إزاء نتائجها الاقتصادية والاجتماعية، بخاصة ما تعلّق منها بالجدل القائم إزاء سعي بريطانيا حماية مصالحها النفطية والتركيز على تطوير واستغلال الموارد الزراعية بما يخدم تموين جيش الاحتلال، من جهة، وتحقيق حاجة المستهلك البريطاني، من جهة أخرى، من حبوب ومواد خام كان أبرزها القطن، فضلاً على تركيز الصحف الآنفة الذكر على سعي بريطانيا إلى إنشاء منطقة عازلة ضد النفوذ الألماني في المنطقة. وهي مواقف متباينة تطوّرت بمرور الوقت، لتظهر مجموعة من الآراء والأجندات التي سعت الحكومة البريطانية إلى تنفيذها على أرض بلاد ما بين النهرين بحيث تعزّز بموجبه تواجداً مستمراً في البلاد.

كما وكان العديد الصحف البريطانية مردّداً وجهة نظر الحكومة بأنّ الحملة البريطانية إجراءً ضرورياً وأخلاقياً، بحيث صوّرتها الصحافة على أنّها «مهمة حضارية»، مشدّدة على الأهمية الاستراتيجية للمنطقة، كما وأنه من المهم ملاحظة أنّ القيود البريطانية على الصحف الآنفة الذكر خلال الحرب العالمية الأولى قد اتسمت بالصرامة والشدّة في جوانب تعلّقت مضامينها بالأخبار المتعلقة بسير الحملة ميدانياً، إلا أن هذه الرقابة خفت وطأتها على تلك الأخبار والتعليقات والتحليلات الصحفية التي تعلّقت مضامينها بإبراز الجهد الحكومي البريطاني الداعم لقطاعات اقتصادية واجتماعية، فاسحةً بذلك المجال لتلك الصحف بنقل صورة مشرقة لتلك الخدمات لقوات الاحتلال في بلاد ما بين النهرين، في محاولة كبح جماح الأصوات الإعلامية المتصاعدة الراضية ممارسات قوات بلادها الدموية، من جهة، ومداعبة الرأي العام البريطاني بإنجازات حضارية في بلاد ما بين النهرين، من جهة أخرى، وبخاصة أثر موجة الانتقاد الشعبي - الإعلامي في تعمّر الحملة وارتفاع الخسائر في الأرواح، وهو أمر دفع بالبعض منها إلى طرح تساؤلات عمّا إذا كانت الأهداف المعلنة للحملة تبرّر التكاليف البشرية والمادية، وهو أمر أدّى بالمحصلة إلى التباين في طروحات تلك الصحف ما بين مواقف متعدّدة بناءً على ميولها السياسية، وقراءها، وسياساتها التحريرية. وقد برزت من بينها الصحف المحافظة داعمةً لإجراءات الحكومة، في حين كانت الصحف الليبرالية واليسارية أكثر عرضةً للتشكيك في أهداف الحملة وتنفيذها.

شكّل الاحتلال البريطاني لبلاد ما بين النهرين (١٩١٤ - ١٩١٨) منعطفاً خطيراً

في تطوّرات الحرب والعمليات العسكرية البريطانية في العراق، وبخاصة ردود الأفعال من قبل الصحافة البريطانية؛ إذ واكبت الحملة منذ انطلاقها حتى السيطرة على مدينة الموصل، لتسعى جاهدة إلى فرض هيمنتها على مقدّرات البلاد المتنوّعة، وهو أمر دفع المرجعية الدينية وحوزتها في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة، فضلاً عن عشائر العراق ونخبته المثقّفة إلى التصدّي لهذه الهيمنة، وهذا ما سعى الباحث إلى معالجته في القسم الثالث من هذا الكتاب.

القسم الثالث

مواقف الصحف البريطانية من اندلاع الثورة العراقية
الكبرى حتى نهايتها



الفصل التاسع

مواقف الصحافة البريطانية

من أسباب اندلاع ثورة ١٩٢٠ في العراق

أثرت الهزيمة المُدلة للقوات البريطانية في حملتها ضد بلاد ما بين النهرين عام ١٩١٦، إذ خضعت القوات البريطانية في البلد الآنف الذكر لعملية إصلاح وإعادة تنظيم كبرى، وهو أمر أدى إلى دخولها بغداد عام ١٩١٧، إذ إن أحد عشر شهراً فصلت بين إذلال الجنرال تشارلز تاونسند في حصار كوت العمارة في نيسان ١٩١٦ ودخول الجنرال مود إلى بغداد في ١١ آذار ١٩١٧. وهو أمر استدعى تحويل المهمة القتالية من القوة الهندية «D» إلى قوة حملة بلاد ما بين النهرين (MEF)، بحيث شرع معها السياسيون البريطانيون في لندن إلى إجراء تحقيق شامل في نطاق وحجم أهدافهم في العراق، مُطلقين العنان لموارد الهند الكبيرة من موارد بشرية ولوجستية اللازمة للمجهود الحربي^(١).

كان التقرير النهائي للجنة التي حققت في أسباب هزيمة كوت العمارة في ١٩١٦، والذي صدر في حزيران ١٩١٧، قاسياً أدى إلى استقالة السير اوستن تشامبرلين (Austen Chamberlain)، وزير الدولة لشؤون الهند، والإحراج العام للسير بوشامب داف (Beauchamp Duff) القائد الأعلى للجيش الهندي، الذي ألقى اللوم على ضعف إشرافه في فشل الحملة، وهو أمر أدى إلى انتحاره في ٢٠ كانون الثاني عام ١٩١٨، مما استدعى إلى استبداله بالجنرال تشارلز كارمايكل مونرو

Charles Townshend, *When God Made Hell: The British Invasion of Mesopotamia (١) and the Creation of Iraq, 1914-1922* (London: Faber & Faber, 2010), p. 335.

(Charles Carmichael Monro) في الأول من تشرين الأول عام ١٩١٦^(٢).

عملت الأجهزة الإدارية واللوجستية على تقديم الدعم الضروري الذي غير سير الحملة في أواخر عام ١٩١٦ وأوائل عام ١٩١٧؛ إذ تولّى المكتب الحربي في لندن المسؤولية الإدارية عن الحملة في تموز ١٩١٦، سبقها تولّى المسؤولية العملية في شباط من العام نفسه. وهو أمر أدى وضع الجهد العسكري البريطاني الشامل تحت إطار مركزي لأول مرة منذ انطلاق الحملة في تشرين الثاني ١٩١٤، منهياً بذلك العلاقة غير المتزنة بين المخططين العسكريين في بريطانيا والهند^(٣).

مثّل الاستيلاء على بغداد انتصاراً سياسياً لأول نجاح بريطاني كبير في الحرب، إلا أنّ ذلك الاستيلاء لم ينه الحملة في بلاد ما بين النهرين، ولم ينه الصراع مع الإمبراطورية العثمانية والقوى الداعمة لها، وهو أمر أدى إلى أن حافظت القوة البريطانية على وتيرة عملياتها حتى نهاية الحرب في تشرين الثاني ١٩١٨^(٤)، وزادت معها مسؤولياتها باستمرار، وكان لتزايد الخلاف بين المسؤولين المدنيين والعسكريين البريطانيين في بلاد ما بين النهرين حول اتجاه الحملة ونطاق أهدافها، له عواقب طويلة المدى، أسهمت بازدياد ردود أفعال عنيفة ضد التدخل الأجنبي عام ١٩٢٠، والذي لا يزال يتردد صده حتى اليوم^(٥).

رصدت الصحافة البريطانية، ومنذ عشية اندلاع ثورة ١٩٢٠ في العراق، وباهتمام كبير ومتابعة حثيثة، مختلف الأخبار والتقارير وآراء الخبراء في المهتمين بالشأن العسكري العراقي. ولم يقف اهتمام الصحف البريطانية ورصدها عند متابعة مستجدات «الثورة»، وإنّما تعدّاه إلى تحليل الخطاب العسكري - السياسي المتعلّق

(٢) Kristian Coates Ulrichsen, *The logistics and politics of the British campaigns in the Middle East, 1914-21* (Houndmills, Basingstoke, Hampshire; New York: Palgrave Macmillan, 2010), p. 52.

Ibid., p. 52.

(٣)

MUN 4/6517: Report from Major-General H.F.E. Freeland on the working and future development of the Port of Basra and of the river and railway communications in Mesopotamia, April 1918, p. 9.

WO 32/5206, Report from Lieutenant-General F.S. Maude, 28 August 1916 -31 March 1917.

بأسباب اندلاع «الوضع الخطير»، على حدّ تعبير بعض الصحف، فقد أفردت على سبيل المثال لا الحصر صحيفة ليدز ميركوري في عددها الصادر بتاريخ ١ تموز ١٩٢٠، خبراً تحت عنوان «مؤتمر بلاد ما بين النهرين»، أشار فيه إلى «الوضع الخطير» في البلاد، ممّا استدعى عقد اجتماع «عاجل» ضمّ رئيس الوزراء، ووزير الحرب، ووزير الهند، وممثّلين عن قسم الشؤون العسكرية في مكتب الهند العسكري^(٦).

وقد نشرت صحف برمنغهام ديلي غازيت^(٧) سكوتسمان^(٨) ويسترن ديلي بريس^(٩)، وفي صفحاتها الأولى في عددها الصادر بالتاريخ نفسه فيما يخصّ الاجتماع «الطارئ» الذي ضمّ رئيس الوزراء، ووزير الحرب، ووزير الهند، وممثّلين عن قسم الشؤون العسكرية في مكتب الهند العسكري^(١٠).

وتناغماً مع تغطية أسباب اندلاع «الانتفاضة» في بلاد ما بين النهرين، من جهة، والوقوف على آخر المستجدات الميدانية، من جهة أخرى، نشرت صحيفة كينت اند ساسكس كورير في عددها الصادر بتاريخ ٢ تموز ١٩٢٠، مقالاً تحت عنوان «نقاش حول بلاد ما بين النهرين في مجلس العموم»، مستعرضة فيه اتهامات للنائب تي. ج. بينيت (T. J. Bennett)، متهماً السلطات العسكرية في البلاد بإجراءات «قمعية» ضد «حرية التعبير» عن الرأي، فضلاً عن سجن العديد من السكان؛ بسبب «آرائهم الدينية»، وأعلن السير «سيندر كلاي»، وزير الدولة لشؤون الهند من جانبه بوضوح أنّ سبب «الانتفاضة» في البلاد حالياً إنّما يعود إلى «انزعاج من جانب العرب تجاه وجود الهنود»، ووفق نصّ تعبيره، حذّر في الوقت عينه من «انفجار» «كارثي» لسمعة بريطانيا في الشرق كلّها، لا بل وفي «العالم بأسره»^(١١).

وتابع بعض من الصحف البريطانية متابعة حثيثة لآخر مستجدّات الوضع في بلاد ما بين النهرين، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، صحيفة ويسترن ديلي برس

Leeds Mercury, 1/7/1920, p. 1.

(٦)

Birmingham Daily Gazette, 1/7/1920, p. 1.

(٧)

The Scotsman, 1/7/1920, p. 5.

(٨)

Western Daily Press, Bristol, 1/7/1920, p. 6.

(٩)

Leeds Mercury, 1/7/1920, p. 1.

(١٠)

Kent & Sussex Courier, 2/7/1920, p. 5.

(١١)

التي نشرت في عددها الصادر بتاريخ ٣ تموز ١٩٢٠، خبراً تحت عنوان «المشاكل في بلاد ما بين النهرين» استعرضت فيه الأوضاع في بلاد ما بين النهرين، وأرجعت فيه سبب اندلاع الثورة إلى «تحريض الأتراك»^(١٢)، وكذلك أيضاً ما نشرته صحيفة ادنبره ايفنغ نيوز^(١٣) بالخصوص نفسه، ضد الإدارة البريطانية، منوّهة إلى ما تعانيه بلاد ما بين النهرين من «اضطراب» بالغ الخطورة في مختلف مدنه، وهو يرجع ذلك إلى «الدعاية التركية الكاذبة» التي أثارت الفوضى في «البلاد المستقرة»^(١٤).

وقد أرجعت صحيفة «ديلي هيرالد» في عددها الصادر بتاريخ ٩ تموز ١٩٢٠، في مقال لها تحت عنوان «سلام بريطانيا»^(١٥) السبب وراء اندلاع الثورة إلى إلقاء القبض على شيخ الظوالم «شعلان أبو الجون» بتهمة «التمرد»^(١٦) مما أجبر عشيرته على التدخل وإطلاق سراحه بعد الهجوم على السجن وقتل أحد أفراد حماية السجن، وعلى حدّ تعبيرها^(١٧).

من جانبها، عدّت صحيفة بول مول غازيت في مقال لها نشر في عددها الصادر بتاريخ ٩ تموز ١٩٢٠ وسم بعنوان «أحلام عربية وخيبة أمل»، أسباب الثورة في بلاد ما بين النهرين إلى التطلّع المفرط بتحقيق «مملكة عربية شاملة ممتدة من بلاد ما بين النهرين إلى بلاد الشام، وقد أثبت أنه طموح للغاية لتحقيقه»^(١٨).

وقد حثّت صحيفة كورنيشمان (Cornishman) في عددها الصادر بتاريخ ٩ تموز ١٩٢٠، وتحت عنوان «خطورة الوضع في بلاد ما بين النهرين» على ضرورة «قمع» الثورة في «مهدّها» وفق نصّ تعبيرها، داعيةً إلى ضرورة إرسال «قوة إغاثة»

Western Daily Press, 3/7/1920, p. 2.

(١٢)

Edinburgh Evening News, 3/7/1920, p. 2.

(١٣)

Ibid.

(١٤)

Daily Herald, 9/7/1920, p. 3.

(١٥)

(١٦) أشار العديد من الصحف البريطانية إلى أن سبب احتجاز الشيخ شعلان أبو الجون عائد إلى أسباب ارتبطت بتحريض اتباع عشيرته على التمرد ضد السلطات البريطانية، وليس كما أشار القادة الميدانيين، عسكريين أو سياسيين، إلى أنّ سبب الاعتقال جاء ردّاً على امتناع الشيخ الأنف الذكر عن تسديد مبالغ مالية في ذمته للإدارة المدنية البريطانية. انظر:

Lichfield Mercury, (Newspaper), Staffordshire, 16/7/1920, p. 6.

Daily Herald, 9/7/1920, p. 3.

(١٧)

Pall Mail Gazette, 9/7/1920, p. 6.

(١٨)

إلى البلاد لاستعادة خطوط السكك الحديدية، وتوزيع المنشورات التي «تندّد بهجمات العرب المستمرة ضد قواتنا»^(١٩) كما نشرت صحيفة اكستر اند بليموث غازيت، وفي الصدد نفسه، مقالاً شدّدت فيه الصحيفة على أنه «أصبح من الضروري إلقاء القبض» على المتورّطين في أحداث «الفوضى» الهادفين إلى استعادة «السيادة التركية»^(٢٠).

ونشرت صحيفة إيفننغ ميل بتاريخ ١١ آب ١٩٢٠، مقالاً تفصيلياً عن مضامين ثورة ١٩٢٠ في بلاد ما بين النهرين، وقد وصفتها بـ «الانتفاضات في بلاد ما بين النهرين»، مشيرة إلى «افتقار» الحكومة المحلية لـ «السيطرة» و«الحكمة» المناسبتين، وأنّ من بين الأسباب الأخرى لاندلاع «الانتفاضة» السماح للـ «ضباط الطموحين» بإدارة نظام إداري فُرض على شعب بلاد الرافدين، فضلاً عن فرض «غرامات» تفوق قدرتهم المالية، محذرة من «السماح باستمرار هذه الحالة من الجنون». كما أشارت إلى الحل الحقيقي الذي يكمن في تمكين سكّان البلاد «بإدارة شؤونهم الخاصة» تحت «حكم محدود» من قبل الإدارة البريطانية، محمّلة في نهاية مقالها «هيئة الأركان العامة الإمبراطورية» استمرار الاحتلال بهدف السيطرة على «منابع النفط» التي كانت السبب وراء كل هذه الفوضى هناك، على حدّ تعبيرها^(٢١).

وتناغماً مع ما تقدّم، نشرت مقالاً أيضاً نوتنغهام إيفننغ بوست، تقريراً في عددها الصادر بتاريخ ١٤ تموز ١٩٢٠، وتحت عنوان «أخبار خطيرة عن بلاد ما بين النهرين»^(٢٢)، حدّرت فيه من خطر البلاشفة، داعية في الوقت عينه إلى مراقبة الأوضاع بـ«حذر» لضمان استدعاء القوات اللازمة وقت الضرورة، منبهة إلى أن «جناحنا العسكري الأيمن في بلاد ما بين النهرين معرض لخطر الهجوم البلشفي»^(٢٣).

وسلّطت صحيفة «ساندي ميرر» في عددها الصادر بتاريخ ١٨ تموز ١٩٢٠ الأضواء في مقالٍ وسم بعنوان «لماذا انتفض العراقيون؟» على الأسباب التي دفعت

Cornishman, (Newspaper), England, 14/7/1920, p. 2.

(١٩)

Exeter and Plymouth Gazette, 3/7/1920, p. 1.

(٢٠)

Evening Mail, 11/8/1920, p. 2.

(٢١)

Nottingham Evening Post, 14/7/1920, p. 1.

(٢٢)

Ibid.

(٢٣)

العراقيين «لانتفاض» على الإنكليز، مشيرة إلى أنّ «التمرد» في بلاد ما بين النهرين «لا يفاجئنا على الإطلاق»، معتبرة أنّ العرب مستمرّون في «تمردهم» طالما تُفرض عليهم ضرائب مفرطة «بشكل مخز». وهنا تشير الصحيفة إلى أنّ امتعاض العراقيين ليس من دفع الضرائب، وإنّما من الأسلوب المتّبع في جمع الضرائب والذي وصفته بالمخزي، فضلاً عن إدارتهم لجمع الضرائب بطريقة «تثير الغثيان»، وفق نصّ تعبيرها، ناهيك عن «قصفتنا» قراهم عندما يتمردون. مختتمة «نحن نحاول أن نجعل حكومة ذات قوة ١٠٠٠ حصان تتوافق مع بلد يفضّل التجوال على ظهور الحمير»^(٢٤).

من جهتها أرجعت صحيفة ديربي ديلي تلغراف في عددها الصادر بتاريخ ١٩ تموز ١٩٢٠، في مقال لها تحت عنوان «أخبار خطيرة عن بلاد ما بين النهرين» أسباب التمرد إلى إقرار «نظام الانتداب»، محدّرة من خطورة الموقف إثر مواجهة القوات البريطانية «صعوبات شتّى» في البلاد، منوّهة بضرورة إرسال المزيد من «التعزيزات» إليها^(٢٥).

وقد وصفت صحيفة بال مول غازيت في عددها الصادر بتاريخ ١٩ تموز ١٩٢٠، وتحت عنوان «انفعال العرب»^(٢٦)، في مقال لها استعرضت فيه خبر اندلاع ثورة «الخارجين على القانون» في بلاد ما بين النهرين، محدّرة من «الاعتراف بالعرب» في العراق، وهو أمر بات خطراً «مميّناً»، موجهة نداء إلى الأمير «فيصل بن الحسين» من أجل «السيطرة على الثورة» وتداعياتها، وبيّنت أنّ على حكومة الأمير فيصل أن تعتمد على قدراتها للسيطرة على أولئك «الخارجين على القانون»^(٢٧).

وسعت صحيفة نيوكاسل جورنال في عددها الصادر بتاريخ ٢١ تموز ١٩٢٠، تحت عنوان «أمر ميؤوس منه» إلى لفت أنظار الرأي العام إلى خطورة الوضع في بلاد ما بين النهرين، محدّرة وزير الحربية آنذاك ونستون تشرشل من «مغبة» التلاعب بأعصاب «الشارع البريطاني»، معتبرة أنّ تطميناته بـ «لا داعي للقلق» تتعارض مع الأخبار الواردة من البلاد الآنف الذكر^(٢٨).

Sunday Mirror, 15/8/1920, p. 5.

(٢٤)

Derby Daily Telegraph, Derbyshire, 19/7/1920, p. 5.

(٢٥)

Pall Mall Gazette, 20/7/1920, p. 4.

(٢٦)

Ibid.

(٢٧)

Belfast News-Letter, (Newspaper), Antrim, Northern Ireland, 21/7/1920, p. 7.

(٢٨)

ولعلّ من المفيد هنا الإشارة إلى ما نشرته صحيفة نيوكاسل جورنال في عددها الصادر بتاريخ ٢١ تموز ١٩٢٠، وتحت عنوان الحقيقة، معتبرة أن سياسة إخفاء الحقائق عن الشارع البريطاني «أكثر خطورة ممّا هو مسموح للعامة أن يعرفوه»، مؤكّدة أنّه بات «من الصعب جداً إخفاء تلك الحقائق»^(٢٩).

وأشارت الصحيفة نفسها في عددها الصادر بتاريخ ٢١ تموز ١٩٢٠، في مقالها تحت عنوان «انتدابات»، إلى أن الموقف الفرنسي من «العمليات العسكرية» البريطانية في بلاد ما بين النهرين ما هي إلا نتيجة «لعدم وفاء» الإدارة البريطانية بوعودها «للغرب» بمنحهم الاستقلال^(٣٠).

ورصدت الصحف البريطانية، من خلال احتكاكها «الفاعل» و«المتفاعل» مع مختلف فئات المجتمع، آخر تطوّرات الوضع في بلاد ما بين النهرين^(٣١)، فعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت صحيفة ليفربول إيكو في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٢٠، مقالاً تحت عنوان «بلاد ما بين النهرين مجدداً» نقلت فيه تصريحاً لرئيس الوزراء الذي اعتبر «الصعوبات في بلاد ما بين النهرين» مؤقّته، مشيراً إلى عدم وجود سبب «لترك الانتداب البريطاني» لبلاد ما بين النهرين^(٣٢).

فيما اعتبرت من جانبها صحيفة نوتنغهام جورنال في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٢٠، وتحت عنوان «سفينة الجيش الجديد»، معتبرة أنّ «ثورة» شعب بلاد ما بين النهرين ضد الحكم البريطاني كان سببه «الغزو البريطاني»، فضلاً عن «دكتاتورية التحالف في الحرب»^(٣٣).

وأولت صحيفة ديلي هيرالد اهتماماً بالغاً بشؤون بلاد ما بين النهرين، شأنها في ذلك شأن كثير من رصيفاتها، لإدراكها ما تعنيه «الأحداث المتلاحقة» من أهميّة في تحديد طبيعة العلاقة البريطانية بالشرق، فقد نشرت في عددها الصادر بتاريخ ٣١

Newcastle Journal, 21/7/1920, p. 7.

(٢٩)

Ibid.

(٣٠)

Sarah Newman, "The Celebrity Gossip Column and Newspaper Journalism in Britain, 1918-1939", PhD thesis, Linacre College, 2013.

Liverpool Echo, 22/7/1920, p. 8.

(٣٢)

Nottingham Journal, 24/7/1920, p. 8.

(٣٣)

تموز ١٩٢٠، مقالاً أشارت فيه إلى توظيف جنود هنود «لسحق العرب» في بلاد ما بين النهرين، منددة بسياسات بلادها إزاء تلك السياسة العدوانية، كما أشارت بوضوح لا لبس فيه إلى واجب بريطانيا العظمى التي كان من المفترض بها «تحرير العرب ومنحهم حق تقرير المصير لا سحقهم»، وفق حدّ تعبيرها^(٣٤).

ولم ينقطع اهتمام الصحف البريطانية في التعريف والتنويه بأسباب اندلاع نيران «الانتفاضة» في العراق، فما فتئت بين الفينة والأخرى توشح صفحاتها بإيجاز مضامين تلك «الأسباب» للقراء، فقد خصصت صحيفة «روسكومون ماسنجر» في عددها الصادر بتاريخ ٣١ تموز ١٩٢٠، جزءاً حيوياً من إحدى صفحاتها وسم بعنوان «قيمة الوعود البريطانية، اشتعال النيران على طول بلاد ما بين النهرين» للتعريف بالأسباب الدافعة إلى اندلاع «الثورة»، مشيرة إلى سوء الإدارة البريطانية في التعاطي مع الملف العراقي، واصفة إياها بـ«الإدارة البريطانية الدموية»^(٣٥).

ولم يقتصر اهتمام الصحيفة بالجوانب القتالية، إنّما سعت، وقدر الإمكان، إلى اعتبار أسلوب تلك الإدارة إنّما هو «عار لسجلنا الإمبراطوري»، مستنكرة «ابتزاز» العرب في بلاد ما بين النهرين عام ١٩١٩، بأساليب شابها «الضغط الرسمي»، و«استعراض القوة بالطائرة»، و«ترحيلهم إلى الهند»، مضيفة سبباً آخرَ تمثل بـ «فرض ضرائب» أعلى ممّا كانت عليه في ظل الحكم التركي، متهمّة في الوقت نفسه من إعلان الجنرال ستانلي مود «جئنا محرّرين لكم» لتنعّموا بـ«الديمقراطية» عن طريق «شنق العرب» في بغداد ككاثريين و«ترحيل الآخرين إلى الهند» باعتبارهم رعايا لنا^(٣٦).

ونشرت صحيفة يوركشاير بوست اند ليدز إنټليجنسر مقالاً تحت عنوان «اغتيال في بلاد ما بين النهرين» في عددها الصادر بتاريخ ٢ آب ١٩٢٠ عن أسباب الثورة «أسلوب الإدارة البريطانية» تحديداً في بلاد ما بين النهرين، وما سبّته لهم تلك السياسات من «تمرد»، منبّهة إلى أنّ العرب الذين اعتمدوا على «اتفاقيتنا» لإنشاء «حكومة وطنية مستقلة» وجدوا أنفسهم تحت رحمة حكم الموظفين الإنكليز والجنود

Daily Herald, 31/7/1920, p. 3.

(٣٤)

Roscommon Messenger, (Newspaper), 4/9/1920, p. 3.

(٣٥)

Ibid.

(٣٦)

القادمين من الهند، فضلاً عن إقصائهم «المتعمد»، ممّا أدى إلى وقوع «التمرد الحالي» وفق تعبيرها^(٣٧).

وتجلى اهتمام الصحف البريطانية في إلقاء اللوم على شيوخ عشائر بلاد ما بين النهرين في اندلاع نيران «الفوضى»، في ما نشرته صحيفة «سكوتسمان» تحت عنوان «حركات فوضى» وفي عددها الصادر بتاريخ ٢ آب ١٩٢٠ وهو مقال استعرضت فيه أهم أسباب الحركات الثورية في العراق، منوّهة بأن شيوخ العشائر «يرفضون» وجود أي حكومة لا تلبي «طموحهم الشخصي»^(٣٨).

فلا مرأ أن نجد أنّ هناك تصاعداً متناغماً في ما بين الإعلام البريطاني الممثل بـ«صحافتها» يومئذ، وتطلّعات الحكومة البريطانية بفرض هيمنتها على العراق، في بدايات القرن العشرين، إلى درجة تباينها مع بعضها، فعلى سبيل المثال كتبت صحيفة ويسترن ديلي بريس في عددها الصادر بتاريخ ١٣ آب ١٩٢٠، مقالاً تحت عنوان «ملك بلاد ما بين النهرين» استعرضت فيه أسباب الثورة في بلاد ما بين النهرين، ملقبة باللوم على العرب لعدم تعاملهم «بلطف» مع نظام الاحتلال العسكري البريطاني، فهم اعتبروه نظاماً «استفزازياً»، مشيرة إلى أنّ بقاء البريطانيين في المنطقة «مهمّة خطيرة» على بلد محتل من قبل قوة كبيرة من الجنود البريطانيين، فضلاً عن أنّ «إنفاقنا السنوي لمبالغ ضخمة من جيوب دافعي الضرائب البريطانيين»^(٣٩).

وأطببت الصحيفة في عددها الآنف الذكر في إيضاح مداولات مجلس اللوردات المخصّصة لمناقشة نظام الانتداب في العراق، مبيّنة أنّ عدد الجند البريطانيين بلغ «ثمانون ألف» جندي بريطاني مجنّدين في بلاد ما بين النهرين، من بينهم مئات الضباط «الفائضين» الذين يشغلون ما يُطلق عليه اسم «وظائف سهلة»، وهناك حاجة ملحّة إلى تخفيف كل هذا الهدر إلى الحد الأدنى. كما بيّنت أنّه من المسلّم به أنّ هذا التخفيف يمكن أن يتأثر بانتخاب الملك، «وهذا الأمر يتقبّله العرب»، متغنية بـ«الوصاية الكريمة» للبريطانيين وقد أشرّ الباحث هنا باقتباسها لأهميتها في منظور الصراعات الدولية يومذاك أولاً، ولبیان آليات الصحافة البريطانية وأساليبها في التأثير

Yorkshire Post and Leeds Intelligencer, 23/8/1920, p. 7.

(٣٧)

The Scotsman, 2/8/1920, p. 5.

(٣٨)

Western Daily Press, 13/8/1920, p. 4.

(٣٩)

على الرأي العام البريطاني وتطمين مخاوفه ثانياً:

«إنّ الحاكم المقترح سيمكنه استرداد ثروة بلاد ما بين النهرين مثلما استردّت ثروة مصر تحت «الوصاية البريطانية الكريمة» بعد التخلي عن نظام السيطرة المزدوجة، وليس من المفترض أن تتكبد المصالح الاقتصادية البريطانية في بلاد ما بين النهرين أثمناً ضخمة، ولكن في حال توجّب علينا أن ندافع عن هذه المصالح الاقتصادية باستمرار، فإنّ هذا سيكلّفنا مبالغ هائلة تقع على عاتق دافعي الضرائب وستصبح من النادر مجدبة. وإذا كان الأمير فيصل مهتماً بإنجاز مهمّة تهدئة العرب في بلاد ما بين النهرين، وحماية المصادر الهائلة التي يمتلكها هذا البلد بصورة كافية، فسيقدم بهذا الشكل خدمة مضاعفة واحدة لمصلحة أنصار ديانته، وواحدة للقوة التي تسعى إلى تسهيل عملية تأسيس بلد عربي يتمتّع بما يعادل تقريباً الاستقلال»^(٤٠).

أولت صحيفة التايمز اهتماماً بالغاً بتحليل وتفسير ومحاولة «اقناع» الرأي العام البريطاني، شأنها في ذلك شأن كثير من رصيفاتها، لإدراكها ما تعنيه «الصحافة» لدى البريطانيين من أهميّة في «تقبّل» سياسات الحكومة أو رفضها، فعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت الصحيفة مقالاً تحليلياً حول «الثورة» في بلاد ما بين النهرين، مشيرة إلى اجتماع عُقد في بغداد لشخصيات عربية من أجل وضع مسودة «قانون انتخابي» في الوقت الذي تتعرّض فيه بغداد لحصار «المتمردين». وطرح المقال سؤالاً جوهرياً فيما إذا كان من «الدقيق تسمية العشائر المشاركة في انتفاضة بلاد ما بين النهرين «متمردين»؟ وضد أي سلطة «تمردوا»؟ فبلاد ما بين النهرين لا تشكّل جزءاً من الإمبراطورية البريطانية^(٤١).

وأطنبت الصحيفة في مقالها نفسه في الثناء على التصريحات الرسمية للإدارة البريطانية بأنّ عصبة الأمم منحت بريطانيا ولاية بلاد ما بين النهرين، بموجبها، وفقاً للمادة الثانية والعشرين من ميثاق جامعة الأمم، يجب أن نقدّم لسكان تلك المنطقة «مشورة ومساعدة إدارية». «رفاهيتهم وتنميتهم» ستشكّل «التكليف المقدس للحضارة». مشكّكة من صياغة قرار «الانتداب» من قبل الحكومة البريطانية «وهو أمر مشكوك فيه إلى حدّ ما» وفق نص تعبيرها^(٤٢).

Ibid.

(٤٠)

The Times, 19/8/1920, p. 6.

(٤١)

Ibid.

(٤٢)

وأوضحت أنّه لا يمكن تسمية المشاركين في الانتفاضة بـ «متمردين»، بينما تغطّ الحكومة بصمتها العميق، وترفض تقديم أي تفسير بديل، بل يمكننا أن نستنتج فقط أنّ سكّان بلاد ما بين النهرين تمردوا لأنّهم اعترضوا على «فكرة الانتداب» المقترحة، وأكثر من ذلك بكثير لأنّهم «لا يحبّون الطريقة التي تتمّ بها ممارسة السلطة البريطانية عليهم». والواضح أنّ السلطات المدنية في بلاد ما بين النهرين سعت إلى إقامة «إدارة متطورة» لا تحتاج البلاد إليها للسنوات الخمسين المقبلة مشيرة إلى سبب آخر وراء اندلاع الثورة، إذ «فرض البريطانيون على هذه البلاد مئات المسؤولين وبأجور مفرطة»، ويعادل عددهم تقريباً نصف إجمالي الكوادر في الخدمة المدنيّة الهنديّة المتعاقدة. مضيفه سبباً آخر لاندلاع الثورة إذ فرضت الإدارة المدنية ضرائب «تفوق بكثير» التكلفة المتوسطة للضرائب في الهند، على الرغم من أنّ بلاد ما بين النهرين كانت «شبه مهجورة» لقرون خلت، ومعروفة بالفقر وتعرّضت لسنوات للدمار بسبب الحرب^(٤٣).

وأضافت أيضاً في المقالة الآنفه الذكر أنّ الإدارة المدنية في بلاد ما بين النهرين سعت من خلال «طرقهم في الدعاية» إلى «إيهام» شعب بريطانيا العظمى «بانطباع كاذب تماماً عن موقف السكان»، الذين تمّ تمثيلهم على أنّهم «موافقين غير معترضين» على إجراءات تلك الإدارة، إلا أنّ الحقيقة أنّ تلك الإدارة سعت إلى دعم سياستهم من خلال الحفاظ على قوات متساوية في عددها مع نصف قوة الجيش الدائم في الهند، وهو القوات البريطانية والهندية مجتمعة، مبيّنة أنّ عدد سكان بلاد ما بين النهرين لا يزيد على «ثلاثة ملايين»، بينما تجاوز عدد سكان الهند «ثلاثمائة مليون»، مواصلة طرح سؤال آخر: «هل نحن بحاجة إلى البحث أبعد عن أصل الانتفاضة؟ ولماذا على الجمهور البريطاني أن يتلقى الأخبار المزعجة من خلال مراسلنا في طهران؟ ولماذا يخفي وزير الحرب ومكتب الهند الحقائق عن الشعب البريطاني؟»^(٤٤). وقد أشرّ الباحث هنا باقتباس فقرات من تلك الرسالة لأهميتها:

«إنّ الحقائق المعترف بها تشير إلى أنّ بغداد باتت محاطة بمجموعات معادية، إذ إنّ النظر إلى الخريطة يبين لنا قطع اتصال قواتنا في شمال غرب إيران، والتي

The Times, 19/8/1920, p. 6.

(٤٣)

Ibid.

(٤٤)

يفترض أنها انسحبت منذ وقت طويل، عن التواصل مع بغداد. كما تمّ نهب المخيم في بعقوبة، ثلاثين ميلاً إلى الشمال الغربي من بغداد، فضلاً عن قطع السكك الحديدية في الفلوجة، ثلاثين ميلاً إلى الغرب من بغداد، كما قتل الكولونيل ليتشمان، وهو ضابط مميّز، والقتال لا يزال مستمراً في الحلة، ستين ميلاً جنوب بغداد، في حين تمّ حصار البريطانيين في الكوفة، خمسة وثلاثين ميلاً جنوب الحلة، لأسابيع دون إغاثة. أمّا في ولاية الموصل، فتّمّت محاولة اغتيال ضابط بريطاني في أربيل، فضلاً عن مشكلات خطيرة في أجزاء مختلفة من الموصل. إنّ علاج الحكومة كان عبر ضخّ المزيد من القوات، ولكن السبيل الصحيح الوحيد بوضوح هو «تغيير السياسة». لا يريد أهل بلاد ما بين النهرين إدارة منظّمة بشكل جيد تبدأ بنفي، لأنّ أياً منهم لديه القدرة على التحكم في شؤونهم الخاصة. وطالما تمّ الاستمرار في السياسة الحالية، ستكون هناك دائماً انتفاضات، ودائماً نداءات استغاثة لقوات إضافية. التوقّع المستقبلي، يبدو أنّ تصميم المجلس على تكبّد نفقات ضخمة في مكافحة العرب الذين يرفضوننا وقوانيننا يعتبر جنوناً»^(٤٥).

ولفتت صحيفة التايمز الأنظار في رسالة الجنرال ادmond جورج بارو (Edmund George Barrow) التي بعث بها إلى رئيس تحرير الصحيفة نفسها، منبهاً فيها إلى الأسباب الكامنة خلف تصاعد «الثورة» في بلاد ما بين النهرين، مشيراً إلى أنّ مجرى الأحداث ناتج من «الإدارة المفرطة» للبريطانيين في بلاد ما بين النهرين، فضلاً عن نقص الكوادر المدربة بشكل كاف، مؤكداً أنّ ما يجري في بلاد ما بين النهرين ليس مختلفاً كثيراً عن الوضع في صعيد بورما عام ١٨٨٧، إلا أنّ الفارق هنا أنّ ما جرى في بورما لم يثر اهتمام الجمهور البريطاني بالشكل نفسه الذي يثيره في بلاد ما بين النهرين^(٤٦).

وأطّنت الصحيفة في الثناء على نشر رسالة الجنرال ادmond جورج بارو، منبهاً إلى أنّ البريطانيين منحوا الحكومة الهندية حرية التعامل مع الوضع البورمي بعيداً عن تأثير الرأي العام، فماذا كانت النتيجة؟ وأجاب الجنرال ادmond جورج بارو على سؤاله بأنّه في غضون سنوات قليلة، تمّ استبدال القانون والنظام بالفوضى، ولكن

The Times, 19/8/1920, p. 6.

(٤٥)

Ibid.

(٤٦)

كانت النتائج بعد عقود قليلة من السياسة الثابتة والحكومة الصبورة، إذ تم إنشاء بلد هادئ ومزدهر^(٤٧).

وأضاف الجنرال ادموند جورج بارو إلى صحيفة التايمز: «كلي أمل، من أجل شرف إنكلترا، أن أرى السلام والراحة في بلاد ما بين النهرين، وهي تنعم بخيرات الأرض الوفيرة والتي تم إهمالها، وسيستفيد الشرق الأوسط كله من إقامة القانون والنظام في تلك «المنطقة المركزية» المتحكّمة بمحور العالم»، مختلفاً مع مقال للعقيد لورنس نشر سابقاً على صفحات التايمز متسائلاً: «من أين حصل العقيد لورنس على تلك الإحصائية حول عدد الجنود في بلاد ما بين النهرين»، مشيراً إلى أنّ حقيقة الأمر أنّ تلك الأرقام شملت جميع القوات في بلاد فارس وكردستان، فضلاً عن تعزيزات قادمة من الهند^(٤٨).

وأشار الجنرال ادموند جورج بارو في رسالته الأنفة الذكر، إلى أنّه لا يعرف ويلسون حقّ المعرفة: «بل أنا لم أره حتى من قبل»؛ موضحاً أن مقال السير لورنس الأنف الذكر، والذي صرّح فيه أنّ الدافع وراء نشوب «اضطرابات بلاد ما بين النهرين» إنّما كانت نتيجة طبيعية للدور السيئ للسلطات المدنية البريطانية في بلاد ما بين النهرين، وبهذا حمّل السير لورنس العقيد ويلسون كامل المسؤولية، وأضاف: «بالنسبة إلي كمراقب»، يبدو أنّ الأسباب الحقيقية تمثّلت في التأخير ولمدة طويلة في تسوية قرار «الانتداب»، وهو تأخير لا يتحمّله هذا البلد. إنّ هذا التأخير أعطى الفرصة للتحرّض «الإسلامي» و«المؤامرات البلشفية» بين العشائر المفترسة في صحراء الرافدين وجبال كردستان^(٤٩).

واختتم الجنرال ادموند جورج بارو رسالته المنشورة على صفحات جريدة «التايمز» بالاعتراف بأنّ «حوادث غير لائقة قد حدثت»، وارتكبت «أخطاء في تنفيذ سياستنا». وقد أشّر الباحث هنا باقتباسها لأهميتها في بيان موقف تلك الشخصيات الداعمة لإجراءات الإدارة البريطانية إزاء بلاد ما بين النهرين:

«إنّ هذه الحقائق الأليمة ليست مبرراً «للتخلّي» عن الثقة الكبيرة المفروضة

The Times, 24 /8/1920, p. 6.

(٤٧)

Ibid.

(٤٨)

Ibid.

(٤٩)

علينا، ويجب ألا نتصف بالجنباء، ويجب علينا عدم التخلي عن أصدقائنا، والعديد من المعتمدين لدينا، في الشرق الأوسط. إن أي انسحاب الآن لا يعني فقط فقدان بلاد ما بين النهرين، ومواردها الكبيرة المحتملة، بل أيضاً دمار بلاد فارس وأرمينيا، وهدر الملايين من الجنيهاً الاسترلينية، وأسوأ من ذلك كله، التضحية الباطلة بحياة الآلاف من الأرواح الشجاعة. لذا يجب الاحتكام إلى التاريخ، وتجارب الأزمنة الماضية، وهما مرشدين أفضل للسياسيين من عواطف اللحظة العابرة. أخيراً انظر فقط وتمعن في زيادة التجارة البريطانية مع بلاد ما بين النهرين فإنها قد تضاعفت أكثر من أربع مرات منذ عام ١٩١٢»^(٥٠).

لم يقف اهتمام الصحف البريطانية ورصدها عند نقل الأخبار فقط، إنما تعدّاه إلى نشر مقالات للقادة الميدانيين في العراق، فقد نشرت صحيفة ذا سفير في عددها الصادر بتاريخ ٢٨ آب ١٩٢٠ تحليلاً لأسباب «الاضطرابات» وفق تعبيره، وهو تحليل على ما يبدو احتل اهتماماً ملموساً من قبل الصحافة البريطانية، فقد غطّته أيضاً صحيفة ادنبره ايفنغ نيوز^(٥١) في عددها الصادر اليوم الأنف الذكر، مشيرة فيه إلى تحليل للجنرال هالدين الذي نبّه إلى أن الاضطرابات في بلاد ما بين النهرين جذبت انتباه الجمهور بصورة تشبه انجذابهم «للذهب الإسترليني»، موضحاً للقراء أنّ الظروف هناك أكثر «حرجاً» ممّا يبدو ظاهرياً لهم، مذكّراً بأن عدد سكان البلاد لا يتجاوز «المليون نسمة»، وأمّا قواتنا «المحتلة» تصل إلى ٩٠ ألف مقاتل، فضلاً عن المدفعية والطائرات والدبابات. ومع ذلك، فقد يعتقد البعض أنّ هذا الجيش الضخم «غير كافٍ تماماً» للحفاظ على سيطرتنا على البلاد، لذا «طلبنا تعزيزات» من الهند^(٥٢).

وأكدت الصحيفة أيضاً في مقالها المذكور رأي الجنرال هالدين حول «أسباب الاضطرابات» وفق نص تعبيرها، مشددة أنّ رأي العقيد السابق لورانس، بأنّ الإدارة المدنية للبلد المحتل «خاطئة»، ممّا أدّى إلى «إثارة غضب السكان» هناك. وقد أضاف قائلاً: من وجهة النظر العسكرية، فإن البلد «غير مُضياف» وإلى حدّ كبير جزء كبير

Ibid.

(٥٠)

Edinburgh Evening News, 28/8/1920, p. 4.

(٥١)

The Sphere, 28/8/1920, p. 4.

(٥٢)

من السكان «مفترس» بطبيعته وفي «حالة حرب» دائماً، فهم يمتلكون ما يصل إلى «ربع مليون» قطعة سلاح ناري حديث، أي قطعة سلاح واحدة لكل «شخصين» بعد استبعاد عدد الأطفال والنساء وكبار السن. ولا بدّ من الإيضاح للقراء أن أكثر من «مائة ألف من جنودنا» متورطون الآن هناك^(٥٣).

ويبدو لنا ممّا تقدّم تباين مواقف الصحافة البريطانية من أسباب اندلاع الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ في العراق، كما تبيّن للباحث، وبكل تواضع، وبالرجوع الى الملحق (٩) أنّ ٢٠٪ من الصحف المتصدّية لموضوعات الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ كانت مع المطالب المشروعة للعراقيين خاصّة في موضوع استقلال البلاد وانسحاب بريطانيا العظمى منها، وأنّ ١٢٪ منها رأت في نكث الحكومة البريطانية وإدارة الانتداب في العراق في إجراءاتها السياسية ومواقفها العسكرية، كما أسمتها «الحازمة» مع الثوار، دافعاً آخر للثورة، فضلاً عن ١٠٪ قد حمّلت «مرجعية النجف الأشرف»، وبحسب توصيفها «المتعصبة» مسؤولية اندلاع الثورة وتساعد أتونها، وأن ٩٪ منها حمّلت الإدارة البريطانية «الجاهلة» بطبيعة العراقيين الراضين المساس بتقاليدهم العربية الأصيلة، فضلاً عن سوء إدارة البلاد مسؤولية اندلاع الثورة يومذاك، فيما أرجعت ٨٪ منها سبب الثورة إلى دوافع اقتصادية، وتصدّت أخرى إلى العوامل الخارجية التي أثّرت حسب ادعائها في الشارع العراقي واندلاع ثورته يومئذ، فأشارت ٨٪ إلى أثر تحريض «الأتراك» الطامعين بالعودة للسيطرة على أرض العراق، وفق نص تعبيرها، فيما حمّلت ٧٪ قيام وأثر الثورة المصرية لعام ١٩١٩، فضلاً عن الحراك السياسي الإقليمي عربياً وإسلامياً، وأنّ ٧٪ منها أدّعت أنّ للثورة البلشفية في روسيا القيصرية عام ١٩١٧ أثراً فاعلاً فيها، فضلاً عن ٥٪ شدّدت على زخم الثورة العربية في الحجاز عام ١٩١٦، وبيّن ٤٪ منها أثر قيام الحكومة العربية في سوريا هي الأخرى في اندلاع الثورة وتطوّرات مجرياتها، فيما أرجعت ٣٪ منها سبب اندلاع الثورة إلى مطامح بعض الضباط العراقيين يوم ذاك، ممّن خدموا في صفوف الجيش العثماني، فيما أكّدت ٣٪ على أثر الخلافات البريطانية - الفرنسية في الدفع باتجاه الإسهام في اندلاع الثورة في العراق، بينما أفردت ٣٪ من الصحف البريطانية التأكيد على دوافع أخرى متنوّعة.

أرجعت بعض الصحف البريطانية الصادرة يوم ذاك أسباب الثورة إلى عوامل كان من بينها، على سبيل المثال لا الحصر، عدم الاستقرار بعد الحرب العالمية الأولى؛ إذ شهدت مناطق واسعة من الشرق العربي حالة من الفوضى، وربما رأت بعض الصحف الأخرى أنّ عدم الاستقرار هذا أسهم في اندلاع الثورة يوم ذاك، فيما ألقت صحف أخرى اللائمة على الاحتلال البريطاني حين سلّطت بعضها الأضواء على الاستياء المتزايد بين السكان المحليين ضد الاحتلال والإدارة السيئة للبلاد حين عدّته تلك الصحف سبباً مهماً للثورة.

وأشارت صحف أخرى إلى أسباب: اقتصادية، واجتماعية، مشيرةً إلى الفوارق الاقتصادية والتوترات الاجتماعية، كان من بينها، على سبيل المثال، ارتفاع معدلات البطالة والتضخم، كعوامل ساهمت في اندلاع الثورة، فيما ناقشت صحف أخرى الانقسامات الدينية والعرقية، معتقدة أنّ الدافع للثورة الكبرى كان بفعل انقسامات دينية وعرقية في بلاد ما بين النهرين، إذ تنافست مجموعات مختلفة على السلطة والنفوذ. فيما عدّت رصيفاتها أن الدافع الرئيس للثورة الكبرى تأثير دول مجاورة في المنطقة، أو بفعل أنشطة بعض الضباط العراقيين ممّن خدموا الإمبراطورية العثمانية يومذاك.

الفصل العاشر

مواقف الصحافة البريطانية

إزاء تطورات الثورة حتى ٣١ تموز ١٩٢٠

شنّ البريطانيون حملة عسكرية هدفت إلى إطفاء شعلة الثورة، لكنّ هذه الحرب نفسها، أدّت إلى تصاعد أوار قوّة الثورة والروح الثوريّة. لقد استعاد الثوار قوتهم في سوح الحرب، وقد انبجست ينبيع الروح الوطنية الداخليّة في قلوبهم الطاهرة النيرة، وخلقت منهم قادة كباراً ومجاهدين لا يعرفون التعب، ورجالاً أصحاب تدبير وتفكير؛ وتوافقاً مع تصاعد أوار الثورة بدأ «إيقاع الإعلام البريطاني» بصحافته يتصاعد شيئاً فشيئاً راصدةً تطوّرات الثورة، مواكبة المعارك الفاصلة خاصة تلك التي أثّرت في سير الثورة وتطوّراتها، فضلاً عن رصد الصحف لآراء بعض المعنّيين بضرورة «خفض» الوجود البريطاني في «تناغم» واضح مع الدعوات الجماهيرية البريطانية و«نقدها» لسياسة بلادها إزاء أراضي العراق، تناغمًا «ازدادت» حدّته وزخمه مع نجاحات الثوار في التصديّ للإرهاب الذي مارسه القوات البريطانية ضد العراقيين، مدنيين أكانوا أم مسلحين، زخماً عبّرت فيه معظم الصحف عن تأييدها «لإعادة النظر» في سياسة بلادهم إزاء بلاد ما بين النهرين، كاشفة في الوقت ذاته «لفضائح» التي ارتكبتها الإدارة البريطانية في البلاد الآنفة الذكر، وعملية القتالية في البلاد ضد «تمرد» الثوار، في تغطية مؤيدة شابها بعض «الفتور» واللوم، بل وحتى «التقريع» جراء الانتكاسات التي تعرّض لها الجيش البريطاني في بعض مدن العراق.

وقد أعلنت صحيفة سكوتسمان في عددها الصادر بتاريخ ١ تموز ١٩٢٠ تحت عنوان «اجتماع مجلس الوزراء» أن اجتماع مجلس الوزراء الذي جمع رئيس الوزراء مع وزير الحرب ووزير شؤون الهند وممثلي الإدارة العسكرية للهند لمناقشة الوضع

في بلاد ما بين النهرين من دون ذكر أي تفاصيل عمّا دار في الاجتماع الآنف الذكر^(١).

كما تناولت صحف ويسترن ديلي بريس^(٢)، برمنغهام ديلي غازيت^(٣)، أبردين بريس اند جورنال^(٤)، الموضوع نفسه في عددها الصادر بالتاريخ نفسه، وأضافت أن الاجتماع كان الغرض منه إعادة تقييم السياسة البريطانية تجاه بلاد ما بين النهرين.

لم تنقطع مواكبة الصحف البريطانية يومئذ لكل ما تعلّق ببلاد ما بين النهرين، والاهتمام بتقديم تحليلات اقتصادية أو سياسية للقراء والمهتمين، ملفتة للأذهان وتعلّق بإمكانيات العراق نفطياً. فقد أوردت صحيفة «غاستز» في عددها الصادر بتاريخ ١ تموز ١٩٢٠، مقالاً عن حقول نفط بلاد ما بين النهرين وضرورة الإنفاق لاستثمارها، عنوانه «بلاد ما بين النهرين تثور من جديد»، أشار فيه إلى قرار ما سمّتهم بـ«المليونيرات والمليارديرات» من المهيمنين على الحكومة ومجلس العموم من إنفاق «خمس وثلاثين مليون جنيه إسترليني» سنوياً، أي «٥٪» من ٧٠٠ مليون جنيه إسترليني، والذي يجب على عمال بريطانيا العظمى أن يدفعوا ثمنه، لاستمرار السيطرة على «آبار النفط» في البلد الآنف الذكر، منوهاً بأنّ من هذا الإنفاق الضخم يتوجب إنفاقه على بلد بلغ عديد سكانه «ثلاثة ملايين نسمة»، مستشرفاً المستقبل بحصول التحالف المسيحي - اليهودي على الفائدة الحصرية لهذا الاستثمار لحقول نفط بلاد ما بين النهرين، مشيراً في الوقت نفسه إلى رأي اللورد كيرزون في ١ تموز ١٩٢٠ بأن الحكومة «ملتزمة بالشرف» الذي قطعت لهؤلاء الأغنياء بإنفاق هذا المبلغ الضخم من أجل مصلحتهم، مستدرِكاً متسائلاً عن «شرفنا» في أيرلندا والهند ومصر؟ مختتماً المقال بنقل وجهة نظر السيد لويد جورج بأن الانسحاب من بلاد ما بين النهرين سيولّد «فوضى وفتنة وراءنا»، مستنكراً المقال لهذا الرأي، متسائلاً في الوقت نفسه عن «النظام الجميل» الذي «تركناه خلفنا في كل من دبلن وإيرلندا الشمالية والقاهرة والهند؟»، مختتماً المقال بأنّ السير لويد جورج وحكومته «راغبون» في

The Scotsman, 1/7/1920, p. 6.

(١)

Western Daily Press, 1/7/1920, p. 6.

(٢)

Birmingham Daily Gazette, 1/7/1920, p. 1.

(٣)

جعل الإمبراطورية كلّها «تفلس» و«تندلع» الفوضى، حتى لا يكون هناك «حكومة أخرى إلا حكومتهم»^(٥).

وتابعت صحيفة سيفيناوكس كرونكل اند كنتيش ادفرتايزر (Sevenoaks Chronicle and Kentish Advertiser) في عددها الصادر بتاريخ ٢ تموز ١٩٢٠ مناقشات مجلس العموم التي خُصّصت لمناقشة مسألة بلاد ما بين النهرين، مشيرة إلى تعليق العقيد سبندر كلاي الذي أبدى خوفه وقلقه من قلة عديد «القوات الهندية» في البلاد، وهو أمر يصعب معه التعامل مع «انتفاضة العرب»، محدّراً من حدوث «انفجار» كارثي لـ«سمعة بريطانيا» في جميع أنحاء الشرق والعالم. فالعرب قادرون على ما يبدو قطع خطوط اتصالاتنا، وهو أمر يتطلّب معه «حملة ضخمة»^(٦).

وتناغمًا مع ما تقدّم نشرت صحيفة ليفربول ديلي بوست مقالاً أيضاً في عددها الصادر بتاريخ ٢ تموز ١٩٢٠، أوضحت فيه استتباب الأمن في بلاد ما بين النهرين، مؤكّدة على أن لا مزيد من الهجمات على خطوط الاتصال «الخاصة بنا» بين الموصل وبغداد، مختتمة بالإشارة إلى محاولة فاشلة جرت لإخراج قطار عن القضبان قرب الحلة، فضلاً عن اعتقال عدد من «المخربين» بالقرب من كربلاء^(٧).

وانسجاماً مع تصاعد العمليات القتالية في بلاد ما بين النهرين ضد السكّان المحليين يومئذ، سعت الصحف البريطانية إلى لفت أنظار الرأي العام إلى الخسائر البريطانية والهندية في بلاد ما بين النهرين اعتماداً على تصريحات وزير الحرب تشرشل. فقد نشرت صحيفة «انديا» مقالاً لها بتاريخ ٢ تموز ١٩٢٠، وسم بعنوان «ضحايا بريطانيون وهنود في بلاد ما بين النهرين»، مرفقاً بجدول بأعداد القتلى والجرحى والمفقودين للمدة (٣١ تشرين الأول ١٩١٨ - ٢ تموز ١٩٢٠)، وكما يأتي:

Aberdeen Press and Journal, 1/7/1920, p. 5.

(٤)

Justice, 1/7/1920, p. 4.

(٥)

Sevenoaks Chronicle and Kentish Advertiser, (Newspaper), London, 2/7/1920, p. 7.

(٦)

Liverpool Daily Post, 2/7/1920, p. 7.

(٧)

جدول (٥)

أعداد البريطانيين والهنود القتلى والجرحى والمفقودين في بلاد ما بين النهرين^(٨)
٣١ تشرين الاول ١٩١٨ - ٢ تموز ١٩٢٠

المجموع		المفقودين (بما في ذلك السجناء)		الجرحى		القتلى أثناء المعارك أو متأثراً بجراحه		
رتب أخرى	ضباط	رتب أخرى	ضباط	رتب أخرى	ضباط	رتب أخرى	ضباط	
٣٤	٣١	١٢	---	١٥	١٢	٧	١٩	البريطانيون (بما في ذلك الضباط الهنود)
١٩٠٣	١٦	٦٦	---	١٣٦٣	١١	٤٧٤	٥	هندي
١٩٣٧	٤٧	٧٨	---	١٣٧٨	٢٣	٤٨١	٢٤	المجموع

وأفردت صحيفة برمنغهام ديلي غازيت في عددها الصادر بتاريخ ٣ تموز ١٩٢٠ مقالاً وسم بعنوان «تأثر بريطاني»، أشارت فيه إلى فرض مكتب الهند "عقوبة مناسبة" على بلدة تلغفر رداً على الهجوم الذي شُنَّ على ضباط بريطانيين في بلاد ما بين النهرين، مؤكداً تدمير منازل «المسؤولين عن عمليات القتل» الذين تمّ تمويلهم «بسخاء» من قبل تركيا، بهدف خلق فوضى في بلاد ما بين النهرين، ومحاولة استعادة سيادة تركيا على البلد الآنف الذكر، مختتمة باتخاذ إجراءات من شأنها منع اعتداءات «وحشية» مماثلة^(٩).

وأنظر أيضاً ما نشرته صحف ليستر ايفننغ ميل^(١٠) اكستر اند بليموث غازيت^(١١) أوبان تايمز اند أرغيلشاير ادفرتايزر^(١٢) لانغبورت اند سومرتون

India, 2/7/1920, p. 7.

(٨)

Birmingham Daily Gazette, 3/7/1920, p. 1.

(٩)

Leicester Evening Mail, 3/7/1920, p. 6.

(١٠)

Exeter and Plymouth Gazette, 3/7/1920, p. 1.

(١١)

Oban Times and Argyllshire Advertiser, (Newspaper), London, 3/7/1920, p. 5.

(١٢)

هيرالد^(١٣) ديلي مرر^(١٤)، بالخصوص نفسه في عددها الصادر بالتاريخ ذاته والتي حثت على اعتقال جميع «المندسين» في بلاد ما بين النهرين.

وعلقت صحيفة ويسترن ديلي بريس (*Western Daily Press*) في تعليق لها في عددها الصادر بتاريخ ٣ تموز ١٩٢٠، وتحت عنوان «مؤلفات» جاء فيه أنّ من بين المجلّدات العديدة التي تناولت الحديث عن بلاد ما بين النهرين منذ أن أصبحت مدن: البصرة، والكوت، والعمارة، كلمات دراجة خلال الحرب، ويضاف إليها «اليوم» أحدث كلمتين، وهما «بلاد ما بين النهرين»، و«أرض العجائب في العالم»^(١٥).

ونشرت صحيفة ليفربول ديلي بوست بتاريخ ٣ تموز ١٩٢٠، خبراً مقتضباً وسم بعنوان «المؤامرات في بلاد ما بين النهرين: الأموال التركية سبب الفوضى» أشارت فيه إلى أنّ «احتفالات رمضان» مرّت بهدوء في جميع أنحاء البلاد. منبهة إلى اندلاع اضطرابات في كربلاء، فضلاً عن اعتقال بعض الأشخاص في الحلة. مختمة بالإشارة إلى «ترحيب» رؤساء العشائر الرئيسيين في الحلة بحملة الاعتقالات الآتية الذكر^(١٦).

ولم تقتصر تغطية الصحافة البريطانية على تلك الموضوعات والأخبار والقضايا التي خصت أخبار الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠، وإنّما أفرد البعض منها مكاناً مميّزاً من صفحاته سلّطت فيه الأضواء على مواضيع تعلّقت بتعليمات زيارة مقابر القتلى العسكريين في بلاد ما بين النهرين، فعلى سبيل المثال لا الحصر أوردت صحيفة شيفيلد ويكلي تلغراف خبراً تعلّقت مضامينه برفض الحكومة البريطانية طلبات ذوي القتلى لزيارة مقابر ذويهم في بلاد ما بين النهرين، موضحة السبب في ذلك الرفض، ففي المقام الأول واجهت الوحدات العاملة لإنشاء المقابر صعوبات كبيرة و«خطيرة»؛ وثانياً، أنّ السفر إلى بلاد ما بين النهرين كان محفوفاً بالمخاطر، مختمة بوصف «أدمغة» الترك بأنها غير قابلة لتصديق أنّ الحرب قد انتهت^(١٧).

Langport & Somerton Herald, (Newspaper), London, 3/7/1920, p. 6. (١٣)

Daily Mirror, 3/7/1920, p. 3. (١٤)

Western Daily Press, 3/7/1920, p. 8. (١٥)

Liverpool Daily Post, 3/7/1920, p. 7. (١٦)

Sheffield Weekly Telegraph, 3/7/1920, p. 3. (١٧)

وتجلى اهتمام صحيفة التايمز في بلاد ما بين النهرين، بما نشرته في عددها الصادر بتاريخ ١٤ تموز ١٩٢٠، وهو مقال تحليلي وسم بعنوان «ضريبة الشركات: لا استثناء للمتعاونين»، مشيرة إلى أنّ الهند والجيش الهندي قصبستان تخدش البريطانيين في بلاد ما بين النهرين، مؤكدة أنّ الكابتن أورمزي غور (Ormsby-Gore) محقّ حينما اعتبر أنّ بلاد ما بين النهرين مشكلة في الشرق الأوسط يجب حلّها، ولكن ليس بوساطة القوات الهندية، وإنّما بوساطة مزيج متوافق من الاستراتيجية والسياسة في البلاد، وعن طريق تدريب خدمة خاصة للشرق الأوسط نصفها عسكري ونصفها سياسي، وعن طريق تجنيد الجماعات المحليّة هناك لدعم القومية المحليّة^(١٨).

وتابعت بعض من الصحف البريطانية متابعة حثيثة لمشاريع البلاشفة وخططهم في بلاد ما بين النهرين، فقد نشرت صحيفة «بربادوس أغريكشرل ريبورتر» (*Barbados Agricultural Reporter*) في عددها الصادر بتاريخ ٥ تموز ١٩٢٠، مقالاً عنون بـ «من الهند إلى تركيا»، مبيّنة في ثناياه اللقاء الذي جمع ممثلي الترك مع لينين، زعيم البلاشفة، في موسكو، منبّهة أنّ اللقاء أثمر عن وضع خطط «لإشعال انتفاضات» في العالم المسلم تزامناً مع الهجوم البلشفي على بلاد فارس والهند. وقد أكدت الأخبار التي تناقلت وعد لينين بإشراك ١٨٠ ألف جندي من العالم الإسلامي بقيادة الجنرال أليكسي كوروباتكين (General Kuropatkin)، مختتمة بالتذكير بوصول أنور باشا «رئيس مؤامرة القوميين الترك» بحسب وصف الصحيفة، إلى برلين في زيارة ثانية، واصفة أنّه «رئيس مسؤول الارتباط» بين البلاشفة والثوار الألمان والشباب الترك، فضلاً عن وصول «جمال باشا» و«محمد طلعت باشا» إلى موسكو، مذكرة أنّ خطط البلاشفة تلك هدفها جذب انتباه بريطانيا بعيداً عن بلاد ما بين النهرين^(١٩).

وتناغماً مع ما تقدّم، نشرت صحيفة التايمز مقالاً وسم بعنوان «التصعيد في بلاد ما بين النهرين: استمرار القتال» في عددها الصادر بتاريخ ١٢ تموز ١٩٢٠، أشارت فيه إلى خطورة الأوضاع في جنوب بلاد ما بين النهرين، إذ إن خط السكك

The Times, 14/7/1920, p. 12.

(١٨)

Barbados Agricultural Reporter, (Newspaper), London, 5/7/1920, p. 4.

(١٩)

الحديد بين البصرة وبغداد قد تعرّض للتخريب في ثلاثة أماكن، فضلاً عن استمرار القتال في السماوة، معقبة أنّ الحملة المؤيدة للترك قوية جداً بين العشائر في الناصرية على نهر الفرات^(٢٠)، ومشيرة في عددها الصادر بتاريخ ١٣ تموز ١٩٢٠ تحت عنوان «تكلفة احتلال بلاد ما بين النهرين» إلى السؤال الموجه من قبل السير «دينيس هربرت» (Dennis Herbert) داخل قبة مجلس العموم للسير «بونار لو» فيما إذا كانت «تكلفة الاحتلال العسكري» لبلاد ما بين النهرين ستسترد نهاية المطاف من «الحكومة المستقلة» المقرر إنشاؤها هناك، أو سيتم استردادها من «موارد البلد نفسه» موضحة ردّ السير «بونار لو» أنّه وفق تصريح رئيس الوزراء، ستسترد تلك «الكلف» بعد تشكيل «الحكومة المستقلة»، نافياً في الوقت عينه عقد الأمل في استرداد تكلفة الاحتلال العسكري للعراق من قبل الحكومة المزمع تشكيلها آنذاك، مستشرفاً إمكانية استرداد قيمة أصول بعض المبالغ كتلك التي أنفقت على إنشاء السكك الحديد التي تم بناؤها على نفقة الجيش^(٢١).

فيما أشارت صحيفة يوركشاير بوست اند ليدز إنتلجينسر في عددها الصادر بتاريخ ١٣ تموز ١٩٢٠، إلى تجدد «الاضطرابات» في بلاد ما بين النهرين في خبر لها تحت عنوان «الاضطرابات العربية في بلاد ما بين النهرين»؛ مشيرة إلى الوضع الخطير في بلاد ما بين النهرين بسبب اندلاع «الانتفاضات العربية» وقطع سكك الحديد في الديوانية، وهو أمر أدى إلى تمركز قوات كبيرة في «الديوانية»^(٢٢). فيما اشكت صحيفة غلوب في عددها الصادر بالتاريخ نفسه، وتحت عنوان «انتقاد السياسة الخارجية» تحمل أعباء حربين، الأولى: في بلاد ما بين النهرين إذ «نقاتل العرب» الذين من المفترض «حمايتهم»، وحرب أخرى مع تركيا^(٢٣).

تُظهر هذه الاهتمامات بمستقبل بلاد ما بين النهرين في الصحافة البريطانية في أوائل العقد الثاني من القرن العشرين، عمق هذا الاهتمام وحجمه بدراسة أدق التفاصيل عن البلاد لما شكّلت من أهمية كبيرة في المنظور الاستراتيجي البريطاني للعراق وموقعه في حساباتها الإقليمية والدولية.

The Times, 12/7/1920, p. 14.

(٢٠)

The Times, 13/7/1920, p. 13.

(٢١)

Yorkshire Post and Leeds Intelligencer, 13/7/1920, p. 8.

(٢٢)

Globe, 3/7/1920, p. 4.

(٢٣)

فلا غرو إذ نجدها بين الفينة والأخرى تركّز في منشوراتها على الوجود البريطاني في العراق، أو التذكير بأهمية «تحريره» من قبضة الأتراك من خلال إعادة نشر مقالات وموضوعات بعينها في محاولة واضحة، إن جاز لنا التعبير، تداعب فيها مشاعر الرأي العام البريطاني، وتشجّد هممه لمساندة حكومته في دعم حربها ضد ثوار بلاد ما بين النهرين. فعلى سبيل المثال لا الحصر، نشرت صحيفة التايمز في عددها الصادر بتاريخ ١٣ تموز ١٩٢٠، مقالاً موسوماً بعنوان ذي مغزى ودلالة واضحتين: «مناشدة بلفور للعرب»، مشيرة إلى تلك الاحتفالات للجالية اليهودية في بريطانيا ابتهاجاً بقبول بريطانيا العظمى لانتداب فلسطين كوطن قومي لليهود إذ أقيمت احتفالات في قاعة ألبرت يوم ١٢ تموز ١٩٢٠ برعاية الاتحاد الصهيوني الإنكليزي^(٢٤)، وقد أوضح فيه السير بلفور إنه كان صهيونياً مقتنعاً لمدة طويلة بالحق اليهودي، لكن لم يكن يتصوّر احتمال أنّ «العمل العظيم» لإعادة اليهود إلى فلسطين سيحدث في القريب العاجل، مخاطباً العرب^(٢٥). وقد أشّر الباحث هنا باقتباسها لأهميتها في منظور الصراعات الدولية يومذاك، أولاً، ولبيان آليات الصحافة البريطانية وأساليبها في التأثير في الرأي العام البريطاني وإثارة تعاطفه مع الجالية اليهودية، ثانياً.

«على العرب أن يتذكروا أنّه بينما كنّا نرغب في ظل حكومة بريطانيا العظمى أن نوّسس هذا الوطن للشعب اليهودي، فإنّ عديداً من القوى العظمى، وخاصة بريطانيا العظمى، قد حرّرت العراق العربي من طغيان المحتلّ الوحشي الذي أبغاهم تحت [قدميه] لقرون عديدة. آمل أن يتذكّر العرب أنّنا نحن الذين أنشأنا وطناً عربياً مستقلاً سيادياً للحجاز، وأنّنا كنّا من رغبنا في بلاد ما بين النهرين في تمهيد الطريق لمستقبل دولة عربية مستقلة ذاتياً. آمل ألا يحسدوا على تلك القطعة الصغيرة في الأراضي العربية التي تُمنح للشعب اليهودي الذي انفصل عنها لمئات السنين، لكن من المؤكّد أنّ لديه حقاً لتطويره على خطوطه الخاصة في أرض أجداده. لقد انطلقنا في «مغامرة عظيمة». بكلمة «نحن» أعني من جهة الشعب اليهودي، ومن جهة أخرى

James Renton, "Nationalism, Discourse and Imagination: British Policy (٢٤) towards the Zionist Movement during the First World War", PhD thesis, University College London, 2003.

The Times, 13/7/1920, p. 14.

(٢٥)

سلطة الانتداب على فلسطين. نحن شركاء في هذا المشروع العظيم. إذا فشلنا في ذلك، فلن تتمكن من النجاح؛ لكنني مطمئن إلى أننا لن نفشل وأنا أعبر عن السعادة القلبية لقرار المجلس الأعلى بتضمين وعد بلفور في معاهدة السلام مع تركيا وقبول بريطانيا العظمى الانتداب على فلسطين كوطن قومي لليهود. لذا على العرب أن يحترموا حقوق اليهود في فلسطين مثلما يحترم اليهود التقاليد العظيمة للعراق العربي»^(٢٦).

وظلّ تطوّر العمليات العسكرية في بلاد ما بين النهرين تتداوله أقلام المعنّيين بين مدة وأخرى على الصفحات البريطانية، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما أوردته صحيفة شيفيلد ديلي تلغراف، فقد كتب مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ١٤ تموز ١٩٢٠، ناقلاً استجواب عضو مجلس العموم «أورمسي غور» لوزير الحرب «ونستون تشرشل»، طارحاً أسئلة عدّة منها: ما مدى صحة أنباء احتجاز القوات الهندية على نهر الفرات وعزلها من قبل العرب، وما سبب المحاولات الفاشلة لإغاثتهم، وما عدد الخسائر البريطانية والهندية، وما إذا كانت «الانتفاضة العربية» محلية أم بفعل دعم خارجي، وما السبب الرئيس لتلك الانتفاضة؟^(٢٧).

وأطنبت الصحيفة في الإشادة بنقل إجابات ونستون تشرشل التي أفادت بتعرّض مبنى الحكومة في الرميثة لهجوم من قبل العرب، تلاه قطع السكك الحديد بالقرب من السماوة، مضيفاً بوصول تعزيزات من البصرة إلى السماوة في ٣ - ٤ تموز، نافياً تعرّض القوات البريطانية لأي خسائر، فيما لم يُعرف عدد الخسائر الهندية. منبهاً إلى إرسال تعزيزات إضافية من بغداد، فضلاً عن إجراءات عقابية من قبل القوات البرية والقوات الجوية الملكية ضد العشائر العراقية، مجيباً في الوقت نفسه أنّ الانتفاضة «محلية الطابع» مدفوعة «بتحريض ديني» من رجال الدين في «النجف»^(٢٨).

وأنظر أيضاً ما نشرته صحيفة كورنيشمان^(٢٩)، وصحيفة ديلي هيرالد^(٣٠)،

The Times, 13/7/1920, p. 14.

Sheffield Daily Telegraph, 14/7/1920, p. 7.

Ibid.

Cornishman, 14/7/1920, p. 3.

Daily Herald, 14/7/1920, p. 1.

(٢٦)

(٢٧)

(٢٨)

(٢٩)

(٣٠)

وصحيفة ويسترن تايمز^(٣١) بالخصوص نفسه في عددها الصادر بالتاريخ ذاته مشيرة إلى «خطورة الوضع في بلاد ما بين النهرين»^(٣٢).

وتابعت بعض الصحف البريطانية متابعة حثيثة ردود الأفعال الرسمية إزاء الوضع الخطر في بلاد ما بين النهرين، فقد نشرت على سبيل المثال صحيفة ويسترن ديلي بريس في عددها الصادر بتاريخ ١٤ تموز ١٩٢٠، مقالاً وسم بعنوان «عضو البرلمان السيد ايليستان ريندال»، مشيرة إلى إعلان السير ريندال الانضمام إلى «المعارضة» إثر التصرفات «غير المبررة» بحياة البريطانيين وأموالهم في بلاد ما بين النهرين، فضلاً عن أنّ الحكومة أمست غير قادرة على وقف هدر الأموال والإسراف فيها^(٣٣) فيما اتفقت صحيفة ستافوردشاير سنتينل مع الصحيفة الأنفة الذكر، في مقال لها بالتاريخ نفسه، وتحت عنوان «مشكلة جسيمة في بلاد ما بين النهرين»، مشيرة إلى أن مجلس العموم شعر «بالصدمة» إثر استماعهم لتصريحات وزير الحرب ونستون تشرشل، منبهة إلى أنّ معظم الناس اعتقدوا أنّ المشاكل في الرميثة هي مجرد «مشاكل محلية» ليس إلا، ولكن اتضح أنّ هنالك قوتين معزولتين للقوات البريطانية والهندية^(٣٤). كما كتبت صحيفة ويسترن ديلي بريس في خبر لها في التاريخ نفسه وتحت عنوان «ثورة العرب» مستغربة تصريحات ونستون تشرشل بأن أسباب «لوجستية» متمثلة «بنقص

Western Daily Press, 14/7/1920, p. 7.

(٣١)

(٣٢) أشار السير ونستون تشرشل في وثيقة سرّية للغاية إلى خطورة الوضع في السماوة، حيث فشلت قوة الدعم العسكري البريطاني من الوصول إلى الحامية البريطانية في السماوة وتكبّدت خسائر في الأرواح والمعدّات، جاء فيها: «... أنّ الوضع في الرميثة بات خطيراً جداً، وفي منطقة الخضر «ليس على ما يُرام». وصل رتل إنقاذ (يتألف من أربعة فرق من جنود المشاة، وقسم واحد من المدفعية الجبلية) إلى منطقة تبعد ستة أميال عن الرميثة، لكنها تكبّدت خسائر فادحة، وأجبرت على العودة إلى منطقة إمام حمزة، التي تبعد ٢٩ ميلاً شمال غرب الرميثة. أرسل القائد العام في بغداد لواء مشاة واحد ومدفعية ميدانية إلى الديوانية، ونظراً إلى احتمال قيام ثورة شاملة في منطقتي الفرات الأوسط والأدنى، طُلِبَ الإبقاء على لواء ومدفعية ميدانية في حالة استعداد في الهند، لكي يتم إرسالها خلال وقت قصير. طلبت وزارة الحرب الإبقاء على فرقة واحدة في حالة استعداد في الهند». للمزيد انظر:

Winston S Churchill, Memorandum Former Reference, Situation in Mesopotamia, CAB 24/109/49, 17/7/1920, p. 2.

Western Daily Press, 14/7/1920, p. 9.

(٣٣)

Staffordshire Sentinel, 14/7/1920, p. 2.

(٣٤)

وسائل النقل» أخّرت وصول قوات الإغاثة في الوقت المناسب، فضلاً عن إستحواذ «العرب» على ستة قطارات بعد إخراجها عن مسارها^(٣٥)

ولم تفتأ صحيفة التايمز في مواصلة اهتماماتها برسائل القراء الخاصة بمناقشة ما يخصّ العراق، فقد وشحت عددها الصادر بتاريخ ١٥ تموز ١٩٢٠، بمقالٍ موسوم تحت عنوان «إلى محرّر جريدة تايمز» بعث بها السير أوبري هيربرت (Aubrey Herbert)، مشيراً في رسالته إلى وجود أدلة مباشرة على الإسراف الحكومي في بلاد ما بين النهرين، وهو أمر أثار تعليقات كبيرة، وأنّ السياسة الخارجية لرئيس الوزراء أكثر تبذيراً؛ لأنّها تنطوي على مخاطر مستقبلية لإمبراطوريتنا أكثر جدية من تدهور مجتمعي. معتبراً أن إصرار الحكومة على استمرار احتلال العراق سيكلف البلد ثلاثين مليون جنيه إسترليني سنوياً، في حال لم تحدث مشاكل، داعياً في الوقت عينه إلى تصويت أكبر عدد ممكن من أعضاء مجلس العموم ضد الحكومة، لخلق أمل لترشيد الإنفاق الحكومي^(٣٦).

وعلى ما يبدو أنّ ما نشرته صحيفة نيو كاسل جورنال في عددها الأنف الذكر، لفت أنظار المعنيين وأثار اهتمامهم، فعلى سبيل المثال «عدّل» ونستون تشرشل تصريحاته السابقة التي أشار فيها إلى «عدم القلق» ممّا يجري في بلاد النهرين، ليصرح من جديد وعلى صفحات صحيفة نيو كاسل جورنال في عددها الصادر بتاريخ ١٦ تموز ١٩٢٠ حينما وصف الوضع بـ «شدة الخطورة» ليكون ذلك أنسب وصف للوضع الذي عليه البلاد نتيجة لما تعرّضت له بسبب «ثورة العرب» في بلاد ما بين النهرين، مضيفاً أنّ منطقة كبيرة في الفرات الأوسط تتعرّض لاضطراب شديد^(٣٧).

من جانبها عدت صحيفة بول مول غازيت في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ١٩ تموز ١٩٢٠، «التمرد» في بلاد ما بين النهرين يهدّد التفكير الجاد بمنحهم «دولة مستقلة»، مضيفاً أن على الأمير فيصل فرض السيطرة على الفئات «غير

Western Daily Press, 14/7/1920, p. 5.

(٣٥)

The Times, 15/7/1920, p. 10.

(٣٦)

Newcastle Journal, 16 /7/1920, p. 5.

(٣٧)

المستقرّة» من سكان بلاد ما بين النهرين والحفاظ على السلام مع الدول المجاورة^(٣٨). فيما استبشرت صحيفة أبردين بريس اند جورنال في خبر لها تحت عنوان «أخبار جيدة من بلاد ما بين النهرين» بتاريخ ١٩ تموز ١٩٢٠ إلى أنّ الشامية يعمّها الهدوء^(٣٩).

وسعت صحيفة التايمز في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٢٠، في مقالها «انتشار التمرد في بلاد ما بين النهرين» إلى لفت أنظار الرأي العام إلى الخسائر البريطانية، مشيرة إلى قيام الطائرات بقصف الرميثة «بشكل فعّال» ممّا ألحق بالعرب خسائر كبيرة نتيجة لهجوم القوات البريطانية وطائراتها. مؤكدة أنباء انتشار «التمرد» شمالاً إلى منطقة الشامية، حيث انضمت العشائر إلى «المتمردين»، منوّهة بأنّ «التمرد» تركّز في منطقة «وسط الفرات»^(٤٠).

وأنذرت صحيفة داندي كورير في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٢٠، وتحت عنوان «الخطر محقق بالشرق الأوسط» ووفق نصّ تعبيرها، منبّهة بأنّ ما يجري في بلاد ما بين النهرين «خطر جديد» على بريطانيا، بل إنّ «الأشدّ خطورة» على الاطلاق؛ بسبب «ثورة العرب» في بلاد ما بين النهرين، إنّ الوضع يتطوّر بسرعة، ويجب أن توضع «سياسة واضحة المعالم من جانب الحكومة»^(٤١).

أما صحيفة نيوكاسل جورنال، فقد استنكرت في مقال لها تحت عنوان «أمر ميؤوس منه» نشر بتاريخ ٢١ تموز ١٩٢٠ تصريحات وزير الحرب ونستون تشرشل ورأيه السياسي بأنّه «لا يوجد داعٍ للقلق» لما يجري في بلاد ما بين النهرين، مؤكّدة أنّ الرأي العام البريطاني لن يتقبّل هذه التطمينات في ظلّ ما يجري في بلاد ما بين النهرين، معتبرة أنّ تصريحاته ما هي إلا «تلاعب» بأعصاب الشارع البريطاني^(٤٢). وهو أمر أيّدته صحيفة «ليدز ميركوري» بالتاريخ نفسه وتحت عنوان «بلاد ما بين النهرين مجدّداً»، معتبرة أنّ الوضع مثير للقلق بشكل مريب، كما حُذِرَت

Pall Mall Gazette, 19/7/1920, p. 6.

(٣٨)

Aberdeen Press and Journal, 19/7/1920, p. 5.

(٣٩)

The Times, 20/7/1920, p. 12.

(٤٠)

Dundee Courier, 20/7/1920, p. 12.

(٤١)

Newcastle Journal, 21/7/1920, p. 2.

(٤٢)

الحكومة مقدّماً من إمكانية حصول أحداث خطيرة؛ بسبب ما تعرّضت له هذه البلاد حينما اضطلعت «قواتنا» بالسيطرة عليها^(٤٣).

وتابعت بعض الصحف البريطانية متابعة حثيثة لردود أفعال المسلمين في الهند إزاء خطورة الوضع في بلاد ما بين النهرين، فقد نشرت صحيفة نيوكاسل جورنال مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ٢١ تموز ١٩٢٠ تحت عنوان «اعتصامات المسلمين»، أشارت فيه إلى مطالبة الهنود المسلمين بسحب القوات الهندية من بلاد الرافدين^(٤٤).

وأكدت صحيفة غلوب أيضاً في مقال لها بتاريخ ٢١ تموز ١٩٢٠ تحت عنوان «خسائرنا» أنّ الخسائر البشرية بين صفوف القوات البريطانية قدرت بـ«ثلاثمائة إلى أربعمائة»^(٤٥)، من مختلف الصفوف ولاسيما بين صفوف الهنود، أمّا بالنسبة إلى

Leeds Mercury, 21/7/1920, p. 6.

(٤٣)

Newcastle Journal, 21/7/1920, p. 2.

(٤٤)

(٤٥) أشار السير ونستون تشرشل في وثيقة سرية للغاية إلى خطورة الوضع، جاء فيها: بلغت تكلفة إرسال الفرقة العسكرية من الهند إلى البصرة الملايين، وقد باتت أي إمكانية لإجراء تخفيض في نهاياتها، كما أنّ إجراء تقديرات تكميلية بات أمراً لا مفرّ منه. ولا بدّ من أن يملك الجنرال هالدان حرية التصرف لتركيز قواته لتشكيل قوة كبيرة ذات احتياجات كافية وقادرة على سحق كافّة الحركات المعارضة له بين مدينة بغداد والبحر. قد يُضطرّ إلى سحب جنوده أولاً من الموصل، لأنّها أكثر قرباً، ولسهولة المجيء من منطقة قزوين في بلاد فارس. لا بدّ من أن يقوم بتنفيذ كل ما يتطلبه الوضع العسكري وبالسّعة القصوى. وعلى أية حال، إذا كان لديه الخيار، فمن أي مكان يجب عليه الانسحاب منه أولاً، من الموصل، أم من بلاد فارس؟ لا بدّ من أن نوجّه إليه الأوامر فيما يتعلّق بهذه النقطة، ومن دون تأخير. لذلك نجد بأننا مهدّدون باندلاع محتمل للاضطرابات من جهة الغرب، والشمال، والشرق. ولذلك، فإنّ كافة البدائل مرفوضة. ولكن سيبحث الانسحاب من منطقة الفرات الأعلى، وهي بلا شك، الأعمال العدائية للعرب، في ذلك الاتجاه. سيؤدّي الانسحاب من الموصل إلى خسارة تلك الولاية وسقوطها في أيدي الأتراك والأكراد. إنّ تنفيذ عملية التراجع محفوفة بالمخاطر بحدّ ذاتها، ومن المحتمل أن نتابع القيام بذلك. وعلى غرار ذلك، وأثناء تنفيذ عملية الانسحاب من الموصل إلى نهاية السكّة الحديدية في شرقايط (التي تبعد ١٨٧ ميلاً)، يمكن سحب كتيبة واحدة خلال خمسة أيام، وكتيبتين خلال سبعة أيام، ولواء مختلط واحد خلال خمسة عشرة يوماً. إنّ هذه التقديرات إجمالية، وستسهل حركة الجنود ومعدّاتهم ولوازمهم. النهاية: إنّ سحب الجنود من الموصل سيزيد من الصعوبات في وجهنا من بعض الجوانب، وقد ينخرط الجنود المنسحبون في القتال ضدّ قوة معتدية قادمة من الشمال، بدلاً من تقديم المساعدة في بلاد ما بين النهرين». للمزيد انظر:

Winston S Churchill, Memorandum Former Reference, Situation in Mesopotamia, CAB 24/109/49, 17 July 1920, p. 1.

الضباط البريطانيون فقد قتل أو جرح ستة من عناصرهم^(٤٦).

وتناغماً مع ما تقدّم، نشرت صحيفة *يوركشاير بوست اند ليدز إنتلينجنسر* في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ تموز ١٩٢٠، مقالاً عنون بـ «اتفاق بين فرنسا وبريطانيا العظمى» بيّنت فيه تقدّم رتل «الإغاثة» الشحنة العسكرية في الرميثة، وقد وصل في فجر يوم الاثنين ١٦ تموز إلى نقطة تبعد أربعة أميال شمال غرب الرميثة، إذ تواجّهت مع «العدو» وفق نصّ تعبيرها، مشيرة إلى فشل القوات الإنكليزية في اجتياز الثوار المتحصّنين في قنوات جافة، منوهاً بأنّ الجنرال هالدين عدّ الرميثة موقعاً عسكرياً ذا قيمة كبرى، وأنّ الثوار قد وفقوا لإخفاء تحصيناتهم تماماً^(٤٧).

وفي السياق نفسه، بيّنت صحيفة *ادنبره إيفننغ نيوز* في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ تموز ١٩٢٠ إلى تجدد «الاضطرابات» في بلاد ما بين النهرين، وأنّ قوات الإغاثة أنقذت الشحنة العسكرية الهندية في الرميثة مساء العشرين من شهر تموز بعد أن شوهدت القوة العربية التي تألفت من ألفي مقاتل وهي تتكبّد خسائر بشرية فادحة في الرميثة^(٤٨).

كما نشرت صحيفة *إيفننغ ميل* في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ تموز ١٩٢٠ خبراً خصّ تجدد «الاضطرابات» في بلاد ما بين النهرين عنون بـ «ثورة أخرى في بلاد ما بين النهرين» اثر «تفجر» الثورة على يد عشائر منطقة «ابن علي»، ٣٠ ميلاً جنوب شرق الحلة، في منتصف الطريق الرابط بين بغداد والرميثة^(٤٩).

وحذّرت صحيفة «*ليدز ميركوري*» الحكومة البريطانية من «مغبة» الاستمرار في نهجها العدائي إزاء سكان بلاد ما بين النهرين، في مقال لها تحت عنوان «درس من بلاد ما بين النهرين»، نشرته في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ تموز ١٩٢٠، منبهة إلى أنّ ضرورة إجراء التقييم فيما يتعلق ببلاد ما بين النهرين، إذ ساهمت «الانتفاضة العربية» في التأكيد على التحذيرات التي وجهت مراراً وتكراراً إلى الحكومة بشأن المخاطر التي كانوا يعرّضون أنفسهم لها من خلال تولّي ولاية تلك المنطقة غير

Globe, 21/7/1920, p. 2.

(٤٦)

Yorkshire Post and Leeds Intelligencer, 23/7/1920, p. 4.

(٤٧)

Edinburgh Evening News, 23/7/1920, p. 5.

(٤٨)

Evening Mail, 23/7/1920, p. 3.

(٤٩)

المستقرة، «لقد شعروا بالخوف هذه المرّة، ومن حسن الحظ أنّ العواقب لم تكن خطيرة، ولكننا نأمل أن يستفيدوا من الدرس وأن تزول هذه العواقب»^(٥٠).

ونشرت صحيفة أبردين بريس اند جورنال (*Aberdeen Press and Journal*)، وهي ذات توجّه مؤيد للحكومة، خبراً في عددها الصادر بتاريخ ٢٨ تموز ١٩٢٠، تحت عنوان «بلاد ما بين النهرين، تعاون تركي - عربي»، عن الأحداث العسكرية في منطقة ما بين النهرين، إذ أشارت الصحيفة إلى هجمات عربية على القوات والمنشآت البريطانية في المنطقة أدّت إلى مقتل ٥٠٠ إلى ٦٠٠ ضحية بين القوات الهندية التابعة لبريطانيا، وقد طرحت الصحيفة تساؤلاً حول احتمال تعاون أعضاء سابقين في الجيش العثماني مع العرب في هذه الهجمات التي وصفتها بأنها «اضطرابات»^(٥١).

وتعرضت صحيفة اكستر اند بليموث غازيت إلى الأوضاع المتوتّرة في بلاد ما بين النهرين يومذاك، فقد أوضحت في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ تموز ١٩٢٠ تحت عنوان: «نزاع بلاد ما بين النهرين» أنّ العرب قطعوا خطوط سكك حديد «الحلة - الكفل»، فضلاً عن وقوع اشتباكات مسلحة مع «المتمردين» في الكوفة، وفق نصّ تعبيرها^(٥٢).

وأشارت صحيفة يوركشاير بوست اند ليدز إنّتلجنسر في عددها الصادر بتاريخ ٣١ تموز ١٩٢٠، وتحت عنوان «الاضطرابات الشرقية: مخاطر مقترحة للحرب المقدسة» إلى مقال نشرته صحيفة شيكاغو تريبيون تنبأت فيه بإمكانية نشوب «حرب مقدّسة» في بلاد ما بين النهرين. مشيرةً إلى أنّ ما يخشى حدوثه هو تحالف بين الأمير فيصل ومصطفى كمال كموقف تهديد أظهره العرب، في أعقاب احتلال الفرنسيين لدمشق، منوهةً بأنّ الأمير فيصل قد تلقّى وعداً بالدعم العسكري من والده ملك الحجاز، إذا لم تجبر بريطانيا العظمى فرنسا على التراجع عن تهديدها فيصل. وتنصّ رسالة من القسطنطينية، إسطنبول لاحقاً، إلى صحيفة شيكاغو تريبيون على أنّ أنصار كمال يركزون من أجل الهجوم على جبهة بلاد ما بين النهرين، مستدركةً أنّ الكثيرين يعتقدون أنّ هذا الاحتمال ضئيل^(٥٣).

Ibid.

(٥٠)

Leeds Mercury, 23/7/1920, p. 6.

(٥١)

Exeter and Plymouth Gazette, 30/7/1920, p. 16.

(٥٢)

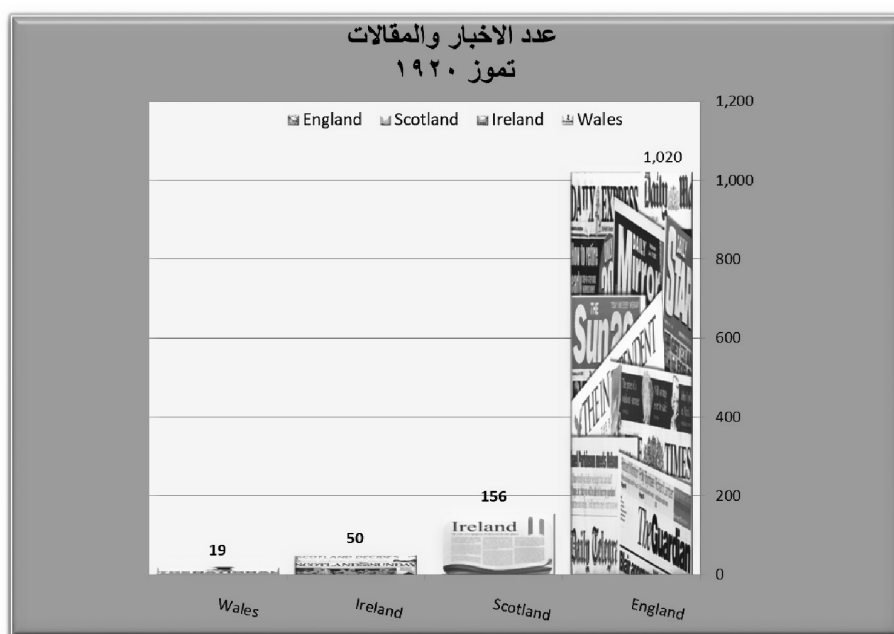
كما اهتمّت الصحف المصوّرة بتطوّرات الأحداث في بلاد ما بين النهرين، وعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت صحيفة الستريتد لندن نيوز (*Illustrated London News*) صورة للسير برسي كوكس الذي غادر طهران متوجّهاً إلى بغداد، وجاء نشر الصورة في عددها الصادر في ٣ تموز ١٩٢٠، تحت عنوان «شخصيات الأسبوع»^(٥٤).

الرسم البياني (٢)

عدد الأخبار والمقالات في صحف المملكة المتحدة^(٥٥)

الخاصة بأسباب اندلاع الثورة العراقية الكبرى

١ تموز - ٣١ تموز ١٩٢٠



Yorkshire Post and Leeds Intelligencer, 31/7/1920, p.10.

(٥٣)

Illustrated London News, 3/7/1920, p. 9.

(٥٤)

(٥٥) الرسم البياني بالاعتماد على أرشيف الصحف البريطانية: <<https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>> .

ويبدو مما تقدّم، واعتماداً على الرسم البياني (٢) أنّ الصحف البريطانية الصادرة في لندن قد أولت الاهتمام الأخبار المتعلقة بالثورة العراقية الكبرى، وبخاصة دوافعها وأسبابها، وقد أشار لنا الرسم البياني تركيز الصحف الصادرة في لندن نتيجة قربها من مركز القرار البريطاني، لتتفوق بذلك على الصحف الصادرة في اسكتلندا وأيرلندا وويلز وعلى التالي.



الفصل العاوي عشر

مواقف الصحافة البريطانية

من تطوّرات الثورة حتى ٣١ آب ١٩٢٠

واصلت الصحف البريطانية تعريف جمهورها من القراء بآخر مستجدات الوضع «المتأزم»، في العراق على وجه الخصوص، فما فتئت بين الفينة والأخرى، أن توشح صفحاتها بإيجاز عن مضامين آخر المواجهات العسكرية بين القوات البريطانية و«الثوار» في مختلف مدن العراق، للقراء مع تزايد نشر رسائل الجنود الإنكليز من ساحات المعارك في بلاد ما بين النهرين، فضلاً عن النواحي السياسية البالغة الأهمية في التأثير على القارئ الإنكليزي، فقد كتبت صحيفة سكوتسمان خيراً في عددها الصادر بتاريخ ٢ آب ١٩٢٠ تحت عنوان «بلاد ما بين النهرين، مزيد من الفوضى» استعرضت فيه التطوّرات في بلاد ما بين النهرين، مشيرة إلى مصادمات جرت «شمالي وغربي بغداد»، منوّهة بنجاح «عصابات» من رجال العشائر في «قطع السكك الحديد» بين مدينة بغداد وبلدة الكفري ومدينة كركوك، مختتمة الخبر بنبأ محاصرة الحاميات من ضمن المنطقة نفسها^(١).

وراحت الصحيفة نفسها في خبر لها في عددها الصادر بتاريخ ٣ آب ١٩٢٠، تحت عنوان «قطع سكك الحديد في بلاد ما بين النهرين»، مرجّحة أنّ سكة الحديد عند «الكوفة» لا زالت مقطوعة عن باقي المدن، مشيرة إلى أنّ العرب فرضوا «سيطرتهم على الحامية الهندية»^(٢).

The Scotsman, 2/8/1920, p. 5.

(١)

The Scotsman, 3/8/1920, p. 6.

(٢)

وتناغمًا مع تغطية النشاط العسكري في منطقة الفرات الأوسط، من جهة، والوقوف على آخر مستجدات «الانتفاضة» في بلاد ما بين النهرين، من جهة أخرى، نشرت صحيفة لستر ديلي بوست في عددها الصادر بتاريخ ٤ آب ١٩٢٠، خبراً تحت عنوان «بلاد ما بين النهرين» أوضحت فيه شنّ العشائر العربية هجوماً تعرضت فيه لرتل استطلاعي تابع لفوج مانشستر في منطقة «الارنجية» يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠، وهو أمر أدى إلى قتل «ثلاثمائة جندي» من أفراد الرتل الأنف الذكر، فضلاً عن فقد عدد كبير من الأحصنة ومدفع ميداني واحد و«اثني عشر» رشاش ومواد أخرى، إلا أنّ ما تبقى من الرتل نجح في شق طريق العودة إلى الحامية في الحلة، مختتماً الخبر إلى افتقارها لأي أخبار جديدة عن «حامية الكوفة»^(٣).

وانظر أيضاً إلى ما نشرته صحيفة يوركشاير ايفننغ بوست^(٤) وصحيفة لانكشاير ايفينينج بوست^(٥) بالخصوص نفسه في عددها الصادر بتاريخ ٤ آب ١٩٢٠، من أن الخسائر البريطانية كانت «فادحة» وبلغت ما يقارب «٣٠٠ جندي»، توزّعوا ما بين «اثني عشر قتيلًا»، و«ست وعشرين جريحاً»، و«مائتين وسبعة مفقودين»، فضلاً عن خسارة عدد كبير من الأحصنة و«مدفع ميداني»، و«اثني عشر» بندقية آلية ومعدّات أخرى. أما خسائر «العرب» فقد بلغت «ثمانية قتلى» و«أربعة وثلاثين جريحاً» و«واحد وثمانين مفقوداً». وقد اشر الباحث إرفاق الجداول (٥) و(٦) و(٧)، يوضح فيها عناوين بعض الصحف البريطانية إزاء معركة الارنجية لبيان مواقف مختلف الصحف إزاء «الانتكاسة العسكرية» في أوج الثورة العراقية الكبرى، وما خلفته تلك العناوين من أصداء لدى الرأي العام البريطاني يوم ذاك.

وأشارت إحدى الوثائق البريطانية إلى تصريح لوزير الحربية ونستون تشرشل أفاد فيه أنّه «طراً تغيير ملموس اعتباراً من ١٨ تموز، فقد استمرّت رقعة الثورة في الامتداد، وباتت قريبة من مدينة بغداد، وفي كل الأحوال، تنتشر قواتي العسكرية في الحلة، ومن غير المرجح أن تبقى منطقة شطّ الحلة هادئة لأكثر من بضعة أيام، فخلال الأيام القليلة الماضية، انضمّ ما يزيد على ١٥٠ ضابطاً تركياً عربياً إلى

Leicester Daily Post, 4/8/1920, p. 1.

(٣)

Yorkshire Evening Post, 4/8/1920, p. 6.

(٤)

Lancashire Evening Post, 5/8/1920, p. 6.

(٥)

صفوف القبائل بهدف تنظيمهم، كما أنّ «ميرزا محمّد» وجّه أوامره إلى القبائل للقتال ضدّ الحكومة، وتدمير السكّة الحديد، وقطع خطوط الاتصال. وهذا الأمر يعني امتداد رقعة الثورة داخل العشائر الشيعية^(٦).

جدول (٦)

نماذج عناوين الصحف البريطانية لمعركة الرارنجية^(٧)

آب ١٩٢٠

ت	اسم الصحيفة بالإنجليزية	اسم الصحيفة بالعربي	عنوان الخبر	تاريخ الخبر
١ -	Derby Daily Telegraph	ديربي ديلي تلغراف	العرب يهاجمون البريطانيين	الأربعاء ٤ آب ١٩٢٠
٢ -	Lancashire Evening Post	لانكشاير إيفينينغ بوست	٣٩٨: الهروب الإنجليزي من الحلة	الخميس ٥ آب ١٩٢٠
٣ -	Newcastle Journal	نيوكاسل جورنال	خسارة ثقيلة في الحلة	الجمعة ٦ آب ١٩٢٠
٤ -	Londonderry Sentinel	لندنديري سنتل	كمين لدورية عسكرية	السبت ٧ آب ١٩٢٠
٥ -	The People	ذه بيوبل	فوج مانشستر	الاحد ٨ آب ١٩٢٠
٦ -	Western Daily Press	ويسترن ديلي بريس	سجناء بريطانيون في العراق	الاثنين ٩ آب ١٩٢٠
٧ -	Civil & Military Gazette	سيفل اند مليتري غازيت	معركة الحلة: خسائر جسيمة	الثلاثاء ١٠ آب ١٩٢٠
٨ -	Western Times	ويسترن تايمز	كارثة في بلاد ما بين النهرين	الأربعاء ١١ آب ١٩٢٠

(٦) Secretary of State for India, Reinforcements for Mesopotamia, Telegram No 125 from Secretary of State to Viceroy, Army Department., CAB-24-110-19, 3/8/1920, p. 1.

(٧) نُظّم الجدول من قبل الباحث بحسب سبقها الزمني في الصدور على موقع أرشيف الصحف البريطانية: <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk/>.

ت	اسم الصحيفة بالإنجليزية	اسم الصحيفة بالعربي	عنوان الخبر	تاريخ الخبر
٩ -	<i>Lancashire Evening Post</i>	لانشاير ايفينينغ بوست	يوم طويل على سراج الأحصنة	الخميس ١٢ آب ١٩٢٠
١٠ -	<i>Civil & Military Gazette</i>	سيفل اند مليتري غازيت	الهروب من الحلة	الجمعة ١٣ آب ١٩٢٠
١١ -	<i>Evesham Standard</i>	ايفيشام ستاندر	سجناء الحلة	السبت ١٤ آب ١٩٢٠
١٢ -	<i>Irish Weekly</i>	ايرش ويكلي	المستطلعون المدعورون	الأحد ١٥ آب ١٩٢٠
١٣ -	<i>Westminster Gazette</i>	وستمنستر غازيت	المسيحيون والحرب	الاثنين ١٦ آب ١٩٢٠
١٤ -	<i>Daily Herald</i>	ديلي هيرالد	العرب يسقطون الفرسان البريطانيين	الثلاثاء ١٧ آب ١٩٢٠
١٥ -	<i>Liverpool Daily Post</i>	ليفربول ديلي بوست	العرب يهددون بغداد	الأربعاء ١٨ آب ١٩٢٠
١٦ -	<i>Leeds Mercury</i>	ليدز ميركوري	أخبار مُقلقة	الخميس ١٩ آب ١٩٢٠
١٧ -	<i>Civil & Military Gazette</i>	سيفل اند مليتري غازيت	رفع العلم الأبيض في الحلة	الجمعة ٢٠ آب ١٩٢٠
١٨ -	<i>Leeds Mercury</i>	ليدز ميركوري	مزيد من الدفاعات حول بغداد	السبت ٢١ آب ١٩٢٠
١٩ -	<i>Western Times</i>	ويسترن تايمز	ثورة العرب	الأحد ٢٢ آب ١٩٢٠

جدول (٧)

أعداد عناوين الصحف البريطانية التي خضت معركة الرانجية^(٨)

آب ١٩٢٠

ت	اليوم	الشهر	السنة	عدد الأخبار
١ -	٢	آب	١٩٢٠	٢
٢ -	٤	=	=	٣٤
٣ -	٥	=	=	٢٨
٤ -	٦	=	=	٢٢
٥ -	٧	=	=	١٧
٦ -	٨	=	=	٢
٧ -	٩	=	=	٦
٨ -	١٠	=	=	٦
٩ -	١١	=	=	٦
١٠ -	١٢	=	=	٩
١١ -	١٣	=	=	١٤
١٢ -	١٤	=	=	٧
١٣ -	١٦	=	=	١
١٤ -	١٧	=	=	١
١٥ -	١٨	=	=	٤
١٦ -	١٩	=	=	٤
١٧ -	٢٠	=	=	٩
١٨ -	٢١	=	=	٢٤
١٩ -	٢٢	=	=	١
٢٠ -	٢٣	=	=	٥
٢١ -	٢٤	=	=	٧

(٨) تُنظَّم الجدول من قبل الباحث بحسب سبقها الزمني في الصدور على موقع أرشيف الصحف

< <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk/> > .

البريطانية:

ت	اليوم	الشهر	السنة	
٢٥	=	=	٦	٢٣ -
٢٦	=	=	٤	٢٤ -
٢٧	=	=	٦	٢٥ -
٢٨	=	=	٤	٢٦ -
٣٠	=	=	٤	

لم تنقطع مواكبة الصحف البريطانية يومئذ لكل ما خص «كارثة الرارنجية» ببلاد ما بين النهرين، فقد أوردت صحيفة وستمنستر في عددها الصادر بتاريخ ٥ آب ١٩٢٠ وتحت عنوان «مسودة جديدة طبقاً للأوامر»^(٩)، خبراً استعرضت فيه المعلومات التي أفادت بأن «الكارثة» التي حلت بالقوة البريطانية في بلاد ما بين النهرين أكثر «خطورة» من الإعلان الرسمي، مشيرة إلى أخبار مؤكدة أنّ الخسائر التي تكبدتها «كتيبة مانشستر»، والمقدّرة بثلاثمئة مقاتل، كانوا جميعهم في عداد القتلى، واصفة رتل مانشستر بـ«المشؤوم»، وهو مكوّن من «كتيبة مانشستر» و«ست بطاريات أسلحة» وعدد من «خبراء الألغام»، مختتمة بتأكيد أنّ «العقيد رايت ومرافقيه الثلاثة» كانوا من بين القتلى^(١٠).

وانسجماً مع تصاعد المواجهات العسكرية يومئذ في بلاد ما بين النهرين، سعت الصحف البريطانية إلى «لفت» أنظار الرأي العام إلى حجم الكارثة التي وقعت في أطراف مدينة الحلّة، من جهة، و«إثارة» اهتمامات القراء، من جهة ثانية، إذ نشرت عدداً من الصحف مقالات وأخبار عن محاصرة «حامية الكوفة»، محرّضة الرأي العام البريطاني على ضرورة «الانسحاب» من البلد الآنف الذكر، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نشرت صحيفة ديلي هيرالد خبراً في عددها الصادر بتاريخ ٥ آب ١٩٢٠ تحت عنوان «صمود الكوفة»، أشار فيه إلى أنّ الحامية البريطانية في «الكوفة» في بلاد ما بين النهرين «صامدة»، منوّهاً بأنّ البلدة «ملتهبة» منذ أربعة أيام^(١١).

Westminster Gazette, 5/8/1920, p. 5.

(٩)

Ibid.

(١٠)

Daily Herald, 5/8/1920, p. 6.

(١١)

من جانبها، كتبت صحيفة نوتنغهام جورنال في عددها الصادر بتاريخ ٦ آب ١٩٢٠ خيراً استعرضت فيه مجمل الأعداد للخسائر البريطانية في «كمين الرارنجية»، وتحت عنوان «بلاد ما بين النهرين، هي ٣٩٨ جندياً في المجمل في الهجوم البريطاني المعاكس». وفي الجدول (٨) فصلت الخسائر على الشكل الآتي:

جدول (٨)

الخسائر البريطانية في معركة الرارنجية^(١٢)

تموز ١٩٢٠

الرتبة	قتيل	جريح	مفقود
ضباط بريطانيون	٢	٤	٢
رتب أخرى بريطانيون	١٠	٢٢	٢٠٥
ضباط هنود	٨	٣٤	٨١
سائقو عربات نقل	-----	-----	٣٠
المجموع	٢٠	٦٠	٣١٨

ولم تقتصر تغطية الصحافة البريطانية على تلك الموضوعات والأخبار والقضايا التي خصت معركة «الرارنجية» فحسب، إنّما أفرد العديد منها مكاناً مميّزاً من صفحاته سلطت فيه الأضواء على «المعاملة الطيبة» للأسرى البريطانيين من قبل العشائر العربية، فعلى سبيل المثال لا الحصر كتبت صحيفة يوركشاير ايفننغ بوست في عددها الصادر بتاريخ ٧ آب ١٩٢٠، تحت عنوان «أنباء طيبة عن السجناء في بلاد ما بين النهرين، هم بخير ويتلقّون معاملة طيبة من العرب»، نقلت فيه تصريحاً رسمياً صادراً عن المكتب الحربي مفاده أنّ السجناء الذين قبض عليهم في بلاد ما بين النهرين أثناء الهجوم على الرتل البريطاني قرب مدينة الحلة تلقّوا «معاملة طيبة»، مشيراً إلى أن الأسرى تمّ جمعهم في منطقة «أبو بكر»، تسعة أميال إلى الجنوب الغربي من مدينة «النجف»، مختتماً بنقل تصريحات «قادة العدو» بأنّ العرب «يفتحرون» بأنّ الأسرى «أمانة مقدّسة» في أيديهم، فضلاً عن تنفيذ أوامر

«الشيوخ» في النجف لمعاملتهم معاملة طيبة^(١٣).

وأطنبت الصحيفة في العدد نفسه في الثناء على أرسال «طبيب» من بغداد يرافقه «رئيس الكهنة» من كربلاء، حاملين معهما شحنة من «الألبسة» و«الخوذ» و«الأدوية» و«وسائل الراحة»، مع «رسالة» تؤكد للسجناء أنهم سيلقون كل اهتمام وعناية^(١٤)، مطالبة العرب بتقديم «قائمة» بأسماء السجناء الذين أُلقي القبض عليهم، مؤكدة بأنها «ستنشر» القائمة بعد الحصول عليها^(١٥).

واصلت صحيفة التايمز اهتماماتها بأخبار الثورة العراقية الكبرى ونتائجها، فقد نشرت، على سبيل المثال، مقالاً تحليلياً في عددها الصادر بتاريخ ٧ آب ١٩٢٠ وسم بعنوان «سباق بلاد ما بين النهرين»، وعلى ما يبدو أنها كتبت بقلم رئيس التحرير آنذاك الصحفي هنري وكهام ستيد^(١٦) (Henry Wickham Steed)، وجاءت أبرز مضامينه ملقية اللوم على الإدارة المدنية في بلاد ما بين النهرين التي تسببت سياساتها «غير الحكيمة» باندلاع الثورة في أغلب مناطق البلاد، وفق نص تعبيرها، منبهة أن الجزء الأكبر من بلاد ما بين النهرين «يغلي بالتمرد»، مسترسلة بأن «هجمات العرب» مستمرة في بغداد والموصل، والحلّة، والرميثة، ممّا تسبّب في وقوع «مئات» القتلى «وأكثر بكثير» من الجرحى والأسرى والمفقودين، وخلال شهر واحد فقط، وفق تعبيرها^(١٧).

وأطنبت الصحيفة في المقال نفسه في الإشادة بجهود البريطانيين لـ «تحرير» العرب، ولتحقيق «الوصاية»، ولتسهيل الطريق للباحثين عن «النفط»، تجاوزت ألف قتيل، فضلاً عن ضياع الوقت في محاولة «عشوية» لفرض إدارة «معقدة» و«مكلفة» على سكان المنطقة العربية الذين «لم يطلبوها ولا يرغبون فيها»^(١٨).

Yorkshire Evening Post, 7/8/1920, p. 5.

(١٣)

Ibid.

(١٤)

Ibid.

(١٥)

(١٦) هنري وكهام ستيد (١٠/١٠/١٨٧١ - ١٣/١/١٩٥٦): صحفي ومؤرخ إنكليزي، شغل منصب رئيس تحرير صحيفة التايمز اللندنية للمدة من (١٩١٩ - ١٩٢٢). للتفاصيل انظر: Steed Henry: Wickham, Through Thirty Years 1892-1922, Vol. I (London: William Heinemann Ltd., 1924).

The Times, 7/8/1920, p. 11.

(١٧)

Ibid.

(١٨)

وواصلت الصحيفة مقالها المطوّل الأنف الذكر حينما عرّجت على تصريح أدلى به السير ويلسون أنّ بريطانيا استقدمت «تسعمائة ألف جندي وضابط» للمدة ١٩١٤ - ١٩٢٠، مبيّناً أنّ النسبة هي «جندي واحد قبالة ثلاثة من السكان الأصليين». مذكّراً بـ «أننا ما زلنا نتبع سياسة متهوّرة وخاطئة» في الشرق الأوسط. ولا زال «علينا إرسال» تعزيزات كبيرة من الهند إلى بلاد ما بين النهرين، في وقت سيكون المرور عبر «الخليج الفارسي»^(١٩) جحيماً للقوات، والأسوأ من ذلك، من خلال الانخراط في هذه الحرب الجادة، نحن نبتل بالكامل «الهدف المعلن لنا» في وديان دجلة والفرات ألا وهي «تعزيز رفاهية هؤلاء الناس» وليس لمحاربتهم^(٢٠).

وبيّنت الصحيفة نفسها أنّه أمسى من الواضح تماماً أنّ المؤامرات التركية، والتحفيزات البلشفية، لم تكن ذلك الدافع الذي يفسّر لنا «العداء الذي يظهر لنا من قبل العرب في بلاد ما بين النهرين»، إذاً هي أسباب «محلية» تمثّلت بوجود «معارضة»^(٢١)، مؤكّدة وجود أسباب أخرى دافعة لهذا التصعيد الشعبي في بلاد ما بين النهرين، وقد أشّر الباحث هنا باقتباسها لأهميتها آنذاك لدى جمهور القراء الإنكليز لا بل وسواهم:

«إنّها ليست مناقشات خفيفة مع عدد قليل من المتمرّدين العنيدين المدفوعين من الأتراك، فعندما تواجه كتيبة الإغاثة ثلاثة خطوط من خنادق العرب المسلّحين برشاشات وبنادق وقنابل، فإنّ هناك شيئاً أكثر من مجرد [انتفاضة متفرّقة] يتعيّن مواجهتها، وعندما يتمّ قطع سكك الحديد التي تعود بالنفع لنا، ويتم الاستيلاء على محرّكاتنا وشاحناتنا، ويتمّ تمزيق أسلاك البرق الخاصة بنا، فإنّه حان نزع قناعنا كمحرّرين. والحقيقة الواجب بيانها أنّ انعدام السيطرة والتوقعات غير الدقيقة من قبل حكومة بريطانيا، سمحت لمسؤولين «طموحين» النزول إلى الميدان لفرض نظام إداري منظّم بشكل كبير على شعب بلاد ما بين النهرين يفوق احتياجاتهم، وفرض ضرائب تجاوزت قدرتهم على تحملها. وقد بلغت عام ١٩٢٠ ما يعادل نصف ميزانية ما قبل الحرب لعام ١٩١٣. مثل هذا الجنون لا يمكن أن يستمر. يجب أنّ

(١٩) هكذا ورد في أصل النص.

(٢٠)

The Times, 7/8/1920, p. 11.

Ibid.

(٢١)

تراجع الحكومة سياستها كاملة في الشرق الأوسط، وسحب كل الجنود، وتعديل بلا رحمة خطط الحاضر للقوات المتمركزة في بلاد ما بين النهرين. إلا أنّ رائحة النفط أزكمت أنوفنا»^(٢٢).

وسلّطت صحيفة ساندي مرر في عددها الصادر بتاريخ ٨ آب ١٩٢٠، الأضواء على مضامين تقرير وسم بعنوان «حان الوقت للتفرغ لشؤوننا الداخلية» لعضو مجلس العموم السير «هوراشيو بوتوملي» (Horatio Bottomley M.P)^(٢٣)، دعا في مقال له الحكومة البريطانية «سحب القوات» من بلاد ما بين النهرين والتركيز على «المشاكل الداخلية»، معتبراً أنّ المناضل البريطاني عدّ الحرب «مغامرة متهوّرة»، تنذر بالشّر على الرغم من أنّ معاهدة فرساي كانت من المفترض أن تعيد سلام العالم وتقدّم ضمانات للسلام الدائم، إلا أنّ بريطانيا العظمى لا تزال في حالة حرب، وشعبها يتنهد تحت التزامات عسكرية ثقيلة، وقواتها مشغولة هنا وهناك في «مغامرات» عسكرية «يائسة»، غير معلومة النهاية وفق نصّ تعبيرها^(٢٤).

تُظهر هذه الاهتمامات «اليومية» في الصحافة البريطانية خلال شهر آب ١٩٢٠، عمق هذا الاهتمام وحجمه بدراسة أدقّ التفاصيل عن «الثورة» لما شكّلتها من أهمية كبيرة في المنظور العسكري البريطاني للعراق.

فلا غرو إذ نجدّها بين الفينة والأخرى تركّز في منشوراتها على تفاصيل «محدّدة» بذاتها من أخبار العراق، أو التذكير بقرب مرحلة «إخماد لهيب الثورة» من

Ibid.

(٢٢)

(٢٣) هوراشيو بوتوملي إم بي (٢٣/٣/١٨٦٠-٢٦/٥/١٩٣٣): سياسي وصحفي بريطاني، وعضو البرلمان البريطاني عن الحزب الليبرالي في جنوب منطقة هاكني، دائرة انتخابية في المملكة المتحدة، للمدة (١٩٠٦ - ١٩١٢). أسّس وترأس تحرير مجلة جون بول (John Bull)، عرف بخطابه الملتهب واستخدامه للدعاية، واجه اتهامات بالاحتيال على المستثمرين بخصوص شركات تعدّين الذهب وبيع الأسهم. تمت إدانته بالاحتيال وحُكم عليه بالسجن لمدة ٧ سنوات، بعد خروجه من السجن استمر في التعليق على الشؤون السياسية كصحفي بعد خسارته مقعده في البرلمان البريطاني. دعم المصالح الإمبراطورية البريطانية وانتقد أولئك الذين يريدون الحكم الذاتي للمستعمرات البريطانية. كان صوتاً مؤثراً ومثيراً للجدل في بريطانيا في أوائل القرن العشرين. للمزيد انظر: Sidney Theodore Felstead, *Horatio Bottomley A Biography of an Outstanding Personality* (London: J. Murray Publishing, 1936), p.246.

Sunday Mirror, 8/8/1920, p. 4.

(٢٤)

خلال إعادة نشر مقالات وموضوعات بعينها عن «هدوء حذر» هنا أو هناك في بلاد ما بين النهرين في محاولة واضحة، إن جاز لنا التعبير، تداعب مشاعر الرأي العام البريطاني، أو حتى محاولة إيهامه بقرب انتهاء «الاضطرابات العشائرية».

فعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت صحيفة لانكشاير إيفننغ بوست خبراً مقتضباً في عددها الصادر بتاريخ ١٢ آب ١٩٢٠، أكدت فيه أن لا مؤشرات جديدة لانتشار «الاضطرابات»، مضيفاً أنّ اللواء العائد من الديوانية وصل إلى الحلة، بعد «تدمير قرى المتمردين» على طول الطريق الرابط بين الديوانية والحلة، مشيراً إلى أنّ المتمردين «محبطون» خاصة مع بدء التعزيزات في الوصول من الهند^(٢٥).

وظلت أقلام الصحفيين تطرح جملة استفسارات حول ما يجري في بلاد النهرين من «انتفاضة» عمّت أغلب مدنه، إلا أن الملفت للنظر بحسب صحيفة التايمز تركّز الثورة في منطقة الفرات الأوسط على الرغم من غناها ومواردها الزراعية المثمرة، وهو أمر دفع الصحيفة إلى نشر مقال مطوّل في عددها الصادر بتاريخ ١٦ آب ١٩٢٠، وسم بعنوان «حقيقة سياستنا تجاه بلاد ما بين النهرين»^(٢٦)، طالبت فيه بقوة اتخاذ الحكومة البريطانية جملة إجراءات سريعة في بلاد ما بين النهرين تشتمل على: أولاً، بيان واضح حول الوضع الحالي للتمرد في بلاد ما بين النهرين؛ ثانياً، توضيح لأسباب هذا التمرد؛ وثالثاً، إعلان واضح وصريح للسياسة المستقبلية في بلاد ما بين النهرين. مضيفة نحن بحاجة إلى أخبار عن الثكنة العسكرية البريطانية المحاصرة في الكوفة منذ أسابيع. ما تعدادها وممن تتكون؟ وما حجم القوة المحاصرة لهم من العرب؟ وما الصعوبات الخاصة التي منعت «جيشنا» هناك من إنقاذ الحامية في الكوفة؟ فالكوفة قريبة من الحلة، وليست بعيدة أيضاً عن بغداد. لا نفهم لماذا يجتمع المندوبون في بغداد بخصوص «مناقشة قانون الانتخابات» بينما تعاني «حامية بريطانية» من الحصار، معتبراً أنّ السلطات المدنية في بلاد ما بين النهرين «موهوبة» بشكل غير اعتيادي في ممارسة «فنون الدعاية». كما أكد المقال أنّ الصحف البريطانية، ومنها صحيفة التايمز، تتطلّع للحصول على الأخبار المتعلقة بالموصل، وتلك الأخبار المتعلقة بوسائل النقل، موضحاً أنّ التعزيزات العسكرية الهندية لا تشير

Lancashire Evening Post, 12/8/1920, p. 6.

(٢٥)

The Times, 16/8/1920, p.11.

(٢٦)

إلى قرب انتهاء المشاكل في بلاد ما بين النهرين، «فما طبيعة هذه المشاكل الحقيقية؟ لم نخبرنا الحكومة أبداً بأصلها»، إن الأمر الأهم بحسب المقال أنّ التمرد في الفرات الأوسط وقع في مناطق كانت في الواقع خارج منطقة القتال في أثناء الحملة البريطانية عام ١٩١٤، فضلاً عن أنّ التمرد وقع بشكل رئيس في مناطق مستوطنة مزدهرة تمتد إلى أراضي مزروعة بشكل جيد. وتساءلت الصحيفة: هل اندلعت بسبب الضرائب المفرطة؟ ما الدافع الحقيقي للجوء العرب إلى السلاح؟ هل سيكون من الصحيح الاستمرار في الاحتفاظ ببلاد ما بين النهرين بقوة لا تقل عن «مائة ألف جندي» يضاف إليهم جيش آخر من المسؤولين البريطانيين؟ وما الذي «حققناه» من حملة عسكرية في مناطق زراعية مثمرة ضد شعب شك في إنسانيتنا المزعومة؟ وهل هم مستأثرون حقاً من جباة الضرائب؟ واختتمت الصحيفة مقالها بالتأكيد على أن يكون هدف بريطانيا المعلن والصريح سحب القوات العسكرية من بلاد ما بين النهرين بأسرع ما يمكن، فضلاً عن سحب المسؤولين البريطانيين، باستثناء بعض المستشارين^(٢٧).

مع تصاعد أطوار لهب الثورة العراقية الكبرى تصاعدت معها الأصوات الداعية إلى خروج «سريع» للقوات البريطانية، فعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت صحيفة بيدلز اند هيرتس بكتوريال (*Beds and Herts Pictorial*) مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ١٧ آب ١٩٢٠، تحت عنوان «مشاكلنا المحلية» رأت فيه أنّه بات من الضروري التفكير بالمشاكل المحلية لبريطانيا، داعية إلى ترك جميع «المغامرات الخارجية» وإيقاف جميع الحملات العسكرية المكلفة، مشددة بالقول «أكّرر أنّه يجب علينا أن نبدأ الاهتمام بشؤوننا الخاصة، كما يجب علينا الخروج من بلاد ما بين النهرين»، التي يجب أن تتاح لها فرصة لتأسيس «إمارة عربية»، يحكمها «أمير عربي»، كما يجب «علينا الخروج من فلسطين»، وأن نتوقف عن «التظاهر» بأن فلسطين هي «دولة يهودية»، معتبرة أنّ اليهودية دين سماوي لا عرق بشري^(٢٨).

بينما عدت صحيفة ويسترن ديلي بريس في عددها الصادر بتاريخ ١٩ آب ١٩٢٠ وتحت عنوان «بلاد ما بين النهرين: سياسة راهنة تقارب الجنون» أنّ المسار

The Times, 16/8/1920, p. 11.

(٢٧)

Beds and Herts Pictorial, 17/8/1920, p. 6.

(٢٨)

الصحيح الوحيد المتاح أمامنا هو «تغيير سياستنا» في بلاد ما بين النهرين، منبهة إلى أنّ بقاء «السياسة الحالية» إزاء عشائر الفرات الأوسط يعني شيء واحد وتحدّ ألا وهو «تصاعد الأحداث»، وهو أمر يتطلّب معه استدعاء جنود إضافيين. وفي ظل هكذا احتمال، فإن «إصرار الوزارة على مواجهة العرب الراضين لنا تعني ضرباً من سياسة الجنون»^(٢٩).

وجاءت أخبار مقتل «ليتشمان» (Gerard Evelyn Leachman) الضابط في «فرقة ساسكس الملكية»، لتلقي بظلالها على الصحف البريطانية، فعلى سبيل المثال لا الحصر عدّت صحيفة سكوت مان في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ آب ١٩٢٠، وتحت عنوان «غدر العرب» أنّ مقتل «ليتشمان»، الضابط السياسي في «لواء الدليم» عمل «غادر» نُقِذ في الفلوجة في ١٢ آب، بعد أن أمضى الليل مع رئيس قبيلة الزوبع، إلا أن «نجل شيخ زوبع» أراده قتيلاً بينما كان يتنقل في عربته^(٣٠).

وأطنبت الصحيفة في بيان سيرة العقيد «المغدور»، واصفة إياه بكونه «ضابطاً متميّزاً»، ولد في ٢٧ تموز ١٨٨٠، وهو نجل الدكتور ليتشمان فيرلي (Dr. Leachman Fairley)، تلقى تعليمه في مدرسة كارتهاوس (Charterhouse)، التحق بالجيش عام ١٩٠٠، رُقي إلى رتبة نقيب عام ١٩١٠، ومن ثمّ إلى رتبة رائد عام ١٩١٥، وأخيراً، إلى رتبة مقدّم في عام ١٩١٦، مشيرة إلى أنّه خدم في جنوب أفريقيا للمدة (١٨٩٩ - ١٩٠٢)، خاض بعدها الحرب في بلاد ما بين النهرين للمدة (١٩١٤ - ١٩١٧). حاز على ميدالية الجمعية الجغرافية الملكية، وذلك بفضل رحلاته شمال شرق شبه الجزيرة العربية، فضلاً عن حصوله على وسام الامبراطورية البريطانية، وقد شغل المقدم ليتشمان منصب المساعد للشؤون السياسية في البصرة^(٣١).

وانسجماً مع الاهتمام الملفت للنظر لصحيفة التايمز، أولت الصحيفة نفسها في عددها الصادر بتاريخ ١٧ آب ١٩٢٠، مقالاً لها، وسم بعنوان «قتال عنيف على أرض النهرين»، أوضحت فيه أنّ بلاد ما بين النهرين أمست أكثر هدوءاً، واستدركت: «لا بدّ من استذكار ملخصات الاشتباكات العنيفة مع العرب»، كان من بينها إحدى

Western Daily Press, 19/8/1920, p. 8.

(٢٩)

The Scotsman, 20/8/1920, p. 5.

(٣٠)

Ibid.

(٣١)

المعارك التي «اشتبكنا» فيها مع ٢٠٠٠ فرد، بينما لا تزال القوات الموجودة في «الكوفة»، على نهر الفرات ٩٠ ميلاً جنوب بغداد، محاصرة منذ أسابيع، وفق نص تعبيرها. كما وصل اللواء ٣٤ من الديوانية، ٩٥ ميلاً جنوب بغداد، وفي الرابع من شهر تموز، وعند معبر فرع الحلة على نهر الفرات، شهد قتالاً خطيراً أيضاً، حيث اقتحمت قوات «الجورخا»^(٣٢) (Royal Gurkha Rifles) قرية بالقنابل وقتلت ٢٥٠ من العرب، وتم تفريق فرقة عربية قوامها ٢٠٠٠ فرد بنيران القذائف قتل منهم ٢٠٠ شخص^(٣٣).

وتعرّضت صحيفة بلفاست نيوز ليدر إلى الأوضاع في مدينة ديالى وما جاورها يومذاك، فقد أوضحت في مقال خبري لها في عددها الصادر في ٢١ آب ١٩٢٠، وتحت عنوان «تقرير وزارة الحرب»، مشيراً إلى أنّ «التمرد» بلغ مدن «بعقوبة» و«خانقين»، وهو أمر دفع بالقوات البريطانية إلى إنشاء «دفاعات» قرب «سكة الحديد» في بعقوبة ومناطق أخرى، كما أفادت بمقتل عدد من الضباط في ١٥ آب ١٩٢٠ إثر معركة استمرّت ثلاثة أيام^(٣٤)، وأوضحت الصحيفة أن الحامية البريطانية في جنوب مدينة «كفري» تعرّضت لحصار شديد، وأمّا «غرب بغداد» فشهد اشتباكات مسلّحة بين «سيارات مدرّعة» و«رصاص» «المتمردين» في الطريق الواصل بين الفلوجة وبغداد، كما تمّ «تأمين» السكة الحديد من الحلة وحتى بغداد بخطوط مُحصّنة، منوّهة بأنّ الأحوال الجوية الحارة أعاقَت كثيراً العمليات، فضلاً عن انخفاض منسوب النهر، وهو أمر صعب معه الحفاظ على الاتصالات وخدمات الإمداد عن طريق الأنهر^(٣٥).

(٣٢) الجورخا: تشكيل عسكري نيبالي يخدم في الجيش البريطاني، تأسس عام ١٨١٥ خلال حروب الإمبراطورية البريطانية في الهند، يتكوّن من جنود من قبائل الغورخا في نيبال، عرف عنهم الشجاعة والانضباط القتالي العالي، كان لهم أدواراً رئيسة في الحروب التي خاضتها بريطانيا. حاربوا إلى جانب الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى. شاركوا في قمع ثورة العشرين في العراق عام ١٩٢٠. للمزيد انظر: Army Headquarters, India, Indian Army List January 1919, Vol. 2, pp.1595-1599.

The Times, 13/8/1920, p. 11.

(٣٣)

(٣٤) وهم: الكابتن دبليو. تي (W. T.) . مساعد الضابط في منطقة شهربان، والكابتن ج. ت. برادفيلد (Captain J. T. Bradfield)، قائد الليفيز، والرقيب أول نيوتن (Newton, W. G)؛ والرقيب المدرب ن. ل. نيسبت (N. L. Nisbett) و إي. ل. بوكانان (E. L. Buchanan)، ضابط مساعد ري الزراعي.

Belfast News-Letter, 21/8/1920, p. 5.

(٣٥)

من جانبها، كتبت صحيفة يوركشاير بوست اند ليدز إنتليجنسر مقالاً مطوّلاً في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ آب ١٩٢٠، وسم بعنوان رئيس «تمرد العرب: هدوء في بلاد ما بين النهرين» استعرضت فيه آخر التطورات العسكرية في بلاد ما بين النهرين، والتي اتسمت عموماً بـ«الهدوء»، مشيرة إلى تنفيذ حملات عسكرية «عقابية» ضد «العرب» في الحلة والهندية، وبينت الصحيفة أنّ «الموصل» تشهد حالة «هدوء» أيضاً. وأضافت أخباراً بحدوث اشتباكات خفيفة مع «الزيباريين» في «كركوك»، أما «خانقين» فهي الأخرى» تنعم بالهدوء». وأبلغت الصحيفة بوصول قافلة إلى «شهربان» مزوّدة بالمؤن والذخيرة، كذلك فإنّ «بغداد» و«الفلوجة» شهدت حالة من «الهدوء الحذر»^(٣٦).

وأطنبت الصحيفة ذاتها في عددها الآنف الذكر في عنوان فرعي ثانٍ في الإشادة بـ «شخصية العقيد ليتشمان العظيمة»، تناولت فيه هذه الشخصية، موضحة أنّ «اسم ليتشمان» سيُخلّد بعد أن قتله «العرب الثرثارين»، مبيّنة أنّ ليتشمان مثل «القانون الصارم» في العديد من مخيمات العرب البرية والقرى، وكانت آراءه واضحة في «وجوب» معاقبة مرتكبي الجرائم، فضلاً عن كونه «يشم» المشاكل، متوجّهاً إلى مركز العاصفة بالاستعانة باثنين أو ثلاثة من الشرطة العرب. وأضافت الصحيفة أنّ العقيد ليتشمان نجح في جعل العرب يعتقدون أنّه «صديق لهم لا عدو»، فكثيراً ما كان يتجوّل وسط العرب من دون أي سلاح في وسط مجموعة من المسلّحين من العشائر، مخاطباً إياهم بثبات أنّه سيضعهم بأكملهم في السجن إن لم يستمعوا له. وبينت الصحيفة رأيها بأنّه بالنسبة إلى الاعتماد على تلك العشائر لا يمكن للمسيحي أن «يثق بها تماماً»^(٣٧).

ونشرت صحيفة ذا سفير في عددها الصادر بتاريخ ٢٨ آب ١٩٢٠ مقالاً مهماً بقلم الجنرال هالدين تحت عنوان «الاضطرابات في بلاد ما بين النهرين»، بيّن فيه أنّه «لا يمكن فعل كثير للتعامل مع العرب حتى وصول التعزيزات من الهند»، مذكراً بتعدّد وجهات النظر حول أسباب «الاضطراب» في العراق، مشيراً إلى رأي المقدّم السابق لورنس الذي عدّ «الإدارة المدنية» للبلد «المغلوب عليه» السبب وراء تلك

Yorkshire Post and Leeds Intelligencer, 23/8/1920, p. 7.

(٣٦)

Ibid.

(٣٧)

الاضطرابات، وهو أمر أدى إلى إثارة استياء سكّان البلاد.

وأضاف الجنرال هالدين في مقاله في الصحيفة ذاتها، أنه من وجهة النظر العسكرية، فالبلاد «غير مضيافة» وشاسعة، فضلاً عن كون جزء كبير من سكانها «جائعاً للطبيعة» و«مقاتلاً»، امتلك ما يزيد على «مائتي ألف» قطعة سلاح ناري حديث، معتقداً أنه ونتيجة لهذه الظروف كان من غير الحكمة «تشيتت قواتنا» في جميع أنحاء البلاد، مستشهداً بمقولة شهيرة لنابليون بونابرت حين استعمالها في شبه الجزيرة الإيبيرية خلال حروبه في أوروبا «بتي بوكيه» (petits paquets)^(٣٨). مذكراً أنّ بلاد ما بين النهرين شهدت في الآونة الأخيرة (آنذاك) مزيداً من «الاضطرابات المحلية» بشكل مثير للقلق، وأنّ الوضع متجه إلى «حرب ضروس على ما يبدو»، وفق نص تعبير جنرال هالدين، نافياً في الوقت عينه أن تكون «حرباً محدودة»، نظراً إلى المشاركة أكثر من «مائة ألف من قواتنا» في مواجهة تلك الاضطرابات، مختتماً مقاله بالتذكير أنّ «الوضع كلّه خطير»: وذيل العميد. الجنرال سير جيه. أ. إل. هالدين، القائد العام في بلاد ما بين النهرين^(٣٩)، المقال المذكور بتوقيعه.

وتابعت الصحف البريطانية بشكل حثيث أخبار الثورة وتطوّراتها الميدانية، فقد نشرت صحيفة شيفيلد إيفنينغ تلغراف في عددها الصادر في ٣٠ آب ١٩٢٠، مقالاً عنوانه «بلاد ما بين النهرين: لا تغيير ملموس في الوضع الخطير»، مبينة في ثناياه تصريح وزارة الحرب الذي أفاد بأنّ الوضع في بلاد ما بين النهرين لم يتغيّر بشكل

(٣٨) مصطلح "petits paquets": تعبير فرنسي يستخدم لوصف استراتيجية عسكرية معينة لتوزيع القوات العسكرية على مناطق صغيرة ومنفصلة بدلاً من تجميعها في مواقع مركزية. يعني الأمر أنّ القوات تُنشر في مناطق محدّدة ومنفصلة بحيث يكون الفصل بينها وبين بعضها البعض سهلاً، وهذا قد يجعلها عرضة للهجمات والتفرقة والهزائم، وقد استخدم نابليون بونابرت هذا المصطلح لينتقد استراتيجية القوات البريطانية في شبه الجزيرة الإيبيرية خلال حروبه في أوروبا حين قام الجنرال البريطاني آرثر ويليسلي بتوزيع قواته في مواقع منفصلة ومنتشرة في إسبانيا والبرتغال، ممّا جعلها عرضة للهجمات الفرنسية وصعوبة التنسيق والدعم بين الوحدات. وبهذا المعنى، أنّ نابليون استخدم مصطلح "petits paquets" لتشكيك في استراتيجية القوات البريطانية وللتنبية إلى أنّها قد تكون غير فعّالة في مواجهة قواته. للمزيد انظر:

Napoléon, Editions Le Manuscrit, 2001, p. 321.

The Sphere, 28/8/1920, p. 8.

(٣٩)

Sheffield Evening Telegraph, 30/8/1920, p. 4.

(٤٠)

ملموس، فالتقارير أشارت إلى أنّ العشائر في منطقة الفلوجة أصبحت الآن معادية إلا أنّ اتصالاتنا مستمرة مع شيوخهم^(٤٠).

وأطنبت الصحيفة في مقالها نفسه بقطع السكة الحديد، خط بغداد - الموصل، بالقرب من بلد يوم ٢٣ آب، وأشارت إلى وجود علامات تنذر بزيادة الاضطرابات في سامراء، شمال شرق بغداد، وأفادت أنّ كلاً من بلدات بعقوبة وشهربان تحت سيطرة رجال العشائر. وأمّا كركوك، فقد فشلت الهجمات التي نفّذتها جماعات صغيرة من العرب على عدد من المواقع الصغيرة على طريق كفري - كركوك، في حين شهدت السليمانية هدوءاً ثابتاً^(٤١).

وتعرّضت صحيفة دندي كورير إلى الأوضاع الميدانية للثورة في بلاد ما بين النهرين يومذاك، فقد أوضحت في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ٣١ آب ١٩٢٠، تحت عنوان «أخبار مشؤومة من بلاد ما بين النهرين» حجم الشوار وقوّتهم في التصديّ للهجمات البريطانية القمعية التي لحقت بهم جرّاء الاستعمال المفرط للقوة، وبيّنت فيه أنّ الوضع في منطقة «المنتفق» مازال وأمسى مروّعاً، أمّا الوضع حول السماوة فلا زال يسبّب «لنا» قلقاً متواصلاً، فيما شهد الفرات الأوسط هجوماً واسع النطاق في مدينة الحلة^(٤٢).

وواصلت الصحف المصورة اهتمامها ببلاد ما بين النهرين، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما نشرته إحدى الصحف في عددها الصادر بتاريخ ٢٨ آب ١٩٢٠، وتحت عنوان «متاعب في بلاد ما بين النهرين وبولندا»، علّقت فيه على صورة لجسر رابط بين ضفتي بغداد، ومما جاء في التعليق:

«جسر المراكب الذي يربط بين شطري بغداد وهي أكبر مدينة في بلاد ما بين النهرين. يبلغ عدد سكانها حوالى ٢٠٠ ألف نسمة، وتتكوّن من خليط كبير من الأتراك والعرب واليهود والأرمن، والفرس، والعديد من الأجناس الأخرى، على الرغم من أنّ الفئتين السابقتين هما الراجحتان بالطبع. وتقع المدينة على ضفتي نهر دجلة، لكنّ الضفة اليمنى هي الأهم».

Ibid.

(٤١)

Dundee Courier, 31/8/1920, p. 5.

(٤٢)

ويبدو واضحاً من خلال ما تقدم أن الصحافة البريطانية سلطت الأضواء على مجريات العمليات الحربية في بلاد ما بين النهرين لمواجهة «الثوار»، مركزة في نقل أخبارها وتحليلاتها على الصُّعد كافةً اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، وهو اهتمام ازداد مع تصاعد وتيرة تصدي «عشائر الفرات الأوسط» للقطعات العسكرية وأساليبها «الدموية» في مواجهة مطالب الشعب المشروعة بتحقيق السيادة الوطنية، وهو أمر أظهر وبوضوح بداية «تبلور» الهوية الوطنية للعراقيين كافة، لينعطف انعطافة تاريخية كبيرة مع تصاعد حدّة التنافس الدولي بين الدول الكبرى على المنطقة عموماً، والعراق على وجه الخصوص، وهو تنافس تحوّل إلى «سجلات سياسية» ومن ثمّ إلى «مقرّرات جماعية» بضرورة تنفيذ مقرّرات مؤتمر سان ريمو بوضع العراق تحت «الانتداب البريطاني»، وهو أمر أدّى إلى «اتساع» دائرة الرفض الجماهيري «المسلح» لخطط الدول الكبرى، والتي أثمرت انتشار رقعة الثورة العراقية الكبرى لتشمل مدناً أخرى، وهي مواجهة وصلت في أوجها في شهري أيلول وتشرين الاول عام ١٩٢٠. وهذه الصفحة المشرقة من تاريخ العراق المعاصر عالج الباحث سطورها في ثانياً الفصل الثاني عشر.

الفصل الثاني عشر

مواقف الصحافة البريطانية من نهاية الثورة حتى ٣٠ تشرين الأول ١٩٢٠

توافقاً مع زيادة اهتمام التغطية الصحفية البريطانية لمجريات العمليات العسكرية ضد «تمرد عشائر الفرات الأوسط» في بلاد ما بين النهرين آنذاك، وعلى حدّ تعبيرها، بدأ «إيقاع الإعلام البريطاني» بصحافته متصاعداً شيئاً فشيئاً حول جوانب عدّة غطّتها الصحف البريطانية إزاء العراق، والتحريض تارة بالدعوة لـ «قمع» الثورة، وبين الدعوة «للانسحاب الفوري» من أرض العراق تارة أخرى، في «تناغم» واضح مع المسعى الحكومي البريطاني وخططه إزاء «الثوار»، وهو تناغم ازدادت حدّته وزخمه مع اقتراب الثورة من شهرها الثالث، وهذا الزخم عبّرت عنه معظم الصحف في تغطيتها الخبرية بـ «ربطها» ما يجري من أحداث مسلّحة في بلاد ما بين النهرين بدعم «تركي» تارة، و«بلشفي» تارة أخرى، وهي تغطية مؤيدة شابها بعض «الفتور» واللّوم بل، وحتى «التفريع» جراء الانتكاسات التي تعرض لها الجيش البريطاني في العراق.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، نشرت صحيفة سكوت مان في عددها الصادر بتاريخ ١ أيلول ١٩٢٠ خبراً تحت عنوان «انتشار التمرد على نطاق واسع» أوضحت فيه انتشار «التمرد» في نهر الفرات الأدنى والقرنة وعند مصبّ شطّ العرب، مشيرة إلى استمرار رجال العشائر «التعرض» للقوات البريطانية بشكل يكاد أن يكون «يوميّاً»، منوّهة إلى تمكّن إحدى الطائرات الإنكليزية من إنقاذ «الموظف السياسي»

(١) بلغت الاضطرابات أوجها عندما اعتُقل عدد من القادة الذين على ما يبدو كانوا يهدفون إلى خلق حالة من الفوضى، ويتبعها بعد ذلك تجديد السيادة التركية. وقد أفاد المفوض المدني بأنّ هذا =

في الشطرة، شمال الناصرية^(١)، من دون بيان أي تفاصيل عن شخصيته^(٢).

وأفردت صحيفة برمنغهام ديلي غازيت في عددها الصادر بتاريخ ١ أيلول ١٩٢٠ جزءاً حيوياً من إحدى صفحاتها في التعريف وتتبع العمليات المناوئة للـ«المتمردين» الذي نشرت عنوانه اختصاراً بـ«استعادة بعقوبة»^(٣)، منوّهة بتمكّن القوات البريطانية من استعادة محطة سكك حديد بعقوبة فيما لا تزال «شهربان» و«قرلرباط» في قبضة «العدو»، وفق تعبيرها، موضحةً أنّ رتلاً للواء الرابع والثلاثين تمكّن من التقدّم صوب منطقة «الإمام حمزة»، قرب الحلة، فضلاً عن اتخاذ القوات البريطانية سلسلة من «العمليات العقابية» في منطقة الحي، قرب الكوت، وهو أمر دفع «الثوار» إلى التعرّض لتلك القوات، ممّا دفع تلك القوات إلى استعمال الطائرات لوقف تعرض الثوار. منوّهة بـ«قصف الطائرات» لما أطلقت عليه الصحيفة بـ«المتمردين» قرب الحلة، مختتمةً بأن «الرمادي» سادها «الهدوء» آنذاك نتيجة لما وصفته الصحيفة بـ«تعاون شيوخ عشائهم معنا»^(٤).

= الإجراء كان له أثرٌ مرضي على القبائل بشكل عام، لكن سادت حالة من الاضطرابات في منطقة الناصرية. للتفاصيل أنظر أصل الوثيقة:

Winston S Churchill Memorandum Former Reference, Situation in Mesopotamia, CAB 24/109/49, 17 July 1920, p. 2

The Scotsman, 1/9/1920, p. 7.

(٢)

(٣) أشار وزير الحرب الجنرال ونستون تشرشل في إحدى الوثائق السرية إلى تطوّرات الوضع في بعقوبة ومدن أخرى، جاء فيها: «يؤسفني أن أبلغ عن وقوع المزيد من التطورات السيئة على الوضع، فقد تعرّض مخيم اللاجئين في بعقوبة إلى القصف. كما تعرّضت مدينة بعقوبة لأعمال السلب على يد مجموعة من الرّعاع من المدينة، مدعومين برجال القبائل. وقد تعرّضت مدينتا المقدادية والسعدية إلى عمليات سلب، ولم يُعرف فيما إذا قُتل الضابط السياسي، أو أنّه قد أُلقي القبض عليه. وفي خانقين، أُضرمّت النيران في المكاتب الحكومية وفي منزل الضابط السياسي، وأُجبر الضابط السياسي وزوجته وعائلته على اللجوء إلى نهاية خط السكة الحديد. وقد تعرّضت مفارزنا العسكرية في منطقتي قرصة وقورجا (حيثُ تعدّ الأخيرة نقطة التّقاء خط الكفري مع الخط الرئيسي القادم من بغداد نحو الحدود الفارسية). كما أُضرمّت النيران في عدّة جسور. ولذلك فقد قُطعت خطوط الاتصالات مع مفارزنا العسكرية في الكفري وكركوك، ولن يكون من الممكن إنقاذهم لبعض الوقت. وقد قُطعت الطريق بين مفارزنا العسكرية في الرمادي والفلوجة مع بغداد. للمزيد انظر:

Winston S Churchill, Reinforcements for Mesopotamia. Memoranda (GT, CP and G War Series), CP Series, Papers no., CAB-24-110-91, 3/8/1920, p. 2.

Birmingham Daily Gazette, 1/9/1920, p. 1.

(٤)

وانظر أيضاً صحيفة شيفيلد إندبندنت في عددها الصادر بتاريخ ٣ أيلول ١٩٢٠ وتحت عنوان «عشر ساعات من القتال»، وصحيفة «سكوت مان»^(٥) تحت عنوان «هيجان العرب»^(٦) أن كلاً من هيت والرمادي «تنعم»^(٧) بالهدوء، نظراً «للتعاون النشط معنا» من قبل زعماء عشيرتي «الدليم والعنزة» وفق نص تعبيرهما^(٨).

ويبدو جلياً للمتتبع أنّ الإشارة المتكررة في الأخبار الواردة من مكتب الهند العسكري إلى الصحف البريطانية، والذي أخذ تسمية «العمليات العقابية» كان الغرض منه «محاولة شرعنة» العمليات العسكرية التي وصفتها بعض الصحف البريطانية بـ«المفرطة القوة» من جهة، ومحاولة «إيهام» الرأي العام البريطاني إلى أنّ ما يجري في العراق إنّما هو «خروج» لثلة من رجال العشائر على «القانون» وعلى سلطة «الإدارة البريطانية» بغير وجه حق، فهم كما تصفهم بـ«المتمردين»، وهو أمر يوحي للقارئ القابع عبر آلاف الكيلومترات أنّ قوات بلادهم تخوض «حرباً شرعية» مع من عدّتهم مدفوعي الأجر «تركيّاً» تارّة، و«بلشفيّاً» تارّة أخرى؛ لذا، فإن الوسيلة الأسهل لتغيير إدراك الجمهور هي من خلال «إغراق» الجمهور بمعلومات «مُضللة» تجبره على تغيير تصوّره عن الواقع كما هو في الحقيقة؛ ليستبدله بصورة أخرى «زائفة»، وهي إستراتيجية تعتمد إلى خداع القارئ باختزالها الواقع في تعبير لفظي متكرر كما استعمله مكتب الهند العسكري مراراً وتكراراً وهو «العمليات العقابية»، ومن ثمّ تُضخّمها وتُصوّرُها بما يفوق قدرها لإيهام القارئ أنّ ما تمثّله هذه الصورة هو الحقيقة الطاغية وليست الاستثناء، تماماً كما نقلته بعض الصحف البريطانية، وتغافلت عن حقيقة «شرعية» مطالب الشعب العراقي بالحرية والاستقلال.

ونشرت صحيفة ويسترن ديلي بريس تقريراً خبرياً في عددها الصادر بتاريخ ١

The Scotsman, 3/9/1920, p. 5.

(٥)

Ibid.

(٦)

(٧) أشار وزير الحرب ونستون تشرشل في إحدى الوثائق السرية إلى طبيعة هذا الهدوء، ومما جاء في الوثيقة: «وفقاً للتقارير الواردة من مدينة الرمادي، فإنّ سكان المدينة يقدّمون لنا العون بفعالية، ويحاولون الحفاظ على الطريق الواصل بين الرمادي والفلوجة مفتوحاً»، للمزيد انظر:

Winston S. Churchill, Reinforcements for Mesopotamia, CAB 24/111/29, 2/9/1920, p. 1.4.

Sheffield Independent, 3/9/1920, p. 1.

(٨)

أيلول ١٩٢٠، تحت عنوان «الذخيرة في بلاد ما بين النهرين»، مشيرةً إلى أنّ «الأحداث» في بلاد ما بين النهرين اتجهت نحو «الأسوأ»، إذ انتشرت «الروح العدائية» بسرعة «غير معهودة» بين العشائر العربية، وهذا كلّه راجع إلى تأثير «الملالي» من «النجف وكربلاء» على تلك العشائر، وفق نصّ تعبيرها، الذين أذكوا نار «الجهاد» معلّنين «الحرب المقدّسة» ضد «قواتنا»، مختمةً بأنّ توظيف «التعصّب الديني» في الأحداث الجارية في العراق «مثير للقلق»، وعلى ما يبدو أنّه بفعل تأثير «الأثرالك»^(٩).

كما نشرت صحف: ديلي مرر^(١٠) ويسترن تايم^(١١) دندي كورير^(١٢) ليدز ميركوري^(١٣) ويسترن ديلي بريس^(١٤) بلفاست نيوز ليدر^(١٥) شيفلد ديلي تلغراف^(١٦) نوتنغهام جورنال^(١٧) وستمنستر غازيت^(١٨)، بالخصوص نفسه في أعدادها الصادرة بتاريخ ٣ أيلول ١٩٢٠، وهو أنّ «النجف» و«كربلاء» كانتا مركزاً «للمرّد»، وهو أمر دفع عرب «المنتفق»، الذين فشلت «كلماتنا السياسية» في اجتذابهم أكثر من «استجابتهم الوعظ النشط للجهاد» من قبل «المتعصّبين» وهو أمر أدى إلى فشل شيخ المنتفق، على الرغم من صداقته الثابتة لنا، كبح جماح رجاله، لذا اضطر الضباط السياسيون البريطانيون هناك إلى الانسحاب في «اللحظة الأخيرة» بوساطة^(١٩) «الطائرة»، ممّا أنقذهم من القتل، ووفق صحيفة التايمز في مقالها «الحرب المقدّسة»^(٢٠).

Western Daily Press, 1/9/1920, p. 4.

(٩)

Daily Mirror, 3/9/1920, p. 3.

(١٠)

Western Times, 3/9/1920, p. 12.

(١١)

Dundee Courier, 3/9/1920, p. 5.

(١٢)

Leeds Mercury, 3/9/1920, p. 7.

(١٣)

Western Daily Press, 3/9/1920, p. 8.

(١٤)

Belfast News-Letter, 3/9/1920, p. 6.

(١٥)

Sheffield Daily Telegraph, 3/9/1920, p. 4.

(١٦)

Nottingham Journal, 3/9/1920, p. 5.

(١٧)

Westminster Gazette, 3/9/1920, p. 7.

(١٨)

Bristol Times and Mirror, 3/9/1920, p. 5.

(١٩)

The Times, 3/9/1920, p. 10.

(٢٠)

وتجلى اهتمام الصحف البريطانية، ومنها صحيفة هاميلتون ديلي بريس عن بلاد ما بين النهرين، في عددها الصادر بتاريخ ١ أيلول ١٩٢٠ في خبر لها استعرضت فيه آخر التطورات في العراق، وتحت عنوان «بغداد أكثر اضطراباً»، بينت فيه «طرد» العشائر العربية المحاصرين بلدة «طوز خورماتو»، وهي قرية جبلية على الحدود بين العراق وبلاد فارس، ١٢٦ ميلاً شمال بغداد، فيما شهدت شمال بغداد ازدياداً واضحاً في انتشار «الاضطرابات»^(٢١).

وراحت صحيفة ديلي هيرالد في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ١ أيلول ١٩٢٠، تستعرض التطورات في بلاد ما بين النهرين تحت عنوان «الحرب الجوية: ثورات جديدة وحصار سامراء»، واصفةً البلاد بـ«المقبرة» فريف «شمال بغداد» أمسى متعباً للغاية، وهو أمر أدى إلى استعمال الطائرات ضد العشائر بالقرب من مدينة «بلد»، ٨٠ ميلاً جنوب شرق سامراء، ممّا أدى إلى تمكّن القوات البريطانية من استعادة سامراء^(٢٢). كما أمست الحاميات البريطانية المنتشرة في جميع أنحاء البلاد «منفصلة عن بعضها البعض» بحسب صحيفة ويسترن ديلي بريس، وهو أمر عدته الصحيفة انهياراً شبه تام لخطوط الاتصال الطويلة في نقاط مختلفة زاد من حدة الخطر العام للوضع، مشيرة إلى أنّ «تورط» القوات البريطانية مشابه الحرب «الجنوب الأفريقية»، بل ربّما أكثر «كلفة منها»، وفق نص تعبيرها^(٢٣).

وأطنبت الصحيفة في العدد نفسه في الإشادة بأنّ الانطباع بأنّ العرب يمكن «إخضاعهم» باستعمال «العربات المصفّحة» غير واقعي، كون الدبابات غير مناسبة في حرب «الصحراء»، لذا لجأت القوات إلى استعمال «الطائرات»، فالعرب غير قادرين على مواجهة حرب جوية، فضلاً عن إظهار الحرب الأوروبية الطائرة كأداة حربية «فعالة» استعملت لتدمير المعسكرات المزدحمة والسكك الحديد والجسور والبلدات وما إلى ذلك^(٢٤). واختتمت الصحيفة بالتشكيك بمدى «فعالية» الطائرات ضد العشائر العربية ذات «الطابع البدوي» كثير الترحال: «إن التأثير سيكون ضئيلاً» وفق تعبيرها^(٢٥). والتساؤل عن مدى تمكّن السير بيرسي كوكس من تحسين الوضع من

Hamilton Daily Times, Ontario, Canada, 1/9/1920.

(٢١)

Daily Herald, 1/9/1920, p. 3.

(٢٢)

Western Daily Press, 1/9/1920, p. 4.

(٢٣)

Ibid.

(٢٤)

Western Daily Press, 1/9/1920, p. 4.

(٢٥)

خلال إقامة «حكومة عربية مستقلة» بدلاً من الإدارة البريطانية الحالية، «التي اعتبرها العرب قمعية ومكروهة؟»^(٢٦).

وانسجماً مع نقل الأخبار المتعلقة بتطوّرات «الثورة» في بلاد ما بين النهرين يومئذ، ركّزت الصحف البريطانية في نقلها خبر «مقتل» أحد ضباطها من «الأسرى» على يد «العرب»، وفق نصّ تعبيرها، من أجل الإيحاء ولفت أنظار الرأي العام إلى طريقة تعامل العرب مع الأسرى، متناسيةً شهادة العديد من الأسرى وطريقة التعامل الإنسانية معهم على يد عشائر «الفرات الأوسط»، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نشرت صحيفة ليدز ميركوري خبراً في عددها الصادر بتاريخ ٦ أيلول ١٩٢٠ تحت عنوان «خيانة العرب: مقتل ضابط بريطاني على يد أسريه» أشارت فيه إلى مقتل النقيب ج. هـ. سالمون (Captain G. H. Salmon)، من الفوج ديفون الخامس، وبيّنت أنّه شغل منصب مساعد المسؤول السياسي في كفري، وهو الذي أسرته العشائر المحلية يوم ٢٩ آب ١٩٢٠، مُذكّرةً بقتل العديد من الضباط الإنكليز^(٢٧) في بلاد ما بين النهرين يوم ذاك^(٢٨).

وأكدت أيضاً صحيفة سكوت مان في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ٦ أيلول ١٩٢٠ تحت عنوان «غارات جوية بريطانية على بلاد ما بين النهرين»، أفادت فيه عن تعرّض راوندوز، جنوبي كركوك^(٢٩)، إلى هجوم في ٣٠ آب ١٩٢٠، منوّهة إلى أنّ اللواء المرسل إلى كفري دخل المدينة في ٣٠ آب بعد أن جوبه بمعارضة خفيفة^(٣٠).

Ibid.

(٢٦)

(٢٧) كان منهم الكابتن «جيرالد ليتشمان»، الكابتن ديليو ريغلي (Captain W. Wrigley) والكابتن اتش. جيه. هيرسون (Captain H. G. Harrison)، والكابتن جيه. اس. هندرسون (Captain G.S. Henderson) الذين سقطوا في شهربان، والرائد جي. إي. بارلو (Major J. E. Barlow)، والملازم أول. ب. ستوارت (Lieut. B. Stuart)، والسير أ. في. ووكر (Mr. A. V. Walker) الذين سقطوا في تلغفر. للمزيد انظر: Leeds Mercury, 6 /9/1920, p. 7.

Ibid.

(٢٨)

Winston S Churchill, Reinforcements for Mesopotamia. Memoranda (GT, CP (٢٩) and G War Series), CP Series, Papers nos., CAB 24/111/29, 2/9/1920, p. 9.

The Scotsman, 6/9/1920, p. 5.

(٣٠)

واستعرضت صحيفة ليدز ميركوري في عددها الصادر بتاريخ ٧ أيلول ١٩٢٠ التطوّرات في بلاد ما بين النهرين تحت عنوان «بريطانيا مثقلة بالمتاعب وأربعون مفقود»، بيّنت فيه وصول الفرقة «برجيدا الخامسة والثمانين» إلى الفرات الأوسط، مؤكّدة أنّ الفرقة واجهت مصاعب في المسيّب لتحطيم «المنتفضين» لأحد الجسور عند النهر، مبيّنة أنّ «الهدوء» يخيم على الحلة والفرات الأعلى، خصوصاً مع اقتراب موسم الحصاد^(٣١)، فيما واجهت القوات مشاكل شمال بغداد وبلد وسامراء، وهو أمر اضطر إحدى القاطرات للتعطيل إثر مهاجمتها من قبل قوة تقدّر بـ «أربعة آلاف متمرد» تمكّنوا من أسر «ضابطين بريطانيين»، فضلاً عن «ثمان وثلاثين» من المراتب الأخرى، مؤكّدة إصابة «خمسمائة» من المهاجمين^(٣٢).

عاودت صحيفة ادنبره ايفنغ نيوز في عددها الصادر بتاريخ ٨ أيلول ١٩٢٠ تحت عنوان «العشائر الثائرة والقادة والمتعصّبين» التذكير بـ «الهدوء» الذي «تعم» به الرمادي إثر «الجهود المثمرة» للعشائر «السّنية»^(٣٣) الفاطنة حوض الفرات الأعلى، خصوصاً عشيرة «الدليم» في تهذئة عشائريهم، مختتمةً بأن «مشكلتنا» في فتاوى

(٣١) راهنت الدوائر العسكرية البريطانية على حلول موسم الحصاد لإنهاء الثورة الذي يتزامن مع وصول أعداد جديدة من الجنود، ومما جاء في إحدى وثائق مجلس الوزراء البريطاني: «هنالك قلقٌ متزايدٌ داخل المدن الكبرى من سلوك القبائل، وذلك بالنظر إلى نوايا حكومة جلالة الملك. ولا يمكن اعتبار الوضع العسكري مستقرّاً حتى الآن، لكن من المرجّح أن يتغيّر مجرى الأمور خلال الأسابيع الأربعة أو الخمسة المقبلة، حيث سيتزامن وصول أعداد جديدة من الجنود مع بدء موسم الحرّاة ومع ميل الطقس نحو البرودة، إذ سيصبح الجنود أكثر قدرة على الحركة. إضافةً إلى ذلك، بدأت إمدادات الذخيرة لدى الثوار بالنفاد، ومن المهم الإشارة إلى الأثر الذي تركه نشر رسائل لورانس في الصحف العربية، وفي صحيفة ذا تايمز، من خلال المقالات الافتتاحية التي تناولت كل جانبٍ من جوانب المواضيع، وقد عمل ذلك على استحضار القليل، بقدر ما يمكنني معرفته، بين صفوف المثقّفين العرب، لكنني فوجئت بأنّ أي أحد يدّعي التحدّث مع السلطات لا بدّ وأن يسيء فهم الوقائع حول الوضع في بلاد ما بين النهرين. إنّ لورانس غير معروفٍ هنا حتى بالاسم. تواصلت معي عددٌ من وجهاء البصرة، الذين تمّنوا إرسال برقية إلى السيد أسكويث تعارض موقفه تجاه إخلاء بلاد ما بين النهرين».

Secretary of State for India, Situation in Mosul, Arbil, Kirkuk, Telegrams from Civil Commissioner, Baghdad, to S/S for India, CAB-24-111-62, 11/9/1920, p.1.

Leeds Mercury, 7/9/1920, p. 4.

(٣٢)

(٣٣) هكذا ورد في أصل النص.

«الجهاد المتعصب» في «النجف وكربلاء»^(٣٤)، وهو أمر أدى إلى صعوبة الوضع العسكري آنذاك^(٣٥).

وعلى ما يبدو، إن إشارة الصحف البريطانية «المتكررة» للـ«العشائر السيئة» أتت في سياق محاولة البريطانيين ضرب «وحدة الصف الوطنية» اعتماداً على مبدأ «فرق تسد»، متناسية «فتاوى الجهاد الشيعية»، وقد أدت إلى حدوث مسألتين في غاية الأهمية، تمثلت أولاهما بـ«نشوء الوعي الوطني» المحفز لقيام ثورة العشرين الهادفة

(٣٤) جاء في وثيقة لمجلس الوزراء البريطاني مرسله من قبل وزير الدولة لشؤون الهند أفادت أنّ المجتهدين في كربلاء والنجف يشددون على ضرورة استمرار الثورة، ومما جاء في الوثيقة: «لا يزال الوضع متدهوراً، وإنّ هذا الأمر لا يعطي القدرة لقواتنا العسكرية لتحقيق نجاحات عسكرية مذهلة، وذلك يعود إلى أسباب لا أودّ الخوض فيها كي لا نقلل من إمكانياتنا، وفي محاولة لإحباط معنويات حلفائنا. حتى أنّ أكثر الشيوخ الودودين يُجبرون على القيام بأعمال عدائية ضدّنا من خلال تعزيز قوة أعدائنا. وكانت آخر الأمثلة على هذا الأمر قد وقعت في منطقة الشطرة، حيث نجح إلقاء المواعظ بشكل مكثّف ونشيط، والدعوة إلى الجهاد من قِبَل المبشرين القادمين من النجف وكربلاء، ومدعّمين بوسائل مقدّمة من الرئيس الجديد (مجتهد)، في نهاية المطاف، وبتحريض رجال القبائل، الذين لم تُفلح الشعارات السياسية في اجتذابهم، وقد وجد أكبر الشيوخ أهميّة في المنطقة، وهو (خيون العبيد)، الذي لا يدين بقوته إلينا، لكنه كان يمثل دوراً، منذ التوقيع على اتفاق الهدنة الداعم القوي للإدارة المدنية، وخاصّةً خلال الشهرين الماضيين، وهو غير قادر على تفقّد مدى توسّع رقعة حركة التعصّب بين صفوف رجال قبيلته. وقد أظهرت المدينة كلّ علامات العداء وفي كلّ اتجاه ضدّ الضابط السياسي وقائد المجنّدين، الذي انتشله الضابط السياسي المساعد في آخر لحظة. يحظى القائد توماس بشعبية كبيرة على المستوى الشخصي بين كافّة الصفوف، ويعدّ شخصاً قديراً، لكنّ هذه الحقيقة، كما حصل في منطقة قلعة ذي قار، لم تمنع من تزايد نمو الشعور المتعصّب، وقد ساهم وصول الطائرات في الوقت المناسب في إنقاذ حياته وحياة الموظف السياسي المساعد في الشطرة. ويصعب توقّع ما هي التطوّرات المحتمل حدوثها. وإنّ أفضل ما نتمنّاه هو أنّ رجال القبائل، الذين ليس لديهم مشاغل خاصّة، سيعودون عند حلول موسم الحصاد بعد ستّة أسابيع من الآن، إلى حقولهم، وبذلك يُجبر رؤساؤهم على الوصول إلى تسوية معنا، ولكنني لا أعتقد بأنّه من المحتمل أنّ القيام بأي عمل عسكري سيكون كافياً لاستعادة موقعنا الآن. ألحقت الأضرار بالسكّة الحديد والمباني الحكومية، وتعرّضت المدن إلى النهب والسلب، وأحرقت الأسواق، وتضرّر اسمنا وكلّ ما تحمله كلمة «مكانة» من معنى، بشكل لا يمكن إصلاحه. ومن الناحية الماليّة، فقد تعرّضت الإدارة المالية للتدمير، وتلقّت البلاد انتكاسة خطيرة ستستغرق وقتاً طويلاً للتعافي منها».

Winston S Churchill, Reinforcements for Mesopotamia. Memoranda (GT, CP and G War Series). CP Series. Papers nos., CAB 24/111/17, 27 August 1920, p. 1.

Edinburgh Evening News, 8/9/1920, p. 4.

(٣٥)

إلى طرد المحتلّين البريطانيين وتأسيس الدولة العراقية ذات سيادة كاملة، وأمّا ثانيتهما فهي تلك الفتاوى «لرجال الدين المتعصّبين»، وفق نصّ تعبير الصحف البريطانية، تحقيق «التقارب المذهبي» فكانت منعطفاً تاريخياً مهماً لنشوء «الولاء الوطني»، ومنحه الأولوية على الولاءات الثانوية: الدينية، والطائفية، والعشائرية، وقد أشار ونستون تشرشل إلى خطورة «فتاوى النجف» وقد وردت في إحدى الوثائق التي صنّفت تحت مسمّى «سري للغاية». وقد أشرّ الباحث هنا باقتباسها لأهمّيّتها:

«...إنّ الوضع غامض، نظراً إلى غياب خطوط الاتصالات البرقية والسلكية واللاسلكية، لكن تساورنا بعض الشكوك بأنّ تلك الفرقة في حالة فوضى. وقد نُضطرُّ إلى إخلاء الموصل بعد مدّة قصيرة. يُعدُّ سحب القوات من ذلك المكان من أكثر العمليات العسكرية صعوبة، لكن قد يكون من الصعب تحقيقه من دون وقوع خسائر فادحة، إلّا إذا كان عدد القوات كافياً، وكانت قادرة على حماية الخط الممتد من بغداد نحو الشرقاط، إمّا من خلال استعمال الجنود القادمين من جديد، أو من خلال سحب الجنود من «الرمادي». في حال قمنا بالانسحاب من كركوك، فستغرق كامل منطقة كردستان في الفوضى. منذ مدّة، توقّفت الحركات الثورية عن اتخاذها المنحى السياسي، وأصبحت حركات فوضوية بالكامل. ولا يبدو أنّ هنالك أحد أكثر قلقاً من قادة المجتهدين والعديد من القادة في بغداد لوضع حد للاضطرابات التي خلقوها بأنفسهم، لكن ليس بوسعهم القيام بذلك^(٣٦).

«...إنّ أعضاء حكومة جلاله الملك قد باتوا في وضع أفضل من موقعنا نحن الموجودين في الموقع، لكي يقرّروا فيما يتعلّق بالجانب السياسي للحركات المشار إليها أعلاه على المصالح البريطانية في الشرق الأوسط. ولا يسعني إلّا أن أكرّر أنّه في حال قرّرنا الرحيل أو البقاء، فإنّنا بحاجة إلى مزيد من الجنود في بلاد ما بين النهرين، ومن الجنود الذين هم في طريقهم إلينا. وبناءً على ما سبق، سأحثُّ على إرسال مزيد من الجنود فوراً، وقد أخبرنا، خلال هذا الشهر، بما هو أقصى ما يمكن لحكومة جلاله الملك أن تفعله لأجلنا، وأن يُمنَح القائد العام السلطة لصياغة خطته، ومن ضمنها سحب كافّة الجنود من بلاد فارس وفقاً لذلك^(٣٧).

Winston S Churchill, Reinforcements for Mesopotamia, Memoranda (GT, CP (٣٦) and G War Series), CP Series. Papers nos., CAB-24-110-91, 3/8/1920, p. 1.

Ibid.

(٣٧)

وفي محاولة لضرب «الثورة» ووصفها «بالعشوائية» أفادت صحيفة ادنبره ايفننغ نيوز في عددها الصادر بتاريخ ٨ أيلول ١٩٢٠ وتحت عنوان «علاقة القادة بالمتعصبين» أنّ «الحراك بأكمله» في بلاد ما بين النهرين يجري «من دون قيادة»، معتبراً أنّ «الحراك» قد اتّسم «بالتشدد» إلى حد كبير، فضلاً عن «التعصب» و«الفوضوية» في إدارته، مختتمة الترحيب بمهمة السير برسي كوكس^(٣٨) المنتدب إلى بلاد ما بين النهرين فهو «خبر رائع»، لكن لا بدّ من التفكير بـ«تقديم تنازلات» عبر إجراء «مفاوضات» مذكّرة بأنّ مؤتمر سان ريمو، ٢٥ نيسان ١٩٢٠، أدّى فيما أدّى إلى «هياج» خواطر العراقيين، و«اشتد عزمهم» للمطالبة بحقوق بلادهم، ودفع الحكومة البريطانية إلى تنفيذ سياستها تجاههم، إلا أنّ الحكومة لم تعر أهمية للموضوع^(٣٩).

وعلى ما يبدو أنّ الصحف البريطانية أبدت اهتماماً بالغاً بنقل أخبار تعلّقت بموقف الآشوريين القاطنين في معسكرات اللجوء البريطاني، شأنها في ذلك شأن كثير من رصيفاتها، في محاولة أخرى منها لضرب الوحدة الإثنية للعراقيين، فعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت صحيفة أبردين بريس اند جورنال في عددها الصادر بتاريخ ١٣ أيلول ١٩٢٠، تحت عنوان «صد المعارضين»^(٤٠)، أشارت فيه إلى تعرّض «المتمرّدين» لمخيم الآشوريين اللاجئيين في بعقوبة، إلا أنّ «رجالنا» تمكّنوا من صدّ المهاجمين بالتعاون مع الآشوريين المسلحين الذين أظهروا الروح الهجومية^(٤١).

وأوردت الصحيفة في عددها الآنف الذكر أنّ العديد من الآشوريين قد بلغ

(٣٨) صرح وزير الحرب ونستون تشرشل في إحدى جلسات مجلس الوزراء ما نصّه: «أنّ الاضطرابات فوضوية وتحمل طابعاً دينياً، على الرغم من أنّها قد هدأت وتيرتها، وبلاستناد إلى قاعدةٍ سياسية، «لا يمكن إحلال السلام إلّا بالسيف» إنّ تزامن وجود كل من المفوض السامي السير برسي كوكس على تلك الخطوط مع القائد العام في القيادة في محاولةٍ لتنفيذ رغبات مجلس الوزراء على النحو الذي عبّرتم عنه بعدُ أمراً غير ملائم أبداً لذلك. أطلبُ أن يتم تحديد موقفي بوضوح». للتفاصيل انظر:

Secretary of State for War, Military Policy in Mesopotamia, Copy of Telegram from General Commanding-in-Chief the Forces in Mesopotamia to Secretary, CAB-24-111-15, 30/8/1920, p. 2.

Edinburgh Evening News, 8/9/1920, p. 4.

(٣٩)

Aberdeen Press and Journal, 13/9/1920, p. 5.

(٤٠)

Ibid.

(٤١)

«ثلاثين ألفاً» من مجموع «أربعين ألفاً» من الآشوريون الذين كانوا في «مخيماتنا» آنذاك، إثر انتقالهم إلى الموصل، أما الباقون فإنهم في الوقت الحاضر تركّزوا في بعقوبة وبغداد، أما الأرمن الذين كانوا أيضاً في المخيم نفسه فقد توجهوا صوب البصرة للعودة إلى الوطن عبر «الخليج الفارسي»^(٤٢)، وفق نص تعبيرها^(٤٣).

فلا مراء إذ نجد أنّ هناك تصاعداً متناغماً في ما بين الإعلام البريطاني الممثل بـ«صحافتها» يومئذ وتطلّعات الحكومة البريطانية بفرض سيطرتها على العراق، في العقد الثاني من القرن العشرين، وهو أمر دفع بعضها إلى المتابعة اليومية لمجريات الثورة في «بلاد ما بين النهرين»، فعلى سبيل المثال كتبت صحيفة سكوت مان بتاريخ ١٤ أيلول ١٩٢٠، خبراً تحت عنوان «العمليات ضد المتمردين»^(٤٤) بيّنت فيه دخول كتيبة اللواء ٣٤ إلى ديالى «دون معارضة»، إذ قامت بإصلاح خطوط السكك الحديد والتلغراف، مواصلين تقدّمهم من دون معارضة، وهو أمر أجبر «المتمردين» الذين قُدّر عددهم بـ «ستمائة فارس» للتراجع باتجاه «شهربان» التي فرضت فيها غرامات على «أسلحة العشائر» وجمع قطع البنادق، ممّا دفع «ثلاثمائة فارس» من «المتمردين» في شهربان إلى مهاجمة الأرتال العسكرية البريطانية، وهو أمر دفع بالقوات العسكرية إلى قصف منطقة «أبو هوا»، ممّا أتاح للكتيبة دخول «غزل الرباط» وصولاً إلى ديالى في ١١ أيلول ١٩٢٠^(٤٥).

وبيّنت إحدى الوثائق البريطانية أسماء شيوخ العشائر المشاركين في التصديّ للقوات البريطانية في ديالى، وقد أشرّ الباحث هنا باقتباسها لأهميتها، وممّا جاء فيها:

«منطقة الطريق الواصل إلى ديالى: يمكن اعتبار كل القبائل هناك أعداء محتملين لنا، عدا تلك التي توجد حول مدينة مندلي، وتضمّ البلدات حوالى ٤٠٠٠ رجل موجودين في بلدة بعقوبة وفي البساتين المجاورة لها، حتى وقت قريب، بينما لا تزال منطقة شهربان في قبضة رجال القبائل. غادر العديد من رجال القبائل بعقوبة مؤخراً، عند وقوع الغارات في الحادي والعشرين والثاني والعشرين من شهر آب»^(٤٦).

(٤٢) هكذا ورد في أصل النص.

Aberdeen Press and Journal, 13/9/1920, p. 5.

(٤٣)

The Scotsman, (Newspaper), 14/9/1920, p. 5.

(٤٤)

Ibid.

(٤٥)

بعقوبة مجمع الشيخ صالح الهندي، بني تميم شيخ حميد الحسن، جبر من مدينة دباس، الشيخ عوض السلطان، عزة شيخ، الشيخ عابد الخيزران، في منطقة خانقين. كما أفيد عن قيام القبائل التالية بالثورة: عشيرة ديلو (الكردية)، وعشيرة الرئيس محمود بيك، وعشيرة سورامي (الكردية)، ومحمد بيك، وعشيرة بني ويز من منطقة جبل حميرين، وعشيرة كرية (العربية). وقد بلغ مجموع عتاد هذه القبائل ما يقارب الأربعة آلاف بندقية»^(٤٧).

وتابعت صحيفة ليدز ميركوري من جانبها في عددها الصادر بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩٢٠ نقد الصحف البريطانية «التضليل الإعلامي» من قبل الحكومة لما يجري في بلاد ما بين النهرين، مشيرةً إلى أنّه أمسى من غير المعقول التسليم بتلك «الأرقام المضلّة» التي نشرتها الحكومة مؤخراً، خاصة مع «ملايين الجنيهات» المصروفة في العراق، وهو أمر يبين أن الأرقام أشارت إلى أن كلفة «احتلالنا» لبلاد ما بين النهرين «ثلاثين مليون» جنيه إسترليني سنوياً، إلا أنّ الحقيقة إنّها أكثر بكثير من ذلك، خاصة مع اعتراف ونستون تشرشل بأنه يتعذر تقديم أرقام محدّدة بما لا ينسجم مع حسابات البرلمان، لذا تم تأجيل الميزانية الإضافية حتى الدورة القادمة من أجل «تفادي انتقاد فوضى» بلاد ما بين النهرين^(٤٨).

لم تقف اهتمامات الصحافة البريطانية ورصدها سواء للأنشطة الحربية البريطانية في العراق، أو في كتاباتها عن حركات القطعات هنا أو هناك، وعلى امتداد بلاد ما بين النهرين فحسب، بل تعدّتها إلى نقل أخبار من نوع مختلف، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة ويسترن تايمز في عددها الصادر في ١٤ أيلول ١٩٢٠، مقالاً عنون «رولز رايز» خصّصت مضامينه إعلان شركة سيارات «رولز رايز» موجه إلى المشتريين من «القطاع الخاص» بتأخير تسليم طلبات شراء السيارات للمدنيين، معلّلة بأنّ الشركة اضطرت، تأجيل التسليم لتلبية «طلبات الحكومة» التي اكتشفت «فجأة» عجزها عن مواجهة العرب من دون سيارات حديثة ذات «محركات» قادرة على مجاراة العرب، وفق نص تعبيرها، موضحةً أنّ تسليم السيارات للحكومة البريطانية انطوى على

Winston S Churchill, Reinforcements for Mesopotamia., CAB 24/111/29, 2/9/ (٤٦)
1920, p. 8.

Ibid.

(٤٧)

Leeds Mercury, (Newspaper), 8/11/1920, p. 6.

(٤٨)

«أهمية قصوى» نتيجة المواجهات العسكرية في بلاد ما بين النهرين ولحماية «مفارزنا ونسائنا وأطفالنا» هناك، منوّهة بأنّ «السيارات المدرّعة» في البلد الآنّف الذكر باتت عرضة «للتلف السريع»، مختتمة بتوجيه نداء بضرورة «الاستبدال فوري» لتلك العجلات المدرّعة^(٤٩)، والتي يبدو أنّها فشلت في مواجهة سلاح الثوار البدائية «الفاله والمكوار» !!!.

لم يقف اهتمام الصحف البريطانية ورصدها عند حدود متابعة تطوّرات الثورة في بلاد ما بين النهرين، إنّما تعدّاه إلى «رفع الصوت عالياً»، مستنكرة قلّة الأخبار من العراق، فقد نشرت صحيفة *ايفننغ ميل* في عددها الصادر بتاريخ ١٥ أيلول ١٩٢٠ مقالاً تحت عنوان: «ماذا يحدث في بلاد ما بين النهرين؟»، مشيرةً بوضوح إلى وجوب «الاحتجاج» على «النشرات غير المنتظمة» و«غير الكافية للغاية» الصادرة عن «مكتب الحرب» بشأن العمليات في «بلاد ما بين النهرين»، مذكّرةً أن «الأمة أدركت الآن أن هي نفسها متورطة في حرب خطيرة على نهري دجلة والفرات مع مائة ألف من رجالنا»، مستغربةً إصرار مكتب الحرب في الهند على «تزويدنا بحقائق واضحة، أو تركنا في الظلام بالكامل»^(٥٠).

وأطبنت الصحيفة في المقال نفسه في الإشادة ببيان ما جرى على ما عُرف في أدبيات ثورة العشرين بـ «القطار المدرّع»، وقطار آخر ركابه من النساء والأطفال البريطانيين «التعساء» الذين سمحت لهم سلطات بغداد، «بحماقة» مرافقة رجالهم من العسكر في نقاط منعزلة وسط رجال العشائر «المشاغبين»، حين اشتبك القطار المدرّع مع القوات العربية، وأنّ «قطار تصليح ثالث مع القوات» كان في طريقه من سامراء، وقد اختفت هذه القطارات الثلاثة بالأمس عن الأنظار، وذكرت النشرة ببساطة أنّ «قطاراً» متسائلة الصحيفة (هل كان هنالك رابعاً؟)، حاول الوصول من سامراء إلى بلد، وتم إطلاق النار عليهم وإجبارهم على العودة^(٥١).

أمّا صحيفة *ليدز ميركوري*، فقد كتبت مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ أيلول ١٩٢٠ استعرضت فيه الوضع في بلاد ما بين النهرين تحت عنوان «احتراق مستودع

Western Times, (Newspaper), 14/9/1920, p. 8.

(٤٩)

Evening Mail, 15/9/1920, p. 2.

(٥٠)

Ibid.

(٥١)

الجيش في بغداد^(٥٢)، إذ تمّ تدمير قسم النقل الميكانيكي الضخم للجيش البريطاني بسبب النيران، وتمّ تقدير الضرر رسمياً بما يعادل مليوني باوند، وذكر شهود العيان أنّ المبنى أحرق لمدة ثماني وأربعين ساعة. وتقول بعض الجهات بأنّه من عمل العرب، الذين قاموا بحرق اثني عشر مكاناً في وقت واحد. وكان هناك عدد ضخم لإطارات السيارات والبنزين، وآلاف من قطع الغيار بنسبة كبيرة، ومركبات الجيش العاملة في بلاد ما بين النهرين أيضاً كانت في المستودع في ذلك الوقت. أمّا في تقرير صحيفة الديلي ميل عن المكتب الحربي بأنّ المركبات كانت في المستودع، وقد تمّ فتح تحقيق في ذلك^(٥٣).

وعلى الرغم من انتهاء العمليات العسكرية، إلا أنّه يبدو أنّ أبناء العشائر استمروا في استهداف القوات البريطانية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نشرت صحيفة بلفاست نيوز لتر (*Belfast News Letter*)، في عددها الصادر بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩٢٠، مقالاً لها وسم بعنوان «الحملة العسكرية في بلاد ما بين النهرين» نقلت فيه عن المكتب الحربي تعرّض الحامية العسكرية البريطانية في الكوفة إلى هجوم على يد مجموعة مسلّحة ليلة ٢٦ - ٢٧ تشرين الأول، إذ تمّ إطلاق نيران كثيفة وعلى بعد ٤٠٠ متر^(٥٤). وذكرت أن مبلغ الإنفاق الحكومي في بلاد ما بين النهرين بلغ ٢٨ مليون جنيه إسترليني «زاعمين أنّ هذه الحرب لأجل مصالح الإمبراطورية البريطانية، إلا أنّ لا أحد قادر على فهم هذه المصالح»^(٥٥). وقد أيدت ما جاء في المقال صحيفة ايفننغ ميل في عددها الصادر بالتاريخ نفسه بأنّ إجمالي النفقات العسكرية في بلاد ما بين النهرين خلال عام ١٩٢٠ بلغت ٢٨ مليون جنيه إسترليني^(٥٦).

كما سلّط العديد من الصحف البريطانية الأضواء على ارتفاع صوت الإعلام البريطاني المندد بالوجود البريطاني في بلاد ما بين النهرين، فعلى سبيل المثال بيّنت

Lichfield Mercury, 24/9/1920, p. 6.

(٥٢)

Ibid.

(٥٣)

Belfast News Letter, 3/11/1920, p. 8.

(٥٤)

Ibid.

(٥٥)

Evening Mail, 3/11/1920, p. 2.

(٥٦)

في مقال لها نُشرَ في الصحيفة نفسها بالتاريخ نفسه تحت عنوان: «فجور أم جهل»، موضحة أن موقف الصحافة البريطانية «بكافة توجهاتها» أمسى «ناقداً» لسياسة الحكومة البريطانية، فيما يتعلّق باحتلال بلاد ما بين النهرين. مبيّنة أنّه من الصعب فهم بالضبط ما الفائدة أو المصلحة من احتلال تلك البلاد، بصورة مستمرة من غير ذي جدوى، وبتكلفة هائلة، «لفرض قانون ونظام من نوع خاص على شعب، أو بالأحرى تجميع متنوّع من الشعوب، الذين لا يفهمون قوانين ونظام من أي نوع على الإطلاق»^(٥٧).

وتناغمًا مع تغطية الصحف البريطانية الراضية للوجود في بلاد ما بين النهرين، من جهة، والوقوف على الرأي الرسمي من أحداث ثورة العشرين، من جهة أخرى، نشرت صحيفة جاستك في عددها الصادر في ٤ تشرين الثاني ١٩٢٠، مقالاً استعرضت فيه موقف السير وينستون تشرشل حين أفاد أمام جلسة مجلس العموم بالاحتفاظ بـ «مئتين ألف جندي بريطاني وهندي» في بلاد ما بين النهرين بتكلفة بلغت «ثلاثة وأربعين مليون جنيه إسترليني سنوياً»، مؤكّداً على موقفه أمام مجلس العموم بأنّه «لن أعيد بلاد ما بين النهرين إلى الثوار» وفق نص تعبير الصحيفة، وهو أمر أدّى إلى استنكار الصحيفة لموقف السير ونستون تشرشل، إذ اعتبرت هؤلاء «الثوار» هم الناس أنفسهم الذين نواجههم للقتال من أجل الحرية قبل عامين أو ثلاثة! والآن نقصف قراهم بالأسلوب «الوحشي» و«الدموي» نفسه الذي اتبعه الألمان في لندن. مستغرباً بالقول إن «حلفاؤنا الجريئين» بالأمس أصبحوا مجرد «عرب اليوم»، متسائلاً: «هل ستستمر الحكومة على نحو غير محدّد في استعمال هذا الجيش الكبير، بتكلفة تقارب ٥٠ مليون جنيه إسترليني سنوياً، لفرض الحكم البريطاني على شعب لا يريد ذلك بوضوح؟»^(٥٨).

وانسجاماً مع أخبار انتهاء العمليات العسكرية في بلاد ما بين النهرين يومئذ في لفت أنظار الرأي العام إلى أهمية الإجراءات العسكرية البريطانية ضد «الثورة»، نشر عدد من الصحف مقالات وأخبار انتهاء العمليات العسكرية في بلاد ما بين النهرين، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نشرت صحيفة سكوت مانز في عددها الصادر بتاريخ

Ibid.

(٥٧)

Justice, 4/11/1920, p. 6.

(٥٨)

٤ تشرين الثاني ١٩٢٠ تحت عنوان «شغل المناصب الحكومية»^(٥٩)، بيّنت فيه الوضع العسكري في المناطق الآتية:

أولاً: المناطق الجنوبية: إطلاق نار على مواقعنا في مدينة الناصرية ليلة تشرين الأول.

ثانياً: مناطق الفرات الأوسط: أعلن أحد شيوخ القبائل في جنوب شرق الكوت استسلامه بتاريخ ٢٠ تشرين الأول. كما قامت طائراتنا بتفجير تجمعات عدائية في جنوب شرق الحلة بتاريخ تشرين الأول.

ثالثاً: المناطق الشمالية: أغرقت سفينة «اف - (F3)» التي حاصرها وأحرقها المتمردون في آب بين الرمادي والفلوجة.

رابعاً: منطقة الموصل: أعمال شغب في جسر سكة حديد جنوب مدينة الشرايط ليلة تشرين الأول.

خامساً: مدينة بعقوبة: إطلاق نيران كثيف على كتيبة عسكرية بريطانية غرب مدينة بعقوبة.

سادساً: منطقة ديالى: إرسال قافلة عسكرية من مدينة شهربان إلى مدينة بلدروز في يوم تشرين الأول^(٦٠).

يتبين لنا ممّا تقدم، وبالعودة إلى ملحق (١٠) أنّ الصحافة البريطانية أطلقت تسميات متباينة إزاء ثورة عام ١٩٢٠ في العراق، وشهدت تنوعاً كبيراً في تصنيفاتها اعتماداً على مكان صدورّها وتاريخ صدورّها، فضلاً عن تباين اتجاهات السياسة واختلاف متبنيّاتها الفكرية، فقد احتلت تسمية «ثورة» «Revolution» النسبة الأكبر، وبنسبة مئوية بلغت ٢٧٪ لتقرّر بذلك حقيقة الثورة العراقية الكبرى ومنطلقاتها الوطنية يوم ذاك، بينما شكلت مفردة اضطرابات (Unrest)^(٦١) ما نسبته ٢٦,١٠٪ من مجموع

The Scotsman, 4/11/1920, p. 7.

(٥٩)

Ibid.

(٦٠)

(٦١) مصطلحات يعود تاريخ استعمالها إلى الكلمة اللاتينية "revolver" ظهرت لأول مرة باللغة الإنكليزية في القرن الرابع عشر، وكانت تشير إلى حركة جسم سماوي في المدار؛ وفي الوقت نفسه تقريباً، طوّرت الكلمة معنى مختلفاً تماماً، وهو «تغيير جذري مفاجئ أو كامل»، بينما يشير مصطلح =

الصُّحف الصادرة يوم ذاك، وشكّلت مُفردة «تمرد» (Revolt) نسبة مئوية بلغت ٢٣,٦٠٪، وهي نسبة غير قليلة من الوسط الصحفي البريطاني، كان معظمها من صُحف الداعمة للنهج الحكومي البريطاني. أمّا توصيف «مقاومة مسلحة» (Rebellion) فشكل ما نسبته ٤٩,٢١٪، في حين شكل مصطلح «انتفاضة» (Uprising) ما نسبته ٦٤,١٪ من مجموع الصحف البريطانية الصادرة للمدة من الأول من شهر تموز حتى انتهاء الثورة في العاشر من شهر تشرين الأول عام ١٩٢٠.

إن الصحافة التي واكبت أحداث الثورة العراقية الكبرى وعاصرت أحداثها وصفت بادئ ذي بدء ما جرى في العراق بأنّه «ثورة» بنسبة مئوية بلغت ٢٧٪، وبعد أقل عقد من الزمان على الأحداث تلك، أعادت الصحف البريطانية في الأعم الأغلب توصيفها لما جرى في العراق عام ١٩٢٠، فبينت أنّها «ثورة» وليست «تمرداً»، وعلى حد تعبيرها أنّها «ثورة شعب» أراد استقلال وطنه وتحقيق سيادة بلده. وقد وجد الباحث وضع جدول بين يدي القارئ الكريم بعدد المقالات والأخبار للمدة (١٩٢١ - ١٩٢٩) يبين فيه التحول الكبير في ترسخ مفهوم الثورة في الصحف البريطانية، وبخاصة تخفيف القيود الحكومية البريطانية على وسائل الإعلام يوم ذاك، من جهة، وتمكّن العديد الصحفيين البريطانيين التواصل مع مختلف فئات الشعب العراقي ممّن اشتركوا في أحداث الثورة، من جهة أخرى، وهو أمر أتاح لتلك الصحف الوصول إلى حقائق غُيّبت عنهم أثناء الثورة العراقية الكبرى. وفي ما يلي تفاصيل الجدول (٩):

= «Revolt» إلى تمرد مسلّح يفشل أو ينجح بسرعة، فضلاً عن كونه احتجاج ضد سلطة حكومية، وغالباً ما ينطوي على أعمال العنف؛ فيما يشير مصطلح «Rebellion» إلى قتال بين مسلّحين وقوات حكومية، ويشير مصطلح «Disturbance» إلى اضطرابات أو توتّرات سياسية وأمنية، وإلى عنف عام أو شغب، وأمّا مصطلح «Unrest» فيشير إلى حالة من التمرد المشوب بسخط مجموعة من السكّان على من يتولّى أمور إدارة بلدهم، وكذلك الحال بالنسبة إلى مصطلح "Uprising"، فيشير إلى انتفاضة شعبية ضد حكم استبدادي وتمرد مفتوح ضد السلطة. للمزيد من التفاصيل انظر: S. Hornby, *Oxford Advanced Learner's Dictionary*, 8th ed. Oxford: Oxford University Press, 2010, pp. 442, 1267, 1312, 1694, 1701.

جدول (٩)

توصيف الصحف البريطانية لأحداث العراق^(٦٢)

للمدة (١٩٢١ - ١٩٢٩)

السنة	Revolution	Revolt	Unrest	Rebellion	Uprising	المجموع
	ثورة	تمرد	اضطراب	مقاومة مسلحة	انتفاضة	
١٩٢٠	٦٥٨	٥٧٥	٦٣٤	٥٢٢	٤٠	٢٤٢٩
١٩٢١ - ١٩٢٩	١١١٩	٦٧٦	٦٧٤	٤٧٣	٦١	٣٠٠٣
السنة	Revolution	Revolt	Unrest	Rebellion	Uprising	المجموع
	ثورة	تمرد	اضطراب	مقاومة مسلحة	انتفاضة	
١٩٢٠	%٢٧	%٢٣,٦٠	%٢٦,١٠	%٢١,٤٩	%١,٦٤	
١٩٢١ - ١٩٢٩	%٢٦,٣٧	%٢٢,٥٠	%٢٢,٤٤	%١٥,٧٥	%٢	

ويجد المدقق في أرشيف الصحف البريطانية الصادرة يوم ذاك أنّ ما صدر منها في مركز القرار السياسي «إنكلترا» قد أطلق توصيف «تمرد» على أحداث العراق عام ١٩٢٠، ونسبة مئوية شكّلت ٣٦,٥٪ من مجموع صحف المملكة المتحدة، فيما شكّل توصيف «ثورة» في صحف إنكلترا ١٤,٦٣٪، في حين أطلقت تسمية «اضطرابات»، و«انتفاضة»، ونسب مئوية بلغت ٤,٦٢٪، ٣,٨٥٪ على التوالي. أمّا الصحف الصادرة في اسكتلندا قد أطلقت توصيف «ثورة» بنسبة مئوية بلغت ٥٢٪، وتوصيف «تمرد» بنسبة مئوية شكّلت ٣٩٪ من مجموع الصحف الصادرة يوم ذاك،

(٦٢) للمزيد من التفاصيل انظر الصحف البريطانية:

Berwick Advertiser, 14/10/1921, p. 4; *Welsh Gazette*, 23/2/1922, p. 8; *Daily Herald*, 18/9/1923, p. 3; *Civil & Military Gazette*, 8/10/1924, p. 12; *Hartlepool Northern Daily Mail*, 28/12/1925, p. 2; *Somerset Standard*, 29/1/1926, p. 8; *Holloway Press*, 24/9/1927, p. 8; *Norwood News*, 23/3/1928, p. 13; *Lancashire Evening Post*, 7/12/1929, p. 4;

في حين أطلقت تسمية «اضطرابات»، و«انتفاضة» بنسب مئوية بلغت ٥,٤٪ لكلاً منهما على التوالي.

كما أنّ المتمعّن في تلك التسميات التي أطلقتها الصحف البريطانية إزاء الثورة العراقية الكبرى، يجدها استخدمت أكثر من توصيف واحد في الوقت عينه، منها على سبيل المثال صحيفة «ديلي ميرر»؛ إذ أطلقت تسميات: «Revolution»، «Revolt»، «Rebellion»، «Rebels»، «Disturbed»، «Uprising».

ويبدو ممّا تقدّم أنّ مواقف الصحف البريطانية إزاء أسباب اندلاع الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠، تباينت واختلف باختلاف ميولها السياسي ومحاولتها كسب جمهور القراء البريطانيين يوم ذاك، إجمالاً، كما ساهمت عوامل مثل الزمان والمكان والانتماء السياسي والفكري في تنوّع تغطية الصحف البريطانية لأحداث العراق، وقد مرّت الإدارة البريطانية بتحوّل كبيرٍ عقب انتهاء العمليات العسكرية، وهو أمر دفع بتلك الإدارة إلى الطلب من السير آرنولد تي ويلسون مغادرة بلاد ما بين النهرين، وأتاح الوصول إلى سلوك سياسة وسطية بين نهج ويلسون، المدافع عن فكرة السيطرة المُحكممة على بلاد ما بين النهرين، وبين رؤية لورانس المتمثلة بمنح الاستقلال التام للعرب. وكانت بداية قطف ثمار الثورة بتسليم مفاتيح مكتب المفوضية المدنية إلى السير بيرسي كوكس في ٤ تشرين الأول. لقد أشر وصول بيرسي كوكس إلى بلاد ما بين النهرين إلى وجود بوادر لتطبيق سياسة أكثر دبلوماسية من لدن البريطانيين، بعد أشهر عدة في محاولة لقمع الثورة. تلك الثورة التي وإن فشلت في جانبها العسكري الميداني، إلا أنّها حقّقت ثماراً أكثر أهمية تتبعت خطواتها الصحف البريطانية، ليبينها الباحث في القسم الرابع من هذا الكتاب.



القسم الرابع

أضواء على مواقف الصحف البريطانية من أبرز نتائج
الثورة العراقية الكبرى لعام ١٩٢٠



الفصل الثالث عشر

مواقف الصحافة البريطانية من نتائج الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠

إزاء التطورات الميدانية لثورة عام ١٩٢٠ في العراق، وهو أمر «تفاعلت» معه الصحف البريطانية «سلباً» تارة، و«إيجاباً» تارة أخرى، أدّى إلى انتقاد واضح وصريح ومتصاعد للصحف البريطانية إزاء «الإخفاقات» العسكرية التي اتّسمت غالباً بكُلف «بشرية» مرتفعة، وهو أمر بات من المتعارف عليه لدى جمهور القراء الإنكليز متابعة «صفحات» مخصصة لـ«نعي» قتلى البريطانيين أولاً، رافقها «شجب» برلماني - شعبي لأموال دافعي الضرائب الباهظة التي أنفقت في العراق في أثناء التصدي للثورة ثانياً، واتّضح تأثيرها الواضح والجلي في استبدال المفوض بالوكالة «أرنولد ويلسون» بانتداب السير «بيرسي كوكس» في بلد عدّ سكانه أنّها «ثورة» أدّت إلى استقلال البلاد في نهاية المطاف من الاحتلال البريطاني، مع الأخذ بنظر الاعتبار الاختلاف الشاسع في القوة والموارد بين الإمبراطورية البريطانية والعشائر العراقية، فلم تكن إلا مسألة وقت قبل إنهاء الثورة، فضلاً عن ارتفاع تكاليف الموازنة العسكرية للجيش البريطاني في العراق والبالغة «أربعين مليون جنيه إسترليني»، وأرواح البريطانيين العديدة التي كلّفتها، وهو أمر دفع القضية العراقية إلى الواجهة، فبدأت الثورة معه تشغل أعمدة كبرى صحف لندن ورصيفاتها الأخرى.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، نشرت صحيفة ويسترن تايمز في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ أيلول ١٩٢٠ بعنوان «مستقبل بلاد ما بين النهرين، دولة عربية حرة، هل الربيع القادم؟» مهمة السير برسي كوكس، مشيرةً إلى مغادرته من بومباي إلى بغداد، في مهمّة رسمية لحكومة «جلالته» المتمثلة في إقامة دولة عربية في بلاد ما بين

النهرين، والتي ستكون مهمته الأساسية، على أن يتم إنجازها بمجرد أن تسمح الظروف بذلك^(١).

وأولت من جانبها صحيفة ويسترن ديلي بريس في عددها الصادر بتاريخ ١٤ تشرين الأول ١٩٢٠، وتحت عنوان «خطاب السيد بيرسي كوكس أمام عرب بلاد ما بين النهرين»، مُشيرةً إلى خطاب للسفير بيرسي كوكس خلال حفل عشاء أُقيم في البصرة على «شرف السيد آرنولد ويلسون» الذي لم يأتِ إلى البلاد انطلاقاً من روح «رعناء»، بل جاء حاملاً التعليمات، التي تهدف إلى «التشاور مع قادة الرأي» في العراق لتشكيل حكومة عربية بمساعدة بريطانية، معتقدةً حاجته إلى بعض الوقت «للتشكّل الحكومية الوطنية» لتعتمد على نفسها بشكلٍ كُلي، منددة بالثورة ومعتبرةً أنه لا يمكن تشكيل حكومة في ظل «الفوضى» و«انتشار اللصوص»، مختتمةً «ها نحن هنا لإكمال المهمة التي وقعت على عاتقنا لمساعدة شعب البلاد بإقامة دولة تتمتع بحكم ذاتي، سرعان ما أدرك الشعب هذا الأمر، وبدأ التعاون معنا، وهذا هو الأفضل لكلينا»^(٢). وقد نقلت الصحف الصادرة في اليوم نفسه، المضمون ذاته^(٣).

وقد أعلنت صحيفة بلفاست نيوز ليدر في عددها الصادر بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٢٠ خبراً تحت عنوان «الشؤون في بلاد ما بين النهرين» أفادت فيه «باستسلام» أحد «شيوخ العشائر» في الفرات الأوسط، جنوب شرق الكوت، من دون تسميته، بتاريخ ٣٠ تشرين الأول ١٩٢٠^(٤).

وتابعت صحيفة شيفيلد ديلي تلغراف اهتمامها بشؤون بلاد ما بين النهرين في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ٥ تشرين الثاني ١٩٢٠، تحت عنوان «تحسُّن الوضع العسكري»، مُشيرةً إلى «الانتصارات البريطانية» في «السماعة، والكوفة،

(١) *Western Times*, 20/9/1920, p. 4.

(٢) *Western Daily Press*, 14/10/1920, p. 10.

(٣) *Fermanagh times*, p. 7; *Forfar Dispatch*, No.32880, p. 3; *West Sussex Gazette*, No. 3433, p. 11; *Western Morning News*, No. 18912, p. 5; *Brixham Western Guardian*, No. 2086, p. 4; *Brecon County Times*, No. 2772, p. 5; *Communist*, No. 11, p. 2; *Dorset County Chronicle*, No. 4991, p. 8; *Banbury Guardian*, No. 4033, p. 6; *Brecon County Times*, No. 2772, p. 5, 14/10/1920.

(٤) *Belfast News Letter*, 4/11/1920, p. 4.

وطويريج»، منوهة بتأثير تلك الانتصارات في «العرب المتمردين»، مبيّنة أنّ «كربلاء الثائرة» قدّمت «طلباً رسمياً» للسلطات البريطانية لأجل تنفيذ الشروط البريطانية «المفروضة» عليهم، والتي تضمّنت تسليم «أربعة آلاف بندقية»، فضلاً عن «مئة إطلاق» لكل بندقية، و«دفع غرامة مالية لكل أداة أصابها عطل»، مُشيّرة إلى «استسلام عشيرتين من دون قيد أو شروط»، وقد قامت بتسليم ٢٧٠ من أصل ٤٠٠ بندقية مطلوبة، مختتمة بالإشارة إلى تفرّق «الجموع الثائرة» في: الحلة، وكربلاء، والمسيب، فضلاً عن استسلام عشائر «النجف» بشكل رسمي في الكوفة، كما قدّمت القبيلة الوحيدة «المتمرتدة» في كركوك مذكرة وافقت فيها على «شروطنا»^(٥). أمّا ما خصّ العشائر «المهمة» في «الشامية» فقد أعلنت أيضاً عن استسلامها بحسب ما أفادت به صحيفة سكوت مان في عددها الصادر بتاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٠ تحت عنوان «استمرار تحسّن الوضع في بلاد ما بين النهرين»، مختتمة أنّ العشائر المنتشرة بين الكفل والسماوة لا تزال في حالة «تمرد»، محرّضة على التعامل معها «بحزم» في الوقت المناسب، وفق نصّ تعبيرها^(٦).

وراحت صحيفة ايفننغ ميل في مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٢٠ تسلّط فيه الأضواء على بلاد ما بين النهرين تحت عنوان «رحيل البريطانيين عن بلاد ما بين النهرين على وجه السرعة»، مُشيّرة إلى إصدار رئاسة مجلس الوزراء «تعليمات» انسحاب القوات البريطانية - الهندية من العراق، مطالبة بتنفيذ التعليمات تلك «بوتيرة سريعة» بما يضمن «إخلاء البلاد كاملة» ما خلا «المستشارين» و«الموظّفين المعيّنين» العاملين على مدّ يد العون «للدولة العربية الجديدة» قبل نهاية ١٩٢٠، مستشرفة المستقبل باعتبارها «خطّة طموحة، مختتمة بالإشارة إلى رضی أعضاء مجلس الوزراء عن «قمع المتمردين» وما آلت إليه الأمور من استتباب الهدوء^(٧).

بلغا الأرقام، كتبت صحيفة كامبردج ديلي نيوز (Cambridge Daily News) في عددها الصادر بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٠، مقالاً تحت عنوان «خمسون مليون

Sheffield Daily Telegraph, 5/11/1920, p. 3.

(٥)

The Scotsman, 19/11/1920, p. 8.

(٦)

Dundee Evening Telegraph, 12/11/1920, p. 1.

(٧)

جنيه استرليني انفقت في بلاد ما بين النهرين»، ناقلةً تصريح رسمي أحصى عدد القوات البريطانية والهندية والبالغة «تسع وستون ألف جندي» عشية «الحرب العشائرية»، بينما ازداد عديد القوات المشتركة إلى «مئة وواحد ألف» في أثناء الحرب الآنفة الذكر، مفصلةً أنّ تلك القوات شملت «أربعة عشر ألف جندي بريطاني» و«سبعة وثمانين ألف جندي هندي»، مستشفةً المستقبل القريب بأنّ انسحاب القوات المُخطّط له من العراق سيتطلّب «خمسين مليون جنيه استرليني» في أوائل عام ١٩٢١^(٨).

وفي سياق التعريف بنتائج إخمد «الثورة» نشرت صحيفة نوتنغهام جورنال في عددها الصادر بتاريخ ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٠، تصريحَ الجنرال ونستون تشرشل الذي أفاد بأنّ عدد قتلى «المتمردين» قد زاد على «تسعة آلاف» ضحية، والذي شدّد على أنّ «الثورات» لن تساعدهم، أي العراقيين، في تشكيل حكومة «بصورة طبيعية» نافيّاً في الوقت نفسه أيّ انسحاب «فوري» بمجرد قيام دولة عربية منعاً لترك البلاد في حالة «فوضى»^(٩).

واصلت صحيفة بلفاست نيوز ليدر في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٠ وتحت عنوان «استسلام شيوخ عشائر بلاد ما بين النهرين» متابعةً «استسلام» عشائر «شمال شرق إمام عبد الله»، وعشائر «الرميثة» بعد «إعادة طاقم السفينة غرين فلاي»، التي استولوا عليها سابقاً، كدليل على «صدق نواياهم» وفق الصحيفة نفسها، فضلاً عن تسليم مدفع «QF 18 Pounder»، الذي سبق أن سُرِق من سفينة «فاير فلاي»، في حين سلمت العشائر ما يزيد على «اثنين وعشرين ألف بندقية» كان من بينها «ستة آلاف ومئتان واثنان بندقية حديثة»، بحسب صحيفة اكستر اند بليموث غازيت "Exeter and Plymouth Gazette" في عددها الصادر بتاريخ ٤ كانون الأول ١٩٢٠، وتحت عنوان «تسليم العشائر بنادقهم في بلاد ما بين النهرين»^(١٠)، مختتمةً بالتذكير أنّ البريطانيين اتّخذوا «إجراءات عقابية» في دياي؛ نظراً إلى عدم تسليم العشائر بنادقهم^(١١).

Cambridge Daily News, 16/11/1920, p. 3.

(٨)

Nottingham Journal, 17/11/1920, p. 9.

(٩)

Exeter and Plymouth Gazette, 4/12/1920, p. 1.

(١٠)

Ibid.

(١١)

ولفتت صحيفة التايمز الأنظار في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠، وتحت عنوان «استسلام عشائر الفرات الأوسط» إن وزارة الحرب أفادت يوم ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٠ بتحسّن الوضع في الفرات الأوسط، فمعظم الشيوخ المهمين «للعشائر المتمردة» في منطقة «سوق الشيوخ» قد «استسلموا»، فضلاً عن منطقة شطّ الغراف في الناصرية، إذ أعلنت عشيرة «السعدون» استسلامها للقوات البريطانية. أمّا فيما يتعلق بمدينة «الشنافية»، فقد كانت هادئة عند توجه كتيبة اللواء ٦٧، فالسكان في هذه المنطقة «الكثيفة السكّان» منشغلون بالأعمال الزراعية، وهو أمر دفع كتيبة اللواء ٦٧ إلى بناء ثلاث قنوات لسكان المنطقة، مختتماً بمنح عشائر ديبالي «انذاراً أخيراً» بحلول ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠ لتسليم أسلحتهم، وإلا سيُعدّ تأخّرهم «تمرداً» يستوجب اتخاذ تدابير بفرض غرامات مضاعفة ما لم يتم الاستسلام^(١٢).

يكاد يتفق أغلب المؤرخين، وممن كتب عن ثورة العشرين، على أنّ من بين أهم نتائج تلك الثورة الكبرى «تصدع» الوفاق الهش بين مدرستي «الهند الاستعمارية»، القائمة على أساس الإدارة المركزية، وبين مدرسة «لندن السياسية»، القائمة على أساس الإدارة اللامركزية عبر تعيين حاكم من أبناء العراق، ولعلّ من الواضح أنّ هذا «الوفاق» البريطاني - الهندي بدأ بـ «تصدع» لينتهي بـ «افتراق» و«رجحان» كفة مدرسة لندن السياسية.

وتناغماً مع ما تقدّم، نشرت صحيفة التايمز مقالاً لـ «السير مونتاغو» منتقداً: لا لتحكّم مكتب الهند بدولة العراق المستقبلية، في قراءة مستقبلية لوضع بلاد ما بين النهرين، في عددها الصادر بتاريخ ١ كانون الأول ١٩٢٠، مُشيرةً إلى أنّ السير «إدوارد مونتاغو»، وزير الدولة لشؤون الهند، ألقى خطاباً خلال اجتماع بالنادي الدستوري يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ خصّ مسألة مساعي إقامة دولة مستقلة في ما بين النهرين، موضحاً أنّ الإدارة المدنية لمسألة ما بين النهرين تحت إشراف مكتب الهند في لندن ليست «خطة سيئة» و«غير مقبولة»، ويجب الانتهاء منها في أقرب وقت ممكن^(١٣).

وأطنبت الصحيفة في الوقت نفسه مؤكدة أنّ الوزير المسؤول عن الهند هو

The Times, 27/11/1920, p. 9.

(١٢)

The Times, 1/12/1920, p. 7.

(١٣)

الشخص المسؤول عن «إدارة» مستقبل بلاد ما بين النهرين، أما وزير الحرب فمسؤولياته تتمركز في إدارة «العمليات العسكرية» فحسب، لذا «رأى» أنه من المناسب تحديد السياسة المتعلقة بمستقبل بلاد ما بين النهرين من قبل «لجنة» مكونة من مكتب الهند ووزارة الحرب والخزانة، برئاسة وزير الشؤون الخارجية، بما فيها إصدار الأوامر المهمة للإدارة^(١٤).

وعدّت الصحيفة أن إشراف مكتب الهند في إدارة الملف «نظام غير جيد» لإدارة بلاد ما بين النهرين، فالتحكّم المشترك لا يتيح للجمهور فهماً واضحاً، مضيفاً أنه على «المدى الطويل» سيتم الانتقال إلى «تفويض الإدارة» المسؤولة عن بلاد ما بين النهرين إلى الدولة الواحدة، مؤكّدة في الوقت نفسه أنّ موقفه هذا ليس نابغاً عن رغبة في «فصل مكتبه» عن العمل الرائع الذي قُدّم في بلاد ما بين النهرين، إلا أنهم لا يكفّون بالكاد عن التعامل مع المسؤولية الكبيرة في الشرق الأوسط ومن غير العادل أن يتولى المكتب المسؤول عن الهند هذا الملف^(١٥).

وواصلت الصحيفة في نقل آراء السير «إدوارد مونتاغو»، وزير الدولة لشؤون الهند، حين اقترح تجنيد «جيش عربي» بديل لجيش الاحتلال لسحب تدريجياً وتحويل الإدارة في العراق من إدارة عسكرية بحتة إلى إدارة مدنية، بالاعتماد على ما ستؤول له الأوضاع هناك، مختتمة أنّ العمل «الرائع» الذي قام به السير أرنولد ويلسون وفريقه الصغير من الضباط البريطانيين أدى إلى المشاركة في تحقيق رغبات سكان العراق وتطلعاتهم، مشدّدة على وجوب عدم تضخيم تلك الجهود بشكل «مبالغ فيه»، وأنّ مسألة إدارة العراق ستبقى إحدى العلامات «المضيئة» للإمبراطورية البريطانية في الشرق وسبباً يفخر به أبناء البلد، من جهة، ويمتنّ له العراقيون مستقبلاً، من جهة أخرى^(١٦).

كما نشرت صحيفة بول مول غازيت مقالاً بالخصوص نفسه في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٠، تحت عنوان «احتجاج ضد تحميل وزارة شؤون الهند مسؤولية بلاد ما بين النهرين»^(١٧).

Ibid.

(١٤)

Ibid.

(١٥)

The Times, 1/12/1920, p. 7.

(١٦)

Pall Mall Gazette, 30/11/1920, p. 4.

(١٧)

كتبت صحيفة ايفننغ ميل من جانبها مقالاً خبرياً في عددها الصادر بتاريخ ١ كانون الأول ١٩٢٠، استعرضت فيه التطورات في بلاد ما بين النهرين تحت عنوان «بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس»، وقد شدّدت فيه على موقفها من بقاء القوات البريطانية في العراق، لكن وعلى حد وصفها «ليس لأجل غير مسمّى»، معتبرة بأن بريطانيا «العظمى» لم تكن مغفلة إلى ذلك الحدّ لتقترح «دفع الهند جزءاً من تكاليف إدارة الجيش في العراق»، بل على العكس من ذلك حين قبلنا بالمبدأ العام «لصاحب السمو» «الأغا خان»، الذي نصّ على الحدّ من التزاماتنا في العراق، مناشدة المسؤولين عن سحب القوات من البلد الآنف الذكر «التحلّي بالصبر» ريثما تظهر نتائج البعثة التي قام بها السيد بيرسي كوكس، وألمحت إلى أنّه في حال فشل السيد بيرسي كوكس، فمن المستحسن «إعادة الأتراك بأنفسنا»، بشرط عدم السماح لهم بتحدّينا^(١٨).

ومع «تصاعد» الخلاف الآنف الذكر بين الهند ولندن حول مستقبل العراق، ظهر أمر واضح في الصحف البريطانية التي بدأت بنقل الرأي والرأي الآخر فيما خصّ مستقبل البلاد، فعلى سبيل المثال نقلت صحيفة يوركشاير بوست اند ليدز إنتليجنسر (*Yorkshire Post and Leeds Intelligencer*) في مقال لها بتاريخ ٣ كانون الأول ١٩٢٠، وتحت عنوان «مذكرات لندن» رسالة للسير «تي. إتش. جي. ستيفنس» (T. H. G. Stevens)^(١٩)، إلى مجلس العموم مؤكّداً «سُخط» البريطانيين والهنود الممتنعين من «احتمال الانسحاب من العراق وتركه يغرق في الفوضى مجدّداً»، مستشرفاً مستقبل البلد الآنف الذكر، ذي «الكنوز المخفية» تحت أرضه من «ثروات معدنية»، فضلاً عن «محاصيل زراعية سيسهمان بسداد نفقات تطويره بدرجة مذهلة» على حدّ تعبيرها، ناهيك عن حقيقة أنّها «بوابة لبلاد فارس»، مُشيّرة إلى حقيقة ذات «بعد جغرافي»، فالعراق واقع على خط العرض نفسه لكلّ من «مالطا، ونيو أورلينز، وشنغهاي»، ممّا يعني أنّ العراق سيخضع لتغيير

Evening Mail, 1/12/1920, p. 14.

(١٨)

(١٩) تي إتش جي ستيفنس: من دائرة الأشغال العامة للهند، والذي كان برتبة مقدّم سابقاً، وكان يعمل في قسم المهندسين الملكيين في بلاد ما بين النهرين، وهو نجل السيد مارشال ستيفنس، عضو البرلمان عن مدينة إكليس (Eccles).

كامل في مناخه فيما إذا جرى الاهتمام بغطائه النباتي وعلى نطاق واسع^(٢٠).

وفي سياق متابعة الصحف البريطانية لنتائج الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠، واصلت الصحف البريطانية اهتمامها بكل شاردة وواردة خصّت مضامينها تداعيات الثورة الكبرى، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما أورده صحيفة «انديا» في عددها الصادر بتاريخ ٣ كانون الأول ١٩٢٠، وتحت عنوان «ضحايا العرب في بلاد ما بين النهرين» وقد نقلت فيه الصحيفة جانباً من نقاشات مجلس العموم مع الأمين العام لوزارة الحرب البريطاني السير جوزيف مونتاغو كينورثي (Joseph Montague Kenworthy)^(٢١) حين سأل السير مونتاغو الجنرال ونستون تشرشل عن تقديره لعدد الضحايا في صفوف السكان الأصليين في بلاد ما بين النهرين خلال المعارك ضد «قواتنا» منذ بدء «الثورة»، مبيّنة أنّ تشرشل أجاب بقتل ما مجموعه «٨٢٠٠» ضحية من «المتمردين العرب» خلال «التمرد الأخير» للمدة ما بين (الأول من تموز إلى ٢ كانون الأول) ١٩٢٠، مبيّنة أنّه تمّ تقدير نسبة القتلى إلى الجرحى بنسبة واحد إلى ثلاثة^(٢٢).

وأطنبت الصحيفة نفسها في عددها ذاته، وتحت عنوان آخر «السياسة البريطانية في بلاد ما بين النهرين» في الثناء على سؤال السير دبليو جوينسون هيكس (W.Joynson-Hicks)^(٢٣) الموجه إلى الجنرال ونستون تشرشل معتبراً أنّ سكان

Yorkshire Post and Leeds Intelligencer, 3/12/1920, p. 6.

(٢٠)

(٢١) كينورثي (١٨٨٦/٩/٢٢ - ١٩٥٣/٨/٢٤): ضابط بحري بريطاني، عاش كينورثي معظم حياته في إنكلترا وخدم كضابط بحري وسياسي بريطاني بارز في الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية. اشتهر بمعارضته للاستعمار البريطاني والتدخل في الشرق الأوسط. كان عضواً في البرلمان البريطاني عن حزب العمال. انتُخب لأول مرة عام ١٩٢٢ وخدم حتى عام ١٩٣١، كان معارضاً ومنتقداً التدخل العسكري البريطاني في الشرق الأوسط، عارض بشدة سياسة بريطانيا في العراق ودعم استقلاله، كتب كتاب «العراق: الحقائق المجهولة» عام ١٩٢٣ انتقد فيه الاحتلال البريطاني. يُنظر إليه كصوت معارض هام لسياسة بريطانيا الاستعمارية آنذاك. للمزيد حول تفاصيل دوره إزاء المسألة العراقية عام ١٩٢٠ في مجلس العموم انظر: <https://api.parliament.uk>
Biographical Encyclopedia of the World (New York: Institute for Research in Biography, 1948), Vol. 2, p. 4573.

India, 3/12/1920, p. 14.

(٢٢)

(٢٣) دبليو جوينسون هيكس (١٨٦٥/٩/٣ - ١٩٣٢/٩/١١): سياسي بريطاني بارز في المدة ما بين الحربين العالميتين، ولد عام ١٨٦٥، تلقى تعليمه في كلية بومونت وكلية أوريل في أكسفورد، كان عضواً في حزب المحافظين البريطاني، شغل منصب وزير الداخلية (١٩٢٤-١٩٢٩)، وكان معروفاً =

بلاد ما بين النهرين «ليسوا متمردين»، وهو: «هل يمكنني أن أسأل عن الفرق بين متمرد ومندس؟ تشرشل: لم أقل شيئاً من هذا القبيل». مضيفاً أن النائب استفسر في سؤال إضافي «ما إذا كنا نعتزم أن نعيد البلاد إلى المتمردين؟»، إلا أن جواب تشرشل كان «بالنفي»، مضيفاً أن سياسة الحكومة واضحة، وتتمثل في إقامة دولة عربية وحكومة عربية، «لا دور فيها للمتمردين»، وإنما ستتشكل من عناصر «قوية» و«مسؤولة» في المجتمع العربي، «يمكنهم السيطرة على رفاقهم وتوجيههم»، نافياً في الوقت نفسه انسحاب القوات من العراق وتركها للدمار والخراب. كما يجب اتخاذ قرار بشأن من سيقوم بتطوير حقول النفط في الموصل من خلال: «الاعتماد على السلطة العربية التي سننشئها في البلد، وسيكون من مسؤوليتهم تطوير هذه الحقول، اعتماداً على نصائح السلطة الانتدابية»^(٢٤).

واصلت الصحف البريطانية حث الحكومة على ضرورة ضغط نفقاتها، ولا سيما تلك التي استنزفت أموال دافعي الضرائب في صراعاتها العسكرية في الشرق الأوسط وسواها، وهو أمر دفع صحيفة شيفيلد ديلي تلغراف إلى دعوة الحكومة البريطانية بضرورة «ضغط نفقاتها العسكرية»، مبيّنة في عددها الصادر بتاريخ ١٠ كانون الأول ١٩٢٠، وتحت عنوان «أساليب وضع الموازنة» أن الميدان الرئيس للاقتصاد في الشرق الأوسط يتمثل باستكشاف بلدانها «اقتصادياً» لغرض إجراء مزيد من التخفيضات الجذرية للإنفاق الحكومي، معتبرة أن الهدف المُعلن للحكومة البريطانية في العراق يتمثل في تنمية الموارد الطبيعية، واستبدال «قواتنا الإمبراطورية» بجيش عربي، بخاصة بعد القضاء على الثورة الخطيرة في البلد الآنف الذكر، والتي اندلعت «بتحريض من مصدر خارج العراق»، وهو أمر دفع «قواتنا» إلى تقديم يد العون لسكان البلد المحليين ممن لم تكن لهم يدٌ في اندلاعها^(٢٥).

= بمواقفه المحافظة ومعاداته للشيوعية. دافع بشدة عن الاستعمار البريطاني وعارض استقلال المستعمرات، أيّد الوجود البريطاني المستمر في العراق بعد الانتداب. انتقده المعارضون بسبب مواقفه الرجعية في قضايا الحريات المدنية. للمزيد حول تفاصيل دوره إزاء المسألة العراقية عام ١٩٢٠ في مجلس العموم انظر: *Biographical Encyclopedia of the World* < <https://api.parliament.uk> (New York: Institute for Research in Biography, 1948), Vol. 2, p. 4573.

India, 3/12/1920, p. 14.

(٢٤)

Sheffield Daily Telegraph, 10/12/1920, p. 5.

(٢٥)

وأطنبت الصحيفة في العدد نفسه في الثناء على الحكومة التي اتخذت قراراً بالانسحاب من العراق وترك البلاد لمصيرها، مؤكدةً خطرَ تنفيذ «عملية الانسحاب العسكري» من دون وقوع «خسائر فادحة» في الأرواح ومخازن السلاح وأكдاس العتاد، داعيةً إلى «تعزيز» القوات العسكرية لاستمرار «قمع التمرد»، ممّا يسهم في إتمام «مهمتنا» بالتزامن مع «وضع حدٍّ لآثار التمرد ذاك».

وعدت الصحيفة مشاركة السير «بيرسي كوكس» بصورةٍ فعلية «لتأسيس دولة عربية»، تُشرف على إنشاء حكومة مؤقتة^(٢٦)، وتأسيس «جيش عربي» بديلاً من القوات البريطانية يتولّى إدارة شؤون البلد، من جهة، وخفض «قواتنا العسكرية» وتحجيمها إلى «حامية مركزية صغيرة»، من جهة أخرى^(٢٧).

بعد إفصاح عددٍ من الصحف البريطانية عن الدعوة إلى خفض عدد القوات البريطانية، تارة، والمطالبة بالانسحاب الكلي من العراق، تارة أخرى، اتخذت صحف أخرى اتجاهاً مغايراً، معتبرةً الحل الأمثل لمآزق بريطانيا في البلد الآف الذكر إعادة التموضع جزئياً جنوب العراق، وانسجماً مع تلك الدعوات نشرت صحيفة بلفاست نيوز ليدر في عددها الصادر بتاريخ ١٦ كانون الأول ١٩٢٠، وتحت عنوان «الفرصة الأخيرة: دولة عربية مُستقلة»، نصحت فيها «عدم تذكيرنا بضرورة الانسحاب كلياً من العراق»، في إشارة واضحة إلى الصحف ذات الاتجاه الليبرالي، وهو أنّ «الحل الوحيد» يتمثلُ بـ «التقهقر نحو البصرة» على الرغم من العوائق التي «ستواجهنا»، عوائق سياسية، وعسكرية، واقتصادية، منبهةً أن «سياستنا» الحالية ستمكّن بريطانيا من الحفاظ على الوحدة الطبيعية لبلاد ما بين النهرين والدفاع عن «الحدود»، فضلاً عن السعي لأجل «إتاحة استعمال المصادر النفطية الخام الهائلة في بلاد ما بين النهرين» بهدف «تغطية النفقات وتنمية البلاد والدفاع عنها كاملة»، كما «يمكننا إرساء أركان الدولة العربية الموحدة» إلى أن تصبح قادرةً على تولّي شؤونها وإدارتها ذاتياً، وتصبح «عضواً» من أعضاء دول «الكومنولث» البريطانية، «ولا يمكن» أن تتاح الفرصة لبلاد

(٢٦) للمزيد من التفاصيل حول الدور البريطاني في تشكيل الحكومة العراقية انظر:

Benjamin Tobias Dodge, "Social perception and state-formation: the British in Iraq, 1914-1932," PhD thesis, University of London: School of Oriental and African Studies, 2002.

Sheffield Daily Telegraph, 10/12/1920, p. 5.

(٢٧)

ما بين النهرين بإنشاء دولتها إلا «بهذا الشكل»^(٢٨).

وعلى ما يبدو أنّ الصحف البريطانية بدأت تسلّط الأضواء على الإنفاق الحكومي المتزايد نتيجة للنفقات العسكرية للقوات البريطانية في العراق، وهو أمر عدته بعض الصحف «غير مبرّر»، وعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت صحيفة ويسترن ديلي بريس في عددها الصادر بتاريخ ١٦ كانون الأول ١٩٢٠، مقالاً تحت عنوان «ملايين الجنيهات في العراق» أشارت فيه إلى رد السير تشرشل حول «مُقاومي الإنفاق الزائد»، إذ أشار في جلسة لمجلس العموم أنّ التمويل الإضافي للجيش كان بقيمة ٣٩ مليون و٧٥٠ ألف جنيه استرليني، مبرراً أنّ الإنفاق الزائد في العراق كان تسعة ملايين فقط عن المخطط له^(٢٩).

وأطنبت الصحيفة ذاتها أن المعارضين للإنفاق «الزائد» يعتقدون أن الجهود المبذولة في سبيل تقليل القوات في بلاد ما بين النهرين تصطدم بحقيقة أن «قواتنا» استأنفت بناء الحصون بعد انتهاء الثورة هناك، مشيرةً إلى انتقاد السير «أسكويث» خفض النفقات بشدة، فيما يرى السير لويد جورج بأنّه سيكون «خطأً جوهرياً» الانسحاب من العراق؛ إذ أنّ الحكومة تحاول إقامة دولة عربية مستقلة، وهو أمر دفع بأعضاء مجلس العموم إلى رفض مقترح السير «أسكويث» لخفض تمويل القوات البريطانية في العراق بأغلبية ١٨٦ مقابل ٨٢ صوتاً^(٣٠)، وانظر أيضاً الصحف الصادرة في اليوم نفسه، التي نقلت المضمون ذاته^(٣١).

ولفتت صحيفة ديربي ديلي تلغراف في مقال مطوّل لها نشر في عددها الصادر في ١٦ كانون الأول ١٩٢٠، تحت عنوان «رسالتنا من لندن» الأنظار إلى أن الحكومة غير متفهمّة أنّ الجمهور يعتبر «التقشف» أمراً ضرورياً، وأنّ الهدر والتبذير

Belfast News-Letter, 16/12/1920, p. 10.

(٢٨)

Western Daily Press, 16/12/1920, p. 10.

(٢٩)

Ibid.

(٣٠)

Luton News and Bedfordshire Chronicle, No. 3394, p. 8; *North Wales Weekly* (٣١)

News, No. 1761, p. 10; *Ripon Observer*, No. 2320, p. 6; *Welsh Gazette*, No. 1122, p. 5;

West Briton and Cornwall Advertiser, No. 2716, p.5; *Bally money Free Press and Northern*

Counties Advertiser, No. 3002, p. 1; *Banbury Guardian*, No. 4042, p. 7; *Gloucestershire*

Echo, p. 5, 16/12/1920.

يزيدان من البطالة في جميع أنحاء البلاد، مؤكدةً أن على مجلس العموم أن يُكرّس اهتماماً مناسباً لمثل هذا الإنفاق، منبهةً إلى أن البرلمان أظهر روح الاستقلالية في مجموعة متنوعة من المواضيع، إلا أن الحكومة تحاول السيطرة على كل قضية، ويبدو واضحاً أن مجلس العموم أمسى غير مبالٍ بما تفعله الحكومة، ففي ما يتعلّق بالعراق فقد أعرب السير ونستون تشرشل «أمس» في مجلس العموم عن الحاجة إلى إضافة مبلغ ٩ ملايين جنيه إسترليني إلى الملايين التي أنفقت بالفعل على العراق للسيطرة على البلاد، ومن أجل ماذا؟ ما هي إلا «رغبة تافهة». مستنكرةً ادعاء «البعض» أن الحكومة كانت مسرعة جداً في إرسال كتائب كبيرة من القوات إلى العراق، ممّا أدّى إلى خوف السكان المسلحين ببنادق بريطانية من «تدخلنا» في العادات والإدارة هناك، «فماذا كانت النتيجة؟» وكانت النتيجة حرباً مكلفة، وتضرّر «مواطنينا» لأن الإيجارات ارتفعت مراراً وتكراراً إلى أسعار مُبالغ فيها^(٣٢).

من الواضح أنّ تداعيات الثورة العراقية الكبرى قد امتدت لتصل إلى لندن، إذ ركزت بعض الصحف البريطانية يوم ذاك على تأثير الحرب في العراق في الانتخابات العامة في بريطانيا، ومن بين تلك الصحف، على سبيل المثال لا الحصر، ما نشرته صحيفة ويسترن مورننغ نيوز في مقال مطوّل لها تحت عنوان «تحذير آخر» في عددها الصادر بتاريخ ١٨ حزيران ١٩٢١، جاء فيه أنّ حُكم مقاطعة إيست هيرتفورد يضرب مسماراً آخر في نعش مُبدّري المال، فالخلاف في الدائرة الانتخابية نفسها خلال الانتخابات العامة كان مربكاً، إذ إنّ المنافسة كانت بين مرشح التحالف وبطل قضية مكافحة الإسراف في الإنفاق، وفاز الأخير بأغلبية واضحة، وهو أمر لم يحدث قبيل الحرب، وما هو إلا نتيجة «لمغامرات» السير ونستون تشرشل في بلاد ما بين النهرين، مؤكدةً أنّه وفي ضوء النتائج في إيست هيرتفورد، هيوود، وسانت جورج، ويستمنستر، فإنّه من المستحيل القول بأنّ مجلس العموم الحالي ما زال يمثّل الشعب نتيجة استمرار الشؤون الخارجية لبريطانيا في دول العالم، مختتمةً بطرح تساؤل «هل يكون لدى ساسة بلادنا القدرة على إقناع العالم أنّهم يحظون بتأييد الغالبية العظمى من شعب بلادهم؟»^(٣٣).

Derby Daily Telegraph, 16/12/1920, p. 5.

(٣٢)

Western Morning News, 18/6/1921, p. 4.

(٣٣)

وكتبت صحيفة «ليدز ميركوري» تحت عنوان «ملايين ضائعة» في عددها الصادر ٦ تشرين الثاني ١٩٢٢، أيدت فيه تلك الأصوات الصحفية الراضية للتدخل في العراق، مؤكدة أن التدخل في تلك البلاد كان «خطأ» و «ضباعاً للوقت»، وأن كلّ الملايين التي أنفقت كانت مهدرة، وأن المسألة عملية فشل وضياع المحاولات للتدخل في تلك البلاد العظيمة التي كانت في حالة من الفوضى. مذكراً أنّ البعض عارضوا هدر الأموال في بلاد ما بين النهرين، وعارضوه باستمرار، واتضح أنّهم كانوا «على حقّ تماماً»، متسائلة: هل يمكن الآن بوجود أيّ شكّ لدى الناحيين المنصفين غير المنحازين لحزب ما، بأنّ سجل الداعمين للحرب هو الأفضل؟ مجيبةً بوجود ائتلافين ومحافظون لم يتعظوا من تلك الحرب، رغم فشل ائتلافهم^(٣٤).

ونبهت صحيفة ساندبي بوست إلى التحديات الأمنية التي تواجهها بريطانيا العظمى، وجاء في عددها الصادر بتاريخ ١٧ أيلول ١٩٢٢، تحت عنوان «حرائق اليونانيين»، أنّ الخطر الأكبر الذي يواجهه العالم «اليوم» هو الشرق، مع مجموعة صغيرة من قوات الحلفاء، إذ كنّا نسيطر على اسطنبول للحفاظ على حرية الدردنيل ومضيق البوسفور لتأمين التجارة في العالم، معتبرةً من غير «اللائق» بعد هزيمة تركيا التخلّي عن حرية المضيق، وهو أمر عدته احتمال إرسال المزيد من القوات إلى الشرق. مذكراً بأنّ حرب عام ١٩٢٠ في بلاد ما بين النهرين كانت بمثابة «لعبة أطفال» مقارنة «بيومنا هذا»^(٣٥).

ونقلت صحيفة إدينبرة ايفنغ نيوز (*Edinburgh Evening News*) في عددها الصادر بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩٢٢، في مقال لها تحت عنوان «القاموس»، مشيرةً فيه إلى بحث السير «بونار لو» في القاموس عن حلقة الترابط بين كلمات «تفاعل» و«ثورة» و«اقتصاد»، ومؤشرة إلى أنّ الاقتصاد هو «ما يهّمنا» في الوضع الحالي، إذ أنّ الاقتصاد يعتمد على السياسة، متمنيةً: «ألا نكون قد ذهبنا أبداً إلى بلاد ما بين النهرين»، إذ أن كلّ «الثورة»، ووفق نص تعبيرها، «كانت قاسية على البريطانيين»^(٣٦).

Leeds Mercury, 18/6/1921, p. 3.

(٣٤)

Sunday Post, 17/9/1922, p. 1.

(٣٥)

Edinburgh Evening News, 8/11/1922, p. 3.

(٣٦)

وعلى ما يبدو، كان للصحف البريطانية مواقف وآراء متباينة تجاه السياسة البريطانية إزاء الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠. وكثيراً ما أظهرت هذه المواقف الميول السياسية ووجهات النظر التحريرية للصحف. ويتضح لنا جلياً أنّ العديد من الصحف البريطانية المحافظة قد دعمت وبشدة إجراء الحكومة البريطانية في قمع الثورة بما أوتيت من قوّة، مستندةً على الرأي الحكومي القائل بضرورة التدخل العسكري في سبيل الحفاظ على النظام في العراق من جهة، وحمايةً للمصالح البريطانية في المنطقة من جهة أخرى. معتبرةً تلك الصحف سياسة الحكومة وسيلةً مهمّةً لتحقيق الاستقرار في المنطقة.

وقد اتخذت بعض الصحف، وخاصة ذات الميول الليبرالية، مواقف انتقاديةً تجاه السياسة البريطانية إزاء السكان المحليين ممّن تعرضوا للقوّة المفرطة لقمع انتفاضتهم المحلية، مُشكّكةً في الوقت نفسه في مبررات الحرب على العراق، داعيةً إلى إيجاد حلول «سياسية»، مقرونةً بسحب القوات البريطانية في أقرب فرصة ممكنة. وهو أمر أفضت تلك الآراء المتباينة في مواقفها إلى احتدام النقاش داخل الصحافة البريطانية، متطرّقةً في صفحاتها إلى إبراز مزايا السياسة البريطانية وعواقبها في العراق يوم ذاك، ممّا سمح للقراء بالتفاعل مع القضايا المحيطة بالنزاع، من جهة، وبرزت معها تغطية واسعة لتطوّرات الثوّرة على الأرض في بلاد ما بين النهرين، متحدثةً عن العمليات العسكرية والخسائر والتطوّرات الميدانية، وقد سمحت تلك التغطية الصحفية للجمهور بالبقاء على اطلاع بتقدّم الحرب، من جهة أخرى.

فلا مراء إذا اتخذت مواقف الصحف البريطانية الآنفه الذكر دوراً في تشكيل الرأي العام حول مجريات الثورة ونتائجها، منبهةً فيها الجمهور البريطاني على تعامل الحكومة وأهدافها من الحرب إزاء العراق، إذ غالباً ما يُظهر الموقف التحريري للصحيفة الموقف السياسي والأيديولوجي العام لها. على سبيل المثال، كانت الصحف المحافظة تميل إلى دعم الحكومة، في حين كانت الصحف الأكثر ليبرالية أو مناهضة للإمبريالية انتقادية، فضلاً عن تتبّعها المسارات السياسية للحكومة البريطانية وأهدافها المستقبلية، ولا سيّما بعد إقرار مشروع الانتداب على العراق، وهذا ما سيفصله الباحث في الفصل الرابع عشر.

الفصل الرابع عشر

مواقف الصحافة البريطانية من الانتداب في العراق بعد الثورة

مثّلت الصحف البريطانية نقطة ارتكاز في توعية الرأي العام البريطاني بمجمل الأحداث السياسية التي عصفت بالوجود البريطاني في العراق، بالتزامن مع اندلاع الثورة العراقية الكبرى ضد الوجود البريطاني، وكانت ضراوة الثورة واتساع نطاقها الجغرافي تعني أنّ تكلفة قمعها مرتفعة من حيث النفقات والإصابات، وهو أمر استغرق من الجيش البريطاني المنهك ثلاثة أشهر لاستعادة سيطرته على البلاد^(١).

وقد أسهمت الصحف البريطانية على اختلاف توجهاتها واتجاهاتها في تشكيل رأي عام "مُرحب" تارة، و"مناوئ" تارة أخرى، إزاء "الضجة الإعلامية البريطانية" التي أحدثتها الثورة، ممّا دفع السلطات البريطانية إلى إحداث تغيير جذري في سياستها إزاء البلد^(٢)، وبخاصة بعد إرسال السير بيرسي كوكس إلى بغداد لتولي مهمة تلخّصت في تصميم دور لبريطانيا في العراق ليتوافق مع المعايير الدولية الجديدة من جهة^(٣)، وحاجة الحكومة الملحة إلى خفض الإنفاق بما يتماشى مع

(١) Piri Akin, "The formation of Iraqi nationalism under the British mandate, (1920-1932)", PhD thesis, METU - Middle East Technical University, 2009, p. 135.

(٢) Stuart Cohen, "Mesopotamia in British Strategy, 1903-1914," *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 9, No. 2, 1978, pp. 171-181.

(٣) Susan Pedersen, "Getting Out of Iraq in 1932: The League of Nations and the Road to Normative Statehood," *The American Historical Review*, Vol. 115, No. 4, October 2010, p. 976.

ضغط الصحف البريطانية، ولتقليل ردود فعل الرأي العام البريطاني الناشئ عن مواقف تلك الصحف إزاء الكُلف المادية الباهظة للانتداب على العراق^(٤).

كان على السير برسي كوكس وفريقه تولي زمام تنفيذ بنود الانتداب بمساندة كل من: السير هنري دوبس، وجيلبرت كلايتون، وفرانسيس همفريز^(٥)، وحاول كلٌ منهم تفسير تعليمات مشوشة ومتناقضة وغير مُعتمدة في كثير من الأحيان من قبل لندن، بينما كانوا يكافحون من أجل بناء مؤسسات دولة قابلة للتفاوض في تحمل حكومة ناشئة قادرة على إدارة ملف الانتداب لتحمل التكاليف الباهظة للانتداب البريطاني^(٦)، وكانت نتيجة البناء السريع لـ«واجهة عربية» للانتداب متضمنة تعيين فيصل ملكاً على عرش العراق ونقل السلطة السياسية إلى حكومة مكوّنة من العراقيين^(٧).

كانت هذه المدة كافية لخلق رأي عام بريطاني إزاء سياسة الانتداب البريطاني للعراق، وخاصة أن بعض الصحف اسهمت في بناء جيل متعلّم وذات رؤية سياسية متطلّعة إلى مواكبة الأحداث التي يمرّ بها بلدهم^(٨). وقد استطاعت الصحف المعارضة بأن تكون السلطة الرابعة في إيصال رأي الشارع البريطاني، على الرغم ممّا تعرّضت له من صفقات سياسية لرؤساء تحرير بعضها مع أعلى سلطة تنفيذية في البلد، وسائل إعلام افتعلت «تضخيم» إخفاقات حكومات بعينها لتحقيق مآرب سياسية محدّدة آنذاك^(٩).

Toby Dodge, "The British Mandate in Iraq, 1920-1932", The Middle East (٤) Online Series 2: Iraq 1914-1974, Cengage Learning EMEA Ltd, Reading, 2006.

Amal Vinogradov, "The 1920 Revolt in Iraq Reconsidered: The Role of Tribes (٥) in National Politics," *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 3, No. 2, 1972, pp. 123-139.

Nigel Davidson, "The Termination of the Iraq Mandate," *International Affairs* (٦) (Royal Institute of International Affairs 1931-1939), Vol. 12, No. 1, Jan., 1933, pp. 60-78.

Helen Chapin Metz (ed.), *Iraq a country study* (Washington, D.C.: Federal (٧) Research Division, Library of Congress: For sale by the Supt. of Docs., U.S. G.P.O., 1990), p. 31.

Dilks, David N., *Public Opinion and Foreign Policy: Great Britain, in Opinion* (٨) cole Française Publique Politique Exterieur, Vol. 2, 1915-1940 (Rome: Publications de l' de Rome, 1984), p. 60.

Ibid.

(٩)

وانسجاماً مع ما تقدّم، أولت الصحف البريطانية اهتماماً بالغاً؛ لما شكّله الانتداب البريطاني على العراق من حرج واضح للحكومة البريطانية، وأفردت على سبيل المثال صحيفة التايمز مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٢٠، تحت عنوان «الانتداب في بلاد ما بين النهرين»، أشارت فيه إلى عجز بريطانيا ليس عن خلق «هجرة جماعية» إلى بلاد ما بين النهرين لاستغلال موارد طبيعية، مؤكّدة أنّ اهتمامها سياسيّ محدود إزاء البلد الآنف الذكر، مقترحةً ضرورة فتح أبواب بلاد ما بين النهرين أمام «الهجرة الإيطالية» واستغلالها اقتصادياً من قبل إيطاليا، وهو أمر يؤدّي إلى التوفيق بين مصالح إنكلترا وإيطاليا اقتصادياً، وبالتالي خلق «احتلال مزدوج» لبلاد ما بين النهرين، منبهّة إلى أنّ إيطاليا بلد محدود المساحة وفقير بثرواته الطبيعية، مع سكان بلغ «أربعين مليون نسمة»، كما يصعب إرسال الإيطاليين إلى ألمانيا أو النمسا أو إلى فرنسا والولايات المتحدة بسبب تداعيات الحرب^(١٠).

وفي المقال نفسه نهت الصحيفة إلى أنّ بريطانيا احتلت العراق بشتى الذرائع، ومن الإنصاف أن يتاح للإيطاليين «مشاركتنا» في استغلال ثروات بلد غني بالموارد الاقتصادية، من جهة، وقريب من سواحلها في البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى، إذ يمكنها إرسال مهاجريها واستعمال ما تحتاجه لاستكمال موارد الخام في أرضها الفقيرة طبيعياً، مختتمة أنّ «احتلال مزدوج» لبلاد ما بين النهرين يكفل المصالح السياسية لإنكلترا ويمنح إيطاليا حقلاً واسعاً لتوسيع اقتصادها، وهو الذي يُعدّ أمراً ضرورياً لحل مشكلتها الكبيرة، مع وفرة السكان في بلد صغير نسبياً وفقير^(١١). انظر أيضاً الصحف الصادرة في ٢٦ نيسان ١٩٢٠، التي نقلت المضمون نفسه^(١٢).

وخصّصت صحيفة ويسترن ديلي برس في عددها الصادر بتاريخ ٣ تموز

The Times, 15/4/1920, p. 12.

(١٠)

Ibid.

(١١)

Aberdeen Press and Journal, No.20381, p. 5; *Birmingham Mail*, No. 16936, p. (١٢)

4; *Daily Mirror*, No. 5145, p. 3; *Derry Journal*, p. 3; *Dundee Courier*, No. 20874, p. 3;

Edinburgh Evening News, No. 14687, p. 5; *Exeter and Plymouth Gazette*, No. 23074, p. 1;

Freeman's Journal, p. 5; *Globe*, No. 38926, p. 2; *Leeds Mercury*, No. 25125, p. 1, 26/4/

1920.

١٩٢٠، جزءاً حيويًا من إحدى صفحاتها لمقال نشرت عنوانه اختصاراً بـ«انتقاد السياسة الخارجية»، انتقدت فيها سياسة بريطانيا الخارجية إزاء العراق، موضحةً أنَّ البلد الآنف الذكر لم يكن مسرحاً جديراً «بالاستغلال»، مُشيرةً في الوقت نفسه إلى أنَّ مسؤولية بريطانيا في الوصاية على العراق أخلاقيةً بالدرجة الأولى «ويُضرب بها مثلاً بين سائر الدول» وهذا ما يجعلنا «نُمن دورنا هناك» قبل أن نُثمن «نقطتها»^(١٣).

وتناغمًا مع ما نشرته الصحيفة الآنفة الذكر، وفي السياق نفسه، نشرت صحيفةُ «ديربي ديلي تليغراف» في عددها الصادر بتاريخ ١٩ تموز ١٩٢٠، مقالاً وسم بعنوان «رسالتنا من لندن»، موجهةً خطابها إلى رئيس الوزراء السير السيد لويد جورج وهو أنَّ عليه «معرفة أنَّ البلاد لن تتحمّل إنفاق المزيد من الملايين في الشرق»^(١٤). وساندتها في الرأي صحيفة ويسترن تايمز نفسها في عددها الصادر بتاريخ ٢١ تموز ١٩٢٠، وتحت عنوان «انتدابات»، مُشيرةً إلى أنَّ تكلفة الإنفاق على «جيشنا» في العراق والمؤلف من «ثلاثين ألف رجل» قد بلغ «ثلاثين مليون جنيه»، وهو أمر دعت معه الصحيفة إلى البحث عن حلولٍ «موضوعية» بشأن مشاكل البلد الآنف الذكر، خُصّت منها، على سبيل المثال لا الحصر، إنشاء مؤسسة ملكيةً يترأسها الأمير فيصل بن الحسين، في الوقت الذي فرضت فيه إدارة «الانتداب» سيطرتها على مدينة بغداد^(١٥).

وفي اتجاه معاكس، دعت مجموعة أخرى من الصحف إلى تأكيد استمرار الإمبراطورية البريطانية بالوصاية على العراق وفق بنود «الانتداب» التي أقرتها عصبة الأمم، وعلى سبيل المثال نشرت صحيفة ليفربول ايكو في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٢٠، مقالاً حمل عنواناً واضح المغزى والدلالة هو: «موقف بريطانيا من النزاعات العالمية»، مشددةً على تصريح لرئيس الوزراء السير لويد جورج، ومفاده أنَّ الصعوبات في العراق «مؤقتة»، ويمكن لحكومته التغلّب عليها، رافضاً الدعوات لتلك الصحف «بترك الانتداب لعدم وجود سبب مُقنع»، وفق حدّ تعبيره، مؤكدةً أنَّ سياسة الحكومة البريطانية تهدفُ لإنشاء «دولة عربية» بمشورةٍ ودعمٍ بريطاني في العراق^(١٦).

Western Daily Press, 3/7/1920, p. 9.

(١٣)

Derby Daily Telegraph, 19/7/1920, p. 5.

(١٤)

Western Times, 21/7/1920, p. 2.

(١٥)

Liverpool Echo, 22/7/1920, p. 8.

(١٦)

وقد نشرت صحيفة ليدز ميركوري بالخصوص نفسه في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٢٠، وتحت عنوان «موقف بريطانيا من النزاعات العالمية»، ناقلة عن رئيس الوزراء البريطاني أن لا وجود لسبب مُقنع لترك الانتداب على العراق، مستغربة في الوقت نفسه من استهداف العراقيين لقوات الانتداب الهادفة إلى إنشاء «دولة عربية» بمشورة بريطانيا ودعمها^(١٧).

كما سلّط عددٌ من الصحف الأضواء على المصالح البريطانية النفطية في العراق بموجب سلطة «الانتداب»، مؤكدةً أنه بات لازماً على الحكومة البريطانية استثمار الثروات النفطية «الهائلة» في العراق بما يسمح لها من تخفيفٍ للتكاليف المالية إزاء «الانتداب» على البلد الآنف الذكر، وانسجماً مع تلك الدعوات من بعض الصحف المالية للحكومة البريطانية نشرت صحيفة برمنغهام ديلي غازيت في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٢٠، وتحت عنوان «أنابيب نفط العراق»، مقالاً أشارت فيه إلى اجتماع عُقد في مجلس العموم للتداول فيما خص الاتفاق البريطاني- الفرنسي بخصوص حقول النفط في بلاد ما بين النهرين، مضيفة إلى أن الاتفاق ترك «الاحتمالات مفتوحة» فيما يتعلّق بتطوير حقول النفط في العراق، مؤكدةً أن الامتيازات تستند إلى الحقوق التي منحتها الحكومة التركية، منبهةً إلى ضرورة التأكيد على التعاون مع الفرنسيين لتوفير خطوط نقل النفط من بلاد ما بين النهرين إلى البحر الأبيض المتوسط بواسطة أنابيب تمتدّ عبر مناطق النفوذ الفرنسي في سوريا^(١٨).

فلا مرأى من أن نجدَ عدداً من كُبرى الصُحف البريطانية يومئذٍ وقد أولت حقول نفط العراق أهميةً خاصةً في عدد من صفحاتها، كان من بينها صحيفة ويسترن ديلي بريس في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ تموز ١٩٢٠، حين نشرت مقالاً أشارت فيه إلى «السياسة الأمريكية» تجاه العراق، وتحت عنوان «مطالبة الأمريكيين بفرص متكافئة»، مشيرةً فيه إلى أن رسائل أمريكية أرسلت إلى «بريطانيا العظمى»^(١٩) مُطالبَةً فيها

Leeds Mercury, 22/7/1920, p. 6.

(١٧)

Birmingham Daily Gazette, 24/7/1920, p. 1.

(١٨)

(١٩) تقاسمت بريطانيا وفرنسا ثروة العراق النفطية، حيث حصلت الشركة النفطية التركية على نسبة (٢٣,٧٥٪) والشركة النفطية الفرنسية على نسبة (٢٣,٧٥٪) وشركة شل (بريطانية-هولندية) على نسبة (٢٣,٧٥٪) وشركة أرامكو على نسبة (٢٣,٢٥٪). وحصل كل كيان على نسبة (٥٪). حميد فجر ذياب، «التطورات الاقتصادية في العراق ١٩٦٣-١٩٦٨»، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ١٩٩٩، ص ٢١.

بالحصول على فرص متكافئة للأمريكيين من حقول نفط العراق^(٢٠) باعتبار أنَّ بريطانيا^(٢١) هي الدولة «المنتدبة» في العراق^(٢٢).

وفي سياق الأزمة الاقتصادية التي ضربت لندن إثر ازدياد النفقات العسكرية والسياسية الخارجية دعت الصحف البريطانية إلى ضرورة التخلّي عن مشروع الانتداب على العراق، والاهتمام بالشأن الداخلي البريطاني، وعلى سبيل المثال لا الحصر كتبت صحيفة ذا بيوبيل في عددها الصادر بتاريخ ١ آب ١٩٢٠، وتحت عنوان «الحد الضريبي»، مشيرة فيه إلى مناقشة مشروع قانون المالية في القراءة الثالثة، إذا استمرت الضرائب بالوتيرة المتصاعدة لعامي ١٩١٩-١٩٢٠، عادةً أيّاه أمراً «مقلقاً للغاية»، مشيرة إلى احتمال إلغاء دعم الخبز، مؤكدة أنَّ الحل الأسلم يتمثل في تدابير مثل «التخلّي عن ولايتنا في بلاد ما بين النهرين» سيكون، مبرراً بتزايد «الاستياء الشعبي» من الإنفاق الذي تحمّله الحكومة في العراق^(٢٣).

وفي السياق نفسه، نشرت صحيفة دندي ايفننغ تلغراف مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ٢ آب ١٩٢٠، مُشيرة فيه إلى الرسائل الأمريكية «المتكررة» إلى الحكومة البريطانية بخصوص «حقول نفط» في بلاد ما بين النهرين، مستغربةً من تلك المطالب الأمريكية بحصة «مجانية» من ضمن حقول نفط العراق، وفق نص تعبيرها، مبديةً استنكارها واستيائها من القوى الانتدابية التي تتعامل مع العراق على أنَّها ولاية

(٢٠) للمزيد حول التنافس البريطاني الأمريكي على حقول النفط في بلاد ما بين النهرين، ينظر: طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني الأمريكي على نفط الخليج العربي (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢).

(٢١) ورد في إحدى الوثائق البريطانية ما نصّه: «أوضح أنّه لا وجود لأي اعتراض على تخصيص نسبة مئوية من الفائدة لحقول النفط في بلاد ما بين النهرين إلى الحكومة الفرنسية، ولكن لا ينبغي القيام بأي شيء قد ينتج منه نقل الفوائد من آبار النفط في بلاد ما بين النهرين لصالح شركات مساهمة. تدخلت وزارة الخارجية، نظراً إلى الصعوبات التي ستواجه تلك الشركات، نظراً إلى استثناء شركة Standard Oil Company of America، وأشير إلى أنّه بما أنَّ البلاد تخضع للاحتلال البريطاني، وكامل تكاليف الحملة تقع على عاتق الحكومة البريطانية، فإنّه ليس لشركة Standard Oil Company of America الحقّ في المشوّل أمام المحكمة، كما أنّه ليس هناك أي سبب يدعو إلى تقديم شكوى. CAB-23-37-19.

Western Daily Press, 30/7/1920, p. 9.

(٢٢)

The People, 1/8/1920, p. 9.

(٢٣)

تابعة لها أو مُلك لها، مطالبةً بحقوق حصرية لبريطانيا التي تنفق الأموال والوقت من أجل تطوير البلاد^(٢٤).

كما شنت الصحافة البريطانية «هجومًا لاذعًا» على الحكومة البريطانية نتيجةً لقمع سكان بلاد ما بين النهرين «المنتفضين» إزاء قرار «الانتداب» على أراضيهم، فعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت صحيفة التايمز لمالكها اللورد نورثكليف، مقالاً منتقداً فيه تصريحاً لمكتب الهند «عديم النفع» حول اجتماع لوجهاء عراقيين عُقد في بغداد للعمل على صياغة «قانون انتخابي»، وفي الوقت نفسه أشار مكتب الهند «كذباً»، وفق نص تعبيرها، إلى أنّ بغداد معرضة لخطر محاصرة «المتمردين»، مستغربةً من تسمية عشائر بلاد ما بين النهرين بـ«المتمردين»؟ وضد أي سلطة «يتمردون»؟ فبلاد ما بين النهرين لا تشكل جزءاً من الإمبراطورية البريطانية، مشيرةً إلى أنّ عصبة الأمم منحت بريطانيا العظمى «انتداباً» على بلاد الرافدين، بموجب المادة الثانية والعشرين لميثاق عصبة الأمم، مذكراً أنّه بموجب هذا التفويض يتعين على بريطانيا تقديم «المشورة والمساعدة الإدارية» لسكان العراق، معتبرةً أنّ «الرفاهية والتنمية» يشكّلان «أمانة مقدسة للحضارة»^(٢٥).

وأطنبت الصحيفة في المقال نفسه عدم قبول أن يطلق على المشاركين في الانتفاضة لفظ «المتمردين»، وبأي حال من الأحوال في الوقت الذي التزمت فيه الحكومة البريطانية الصمت التام، ورفضها تقديم أي تفسير بديل، مستنتجةً أنّ شعب بلاد ما بين النهرين قد ثاروا لاعتراضهم على «الانتداب» المقترح، بل إنّهم كانوا يكرهون أسلوب «فرض السلطة البريطانية» عليهم، في الوقت الذي فرضت فيه «حكومتنا» على العراقيين مئات المسؤولين الذين يتقاضون أجوراً باهظة، والذين يعادل عددهم ما يقرب من نصف إجمالي موظفي الخدمة المدنية الهندية المتفق عليها، فضلاً عن فرض «ضرائب هائلة» متناسبةً أنّ بلاد ما بين النهرين باتت فقيرة بسبب الحرب التي دمّرتها^(٢٦).

وقد واصلت الصحيفة نفسها انتقادها لأساليب الحكومة «الدعائية» الموجهة إلى

Dundee Evening Telegraph, 2/8/1920, p. 4.

(٢٤)

The Times, 19/8/1920, p.11.

(٢٥)

Ibid.

(٢٦)

شعب بريطانيا العظمى لغرض خلق «انطباع كاذب تماماً» عن موقف السكّان «المنتفضين» من قرار «الانتداب»، حين صوّرت أولئك السكّان بـ «المدّعين المطيعين» للإدارة البريطانية، مختتمةً بطرح سؤال: لماذا يخفي المكتب الحربي ومكتب الهند الحقيقة عن الشعب البريطاني؟^(٢٧).

ويبدو ممّا تقدّم أنّ صحيفة التايمز، ومن خلفها مالکها اللورد نورثكليف، سعت وبجهدٍ حثيث إلى نشر مقالات مندّدة بالحكومة وأساليبها في العراق، من أجل الضغط السياسي على حكومة السير «ديفيد لويد جورج» بهدف الحصول على مغنم سياسية تمثّلت برغبة اللورد الانخراط في الكابينة الوزارية لرئيس الحكومة البريطانية آنذاك، بحسب بعض الباحثين^(٢٨).

وقد واجهت صحف أخرى الأصوات «الصحفية والإعلامية» المندّدة بقرار «الانتداب» على العراق يومئذ بمقالات دعت فيها إلى ضرورة مؤازرة قرار «الوصاية» البريطانية على العراق، فعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت صحيفة روتشديل تايمز (*Rochdale Times*) في عددها الصادر بتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٢١، تحت عنوان: «سياسة الحكومة في بلاد ما بين النهرين»، نداءً اقتبست مضامينه، وبفقرات موسّعة، من خطاب للسير آرثر جيمس بالفور (Arthur James Balfour)^(٢٩) في اجتماع لاتحاد المحافظين يوم ٨ كانون الأول ١٩٢٠، مطالبة إياهم دعم قرار «الانتداب» البريطاني

The Times, 19/8/1920, p. 11.

(٢٧)

J. M. McEwen, "Northcliffe's desire to take over Northcliffe and Lloyd George at War," *The Historical Journal*, Vol. 24, No. 3, Sep., 1981, pp. 651-672.

(٢٩) آرثر جيمس بالفور (١٨٤٨ - ١٩٣٦): سياسي بريطاني، ولد في ويتنغهام، اسكتلندا، والده أحد أثرياء اسكتلندا مالک أراضي وفحم، استثمر ثروته في شركة الهند الشرقية. تولّت تربيته شقيقة رئيس الوزراء لورد سالزبري، تلقى تعليمًا من الطبقة الحاكمة التقليدية، وتمّ إرساله إلى إيتون، ثم إلى كلية ترينيتي في كامبريدج، تأثّر بالفور بطروحات الفيلسوف هنري سيدجويك، صاحب المقولة الشهيرة: «لماذا يجب أن أكون صالحاً؟»، حافظ على منصب قوة حزب المحافظين البريطاني لمدة ٥٠ عاماً. شغل منصب رئيس الوزراء من عام ١٩٠٢ - ١٩٠٥، وكوزير خارجية من عام ١٩١٦ - ١٩١٩، اقترن اسمه بـ «وثيقة بالفور» الذي عبّر فيه عن موقفه الرسمي عن موافقة بريطانيا على إنشاء دولة صهيونية ضمن الأراضي الفلسطينية. من أبرز مؤلفاته كتاب **دفاع عن الشك الفلسفي** (١٨٧٩). للمزيد من التفاصيل انظر:

Richard N. Kelly, and John Cantrell (eds.), *Modern British Statesmen, 1867-1945* (Manchester; New York: Manchester University Press, 1997), p. 97.

لبلاد ما بين النهرين، على حدّ تعبيره، ولعلّ من المفيد اقتباس بعض مضامين مقال السير بلفور للتعرف إلى مضامين السياسة التي أشارت إليها الصحيفة الآنف الذكر: «إنّ مسألة الانتداب في بلاد ما بين النهرين كانت سبباً في إثارة كثير من القلق خلال الأشهر القليلة الماضية في بريطانيا. وقد برز العديد من الاعتراضات حول السياسة التي تتبّعها الحكومة هناك، بسبب حجم الإنفاق الهائل الذي يقع على عاتقها وصرف المزيد من الأموال المقدّرة بعدّة ملايين، والتي كان من الممكن ادّخارها بدلاً من ذلك. كما عقد اجتماع برئاسة السير جورج بايش (Sir. George Paish)^(٣٠)، الذي تناول موضوع أهميّة دور عصبة الأمم، لكن كان هنالك متحدّث واحد، وهو عضو في حزب العمّال، الذي اغتنم الفرصة أثناء الاجتماع ليثبط من عزيمة الحكومة وسياستها المتّبعة في بلاد ما بين النهرين... إنّ السبب الرئيس وراء تبني الحكومة لتلك السياسة في بلاد ما بين النهرين، والتي تُعنى بتعليم سكّان تلك البلاد كيف يحكمون أنفسهم، كان يتملّ بالقيام بمحاولة وتنفيذ الرغبة بالانتداب من قبل عصبة الأمم التي أشار إليها المتحدث^(٣١).

وعلى الجانب الآخر تصاعدت الأصوات المنتقدة «بشدة» لسياسة بريطانيا تجاه بلاد ما بين النهرين، وظل النقاش «محتدماً» بين «مؤيد» لنظام الانتداب وبين «رافض» تتداوله أعلام المعنّين بين مدّة وأخرى على صفحات صحف عدّة، فعلى سبيل المثال لا الحصر كتبت صحيفة كينت اند ساسكس كورير (Kent & Sussex Courier) مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩٢١، تحت عنوان «بريطانيا وبلاد ما بين النهرين»، انتقد فيه البرلمان هيربرت هنري سبندر كلاي (Herbert Henry Spender-Clay)^(٣٢) العضو المستقل في البرلمان^(٣٣) بشدة

(٣٠) جورج بايش (١٨٦٧ - ١٩٥٧): كان اقتصادياً ليبرالياً بريطانياً ذا شهرة عالمية، مؤلفاً لكتاب «هزيمة الفوضى» (١٩٤١)، وكذلك السكك الحديدية في بريطانيا العظمى (١٩٠٤)، وشارك في تأليف كتاب الطريق إلى الازدهار عام ١٩٢٧. دافع عن السوق الحرة قبل الحرب العالمية الأولى، وكان في مرحلة ما مستشاراً لرئيس الخزانة البريطانية. كما عمل لفترة كرئيس مشارك للجمعية الأنغلو إثيوبية < <https://en.wikipedia.org/wiki> > .

Rochdale Times, 12/1/1921, p. 5.

(٣١)

(٣٢) سبندر كلاي (١٨٧٥ - ١٩٣٧): سياسي في حزب المحافظين. خدم في بلاد ما بين النهرين وفرنسا وأنهى الحرب. شغل منصب عضو في مجلس العموم من عام ١٩١٠ إلى عام ١٩٣٧. < <https://en.wikipedia.org/wiki> > .

(٣٣) للمزيد حول تطور البرلمان البريطاني ينظر: ربيع حيدر طاهر الموسوي، «تطور البرلمان =

«فرض» الانتداب على بلاد ما بين النهرين بسبب «الضائقة المالية» للحكومة منوهاً بأن السير كلاي دائم التصويت ضد قرارات الحكومة، «خاصة» ما يتعلق ببلاد ما بين النهرين، وبيّنت سبب موقفه الراض للتحلل بفرض الانتداب على العراق وذلك لـ «خطورة» ترك أعداد ضخمة من الفرق العسكرية البريطانية في تلك المنطقة الشاسعة، ممّا يعني ضرورة إرسال أعداد ضخمة من الجنود إلى البلاد، منوهاً بأنّ تلك الآراء طرحها «بوضوح» لا لبس فيه داخل قبة البرلمان، طارحاً «خطورة» فكرة تحمّل مسؤولية ضبط العالم بأسره، مختتماً بضرورة «الانسحاب الفوري» لتقليل حجم الخسائر، بشرية أكانت أم مادية، وفق تعبيرها^(٣٤).

وفي سياق مختلف، كتبت صحيفة لانكشاير ايفينغ بوست في عددها الصادر بتاريخ ٣ شباط ١٩٢١ تحت عنوان «الانتداب على بلاد ما بين النهرين» موضحاً أنّ أكثر بنود «الانتداب» أهميّة تلك التي أشارت إلى «عدم التمييز ضدّ أيّ دولة أجنبيّة فيما يخصّ التجارة وشركات النفط، والعمل على أساس المساواة في المعاملة بين كلّ الدول في مجال استكشاف الآثار، وتولّي بريطانيا العظمى المسؤولية فيما يتعلّق بالعلاقات الأجنبيّة، والدفاع عن البلاد، والمحافظة على الحدود الحاليّة وحرية الدين والتعليم^(٣٥)».

وكتبت صحيفة ليدز ميركوري في عددها الصادر بتاريخ ٤ شباط ١٩٢١، مقالاً أشارت فيه إلى السياسة البريطانية تجاه بلاد ما بين النهرين، تحت عنوان «الانتداب على بلاد ما بين النهرين»^(٣٦) مُشيرةً بوضوح إلى أنّ دراسة «مواد الانتداب» من قبل الرأي العام البريطاني خلقت «هواجس خطيرة»، خاصة ما تعلّق منها الالتزام بالدعم المالي لبلاد ما بين النهرين، محذرةً من أنّ «التزاماتنا جدّية» بما فيه الكفاية، وهو أمر يدعو إلى «اشمئزاز» دافعي الضرائب في بريطانيا من حجم «التبذير المالي». لذا يجبُ «إدراك» حقيقة أنّ «بلادنا» ستصبح مثقلة بالمسؤوليّات المتعلّقة بالعلاقات الدولية، والدفاع، والحفاظ على الحدود الحالية لبلاد ما بين النهرين^(٣٧).

= البريطاني ١٩١١-١٩٤٩، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٧.

Kent & Sussex Courier, (Newspaper), 21/1/1921, p. 3.

(٣٤)

Lancashire Evening Post, 3/2/1921, p. 2.

(٣٥)

Leeds Mercury, 4/2/1921, p. 6.

(٣٦)

Ibid.

(٣٧)

وتناغمًا مع تغطية أخبار قرار الانتداب على العراق، نشرت صحيفة ويسترن ميل في عددها الصادر بتاريخ ٤ شباط ١٩٢١ مقالاً تحت عنوان «انتدابنا على بلاد ما بين النهرين» استعرضت فيه بنود الانتداب «المبهمة للغاية»، وفق تعبيرها، ولفتت الأنظار إلى أنّ «شروط الانتداب مرهقة للعراق»، مستشهداً ببعض تلك المواد التي تسمح لبريطانيا بـ «الاحتفاظ بالجنود» داخل الأقاليم الخاضعة للانتداب، فضلاً عن تفويض استعمال «الطرق والسكك الحديد والموانئ في كافة الأوقات» لاستعمالها في حركة الجنود وتنقلاتهم، وعربات الوقود والموانئ، كما يعدّ الانتداب مسؤولاً عن «عدم التخلّي» عن أيّ قطعة أرض أو «استئجارها»، أو وضعها تحت سيطرة أيّة حكومة أجنبية، فضلاً عن عدم وجود أي «تمييز» ضدّ مواطني أيّة دولة عضو في عصبة الأمم فيما يخصّ الضرائب أو التجارة أو الملاحة، وممارسة الأعمال الصناعيّة أو المهن، أو التعامل مع السفن والطائرات^(٣٨).

فيما أوضحت صحيفة لانكشاير إيفنينغ بوست في عددها الصادر بتاريخ ١٥ شباط ١٩٢١، تحت عنوان «الانتداب على بلاد ما بين النهرين»، أنّ الانتداب على بلاد ما بين النهرين سيُعرض أمام عصبة الأمم في ٢١ شباط ١٩٢١، منوهة بأنّ السير ويليام جوينسون هيكس (Joynson-Hicks)^(٣٩)، أرسل خطاباً إلى رئيس مجلس الوزراء قدّم فيه «اقتراحاً ملحقاً» تمحور حول ضرورة تقديم الحكومة نسخة من شروط الانتداب إلى مجلس العموم، قبل تقديمه إلى عصبة الأمم^(٤٠).

وكتبت صحيفة سكوت مان في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ آذار ١٩٢١، مقالاً تحت عنوان «السياسة الخارجية» أشارت فيه إلى أنّ السيد آسكويث يأمل في أن تكون الحكومة قادرة على التوصل إلى سياسة مستقرّة تتعلّق ببلاد ما بين النهرين،

Western Mail, 4/2/1920, p. 7.

(٣٨)

(٣٩) دبلو جوينسون هيكس (١٨٦٥ - ١٩٣٢): محامي وسياسي حزب المحافظين. جذب الانتباه لأول مرة في عام ١٩٠٨ عندما هزم ونستون تشرشل، وزير مجلس الوزراء الليبرالي في ذلك الوقت، في انتخابات فرعية لمقعد شمال غرب مانشستر. اشتهر بأنّه وزير الداخلية الذي خدم لفترة طويلة وهو المثير للجدل في حكومة ستانلي بالدوين الثانية من عام ١٩٢٤ إلى عام ١٩٢٩. واكتسب سمعة الاستبداد الصارم، ومعارضة الشيوعية، وتضييق الخناق على النوادي الليلية وما اعتبره أدباً غير لائق. كما لعب دوراً مهماً في الكفاح ضد إدخال كتاب الصلاة المنقح إلى كنيسة إنكلترا، وفي خفض سن التصويت للنساء من ٣٠ إلى ٢١ عاماً < <https://en.wikipedia.org/wiki> >.

Lancashire Evening Post, 3/2/1921, p. 2.

(٤٠)

موضحةً أنّ رئيس مجلس الوزراء أدرك أنّ وجهة نظر السيد آسكويث تمثّلت في الاستمرار بالحفاظ بالبصرة، وأنّه يتوجّب بصورةٍ عمليّةٍ التخلّي عن الإشراف على بغداد والموصل، معتبرةً أنّ من الخطأ التخلّي عنهما، مشدّدةً أنّ بريطانيا تتحمّل تكاليف إدارة بلاد ما بين النهرين، فمن الصواب أن تتحمّل نفقات بغداد والموصل أيضاً، فهي من أغنى بلدان العالم، وأنّ الانسحاب يزيد الأمر سوءاً^(٤١).

فيما كتبت صحيفة تروث في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ آيار ١٩٢١، مقالاً تحت عنوان «تكلفة الانتداب» بيّنت فيه تخلّي الجنرال جي. إي. هاليدان عن منصب قيادة الجيش في العراق، منوهةً بأنّ الجهود التي تمّ انجازها منذ «اندلاع التمرد» تمثّل في تشكيل «جيش» محليّ على أسس وفق شروط تطوّعية، فضلاً عن تأسيس «مدرسة عسكرية» في بغداد، يديرها طاقم من الخبراء البريطانيين لتدريب ما يقارب «مائة وخمسين» طالباً عسكرياً، ولا يزال الانتداب في العراق في «حالة فقدان للوعي»، وهذا لا يعدّ عاملاً مساعداً على تنفيذ بنود الانتداب^(٤٢).

وأشارت صحيفة هاستينغز اند سانت ليوناردز أوبزرفر في عددها الصادر بتاريخ ١١ حزيران ١٩٢١، إلى أنّ الإعلام الفرنسي حاول جاهداً «إحباط» بريطانيا، إذ إن صحفها شكّلت انتقاداً منتظماً لسياسة بريطانيا في بلاد ما بين النهرين^(٤٣)، مؤكّدةً أنّ مسألة النفط في بلاد ما بين النهرين تسبّبت في قلق حكومة الولايات المتحدة، لكن «عليهم التذكّر» أنّ ليس هناك أدنى أساس في رغبة بريطانيا العظمى في إدارة الانتداب في بلاد ما بين النهرين. وقد أشر الباحث إلى اقتباس فقرات من المقال المطوّل للصحيفة للوقوف على آرائها المؤيدة للحكومة البريطانية^(٤٤):

«...إذا كان «أعداؤنا السابقون» قد أظهروا إيماناً معيّناً بإحساننا، فإنّه من غير المبالغ فيه أن يأمل أحفادنا الحديثين في المشاركة إلى حدّ ما في هذا الاعتقاد. وماذا عن المتطرفين الهنود مثل غاندي؟ ماذا يمكن أن نقول سوى أنّ الحكومة الإمبراطورية قامت على العموم بأكثر من العدل، وأنّ الاستياء من بعض العيوب في

The Scotsman, 26/3/1920, p. 8.

(٤١)

Truth, 24/5/1922, p. 13.

(٤٢)

Hastings and St Leonards Observer, 11/6/1921, p. 7.

(٤٣)

Ibid.

(٤٤)

الطباع لدى الإنكليز في الهند، ومن الحدود التي تمّ وضعها في مسألة اللون في الأقاليم، وهي مسألة لا يمكن للحكومة المحليّة التدخل فيها، هي أسباب ضعيفة لإثارة الاضطرابات والصدامات التي تؤدي إلى إلقاء الآلاف من العمال في مزارع الشاي بعيداً عن عملهم بواسطة تمثيلات كاذبة بشأن ارتباطهم الاقتصادي، حيث يتمّ ترك الآلاف من العمال محاصرين، مصابين بالمجاعة ومصدومين بالكوليرا. نعم، سلوك بريطانيا خلال السنوات الست الماضية كان في أعلى درجات الكرم، مثلاً مجيداً للبشرية بأكملها، ومصدراً للراحة والإلهام العميق، طالما أنّ الحياة مستمرة. وعندما نتأمل السيرة الرفيعة لبطولة إنكلترا في بلاد ما بين النهرين مقترنة بالعباءة الصبور، والتي تجتمع فيها على غرار الكواكب السعيدة، فإنّها ترمز إلى أنّ هذا هو الطابع النبيل، الذي نادراً ما يتمّ تحقيقه بين الأفراد ولا يضاهاى بين الدول، والحقّد المنبثق عن الكراهية ملتصق بالمؤسسات البريطانية أو الحكومة البريطانية، التي تحت إشرافها. لكن حققنا على الأقلّ النصر ونوعاً من السلام في الخارج إذا لم يكن في الداخل. ويبدو أن هذه هي الغيرة المحليّة»^(٤٥).

وواصلت صحيفة التايمز نقدها «اللاذع» لسياسة الحكومة، بسبب إصرارها على مواصلة «الانتداب» على العراق، في الوقت الذي تمّ فيه الكشف عن حقائق «بالغة الأهمية» من مراسلنا الخاص في الشرق الأوسط، أشار فيها إلى قيام الحكومة البريطانية بنقل مئات من النساء البريطانيات و«الأطفال»، وزوجات الضباط وعوائلهم إلى معسكر «صيفي» في بلاد فارس، على الطريق إلى كرمانشاه، معتبرة الأمر ضرباً من «الجنون»، حيث أرسلَ مئات من النساء والأطفال البريطانيين إلى معسكر جبلي في بلاد فارس، مشيرةً إلى أنّ هؤلاء الأشخاص «البائسين» قد تمّ سحبهم إلى منطقة تعدّ واحدة من أكثر المناخات صعوبة في العالم في إجراء هو أكثر «استهتاراً» منذ أن سُمح لزوجات الضباط بالانضمام إلى أزواجهن في كابول قبل ثمانين عاماً أو بالنسبة إلى الجمهور البريطاني الساخط جرّاء التراخي الذي سمح للزوجات والأطفال بالسكن في بلاد ما بين النهرين، مشيرةً إلى أنّ على بريطانيا العظمى في حال إصرارها «قبول» الانتداب فيجب أنذاك تنفيذه بمساعدة القوات الهندية»^(٤٦).

Ibid.

(٤٥)

The Times, 24/8/1920, p. 11.

(٤٦)

كرّرت بعض الصحف البريطانية الدعوة الصريحة الرامية إلى الانسحاب من العراق، وعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت صحيفة دندي إيفننغ تلليغراف في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٢١، وتحت عنوان «الانسحاب البريطاني من بلاد ما بين النهرين، والتركيز على البصرة في سياسة الحكومة الجديدة»، مشيرة إلى احتمال زيارة السير ونستون تشرشل في زيارة سريعة إلى الشرق، مبيّنة أنّ الحكومة اتخذت قرارات مهمة فيما يتعلّق بسياساتها في بلاد ما بين النهرين، بما في ذلك انسحاب القوات البريطانية إلى البصرة، ممّا سيسهّل تقليل عدد الجنود كما هو مخطّط، موضحة أنّ الحفاظ على قوات كبيرة هناك يكلف البلاد مبالغ ضخمة. إذ من المتوقع أن يصل عدد الجنود إلى حوالي ٧٠ ألف بحلول نهاية آذار ١٩٢١^(٤٧).

وأطنبت الصحيفة في الشاء السير تشرشل عاد إلى مركز الأضواء مرة أخرى، وبصفته وزير الاستعمار الجديد، سيكون مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً ببلاد ما بين النهرين، وأنّه يخطّط لزيارة سريعة لتلك البلاد. مؤكّدة ضرورة انتقال مسؤوليات الوزارة المناطة بإدارة بلاد ما بين النهرين من وزارة الخارجية إلى وزارة الاستعمار بموجب السياسة الحكومية الجديدة، مشدّدة على ضرورة أن تذكر أنّ الانسحاب أو تقليل عدد القوات قد تمّ تأييده بقوة خلال الأشهر الستة الماضية، ولكن وفقاً لرؤية الوزارة، فقد حالت الأحداث «غير متوقّعة» دون تحقيق هذه النوايا^(٤٨).

وقدّرت الصحيفة نفسها أنّ عدد القوات البريطانية والهندية في بلاد ما بين النهرين قاربت من ١٢٠ ألف جندي، مشيرة إلى أنّ تكلفة هذه «المغامرة» قدّرت بنحو ٥٠ مليون جنيه إسترليني سنوياً. على الرغم من أنّ بريطانيا هي السلطة المسؤولة في بلاد ما بين النهرين، على الرغم من أنّ أسباب الحملات العسكرية في تلك البلاد راجع إلى الاهتمام بالنفط والأراضي الزراعية في الموصل. وقد أثبت كلاهما أنّهما «وهميان»، وكانا نتيجة محاولة إدارة البلاد كما لو كانت «إقليماً هندياً» وتنفيذ «نظام ضريبي جديد» وهو أمر أثار استياء ومعارضة نشطة من قبل العرب، معتقدة أنّه يمكن السيطرة على نصف آسيا بعدد الجيش في بلاد ما بين النهرين،

Dundee Evening Telegraph, 26/1/1921, p. 1.

(٤٧)

Ibid.

(٤٨)

مستشفةً المستقبل باستمرار «الاحتجاجات العربية» في حال الاحتفاظ بعدد كبير من الجنود^(٤٩).

وفي سياق آخر رفضت الصحف الانتداب على العراق، إذ ذكرت صحيفة دندي كورير في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ آب ١٩٢٢، في مقال لها تحت عنوان «الحماسة السياسية في بلاد ما بين النهرين»، أن السير «بيرسي كوكس» تمكن من اتخاذ قرارات حازمة وسريعة «لقمع التمرد» المناهض للبريطانيين في صيف عام ١٩٢٠، مشيرة أن كلفة الاحتلال بالنسبة إلى دافعي الضرائب بلغت عام ١٩٢١ «أربعين مليون» جنيه استرليني سنوياً، فضلاً عن نفقات مشروع تأسيس ما يُسمى «بالدولة العربية»، برئاسة الملك فيصل، ناهيك عن عدد الموظفين والمسؤولين والمستشارين البريطانيين هناك، وتسيير الدوريات في البلاد باستعمال الطائرات، وهو ما سيرفع من كلفة الاحتلال، مختتماً بأن الجنرال تشرشل «يتمنى» خفض التكلفة إلى «أربعة ملايين ونصف» جنيه استرليني تقريباً^(٥٠).

وأفضت الصحيفة في مقالها الآنف الذكر تعقياً على زيارة السير بيرسي كوكس إلى بغداد، الذي تفاجأ بهتافات حشود العراقيين وهم يرفعون أصوات حناجرهم «فليسقط الانتداب!»، وبررت ذلك بأنه أمر طبيعي، فهم اعتبروا «انتخاب الملك فيصل عملاً بريطانياً مُدبراً»، مبينة أن بريطانيا سعت من أجل «خير» البلاد وسكانه، إلا أن الغريب أنهم لا يرغبون في قبول «مساعدتنا» أو «تدخلنا» في شؤونهم، «أيّاً كانت الطريقة التي نتبعها. إذاً، لماذا يتوجب إنفاق الملايين من الأموال عليهم؟ لا يبدو الأمر أن فيه أية مصلحة وطنية أو إمبراطورية هامة، كما يُحبذ السيد تشرشل أن يسمي العراق^(٥١).

ويبدو ممّا تقدّم تنوع اتجاهات ومواقف الصحف البريطانية وميولها من بين «مؤيدة» لقرار الانتداب البريطاني على العراق، بل ودافعت عنه، وأخرى «معارضة» الفكرة من أساسها، وهي مواقف وآراء أظهرت وجهات النظر لتلك الصحف ومن ورائها رؤساء تحريرها، من خلال قراءة أولية لما ينطوي عليه قرار الانتداب ما بين

Ibid.

(٤٩)

Dundee Courier, 30/8/1922, p. 4.

(٥٠)

Ibid.

(٥١)

«إيجاب» و«سلب». بل إنّ الأمر أخذ مديات سياسية أبعد تمثّل في رغبة «إمبراطور الصحافة» آنذاك اللورد نورثكليف، في الإساءة ما تمكّن من ذلك إلى حكومة رئيس الوزراء ديفيد لويد جورج الليبرالي، في مساومة سياسية للحصول على مغانم تطلّع لها نورثكليف برغبة كبيرة إليها بحسب عدّة باحثين، دفعت الأخير إلى إثارة جدل واسع في صحف عدّة، خصّت مضامينه «كلفة الانتداب» المرهقة على الضرائب من البريطانيين من جهة، وعلى خزانة البلد من جهة أخرى، وهو أمر دفع برئيس الوزراء إلى عقد اجتماعات سرّية مع اللورد نورثكليف في سبيل تخفيف وطأة الحملة الصحفية المناوئة لقرار الانتداب البريطاني على العراق.

ويتضح لنا جلياً أنّ العديد من الصحف البريطانية الليبرالية قد دعمت وبشدة إجراء الحكومة البريطانية في دعمها قرار «الانتداب» على العراق، مستندةً إلى الرأي الحكومي القائل بسعي بريطانيا إلى إقامة «حكومة» تكون قادرةً على تحمّل مسؤولياتها الدولية من حماية حدود العراق والسعي إلى تطوير البلد اعتماداً على المشورة البريطانية، فضلاً عن الضغوط والمسؤوليات المتضاربة التي واجهتها الحكومة البريطانية؛ تارة من قبل المجتمع الدولي الذي دعا بريطانيا إلى تحمّل مسؤولياتها القانونية من بناء دولة قابلة للحياة، وتارة أخرى، من قبل الشعب العراقي المطالب بحق تقرير المصير، وهو أمر دفع الحكومة البريطانية إلى التواطؤ مع نخبة سياسية عراقية بعينها بهدف رعاية مصالحها في العراق، من خلال تنصيب ملك للعراق واعتبار الأمر بمثابة هبة سياسية قدّمتها بريطانيا للعراقيين، وهذا ما سيتطرّق إليه الباحث في الفصل الخامس عشر.

الفصل الخامس عشر

قراءة أولية في مواقف الصحف البريطانية من تتويج الأمير فيصل ملكاً على العراق

أدت مجموعة عوامل دوراً جعلت من الأمير فيصل^(١) المرشح الأفضل والأوفر حظاً في نظر البريطانيين لقيادة مثل ذلك النظام^(٢)، منها صلاته الحسنة مع بريطانيا، وخبرته بالإدارة العراقية - البريطانية، إذ يستطيع أن يدير العراق بارتباط وثيق مع البريطانيين، وعلى أفضل وجه، وأفضل من أي عربي آخر، وأنه بإمكانه أن يتحوّل دينياً إلى ملتقى الطوائف، فضلاً عن ابتعاده عن البلاشفة وعن عوامل أخرى حدّدتها الوثائق البريطانية الخاصة التي تعود إلى تلك المدّة^(٣).

واستناداً إلى ما تقدّم، فإنّه لم يمض شهر واحد على خروج الأمير فيصل من سوريا حتى طرحت الحكومة البريطانية في تعليماتها إلى مسؤوليها في بغداد فكرة تنصيب فيصل أميراً على العراق، وقد ترسخت تلك الفكرة بسرعة في أروقة الخارجية البريطانية، التي فاتحت الحكومة الفرنسية بالموضوع. من جانبه، كان الأمير

(١) للمزيد حول ترشيح الأمير فيصل لحكم العراق وقيادته السياسية للبلد انظر:

Masalha, Nur-Eldeen, "King Faisal I of Iraq: a study of his political leadership, 1921 - 1933", PhD thesis, University of London: School of Oriental and African Studies, 1987.

F.O.882/23/3133/MES/19/17, Telegram from Political Baghdad, to Secretary of State for India, No. 11454, 22/11/1918.

(٣) فاروق صالح العمر، حول السياسة البريطانية في العراق، ١٩١٤-١٩٢١ (بغداد: [د. ن.]، ١٩٧٧)، ص ١٠٤.

فيصل راغباً في العرش العراقي ومستعداً للتعاون مع البريطانيين من أجله، ولم يخامرهم الشك بأنهم سيعوضونه عما فقدوه في سوريا، لذا نراه يتوجّه إليهم على عكس ممّا كان متوقعاً من أن يتوجّه إلى والده وعائلته في الحجاز والذي كان يحكم سوريا باسمه ولو من الناحية الشكلية، فقال فيصل «إنني واثق من حقّي ومن فوز الأمة في النهاية»^(٤).

بعد أن نضجت بين أروقة الخارجية البريطانية فكرة اختيار الأمير فيصل لعرش العراق من جميع الأوجه، وجّهت إليه الدعوة لزيارة لندن، فوصلها في يوم الثاني والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٢٠، فاستقبل استقبالاً حسناً، إذ أحاطته الأسرة الملكية البريطانية بتكريم خاص، كما استقبله رئيس الوزراء لويد جورج يوم الثالث من كانون الأول، فأحسّ من خلال اللقاء بأنّ عرش العراق سيكون من نصيبه^(٥).

أصبح خبر اختيار الأمير فيصل لعرش العراق شائعاً في مختلف الأوساط الصحفية البريطانية وبسرعة فائقة، إذ إنّ الصحافة البريطانية بدأت تنشر مثل تلك العناوين على صدور صفحاتها قبل تنويع فيصل بعدة أشهر، بل حتى قبل مؤتمر القاهرة الذي أقر موضوع الترشح نهائياً. لذا توجّه الأمير فيصل إلى القاهرة، إذ عقد البريطانيون في أقطار المشرقين الأدنى والأوسط مؤتمراً خاصاً برئاسة وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل في الثاني عشر من شهر آذار عام ١٩٢١^(٦).

وقد عقد العراقيون الآمال على وعود الرئيس ولسن الأربعة عشرة، تلك الوعود والتصريحات التي أثّرت في العراقيين وحملتهم على الاعتقاد بتأسيس حكومة وطنية في العراق. ولكن من دون جدوى، فنما شعور السخط والتمرد بين صفوف الشعب^(٧)، وازداد ذلك الشعور الناقم على الاحتلال البريطاني المباشر إثر قرار الانتداب البريطاني على العراق.

(٤) هـ. سنت فيليب، أيام فيليب في العراق، نقله إلى العربية جعفر الخياط (بيروت: [د. ن.]، ١٩٨٠)، ص ١٥٥.

(٥) عبد المجيد كامل عبد اللطيف، «سيرة الملك فيصل الأول منذ نشأته حتى وضعه اللبنة الأولى للدولة العراقية الحديثة»، مجلة، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد ٢٥، العدد ٣، ٢٠١٤، ص ٥٦٢.

(٦) عبد المجيد كامل عبد اللطيف، المصدر نفسه، ص ٥٦٢.

(٧) محمد طاهر العمري، مقدرات العراق السياسية (بغداد: مطبعة دار السلام، [د. ت. ل.]، ج ٣، ص ٣٠٥-٣٠٦.

كانت الخطة العملية التي تقرب تلك الفجوة بين البريطانيين والشعب العراقي هي ترشيح الأمير فيصل الذي فقد عرشه في سوريا، خاصة حين تأكدت بريطانيا أنه الشخص المناسب الذي لا يعصي لها أمراً؛ لأنه غير مستعد للفشل مرة أخرى، فكانت خطوة ذات حكمة سياسية تنم عن فن السياسيين البريطانيين، فهم تحت ضغط الصحافة، من جهة، وضغط الرأي العام البريطاني، من جهة أخرى، من أجل إجراء تغييرات جوهرية في السياسة البريطانية في العراق، تؤدّي إلى إجراء تخفيض جوهري في «الإنفاق الهائل» في العراق^(٨). كان أشد المتحمسين السير ونستون تشرشل، الذي اعتقد أن إدارة العراق من قبل حاكم عربي يكون مرتبطاً مع بريطانيا بعرفان الجميل، وضامناً لإبرام معاهدة تؤمن فيها المصالح البريطانية العامة ويرعاها الحاكم العربي المذكور بنفسه، أفضل من أن يحكم البريطانيون حكماً مباشراً يكلف دافع الضريبة البريطانية كثيراً، ويؤدّي إلى انتشار روح الكراهية والعداء للسلطة الحاكمة، فاختص بالأمر فيصل وفأوضه بما يكفّه ويرتثيه^(٩)، واستطاع إقناع فيصل أيضاً بأن بريطانيا ستقدّم تعهدات ضمن رغائب العرب، فقبل^(١٠).

وتناغماً مع ما سبق، كتبت، على سبيل المثال لا الحصر، صحيفة بلفاست تليغراف في عددها الصادر بتاريخ ٥ آب ١٩٢٠، مقالاً تحت عنوان «تنصيب الأمير فيصل ملكاً»^(١١)، أكدت فيه أن مجلس الوزراء قدّم اقتراحاً في ٤ آب ١٩٢٠، لإنشاء مملكة جديدة في بلاد ما بين النهرين، مبيّنة أن المجلس طرح اسم الأمير «فيصل» ملك سوريا المخلوع من قبل فرنسا مؤخراً لتولي العرش، مختتمة بالإشارة إلى زيارة الأمير فيصل لندن لدعم ترشيحه لتاج العراق، مؤكدة أن تلك الأخبار المتداولة عارية عن الصحة «لأن الأمير موجود في سوريا»، فضلاً عن عدم صحة لقاء الأمير فيصل بكل من اللورد اللنبي على اعتبار أن اللورد اللنبي، ما يزال بانتظار التعليمات فيما يتعلّق بترشيح الأمير فيصل، وإذا قرّرت الحكومة البريطانية تنصيب فيصل على عرش

Ireland, op. cit., pp. 242 -243.

(٨)

(٩) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٦١.

(١٠) رستم حيدر، مذكرات رستم حيدر، حققها وكتب مقدمتها نجدة فتحي صفوة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٨)، ص ١٦٧.

Belfast Telegraph, 5/8/1920, p. 3.

(١١)

بلاد ما بين النهرين، فإن اللورد اللنبي سيلتقي به في القاهرة^(١٢).

وأطنبت الصحيفة في العدد نفسه في الثناء على داعمي فيصل «استرضوا» السكّان في بلاد ما بين النهرين، وفي الوقت نفسه تمّ «تسوية» الاشتباكات الجارية في العراق، وأجريت «نقاشات» كثيرة بخصوصها، ناهيك عن عرفان بريطانيا بالجميل إلى فيصل فيما يتعلّق بالخدمات التي قدّمها في الماضي، مختتمة بأن «داعمي» ترشيح الأمير فيصل سيعمل على «إنقاذ بريطانيا العظمى» من المسؤوليات المالية الضخمة^(١٣).

من جهتها، كتبت صحيفة وستمنستر غازيت في عددها الصادر بتاريخ ٥ آب ١٩٢٠، تحت عنوان «الكارثة في بلاد ما بين النهرين»، مُشيّرةً إلى أنّ تقارير إخبارية أفادت بدعوة الأمير فيصل لِيُنصّب ملكاً على بلاد ما بين النهرين عوضاً عن أخيه الأمير عبد الله، الذي يعدُّ أقلّ طموحاً منه، معتبرة الخبر «مفرحاً» للبريطانيين في ظل هذا الوضع «الحرج» في العراق، مختتمة بالاعتقاد بأحقّية الأمير فيصل اعتلاء عرش العراق نظراً إلى «تعاون» و«وقوفه معنا» ضد الأتراك^(١٤).

كما سلّط العديد من الصحف البريطانية الأضواء على «الموقف من ترشيح الأمير فيصل»، حيث أوردت صحيفة اكستر اند بليموث غازيت في عددها الصادر بتاريخ ١٢ آب ١٩٢٠، مقالاً تحت عنوان «ملك بلاد ما بين النهرين»^(١٥)، أشارت فيه إلى أنّ الأمير فيصل، الذي تمّت إزاحته من العرش في سوريا، «في طريقه الآن إلى سويسرا» آنذاك، بهدف مناقشة الاقتراح البريطاني المتعلّق بتوليته عرش بلاد ما بين النهرين مع رئيس الوزراء البريطاني، مُشيّرةً إلى رضا الحكومة الفرنسية عن هذا الحل^(١٦).

وتناغماً مع تغطية مداولات ترشيح الأمير فيصل لمملكة العراق، من جهة، والوقوف على الموقف البريطاني، من جهة أخرى، نشرت صحيفة ويسترن ديلي

Ibid.

(١٢)

Belfast Telegraph, 5/8/1920, p 3.

(١٣)

Westminster Gazette, 5/8/1920, p. 7.

(١٤)

Exeter and Plymouth Gazette, 12/8/1920, p. 6.

(١٥)

Ibid.

(١٦)

بريس في عددها الصادر بتاريخ ١٣ آب ١٩٢٠، مقالاً تحت عنوان «ملك بلاد ما بين النهرين» أوضحت فيه مغادرة السير لويد جورج إلى مدينة لوسرن (Lucerne) لقضاء إجازته المؤجلة، مُشيرةً إلى أنه من المرجح استقباله الأمير فيصل بهدف التوصل إلى قرار مهم بشأن مستقبل العراق، فالوضع لا يزال حساساً، لذا استحسنّت بعض الجهات السياسية فكرة تهدئة العشائر العربية إذ مع تنصيب ملك يستطيعون الوثوق به، مُشيرةً إلى أنّ بعض الخبراء بيّنوا أنّ الأمير فيصل يمتلك جميع المؤهلات اللازمة^(١٧).

واستَرسَلت الصحيفة أنّ الأمير كان واضحاً بما فيه الكفاية حين صرّح أنّ العرب لا يتعاملون بلطف مع نظام الاحتلال العسكري البريطاني، فهم يعدّونه «نظاماً استفزازياً»، ويُفترض فيهم أنّهم يرحبون بملكٍ من «دمهم وعقيدتهم»، وبذلك سيشغل فيصل منصباً مماثلاً لمنصب سلطان مصر على الرغم من أنّ العراقيين أقلّ تنويراً بكثير من المصريين، وبهذا تكون بريطانيا «القوة المهيمنة»، على بلاد ما بين النهرين^(١٨).

وتعمّق المقال الآنف الذكر ببيان قدرة الأمير فيصل الإدارية بعد اكتسابه معرفة واسعة فيما يتعلّق بالحرب والحكومة، متمتعاً بسمعة طيبة، فهو شاب صغير نسبياً، ومتعلّم وفقاً «للمعايير الغربية»، ويملك اعتقاداً راسخاً بمبادئ الحكومة الديمقراطية، مستشرفةً مستقبل بلاد ما بين النهرين بعد أن يتولّى دفة الحكم، فالمصاعب، التي تعدّ البلاد مرقداً لها، ستزول خلال مدّة قصيرة من اعتلائه عرش العراق، ويمكن أن يحلّ السلام على أرض «الإمكانيات المذهلة»^(١٩).

فيما أوردت صحيفة نيوكاسل جورنال في عددها الصادر بتاريخ ١٤ آب ١٩٢٠، مقالاً تحت عنوان «فرنسا وفيصل» مبيّنةً فيه الموقف الفرنسي من ترشيح الأمير فيصل لمملكة العراق، مُشيرةً إلى خطأ الإنكليز حين «اعتقدوا بموافقة الفرنسيين» على ترشيح فيصل لمملكة العراق، الذي أسس التجنيد الإلزامي في سوريا من أجل محاربة فرنسا جنودها، مضيفاً أنّ الحكومة الفرنسية ترى أن ترشيحه

Western Daily Press, 13/8/1920, p. 4.

(١٧)

Ibid.

(١٨)

Ibid.

(١٩)

لمملكة عراقية لا يُعدّ تصرّفاً ملائماً، وهذا الأمر معروف بالنسبة إلى لندن، فضلاً عن «قناعتنا» بأنّه لا يمكن إثارة أي خصومات بين بريطانيا وفرنسا، اللتين تتلاقى مصالحهما في البلد العربي عن طريق طموح الرئيس الذي يبحث عن عرش آخر^(٢٠).

كما نشرت صحيفة بلفاست نيوز ليدر مقالاً بالخصوص نفسه في عددها الصادر بتاريخ ١٤ آب ١٩٢٠ تحت عنوان «فرنسا لن توافق على تنصيب الأمير فيصل ملكاً»^(٢١).

وأفردت صحيفة دندي ايفننغ تليغراف في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٢١ خبراً تحت عنوان «مفتاح الشرق الأوسط: زيارة تشرشل الخاطفة إلى بلاد ما بين النهرين»، لم يتسن للباحث تأكيدهُ أو نفيهِ، بيّنت فيه أنّ الصحافة بدأت تُسلّط الأضواء على السير ونستون تشرشل مرّةً أخرى، كونه وزير المستعمرات الجديد، ولهذا فسيكون مرتبطاً بشكل وثيق ببلاد ما بين النهرين، ويُقال بأنّه قام بزيارة خاطفة إلى تلك البلاد بهدف مناقشة وضع البلد بشكل مباشر مع السير بيرسي كوكس، ولأجل تسريع اتّخاذ القرارات النهائيّة^(٢٢).

وانسجاماً مع الزيارة السرية للسير ونستون تشرشل يومئذ للعراق، لفتت صحيفة ديلي نيوز أنظار الرأي العام إلى زيارة علنيّة للسير ونستون تشرشل إلى القاهرة في وقت متزامن مع زيارته السرية للعراق، في عددها الصادر بتاريخ ٨ شباط ١٩٢١، تحت عنوان «مستقبل بلاد ما بين النهرين: السير تشرشل في مصر»، مُشيّرةً إلى زيارة السير ونستون تشرشل إلى القاهرة برفقة السير بيرسي كوكس، المفوض السامي في بلاد ما بين النهرين، والجنرال هالدين، فضلاً عن عدد محدّد من أعضاء المجلس المحلي لمناقشة وضع بلاد ما بين النهرين، وإمكانية الإسراع بتشكيل حكومة عربية برئاسة الأمير فيصل، مُبيّنة أنّ الأمير فيصل، في حال عُرض عليه اعتلاء عرش العراق، فإنّه سيرحب بالمشورة والمساعدة الإدارية، التي اقترحت من ضمن مادة الانتداب في ميثاق عصبة الأمم، لكنه لن يشعر بأنّه مخوّل لتسلّم الوزارة من دون

Newcastle Journal, 14/8/1920, p. 12.

(٢٠)

Belfast News-Letter, 14/8/1920, p. 6.

(٢١)

Dundee Evening Telegraph, 26/1/1921, p. 1.

(٢٢)

تقديم الدعم له. ولن يتخذ هذا الأمر شكل المساعدة العسكرية، على الرغم من أنه يمكن اتخاذ إجراءات للحفاظ على وجود قوة عسكرية بريطانية صغيرة في البصرة، أو عن طريق تقديم إعانات مالية، وعن طريق الخدمات التي يقدمها عدد محدود من الضباط العسكريين والسياسيين والخبراء الآخرين، بهدف التعاون لتنظيم المجندين المحليين، للعمل في الإدارة المدنية، وتطوير الحياة الصناعية لهذا البلد^(٢٣).

أما صحيفة ديلي هيرالد، فقد كتبت في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٢١، مقالاً تحت عنوان «تشرشل صانع الملوك» نقلت عن تقارير بأن السير تشرشل يعتزم تنصيب الأمير فيصل ملكاً على عرش بلاد ما بين النهرين، مذكرة أن فيصل، نجل ملك الحجاز، طُرد من مملكته الزائلة في سوريا عام ١٩٢٠، موضحةً أن الصحافة الفرنسية «مدعورة» من احتمال عودته إلى السلطة على الحدود السورية^(٢٤). وقد صرّحت الحكومة الفرنسية بأنه لا يجوز إنكار تصريح السيد ونستون تشرشل، الذي أصرّ فيه على تعيين فيصل ملكاً على بلاد ما بين النهرين^(٢٥).

وإستقّصت الصحيفة الموقف الفرنسي في المقال نفسه الآنف الذكر، ناقلةً الرأي الفرنسي الذي عدّ الخطوة البريطانية بـ «الخطيرة»، مُشيرةً إلى رسائل فرنسية متكررة بُعث بها إلى الإنكليز مراراً وتكراراً من دون جدوى، معتبرةً الإنكليز «مخبولون» لتفكيرهم بإنشاء قومية عربية جديدة؛ لأنّ هذه الخطوة بمثابة توجيه «صفعة» إلى فرنسا وإلى أمن سوريا، مُذكّرةً أنّ الفرنسيين يرون أنّ الحكومة البريطانية تصرّ بعناد على التصرف وكأنّ «اعتراضاتنا» ليس لها أي وجود، كما لو أنّ «مصالحنا» في سورية من دون أهمية^(٢٦).

كما نشرت صحيفة نوتنغهام جورنال مقالاً بالخصوص نفسه في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٢١ تحت عنوان «صفعة في وجه فرنسا: ما الذي يعنيه تعيين فيصل ملكاً على «بلاد ما بين النهرين»؟»^(٢٧).

Daily News, 28/2/1921, p. 1.

(٢٣)

Daily Herald, 29/3/1921, p. 3.

(٢٤)

Ibid.

(٢٥)

Ibid.

(٢٦)

Nottingham Journal, 29/3/1921, p. 1.

(٢٧)

وتابعت بعض الصحف البريطانية متابعة حثيثة المشروع البريطاني لإنشاء مملكة في العراق، فقد نشرت صحيفة نورثيرن ويج في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٢١، مقالاً أشارت فيه إلى موقف بريطانيا تجاه تنصيب فيصل بن الحسين ملكاً على العراق، وجاء المقال تحت عنوان «بلاد ما بين النهرين كدولة عربية»، مُشيرةً إلى تصريحات السير تشرشل في شهر حزيران من عام ١٩٢٠، الذي وجّه الأوامر إلى المفوض السامي للإعلان وبشكل واضح عن تشكيل «مبكر» لحكومة عربية تخضع لرئاسة حاكم عربي في بلاد ما بين النهرين، مُذكّرة بقيام حكومة عربية مؤقتة لبضعة أشهر على أن تحلّ حكومة مكوّنة من «هيئة منتخبة» من قِبل الشعب محل «الحكومة المؤقتة» خلال الصيف، كما كان من المزمع أيضاً إعادة تنصيب حاكم عربي يحظى بقبول الهيئة المُنتخبة، وأن يتمّ تشكيل جيش عربي لأهدافٍ دفاعية^(٢٨).

وأطنبت الصحيفة في المقال نفسه في الشناء على السياسة المُتبعة في العراق تمثّلت في محاولة «تأسيس» دولة عربية و«بنائها» في محيط العاصمة القديمة بغداد، لتقيم علاقات «طيبة» مع بريطانيا وحلفائها، تتمكّن من إعادة إحياء واحتواء الثقافات القديمة وأمجاد العرق العربي. مُشيرةً إلى إعلام الأمير فيصل بالانتقال الفوري إلى بلاد ما بين النهرين، مؤكّدين له بالدعم البريطاني، مستشرفةً المستقبل في حال نال الأمير فيصل «رضا الشعب» بشكل عام، فسيُعتبر ذلك لدى السلطات العليا أفضل الفرص للوصول إلى «نهاية سعيدة» ومزدهرة لخلق حكومة عربية فاعلة وقوية وصديقة لبريطانيا^(٢٩).

وقد نشرت صحيفة شيفيلد ديلي تليغراف مقالاً أيضاً بالخصوص نفسه في عددها الصادر بتاريخ ٥ نيسان ١٩٢١، أشارت فيه إلى موقف بريطانيا تجاه تنصيب فيصل بن الحسين ملكاً على العراق، وجاء المقال تحت عنوان «بلاد ما بين النهرين كدولة عربية»^(٣٠).

وتناقلت الصحف البريطانية باهتمام واضح الترتيبات الجارية على قدم وساق لتتويج الأمير فيصل ملكاً للعراق، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة ميدلاند كاونتي

Daily Herald, 29/3/1921, p. 3.

(٢٨)

Ibid.

(٢٩)

Sheffield Daily Telegraph, 5/4/1921, p. 8.

(٣٠)

تريبوت (Midland County Tribute) في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ حزيران ١٩٢١، مقالاً تحت عنوان «ملك بلاد ما بين النهرين، التجهيز لمراسم الترحيب الوطني للأمير فيصل» مشيرةً فيه إلى إعلان وزارة المستعمرات خلال اجتماع مجلس الدولة المؤقت في بلاد ما بين النهرين بتاريخ ١٦ حزيران، أبلغت فيه عبد الرحمن النقيب بخبر قرب قدوم الأمير فيصل، ومرّر قراراً يقضي بأن يحلّ ضيفاً على الحكومة الوطنية، وبأنه لا بُدَّ من استضافته بشكل ملائم. كما عبّر النقيب عن رغبته في أن يشارك شعب العراق في مراسم الاستقبال الوطنيّة، وأبلغت الإدارة البريطانية عبد الرحمن النقيب بتشكيل لجنة لتحديد مكان إقامة تنصيب رسمي، وإعداد برنامج للاستقبال^(٣١).

من جانبها، نشرت صحيفة أبردين بريس آند جورنال في خبر لها في عددها الصادر بتاريخ ٢ آب ١٩٢١، تحت عنوان «الأمير فيصل ومحاوله قيادة العراق» مشيرة فيه إلى تزايد تأييد الرأي العام للأمير كمرشح لحكم دولة العراق الجديدة. منوهة بإقامة العديد من الفعاليات في لواء الدليم بمناسبة زيارة «سمو الأمير»، إذ تجتمع رجال العشائر على الطريق الصحراوي من الفلوجة إلى الرمادي، «وركضوا عدّة أميال بجوار سيارته»، بينما كان رأس جسر الفرات ينتظره «الزعيم الأعلى»، مبنية أنّ الأمير خاطب رجال العشائر، ودعاهم إلى العيش في وئام مع بعضهم البعض، ووعدهم إذا تمّ انتخابه لحكم العراق سيعمل على احترام حقوقهم كرعيا له. مختتمة بأنّ الأمير هو «الصديق والحليف للحكومة البريطانية»^(٣٢). كما نقلت الصحف الصادرة في ٢٣ آب ١٩٢١، المضمون ذاته^(٣٣).

وقد أشارت صحيفة سكوت مان في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ آب ١٩٢١، إلى أن الإدارة البريطانية في العراق «مرتاحة تماماً» للوضع السياسي هناك، وهو أمر سيمكن من تقليل تدريجي للقوات البريطانية بشكل أسرع ممّا كان متوقعاً، مذكرة أن

Midland County Tribute, 24/6/1921, p. 6. (٣١)

Aberdeen Press and Journal, 2/8/1921, p. 5. (٣٢)

Londonderry Sentinel, p. 3; Daily News, No. 23536, p. 3; Pall Mall Gazette, (٣٣)
No. 17545, p. 4; Yorkshire Post and Leeds Intelligencer, No. 23136, p. 7; Northern Whig,
No. 35277, p. 4; Liverpool Daily Post, No. 20685, p. 4, 23/8/1921.

«الاضطرابات الأخيرة» التي تمّ تدبيرها من قبل القوميين الأتراك، ما هي إلا مجرد «مشكلة محلية»، ولن تؤثر في العرب الذين سيحكمهم الأمير فيصل^(٣٤).

وظلّ تتويج الملك فيصل على عرش مملكة العراق تتداوله أعلام محرّري الصحف البريطانية على صفحاتها، فقد كتبت صحيفة ليستر إيفننغ ميل مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ آب ١٩٢١، في مقال لها تحت عنوان «العرش للأمير فيصل، الاستفتاء يُقرّه ملكاً على بلاد ما بين النهرين»، مشيرة إلى أنّ الاستفتاء الذي شارك به الشعب العراقي، بلاد ما بين النهرين، تمخّض عن التصويت بـ «الغالبية الساحقة»^(٣٥) من الناخبين لصالح الأمير فيصل، وذلك وفقاً للمفوض السامي في بغداد، مبيّنة تصويت ما يقارب المليون ناخب وبنسبة ٩٦ ٪ لصالح فيصل^(٣٦).

كما نشرت صحيفة هارتلبول نورثرن ديلي ميل مقالاً بالخصوص نفسه في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ آب ١٩٢١، تحت عنوان «الملك الجديد، الأمير فيصل على عرش بلاد ما بين النهرين»، مبيّنة اختيار العراقيين الأمير فيصل لتبوء منصب الملك الجديد لبلاد ما بين النهرين، إثر التصويت له بالإجماع خلال الاستفتاء^(٣٧)، مؤكدة في الوقت نفسه أنّ لفيلصل «ولاءً ثابتاً» للحليف البريطاني^(٣٨).

من جهتها، كتبت صحيفة شيفيلد ديلي تليغراف مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ آب ١٩٢١، وتحت عنوان «مملكة العراق، رسالة من الملكيّة البريطانيّة إلى فيصل»، أشارت فيه إلى أنّه قد أُعلِنَ عن انضمام فيصل إلى ملكيّة العراق من داخل فناء المباني الحكوميّة في بغداد، وذلك عند الساعة السادسة من صباح يوم ٢٣ آب ١٩٢٠، بحضور حشد كبير من الناس، وكانت علامات الحماسة بادية على الوجوه.

The Scotsman, 22/8/1921, p. 5.

(٣٤)

F.O.141/444/ 12215, From Secretary of State for India to Civil Commissioner (٣٥)

Baghdad No. 11608, 27/11/1918; F.O.882/23/3133, Telegram No.11453, 22/12/1918: From Political Baghdad to Secretary of State for India.

Leicester Evening Mail, 22/8/1921, p. 4.

(٣٦)

FF.O. 882/13/5050, Self-Determination in Iraq: Secret Compilation of (٣٧)

Declaration and Telegram, p.3; F.O. 882/23/3505, Telegram from P.P Basra, to Civil Commissioner, Baghdad-no.536, 21/12/1918.

Hartlepool Northern Daily Mail, 22/8/1921, p. 2.

(٣٨)

بدأت الإجراءات بقراءة السير بيرسي كوكس، المفوض السامي في بلاد ما بين النهرين، في بيان أعلن فيه عن نتيجة الاستفتاء الذي أظهر أنَّ الغالبية الساحقة من أصوات الناخبين أيدت انتخاب فيصل، ووفق ذلك، انتُخب جلالته، بحسب الأصول، ملكاً على العراق. كما أعلن السير بيرسي كوكس عن اعتراف حكومة جلاله الملك البريطاني بالملك فيصل ملكاً على العراق^(٣٩).

وأُظنبت الصحيفة في المقال نفسه في الشناء لـ «جلالة الملك البريطاني» التي سلّمها المفوض السامي إلى الملك فيصل والتي ورد فيها ما نصه:

«أقدمُ لجلالتكم تهنائي الصادقة في هذه المناسبة التاريخية والمؤثرة، التي منحكم إيّاها الشعب العراقي بغالبية الأصوات، وأصبحت المدينة القديمة في بغداد مركزاً للمملكة العربية مرةً أخرى، وهذا ما يعدُّ مصدر ارتياحٍ لي ولشعبي. وقد تُوجَّ تضافر الجهود العسكرية بين القوات البريطانية والعربية والحلفاء بالوصول إلى هذا الحدث البارز. أنا واثقٌ من أنَّ المعاهدة التي أبرمت فيما بيننا، منذ وقت قصير بهدف تكريس التحالف خلال الأيام العصيبة في أثناء اندلاع الحرب، ستمكّنني من تأدية واجباتي الرسمية بافتتاح حقبة السلام والازدهار المتجدد للعراق»^(٤٠).

وتناغماً مع ما تقدّم نشرت صحيفة سكوت مان مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩٢١، تحت عنوان «تقدم الملك فيصل في العراق» نقلت فيه خبر «الزيارة الناجحة» للملك فيصل إلى مدينة الموصل، والحلّة والأماكن المقدّسة، والشامية، ففي الحلّة حضر الاستقبال كافّة وجهاء القبائل والمدن، وكان لحضور الكتيبة الأولى من الجيش الوطني أثرٌ في اكتمال المشهد، مُشيرةً إلى تناول الملك فيصل وجبة الغداء في المدينة مع ضبّاط الجيش العراقي، والمتصرّفة العربية، والمستشار البريطاني، وشخصيات بارزة أخرى، الذين كانوا من بين الحضور. منوهةً بزيارة الملك فيصل إلى الأماكن المقدّسة في مدينة «كربلاء»، كما انطلق الملك نحو الديوانية والرُميثة، إذ تفاجأ بحرارة الاستقبال^(٤١).

كما سلّطت الصحف المصوّرة الأضواء على تتويج الأمير فيصل بن الحسين

Sheffield Daily Telegraph, 24/8/1921, p. 4.

(٣٩)

Ibid.

(٤٠)

The Scotsman, 9/11/1921, p. 9.

(٤١)

ملكاً على عرش العراق، لتنقل صورة عن إنجاز قد حققته للرأي العام البريطاني الذي طالما انتقد سياسة بلاده إزاء العراق، فعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت صحيفة ذا بايستاندر (*The Bystander*) في عددها الصادر في ٣١ آب ١٩٢١، وتحت عنوان «تتويج الأمير فيصل ملكاً على العراق»، مبيّنة فيه أنّ جلالة الملك غادر مقر إقامته المؤقت لحضور مراسم التتويج، والسير بيرسي كوكس والأمير فيصل يعودان بعد تفقدهما حرس الشرف^(٤٢).

وأطنبت الصحيفة ذاتها في تعليقها في الشناء على صورة التتويج، وأنّ السير بيرسي كوكس، المفوض السامي لبلاد ما بين النهرين، سيصل إلى بغداد، إذ أظهرت نتيجة الاستفتاء أغلبية ساحقة من الناخبين لصالح تنصيب الأمير فيصل ملكاً، وتمّ التتويج الأسبوع الماضي في باحة المباني الحكومية في بغداد، عند الساعة السادسة صباحاً، وسط حضور حاشد مليء بالحماس^(٤٣).

كما اهتمت صحيفة ذا اليستريتد لندن نيوز بنشر مراسيم تتويج الأمير فيصل ملكاً على العراق، وهو أمر عدّ اهتماماً واضحاً من قبل الصحف البريطانية يوم ذاك إزاء هذا الحدث «التاريخي»، بحسب الصحيفة ذاتها^(٤٤).

ومما تقدّم، يتضح لنا أنّ مواقف الصحف البريطانية إزاء ترشيح الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق قد اتسمت بالتباين واختلاف وجهات نظر محرريها، شأنها شأن جميع المسائل التي تعلّقت بالعراق يومذاك لما يشكّله من ثقل كبير في الوسطين العام والرسمي البريطاني، فمسألة ترشيح الأمير فيصل كان بمثابة موضوع مثير للاهتمام في الصحف البريطانية آنذاك. وعلى سبيل المثال، دعمت الصحف الليبرالية ترشيح الأمير فيصل بن الحسين، مطلقاً حملة إعلامية تؤيد تتويجه، فضلاً عن صحف أخرى رأت في ترشيح الأمير فيصل خياراً مناسباً لكل من بريطانيا والعراق يومذاك.

إلا أنّ صحفاً أخرى عارضت فكرة ترشيح الأمير فيصل، معبرة عن مخاوف من أن يتحوّل العراق إلى مستعمرة بريطانية، متتقدة ترشيح الأمير فيصل، عادةً إياه خطوة

The Bystander, 31/8/1921, p. 12.

(٤٢)

Ibid.

(٤٣)

Illustrated London News, 1/10/1921, p. 1.

(٤٤)

استعمارية. فيما عدّتها صحف أخرى خياراً غير مناسب للعراق، مشدّدة على ضرورة «استشارة» الشعب العراقي قبل الإقدام على ترشيحه حتى لا تواجه بريطانيا «ثورات» أخرى في البلد الآنف الذكر.

كما تلمّس الباحث أن ترشيح الحكومة البريطانية للأمير فيصل بن الحسين لعرش العراق آنذاك نابغ من سياستها الاستعمارية في المنطقة، فضلاً عن خبرته السياسية، فالأمير فيصل كان ذا خبرة سياسية واسعة، ولا سيّما عند شغله منصب ملك سوريا قبل إزاحته عن عرشها بواسطة الفرنسيين، ناهيك عن أنّ الأمير فيصل حظي بدعم من القوميين العرب، وكانت له وجهة في العالم الإسلامي، ممّا جعله قوة بين أوساط العراقيين على الرغم من الآراء المتباينة لهم من الأمير فيصل، إلا أنّ هناك جزءاً من الشعب العراقي كان يأمل في أن يحقق تتويج الأمير فيصل استقراراً وتطوراً للبلاد.

إذاً، تمّ تتويج الأمير فيصل ملكاً على عرش العراق بفعل دعم بريطاني قوي مبني على مؤهلاته وتجربته السياسية في سوريا، إلا أنّها في الوقت نفسه كانت خطوة مشيرة للجدل من قبل الصحف البريطانية آنذاك، إلا أنّ السياسة البريطانية بعيدة الأمد، إذ إنّ ترشيح فيصل جاء على إثر تطمينات حصلوا عليها منه بإقرار معاهدة تنظّم شكل العلاقة بين البلدين حماية لمصالحهما الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، وهذا ما سيتطرّق له الباحث في الفصل السادس عشر.



الفصل (الساوس) عشر

رصد الصحافة البريطانية

للمعاهدة العراقية - البريطانية لعام ١٩٢٢

وانتخابات المجلس التأسيسي

لم تمض على تتويج الأمير فيصل ملكاً على العراق، إلا بضعة أيام حتى قدم المندوب السامي برسي كوكس الأسس التي استندت إليها حكومته لعقد المعاهدة العراقية-البريطانية المنشودة. وكانت الحكومة المؤقتة قد استقالت في الثالث والعشرين من آب ١٩٢١، وشكلت وزارة جديدة برئاسة عبد الرحمن النقيب. وبعد الاطلاع على مسودة المعاهدة، أدركت الوزارة خطورة المسؤولية الملقاة على عاتقها^(١)

تحتّم على الوزارة الجديدة أن توفّق بين وجهتي نظر الحكومتين في إدارة شؤون الحكم في العراق. وقد وجدت أن البعد بينهما شاسع، يصعب التقليل منه من دون تضحية أي من الجانبين، أو تساهل من جانيهما. فقد كانت الحكومة البريطانية تتصرّف من منطلق سلطتها الانتدابية، وتريد أن تخرج بنود الانتداب في قالب معاهدة بأقل كلفة وأدنى معارضة^(٢).

بدأت المفاوضات حول المعاهدة منذ ٢٩ أيلول ١٩٢١، حينما قدّم المندوب السامي برسي كوكس مسودة المعاهدة من أجل البدء بالمفاوضة مع الجانب العراقي.

(١) رجاء حسين الخطاب، عبد الرحمن النقيب حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤)، ص ٣٢.

(٢) محمد توفيق حسين، عندما يثور العراق (بيروت: [د. م.]، ١٩٥٩)، ص ١٠٧.

وعرضت المسودة على أكثر من جهة مسؤولة، منها دار الاعتماد البريطاني ومجلس الوزراء والبلات الملكي، وظلّت المفاوضات سرية بشأنها حتى ٢٣ حزيران ١٩٢٢، حينما أعلن وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل في مجلس العموم جواباً على سؤال وجه إليه، إذ قال: إن الملك فيصل وحكومته لم يخبرا بريطانيا عن رفض الشعب العراقي للانتداب^(٣). وعندئذ أعلنت الحكومة أنها تعمل على عقد المعاهدة على أساس التحالف^(٤)

تضمّن مشروع المعاهدة التي تقدّمت بها بريطانيا للعراق سبع عشرة مادة^(٥)، ركّزت جميعها على المصالح البريطانية ووضع السلطات في البلاد بيد المندوب السامي البريطاني، وأن تشرف بريطانيا على العلاقات الخارجية، فضلاً عن احتفاظها بقوات مسلّحة في العراق لحفظ الأمن الداخلي أو صدّ العدوان الخارجي، وتقييد العراق بقيود ثقيلة في المجال المالي ما دامت الخزانة البريطانية هي التي تتحمّل عبء المصروفات في العراق، أمّا الناحية الدينية فقد أطلقت بريطانيا يد التبشير بالديانة المسيحية^(٦).

مثّلت هذه المعاهدة رغبتها في فرض السيطرة الكاملة على مقدّرات العراق السياسية والاقتصادية والعسكرية، ومحاولة طمس الشخصية العراقية، إذ لم يبق للملك في ضوء مشروع المعاهدة أو رئيس وزرائه إلا صورة التبعية الكاملة لبريطانيا^(٧).

أحدث نشر التصريح الآنف الذكر، من قبل الصحافة البريطانية ترحيباً كبيراً، أمّا الصحافة العراقية فقد أحدثت في أوساطها ضجّة كبرى، ولا سيما بعد أن اطلع عليه الرأي العام العراقي، فقد عقدت الاجتماعات الحاشدة،

(٣) جريدة العراق، ٢٧/٦/١٩٢٢؛ علي الوردي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٦٣.

(٤) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج ١، ص ١٠٨.

(٥) للتفاصيل عن بنود المعاهدة ينظر: عبد الرزاق الحسني، العراق في ظل المعاهدات، ط ٣ (بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٣)، ص ١١-١٤.

(٦) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط ٧ (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩)، ج ٢، ص ١١.

(٧) فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية-البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية، ١٩٢٢-١٩٤٨ (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٧٧)، ص ٣٢.

وأبرقت كثيراً من برقيات الاستنكار ومذكرات الرفض^(٨).

أبرق متصرف لواء كربلاء عبد العزيز القصاب، ببرقية سرية إلى وزارة الداخلية أبلغه فيها عن عقد اجتماع حاشد وكبير في مسجد الهندي في النجف صباح يوم الجمعة ٢٨ تموز ١٩٢٢، حضره جمع كبير من رجال الدين ومختلف طبقات أبناء المدينة، وقد امتلأ المسجد الجامع على الرغم من سعته بالمتجمهرين، فألقيت الخطب والقصاصد التي نددت برفض الانتداب البريطاني وأي معاهدة تمس استقلال البلاد، وقرر المجتمعون مقاطعة الانتخابات وعدم انتخاب أي شخص إلى المجلس التأسيسي في ذلك الوقت^(٩). وقد أرسل متصرف كربلاء إلى قائمقام النجف كتاباً سرّياً في ٣٠ تموز يؤنبه فيه ويسأله عن سبب عدم اتخاذ الإجراءات لمنع عقد هذه الأمور وفق قانون الاجتماعات، ويحذّره من السماح بعقد أي اجتماعات أخرى تمس أمن البلاد^(١٠).

اشتدّت حركة رفض الانتداب ومقاطعة المعاهدة المزمع عقدها، فتم عقد اجتماع كبير في المشخاب في ٤ آب ١٩٢٢، حضره كبار زعماء الفرات الأوسط ورؤساء عشائر، وتمّ التداول في أوضاع البلاد، وتمخّض عن الاجتماع إرسال برقيتين من النجف، الأولى إلى الملك فيصل الأول، والأخرى إلى المندوب السامي كوكس. وقد تناولت البرقية التي أرسلت إلى الملك مطالبة بتنفيذه:

أولاً: رفض الانتداب رفضاً باتاً واعتراف الحكومة البريطانية بإلغائه رسمياً.

ثانياً: إزالة أي سلطة أجنبية على الحكومة العراقية.

ثالثاً: إسقاط أي وزارة تصدّق على معاهدة غير مرضية بنظر الأمة وتعيين وزارة وطنية تطمئن الأمة إلى أعمالها.

رابعاً: إطلاق حرية الصحافة.

«وهذه رغائب الأمة، وبما أنّ الأحوال الحاضرة مخالفة لرغباتها، بادرنا

(٨) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج ٢، ص ١١.

(٩) عبد الستار شنين الجنابي، «تاريخ النجف السياسي، ١٩٢١-١٩٤١»، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ١٩٩٧، ص ٩٠.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٩١.

بإعراضها لجلالتكم لتكون الأمة معذورة بنظر جلالتم والأمر لوليه أدام الله شملكم»^(١١)

أما البرقية الثانية التي كانت موجّهة إلى المندوب السامي البريطاني، فقد طالبت بالآتي:

أولاً: رفض الانتداب البريطاني رفضاً تاماً ومطالبة بريطانيا بإلغائه رسمياً.
ثانياً: مراجعة حكومة جلالة ملك العراق لوزارة الخارجية البريطانية؛ لأنّ مراجعتها لوزير المستعمرات مخالفاً للاستقلال التام.

ثالثاً: رفع تدخّل ممثلي أي سلطة أجنبية؛ لأنّ أعمالهم لا يمكن أن تطابق سياسة بريطانيا العظمى، وللأمة في نفسها الكفاءة لإدارة شؤونها.

تألّفت الوزارة في الثلاثين من أيلول ١٩٢٢^(١٢) بعد أن تلقّى عبد الرحمن النقيب دعماً من المندوب السامي لرئاستها، ولكونها مقيدة بأراء الأخير وتوجيهاته، أذعنت لرغبته في عقد المعاهدة بناءً على الأسس التي وضعتها حكومته، وبالفعل كان أول عمل قامت به الوزارة الجديدة توقيع المعاهدة في العاشر من تشرين الأول ١٩٢٢^(١٣).

وانسجماً مع ما تقدّم كتبت صحيفة دندي كورير في عددها الصادر بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٢٢، مقالاً تحت عنوان «ما الذي تنطوي عليه معاهدة العراق؟»، مبيّنة أنّها فتحت صفحةً جديدة من العلاقات بين بريطانيا وبلاد ما بين النهرين، التي أصبحت تُعرّف رسمياً باسم «العراق»، وذلك بناءً على المعاهدة التي أبرمت بين البلدين، موضحةً أنّ المُراد من المعاهدة إنهاء مدة الاحتلال وإدارة العراق من قِبَل الحكومة البريطانية، مستشرفةً المستقبل بالتأكيد على أنّ المعاهدة ستسمح بالقيام بتطوير الخدمات المدنية البريطانية بشكلٍ واسع على الطراز الهندي، ويُعدّ هذا الأمر «نعمة». وبعيداً عن المفوّض السامي والقنصل العام، لن يكون هنالك أيُّ وجودٍ للمسؤولين، باستثناء حاملي الجنسية العراقية^(١٤).

(١١) عبد الستار شنين الجنابي، المصدر نفسه، ص ٩٢.

(١٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج ١، ص ١٣٣.

(١٣) فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية-البريطانية، ص ٧٥-٧٦.

(١٤) Dundee Courier, 12/10/1922, p. 4.

وقد كتبت صحيفة ديربي ديلي تلغراف في عددها الصادر بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٢٢، تحت عنوان «ملاحظات على الأحداث الجارية: بلاد ما بين النهرين» مقالاً بيّنت فيه التزام بريطانيا البقاء في بلاد ما بين النهرين لعشرين سنةً أخرى، إلا إذا رفض البرلمان، الذي وعد أن يكون له رأي في المسألة، موضحةً أنّ روح الثورة ستجلى بنفسها من ضمن صفوف داعمي الحكومة داخل المجلس، ذلك لأنهم لن يكونوا غافلين عن النداء المبكر لإجراء انتخابات. إنّ «احتلالنا» لهذه البلاد يترتب عليه إنفاق مبالغ باهظة كلّ سنة، ويُقدّر ما أنفق منذ التوقيع على اتفاق الهدنة، «الثلاثمائة مليون جنيه إسترليني» في هذه «المغامرة»، فما الفائدة من ذلك؟^(١٥).

وبينت صحيفة نورثرن ديفون جورنال في عددها الصادر بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٢٢، تحت عنوان «تراقيا والعراق» مُشيرةً إبرام معاهدة مع دولة العراق، التي «تُبشّر» بالتخفيف من «مسؤولياتنا» فيما يخصّ الانتداب على بلاد ما بين النهرين سريعاً، معتبرةً أنّ من خلال المعاهدة الموقّعة مع مملكة العراق، نخلّص «أنفسنا» من القلق الذي كانت تثيره تلك المسألة ومسائل أخرى. وبينما كان العمل للحفاظ على حقّ إسداء النصيحة للحكومة العراقية فيما يخصّ الأمور المالية والسياسية، فمن المفترض أن تتخلّى بريطانيا عن مسؤولياتها تجاه «أمن البلاد» لصالح الشعب. إنّ العمل على حماية المصالح البريطانية في العراق، على قِدم المساواة مع البلدان الأخرى، سيجنب بريطانيا تهمة الاستغلال، لكن يجب أن تعني المعاهدة أيضاً تجنّب الأعباء الثقيلة والتكاليف الباهظة. ولم نتمكن من إدراك منافع الكاملة علينا إلا عندما ضَمِنَ العراق عضويته في عصبة الأمم، وهكذا «نتحرّر من الانتداب» على العراق. لكن بريطانيا تملك النفوذ الكافي داخل عصبة الأمم لما يضمن تحرّر العراق، وضمان حريتها الخاصة من دون تأخير. ويتوجّب علينا البقاء ملزمين حتى نرى ونتأكّد من أنّ الدول الناشئة تُحرّز تقدّماً سلساً، وتبقى بعيدة عن وقوع الاضطرابات المتعدّدة، التي تكون الدول الناشئة معرّضةً للوقوع فيها. ويمكننا ترك هذه المهمة إلى من هم أكثر أماناً وخبرة لتسلّمها، مثل السير بيرسي كوكس: نحن نرحّب بوصول أخبار تفيد بإبرام المعاهدة بسلاسة، ونأمل من أن نجد لها تجسيدا في أرقام الإنفاق الوطني^(١٦).

Derby Daily Telegraph, 12/10/1922, p. 2.

(١٥)

North Devon Journal, 12/10/1922, p. 5.

(١٦)

من جهتها، كتبت صحيفة يوركشاير بوست اند ليدز إنتلجينسر في عددها الصادر بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٢٢ تحت عنوان «من الانتداب إلى المعاهدة» نشرت فيه نص المعاهدة التي وقّعت في بغداد بين ممثل «جلالة الملك البريطاني» وملك العراق، في يوم الثلاثاء، معتبرة أنّ المعاهدة، التي تتطلّب التصديق عليها من جهة المجلس الوطني العراقي، وربما من جهة البرلمان البريطاني، خطوة لإنهاء الانتداب، الذي تعهدنا بتنفيذه نيابةً عن عصبة الأمم. ولأجل ذلك، من المحتمل أن تُقَابَل بحالة من الرضا العام، ولكن عند دراستها، يبدو أنّها ستكون بمثابة بديل من العلاقات الانتدابية، وستصبح البلاد مشابهة لأن تتحوّل إلى محمية بريطانية. ووفقاً لما يردّ في أحكامها، فهناك كثير من الأحكام التي تُذكّرنا بعلاقتنا السابقة مع مصر، بوصفها نذير شؤم في بعض النواحي، لكنّها على العموم، تُعدّ غير مرضية من وجهة نظر إما المصالح البريطانية، أو البلاد التي أطلقنا وعوداً بإرشادها ودعمها^(١٧).

أما صحيفة شيفيلد إندبندنت، فقد كتبت في عددها الصادر بتاريخ ٩ تشرين الأول ١٩٢٢، تحت عنوان «معاهدة العراق» مقالاً بيّنت فيه أنّ الحكومة البريطانية ستشعر بارتياح كبير لدى سماعها خبر نجاح السير بيرسي كوكس، وبعد تجاوز جميع المصاعب والشكوك، في حصوله على تصديق لمعاهدة العراق. فمنذ بضعة أسابيع مضت، عندما قدّمت الحكومة العراقية استقالتها وكان الملك فيصل مريضاً، بدت الآفاق السياسية غير مبشرة بالخير، إلى درجة أنّ مجلس الوزراء عقد اجتماعات للتشاور حول الوضع وصِفَت بالمضطربة. وعلى أيّة حال، ولحسن حظّهم، باتت الأمور الآن أكثر استقراراً، وقرّرت الحكومة العراقية القبول بالوضع الحالي^(١٨).

كذلك، فإن صحيفة إكستر اند بليموث غازيت كتبت في عددها الصادر بتاريخ ١٣ تشرين الأول ١٩٢٢ مقالاً تحت عنوان «المعاهدة العراقية»، مبيّنةً فيه أنّ المعاهدة ستؤدّي إلى التخفيف التدريجي لأعبائنا، ذلك لأنّها أولاً، ستؤدّي إلى إنشاء علاقات أفضل وأعمق وأكثر ثباتاً بين البريطانيين والعرب، وثانياً، لأنّها ستميل إلى إلقاء مزيد من المسؤوليات بشكل واضح أكثر من قبل على عاتق العرب فيما يتعلّق بضبط شؤونهم، والعمل على تطوير هيئة إدارية أكثر ملائمة بأنفسهم وخاصة بهم^(١٩).

Yorkshire Post and Leeds Intelligencer, 12/10/1922, p. 6.

(١٧)

Sheffield Independent, 9/10/1922, p. 3.

(١٨)

Exeter and Plymouth Gazette, 13/10/1922, p. 16.

(١٩)

وأشارت صحيفة ويسترن غازيت في مقال لها إلى موقف بريطانيا تجاه المعاهدة العراقية البريطانية في عددها الصادر بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٢٢ تحت عنوان «معاهدة العراق، لا زيادة على حجم إنفاق بريطانيا» مبيّنة أنَّ المعاهدة يترتب عليها زيادة في حجم الإنفاق، فقد أُشيرَ إلى أنَّ النتائج ستكون على العكس تماماً. ويجري العمل الآن على إيقاف الاتفاق المالي، وفق المادة ١٥ من المعاهدة، التي تخوّل الحكومة البريطانية بتصرف الأعمال الخاصة بالمنشآت العامّة، التي بُنيت على نفقة وزارة الخزانة البريطانية إلى الحكومة العراقية^(٢٠).

أما صحيفة شيفلد ديلي غازيت في خبر لها نشرته في عددها الصادر بتاريخ ١٤ تشرين الأول ١٩٢٠، تحت عنوان «معاهدة العراق: لا زيادة في الإنفاق على بريطانيا»، فقد نقلت فيه إعراب الملك فيصل عن شكره لملك بريطانيا على إتمام اتفاقية بين بريطانيا العظمى والعراق، مشيرةً إلى أنَّ المعاهدة ستقلل من «التزاماتنا المالية»، ممّا يتيح لحكومة بريطانيا التصرف في بعض الأعمال ذات الفائدة العامّة، التي تمّ إنشاؤها على نفقة الخزانة البريطانية، لحكومة العراق. وعلى الرغم من أنَّ مدّة الاتفاقية تبلغ ٢٠ عاماً، إلا أنَّ ذلك لا يعني أنَّ الحكومة البريطانية سترسل أموالاً طوال هذا الوقت، بل على العكس، من المتوقّع أن ينخفض الإنفاق، وأن يتوقّف بالكامل في نهاية المطاف. ويعتقد في بعض الأوساط أنَّ الاتفاقية لا تنتهي عندما يصبح العراق عضواً في جامعة الأمم. إنّها ولاية الانتداب التي تنتهي في ذلك الوقت. وتمّ الوعد بالفعل لحكومة العراق بأنّ حكومة جلالته ستسهّل انضمام العراق إلى الجامعة^(٢١).

ونقلت صحيفة سكوت مان في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢، تحت عنوان «استقالة أعضاء الحكومة العراقية» خبر استقالة الحكومة العراقية، مؤكّدةً جهلها سبب الاستقالة، مخمّنةً أن تكون بسبب الوضع التركي، مشيرةً إلى معارضة فئات عديدة من العراقيين حكومة النقيب، مُلقين اللوم عليه لإبرام المعاهدة الأنغلو-عراقية، وكانوا متلهّفين لإزاحته من منصبه من رئاسة الوزارة، وحجّتهم في ذلك حجمُ المصالح الشخصية داخل البلاد، فضلاً عن تخاذله في اتّخاذ إجراءات فعّالة

Westminster Gazette, 12/10/1922, p. 8.

(٢٠)

Shields Daily Gazette, 14/10/1922, p. 2.

(٢١)

للتصدّي لوسائل الإعلام التركية المغرضة التي أشارت إلى موقف النقيب من عودة الأتراك إلى العراق^(٢٢).

من جهتها، نقلت صحيفة ويسترن ديلي بريس أيضاً خبر استقالة حكومة النقيب في عددها الصادر بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٢، تحت عنوان «حكومة جديدة في العراق»، وأوضحت أنّ «النقيب» قدّم استقالته في بغداد، وهو الذي شكّل الحكومة مباشرة قبل التوقيع على المعاهدة الأنغلو-عراقية، وجرى تشكيل حكومة جديدة برئاسة عبد المحسن السعدون^(٢٣).

وفي سياق اهتمام الصحف البريطانية بالتوقيع على المعاهدة «العراقية-البريطانية»، نشرت صحيفة سكوت مان خبراً في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢، تحت عنوان «النقيب بغداد يستقيل»، مشيرةً فيه إلى أنّ الحكومة البريطانية أعطت «ضمانات محدّدة» فيما يتعلّق بمستقبل الموصل، ومن الأفضل الحفاظ على وحدة العراق كما هو محدّد في الوقت الحاضر^(٢٤).

من جهتها، نقلت صحيفة نورثرن ويج خبراً تعلّقت مضامينه، في عددها الصادر بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٢، تحت عنوان «استقالة الحكومة العراقية»، مبيّنةً تشكيل حكومة جديدة برئاسة عبد المحسن السعدون، معرفةً أنّه أحد وجهاء البصرة ومن المعتدلين سياسياً^(٢٥).

وواصلت صحيفة سكوت مان، وتحت عنوان «بريطانيا العظمى والعراق: مزايا المعاهدة»، نقل تصريح الفريق أول جعفر باشا العسكري، وزير الدفاع في الحكومة العراقية، صباح «اليوم الثلاثاء»، وهو أنّه جاء إلى لندن لتمثيل الملك فيصل وحكومة العراق، أثناء إقامته لمدة شهرين في هذا البلد، لإجراء مقابلات مع الحكومة البريطانية بشأن المسائل التي تؤثر في كلا البلدين، وتعزيز قضية العراق بكل الطرق الممكنة^(٢٦).

The Scotsman, 20/11/1922, p. 8.

(٢٢)

Western Daily Press, 21/11/1922, p. 4.

(٢٣)

The Scotsman, 21/11/1922, p. 6.

(٢٤)

Northern Whig, 21/11/1922, p. 5.

(٢٥)

The Scotsman, 20/11/1922, p. 9.

(٢٦)

وقد أضافت الصحيفة أن جعفر باشا صرّح بأنّ الوضع في جميع أنحاء بلاده أصبح الآن هادئاً تماماً، وأنّ الملك فيصل تعافى تماماً من مرضه الأخير، مشيئةً على تصريح جعفر باشا العسكري الذي توقّع حصول كل من بريطانيا العظمى والعراق على مزايا «كثيرة وعظيمة» من توقيع المعاهدة الأنغلو-عراقية. وفيما يتعلّق بأثر توقيع المعاهدة قال الوزير: «إذا تمكّنا من تطبيق بنود المعاهدة، فإنّ ذلك سيعود بالتأكيد بالمنفعة المتبادلة إلى بلدينا. وسنكون قادرين بعد ذلك على إنشاء إدارة مستقرّة، وبالتالي توفير نفقات كبيرة على بريطانيا العظمى»، مختتمّةً الخبر بأنّ رحلته إلى لندن كانت من بغداد إلى اسطنبول، وسافر منها عن طريق البحر إلى مرسيليا، ثم براً إلى لندن^(٢٧).

وبيّنت الصحيفة نفسها في مقال خبري لها في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ كانون الأول ١٩٢٢، تحت عنوان «الوضع أكثر استقراراً»، أنّ المفوض العالي عاد من زيارته إلى سلطان نجد، ابن سعود، وأعلن أنّه نجح في إقناع ابن سعود بتصديق الاتفاقية التي وضعت في مؤتمر أبريل بين ممثلي الحكومة البريطانية وابن سعود، والتي رفض السلطان بعد ذلك تصديقها بحجّة أنّ ممثله قد تجاوز التعليمات المُعطاة له. إنّ الحفاظ على علاقات جيدة مع إمارة نجد أمر بأهمية بالغة بالنسبة إلى العراق، حيث يمكن للقبائل البدوية تحت سيطرة ابن سعود أن تكون مصدراً مستمرّاً للمشكلات إذا لم يتمّ وضعها تحت السيطرة^(٢٨).

ونقلت الصحيفة تصريح مدير مكتب البريد: «إنّ البريد الجوي لبغداد الذي غادر لندن في ١٤ ديسمبر وصل إلى بغداد في ٢٢ ديسمبر» ووصل البريد الجوي المتّجه إلى لندن، والذي غادر بغداد في ٢٠ كانون الأول، إلى القاهرة في ٢١ كانون الأول، ومن المقرّر أن يصل إلى لندن قريباً^(٢٩). وانظر أيضاً الصحف الصادرة في اليوم نفسه، التي نقلت المضمون ذاته^(٣٠).

Ibid. (٢٧)

The Scotsman, 29/12/1922, p. 5. (٢٨)

Ibid. (٢٩)

Pall Mall Gazette, 17/11/1922, p. 5; *Leeds Mercury*, 21/11/1922, p. 11; (٣٠)

Newcastle Daily Chronicle, 21/11/1922, p. 1; *The Scotsman*, No. 24730, p. 4; *Aberdeen Press and Journal*, No.23491, p. 12; *The Scotsman*, No. 21186, p. 6.

ونشرت صحيفة سيفل اند ميليتري غازيت في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ كانون الأول ١٩٢٣، مقال عنون بـ «العراق: مخطط القانون الأساسي»، مشيرةً فيه إلى موافقة مجلس الوزراء على القانون الأساسي، والذي سيتم تقديمه إلى الجمعية الوطنية للمصادقة عليه مع معاهدة العراق البريطانية، مبيّنةً أهم فقراته:

أولاً: لا تمييز أمام القانون بناءً على العرق والدين واللغة^(٣١).

ثانياً: حقوق الملكية وحرية التعبير والتجمع والانضمام وممارسة العبادة.

ثالثاً: حق المجتمعات المختلفة في إنشاء والمحافظة على أديانها بلغتها الخاصة.

رابعاً: الإسلام هو ديانة الدولة.

خامساً: اللغة الرسمية هي العربية.

سادساً: السيادة الدستورية للعراق هي ثقة مؤكّدة من قبل الشعب في الملك فيصل بن الحسين وورثته بعده.

سابعاً: الملك سيمارس حقوقه من خلال العروض الملكية. (تصدر العروض الملكية بناءً على توصية الوزير أو الوزراء المسؤولين وبموافقة رئيس الوزراء، ويجب على الجميع أو كل منهما التوقيع عليها).

ثامناً: الوزراء والبرلمان (يُكلّف المجلس بإدارة شؤون الدولة، ويختار الملك رئيس الوزراء).

تاسعاً: الوزراء مسؤولون أمام مجلس النواب.

عاشراً: إذا قرّر مجلس النواب بأغلبية ثلثي الأصوات الموجودة إصدار قرار بعدم الثقة في الحكومة، يجب أن تستقيل (إذا كان مثل هذا القرار يتعلّق بوزير واحد فقط، فسيتعين على هذا الوزير التنازل عن منصبه، ولكن يمكن لرئيس الوزراء أو الوزير المعني أن يطلب أن يتمّ تأجيل التصويت على القرار لمدة لا تتجاوز ثمانية أيام).

حادي عشر: عندما لا يكون البرلمان منعقداً، يمكن أن تصدر مراسيم للحفاظ

على النظام العام والأمان، أو لصدّ مخاطر عامّة أو للإنفاق العاجل أو للوفاء بالالتزامات الدولية.

ثاني عشر: تُصدر المراسيم بواسطة الملك، بموافقة المجلس، ويجب أن تُقدّم إلى البرلمان للقبول في بداية دورته.

ثالث عشر: للحفاظ على الأمن الداخلي، يمكن للملك، بموافقة المجلس، أن يعلن قانون الطوارئ العسكري.

رابع عشر: يجب أن يتمّ انتخاب مجلس النواب لمدة أربع سنوات على أساس نائب واحد لكل ٢٠ ألف من مواطني العراق الذكور، ممّا سيعطي مجلس النواب ٧٥ نائباً في البداية.

خامس عشر: سيتمّ منح الأقليات غير المسلمة التمثيل اللائق.

سادس عشر: يجب أن يكون عمر النواب أكثر من ٣٠ عاماً.

سابع عشر: يكون النصاب من نصف الأعضاء بالإضافة إلى واحد.

وفي سياق آخر، نشرت صحيفة سكوت مان مقال لها في عددها الصادر بتاريخ ٨ آب ١٩٢٣، مشيرة فيه إلى أن الطريق الواضح نحو تصحيح الوضع «المعقد» في شؤون الشرق الأوسط قد أثير نتيجة لاختتام مؤتمر لوزان، مبيّنة أنّ النقطة الوحيدة قيد المناقشة كانت مصير «ولاية الموصل وترسيم الحدود» بين العراق وتركيا، معتقدة أنّه من المثير للدهشة أنّه مع تأجيل حلّ هذه المسألة لتسعة أشهر أخرى. وقد أشر الباحث اقتباس أحد نصوص المقال لأهميته^(٣٢):

«... أن السياسي العراقي لم يولِ سوى القليل من الاهتمام، أو لم يهتمّ بشروط المؤتمر، [مؤتمر لوزان]، لحظة انشغاله بانتخابات مجلس الأمة، غير مبال بما من شأنه التأثير بشكل مباشر على بلاده، وجل همهم كان التحضير للانتخابات. أمّا في كربلاء والنجف في العام الماضي كان من المستحيل العثور على أي شخص يرغب في أن يصبح عضواً في اللجنة. لا يمكن التأكيد كثيراً على أهمية الانتخابات. إن واجبات الجمعية التي تنتج منها سيكون أكثر أهمية، إذ سيكون من واجبها التصديق على المعاهدة الأنغلو - عراقية أو رفضها، وإقرار دستوري وقانون انتخابي دائم ينظم انتخابات المجالس التي قد يتطلبها الدستور. وعلى الرغم من ذلك، فإنّ المجلس

المزعم انشاءه سيكون مكلفاً باتخاذ القرارات التي لها تأثير كبير جداً في تقدّم هذا البلد واستقرار حكومته»^(٣٣).

وممّا تقدّم يتضح لنا تباين مواقف الصحف البريطانية تجاه المعاهدة العراقية البريطانية عام ١٩٢٢، وقد بنيت وفقاً لعوامل عدّة كان من بين أهمّها التوجّه السياسي للصحف الآنفة الذكر، من جهة، وسياسة رؤساء تحرير تلك الصحف، من جهة أخرى، فضلاً عن تداعيات السياق الدولي والداخلي يوم ذاك، وهي ما يوضحها لنا الرسم البياني (٣).

الرسم البياني (٣)

نماذج المقالات والأخبار الواردة في الصحف البريطانية^(٣٤)

خصت المعاهدة العراقية - البريطانية



The Scotsman, 8/8/1923, p. 8.

(٣٣)

(٣٤) نُظِمَ المنحنى البياني من قبل الباحث بحسب اعتماداً على موقع أرشيف الصحف البريطانية:

< <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk/> > .

فقد انتقدت بعض الصحف الليبرالية عقد المعاهدة بشدة بعد أن اعتبرت أنها استمراراً للهيمنة الاستعمارية البريطانية في العراق، معتبراً أن المعاهدة لا تضمن استقلالاً حقيقياً للعراق، مشددةً على أن المعاهدة تكريس للهيمنة البريطانية السابقة في المنطقة. فيما رأت الصحف المحافظة أن عقد المعاهدة تطوراً إيجابياً في شكل العلاقة بين بريطانيا والعراق. وأنها تمثل استجابة بريطانية لتطلّعات الشعب العراقي نحو الاستقلال. أمّا تلك الصحف ذات الاتجاه الاشتراكي، فقد عدّت المعاهدة خطوة إيجابية في السعي نحو تحقيق الاستقلال والعدالة الاجتماعية في العراق، وستدعم حقّ العراق في السيطرة على مصادره الطبيعية. أمّا الصحف ذات الميول المستقلّة فقد تباينت مواقفها من عقد المعاهدة، فكانت أكثر انفتاحاً تجاه المعاهدة، مشيدةً بسعي العراقيين الدائم لتحقيق الاستقلال، فيما نقدت صحف أخرى بعض بنود المعاهدة المتعلقة بالمصالح الاقتصادية واستغلال النفط في العراق، ممّا أثر في مواقفها. ويبدو جلياً أن المعاهدة كانت موضوع جدل واسع في الصحف البريطانية، إذ تظهر هذه الآراء التنوّع والمخاوف والآمال المتعلقة بالعلاقة بين بريطانيا والعراق في ذلك الوقت.



خُلاصة واستنتاج

لقد تسنّى للباحث بموجب دراسته هذه الوقوف عند جملة من المقومات الموضوعية للثورة العراقية الكبرى، وعدد من المقومات الخاصة بهذا المنعطف التاريخي الكبير في تاريخ العراق المعاصر، والأثر الكبير للصحافة البريطانية، بغض النظر عن انتماءاتها السياسية والفكرية في بريطانيا، تنامياً وصلّ أوجه في العقد الثاني من القرن العشرين، ضمن الإطار الزمني لدراستنا هذه.

ويبدو واضحاً أنّ هذا «التفاعل» بين الصحافة والرأي العام البريطاني تناغماً تاماً مع توسّعها الكبير، ونهضتها التي تعدّت الحدود الإقليمية للجزر البريطانية، كمّاً وحجماً، ممّا أسهم في بروز الصناعة الصحفية، وبالتالي «الأُسَر الصحفية»، وتوالي أجيالها في عالم الصحافة، والإعلام أو الدعاية الموجّه، لعلّ من بينها: مجموعة **الديلي ميل** و**مالكها اللورد رودرمير**؛ ومجموعة **بري** ومؤسّسها **اللورد كامروز**؛ ومجموعة **وستمنستر برس نيوز بيبر** و**مالكها الصحفي الألمعي اللورد نورثكليف**؛ مجموعة **بروفنشيال نيوز بيبر** ليمتد لصاحبها **جيرارد مينل**؛ وأخيراً مجموعة **بيفر بروك** ل**مالكها ويليام ماكسويل أيتكين**.

وعلى ما يبدو شدّد العديد من أساطين الصحافة البريطانية من رؤساء تحرير ومحرّرين، على حرية «التعبير» والتركيز على موضوعات السياسة والقضايا الكبرى الخاصة ببلادهم وحكوماتهم من خلال عمل «احترافي» و«مهنيّة» عالية تعتمد المصداقية في نشر الأخبار، إلا أنّ هذا لا يعني عدم وجود صحف كانت دوافعها المالية ومصالحها الخاصة، فضلاً عن ارتباطاتها السياسية، تتحكّم بمسار عملها الصحفي ونشر الأخبار، وانحرافها عن «الموضوعية» و«أمانة النشر».

وانسجماً مع ما تقدّم، أثمر أثر الصحافة البريطانية السياسي في المجتمع

البريطاني، وظهور «اللوبي الصحفي» ليؤثر في الحياة العامة ومنظومة المجتمع والدولة على حدّ سواء، وفق أسس مدروسة في توجيه «الإعلام»، وتحديد مسارات «دعائية»، وأثرها في الرأي العام البريطاني على وجه الخصوص أو العالم عموماً، خاصة أنّ هذه اللوبيات الصحفية كانت «جاذبة» للرأي العام و«ضاغطة» في الوقت نفسه على مراكز صنع القرار في البلاد سواء السلطة التنفيذية أو السلطة التشريعية، لا بل حتى السلطة القضائية في أحيان غير قليلة فيما تعلّق منها بقضايا سياسية بعينها.

لقد كان من نتائج هذا التنامي للصحافة البريطانية ولوبياتها كقوة سياسية ضاغطة، فلا مرأ إذ وجدنا بروز مفهوم «السلطة الرابعة» للصحافة البريطانية سيشكل ثقلًا مؤثراً في الحياة العامة في بريطانيا، وخاصة أنّ العديد من رؤساء الصحف دافع عنها وعن ممارسة حق «السلطة الرابعة» في المتابعة لسياسات الحكومة والرقابة على أدائها، إذ حقاً تناغم مع تطلعات تلك الصحف في «رصد» التغلغل البريطاني ومصالحة في بلاد ما بين النهرين منذ أواخر القرن الثامن عشر.

تنافست الصحف البريطانية في النشر عن واقع بلاد ما بين النهرين، وناقشت على صفحاتها باستفاضة موضوعات في غاية الأهمية، اجتماعية واقتصادية وسياسية، بل إنّ بعضها راح مُمعناً في رصد كل ما يتعلّق بالمصالح البريطانية في العراق، كما هو الحال في متابعات صحيفة التايمز اللندنية، راصدة كلّ «شاردة واردة» تعلّقت بتنامي تلك المصالح، والمنافسة الدولية لها، خاصة لألمانيا قبيل الحرب العالمية الأولى.

تصدّت المرجعة الرشيدة والعلماء الأبرار في مدن العتبات المقدسة «الكاظمية المقدسة، النجف الأشرف، وكربلاء المقدسة»، أعباء مسؤولية إعلان «الجهاد» لمواجهة الغزاة البريطانيين خلال الحرب العالمية الأولى، وهو أمر رصدته الصحف البريطانية مواكبةً مستجدات الحملة على العراق للمدة (١٩١٤ - ١٩١٨) وما رافقها من هزائم وانتكاسات، كان من أهمها: معركة الشعيبة، وحصار الكوت، ومعارك أثّرت وحدت بالصحف البريطانية على المطالبة والضغط على الحكومة البريطانية، ومن مختلف توجهاتها السياسية، بضرورة الانسحاب من بلاد ما بين النهرين، خاصة مع تزايد تلك الصفحات التي ملئت بأخبار نعي الجنود والضباط ممّن لقوا مصرعهم على أرض العراق، من جهة، ولما تكبدتها الخزينة البريطانية من خسائر مالية كبيرة أثقلت كاهل المواطن البريطاني من دافعي الضرائب، من جهة أخرى.

تصاعدت نبرة الصحافة البريطانية في العقد الثاني من القرن العشرين بين «الرفض» و«الإيجاب»، إثر اندلاع الثورة العراقية الكبرى في العديد من مدن العراق وقصباته، لتبرز إلى العلن مدى «ضعف» قوى الانتداب البريطاني، سياسياً وعسكرياً، فاق تصوراتهم إلى درجة أن عدداً لا يستهان به من الصحف البريطانية الصادرة يومذاك بدأت بإعلان استيائها من النهج الحكومي المتعمد في إخفاء حقائق ما جرى على أرض العراق من مواجهات عنيفة بين عشائر العراق عموماً، وعشائر الفرات الأوسط، خصوصاً ضد المحتل الأجنبي ضد الوجود البريطاني في بلادهم، إلى حد دفع بالسلطات السياسية والعسكرية الموافقة على استخدام «الغازات السامة»، وفق بعض ما جاء في كتابات بعض الباحثين الأكاديميين المطلعين بشؤون العراق، ليسجل ذلك «إدانة كبيرة» في السجل الاستعماري البريطاني.

وعلى الرغم من فشل الثورة عسكرياً في نهاية مطافها، إلا أنها أظهرت جُملةً من المقومات الإيجابية رصدتها الصحافة البريطانية، وعالجت مضامينها على صفحاتها خبراً أم دراسة، في مقال بحثي مهم، كان منها: الوقوف عند العلاقة التلاحمية بين المرجعية الرشيدة، من جهة، وأتباعهم، من جهة أخرى، في «الاستجابة» وتلبية ندائها، وهو أمر دفع الصحف البريطانية إلى تحميل «المرجعية الرشيدة» وزر تصاعد إوار الثورة لتبلغ أطراف بغداد وديالى والموصل وشمال البلاد، مُطلقَةً عليهم بـ«المتعصبين»، ضمن حملتها الإعلامية الاستهدافية لمراكز القوى الفاعلة في الحراك المجتمعي العراقي، وبصورة مُبكرة تعود إلى العقود الأولى من القرن العشرين.

لقد أثمرت الثورة العراقية الكبرى سياسياً العديد من النتائج المهمة، التي شكّلت بمجموعها، مع «التحفظ» على مسارات بعضها، خطوةً إيجابيةً نحو استقلال البلاد وخروجها من صكّ الانتداب، كان مُفتتحها هو تغيير نمط الإدارة البريطانية للبلاد من إدارة مباشرة «عسكرية» إلى إدارة غير مباشرة «مدنية»، تتعاون مع حكومة محلية ونظام سياسي وقف على رأسه الملك فيصل الأول.

تصدّت الصحافة البريطانية لموضوع شكل الإدارة البريطانية في العراق وما تمخّض عنها من خسائر بشرية ومادية كبيرة، معززة موقفها وآرائها في نشرها لحقائق وأرقام ضمت أعداد القتلى والضحايا من الطرفين أثناء الثورة العراقية الكبرى وتطوّراتها.

كما سلّط العديد من الصحف البريطانية الأضواء على المطالب المشروعة

للشعب العراقي: باستقلال البلاد، وتشكيل حكومة وطنية وإسناد عرش البلاد، إلى «ملك عربي مسلم» وإجراء انتخاب حر ديمقراطي لوضع دستور، أموراً لم تغفلها الصحافة البريطانية، لذا بلغ نسبته ١٥٪ من الصحف البريطانية ممّن أيدت إنهاء الانتداب البريطاني على العراق.

وتستّى لنا في الوقوف على زخم الصحف المتابعة للثورة العراقية الكبرى، «فبزت» اللندنية منها رصيفاتها من الصحف الصادرة في ويلز وإسكتلندا وإيرلندا الشمالية فقد بلغ عددها (١٠٢٠) من مجموع الصحف في بريطانيا العظمى المتابعة لموضوع الثورة العراقية الكبرى والبالغ (١٢٤٥)، ممّا يتبيّن لنا أنّ الصحف اللندنية المعنية بموضوعات الثورة قد احتلت المرتبة الأولى وذلك لكونها قريبة من مصادر القرار البريطاني التنفيذية والتشريعية، فضلاً عن العديد من مراكز القوى السياسية من أحزاب مؤيدة للسلطة أو معارضة لها. لتليها الصحف الاسكتلندية المرتبة الثانية، في حين احتلت الصحف الإيرلندية المرتبة الثالثة، وصحف ويلز في المرتبة الأخيرة والأقل من بين الصحف الصادرة في شهر تموز عام ١٩٢٠ التي تابعت تطورات الثورة يومذاك.

وتبيّن للباحث، وبكل تواضع، في دراسته هذه أنّ ٢٠٪ من الصحف المتصدية لموضوعات الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ كانت مع المطالب المشروعة للعراقيين خاصة في موضوع استقلال البلاد وانسحاب بريطانيا العظمى منها، وأنّ ١٢٪ منها رأّت في نكث الحكومة البريطانية وإدارة الانتداب في العراق في إجراءاتها السياسية ومواقفها العسكرية كما أسمتها «الحازمة» مع الثوار دافعاً آخر للثورة، فضلاً عن ١٠٪ قد حمّلت «مرجعية النجف الأشرف»، وبحسب توصيفها «المتعصبة» مسؤولية اندلاع الثورة وتساعد أتونها، وأن ٩٪ منها حمّلت الإدارة البريطانية «الجاهلة» بطبيعة العراقيين الرافضين المساس بتقاليدهم العربية الأصيلة، فضلاً عن سوء إدارة البلاد سبباً في اندلاع الثورة يومذاك، فيما أرجعت ٨٪ منها سبب الثورة لدوافع اقتصادية، وتصدّت أخرى إلى العوامل الخارجية التي أثّرت حسب ادعائها على الشارع العراقي واندلاع ثورته يومئذ، فأشارت ٨٪ إلى أثر تحريض «الأتراك» الطامعين بالعودة للسيطرة على أرض العراق، وفق تعبيرها، فيما حمّلت ٧٪ قيام وأثر الثورة المصرية لعام ١٩١٩، فضلاً عن الحراك السياسي الإقليمي عربياً وإسلامياً، وأن ٧٪ منها أدّعت أنّ للثورة البلشفية في روسيا القيصرية عام ١٩١٧ أثراً فاعلاً

فيها، فضلاً عن ٥٪ أكدت على زخم الثورة العربية في الحجاز عام ١٩١٦، وبين ٤٪ منها إثر قيام الحكومة العربية في سوريا هي الأخرى في اندلاع الثورة وتطورات مجرياتها، فيما أرجعت ٣٪ منها سبب اندلاع الثورة إلى مطامح بعض الضباط العراقيين يومذاك، ممن خدموا في صفوف الجيش العثماني، فيما أكدت ٣٪ على إثر الخلافات البريطانية - الفرنسية في الدفع باتجاه الإسهام في اندلاع الثورة في العراق، بينما أفردت ٣٪ من الصحف البريطانية التأكيد على دوافع أخرى متنوعة.

كما تبين للباحث، وبكل تواضع، في دراسته هذه أن ٤٠٪ من الصحف المُتصدية لموضوعات الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ اطلقت تسمية «تمرد» في سياق غياب الحقائق يومذاك عن الصحف البريطانية بفعل قيود السلطة على وسائل الإعلام، وبخاصة الصحافة منها، فضلاً عن تسمية الصحف الآنف الذكر «اضطراب» و«توتر» على التوالي، وبنسبة مئوية بلغت ١٨٪، في حين شكّل توصيف «مقاومة مسلّحة» ما نسبته ١٦٪، لتقرّر بعد ذلك الصحف البريطانية باندلاع «ثورة» بنسبة مئوية بلغت ٧٪، متجاوزةً بذلك قيود السلطات الحكومية البريطانية يومذاك في نقل حقيقة الثورة العراقية الكبرى، ولتختتم بعد ذلك ما تبقى من الصحف الصادرة للمدة (١ تموز - ١٠ تشرين الأول) ١٩٢٠ ذلك الوصف بتسمية خجولة هو «انفاضة» وبنسبة مئوية بلغت ١٪.

إنّ ما جرى في عام ١٩٢٠ في العراق هو ثورة بكلّ ما تعنيه من كلمة، فالمتتبع لما نُشر في الصحف البريطانية أيام اندلاع الثورة يجد أنّ نسبة كبيرة منها قد أطلق توصيف «تمرد» (Revolt) وبنسبة مئوية بلغت ٤٠٪، لما جرى في العراق من أحداث يوم ذاك، إلا أنّه وبعد عقد من الزمان، وإثر تكشف الحقائق الموضوعية أمام الصحافة البريطانية من جهة، ووصول عدد كبير من مراسلي الصحف الآنف الذكر إلى العراق إثر تشكيل الأمير فيصل لحكومته عام ١٩٢٢، وهو أمر مكّن الصحف البريطانية التواصل والاتصال مع قيادات الثورة العراقية الكبرى، من جهة، ومع مختلف فئات الشعب العراقي، من جهة أخرى، لتتضح الحقائق «المُغيبية» أمام الصحف الآنف الذكر، لتغيّر من توصيفاتها السابقة بـ«تمرد» العراقيين إلى «ثورة»، والتي هدفت إلى تحقيق استقلال بلدهم، وتأسيس دولة ناجزة لها مؤسّساتها الذاتية، وهو أمر أيد مواقف تلك الصحف شهادة العديد من إداريين بريطانيين كانوا معيّنين بالشأن العراقي أو باحثين وكُتاب سياسيين كانت اهتماماتهم متعلّقة بالتطورات

السياسية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين. ولعلّ من المفيد هنا أن نقتبس ما كتبه الميجر هيوبرت يونغ (Major Hubert Young) إذ جاء فيه ما نصه: «إن أمة ضحّت بـ ثمانية آلاف شهيد خلال بضعة أشهر، لا يمكن أن تقتنع بنزاهة مقاصدنا ما لم نستجب لأهداف الثورة».

وأخيراً، يوصي الباحث ومشرفه ومن خلال اطلاعهما على مضامين الصحافة البريطانية وكتاباتهما عن موضوعات متنوّعة بخصوص العراق وعلى الصّعد كافة بضرورة أن يولي الباحثين اهتماماتهم في دراستها والتعمّق في ثناياها بحثاً وتحليلاً لما احتوته من معلومات قيّمة خصّصت أثار وتاريخ العراق واقتصادياته وأوضاعه الاجتماعية وغيرها من الموضوعات التي شكّل محتواها مادة دراسية مهمّة عن تاريخ بلادنا المعاصر ومنذ أواخر القرن الثامن عشر وما تلاه.

الملاحق

مُلحق (١)
أبرز الصُحف الليبرالية البريطانية^(١)
١٨٠٥ — ١٩٠٠

ت	اسم الصحيفة بالعربية	اسم الصحيفة بالإنكليزية	تاريخ انشاء الصحيفة
١ -	مورنينغ أديرتايزر	<i>Morning Advertiser</i>	١٢ تشرين الثاني ١٨٠٥
٢ -	مانشستر غارديان	<i>Manchester Guardian</i>	٥ ايار ١٨٢١
٣ -	ديلي نيوز	<i>Daily News</i>	٢١ كانون الثاني ١٨٤٦
٤ -	بيرمنغهام ديلي بوست	<i>Birmingham Daily Post</i>	٤ كانون الاول ١٨٥٤
٥ -	نيوكاسل ديلي كرونكل	<i>Newcastle Daily Chronicle</i>	١ ايار ١٨٥٨
٦ -	بال مال جازيت	<i>Pall Mall Gazette</i>	٧ شباط ١٨٦٥
٧ -	إيكو	<i>Echo</i>	٨ كانون الاول ١٨٦٨
٨ -	مانشستر إيفنينغ نيوز	<i>Manchester Evening Post</i>	١٠ تشرين الاول ١٨٦٨
٩ -	ديلي تيليغراف	<i>Daily Telegraph</i>	١ كانون الثاني ١٨٦٩
١٠ -	نورثيرن إيكو	<i>Northern Echo</i>	١ كانون الثاني ١٨٧٠
١١ -	ديلي كرونكل	<i>Daily Chronicle</i>	٢٥ تشرين الثاني ١٨٧٢
١٢ -	نورثيرن ديلي إكسبريس	<i>Northern Daily Express</i>	٢٤ نيسان ١٩٠٠
١٣ -	نورثامبتون بوست	<i>Northampton Post</i>	٣ كانون الثاني ١٩٠٠

(١) نُظِمَ الجدول من قبل الباحث بحسب سبقها الزمني في الصدور:

Patrick Joyce, *The Rule of Freedom: Liberalism and the Modern City* (London: Verso, 2003); Brian Harrison, "Liberalism and the English Temperance Press: 1830-1872," *Victorian Studies*, Vol. 13, No. 2, December, 1969.

مُلحق (٢)

أبرز صُحف المُحافظين في بريطانيا^(١)

١٨٠١ — ١٨٦٦

ت	اسم الصحيفة بالعربية	اسم الصحيفة بالإنكليزية	تاريخ انشاء الصحيفة
١ -	مورنينغ بوست	<i>Morning Post</i>	١ كانون الثاني ١٨٠١
٢ -	مورنينغ هيرالد	<i>Morning Herald</i>	١ كانون الثاني ١٨٠١
٣ -	غلوب	<i>Globe</i>	٧ كانون الاول ١٨٠٤
٤ -	ذا ستاندارد	<i>The Standard</i>	٣ كانون الاول ١٨٤٧
٥ -	يوركشاير بوست	<i>Yorkshire Post</i>	١ كانون الاول ١٨٦٦

(١) تم أعداد الجدول من قبل الباحث بحسب سبقها الزمني في الصدور: W. H. Allnutt, *English Provincial Presses*, Part III., *Bibliographic*, II, ([London]: [no. p.], 1896); H. R. Fox Bourne. *English Newspapers. Chapters in the History of Journalism* (London: [no. p.], 1887). 2 vols; J. A. Chandler, *Explaining Local Government: Local Government in Britain Since 1800* (Manchester: Manchester University Press, 2008).

ملحق (٣)

نماذج من عناوين الصحف البريطانية التي نقلت وقائع معركة الشعبة^(١) للمدة (شباط – كانون الأول) ١٩١٥

ت	عنوان الصحيفة	عنوانها بالإنجليزية	تاريخ الخبر	عنوان الخبر	رقم الصفحة
١ -	انديا	India	١٢ شباط	انتصار في الخليج الفارسي	٦
٢ -	سيفل اند مليري غازيت	Civil & Military Gazette	٢٥ آذار	مكافئات البسالة	٩
٣ -	لانشاير ايفننغ بوست	Lancashire Evening Post	٢٣ نيسان	كلغة الشعبة : ٦٠٠٠ قتيل	٧
٤ -	ليستر كرونكل	Leicester Chronicle	٢٤ نيسان	هزيمة الاتراك في الشعبة	٥
٥ -	دبلن ديلي اكسبريس	Dublin Daily Express	١٩ نيسان	معركة الشعبة : تتويج بنصر كاسح	٥
٦ -	مرثير اكسبريس	Merthyr Express	٠١ آيار	هزيمة الاتراك في الشعبة	٥
٧ -	ديلي نيوز	Daily News	٢٢ آيار	تراجع تركي في بلاد النهرين، عقوبة القبائل المتمردة.	٥

(١) الجدول بالاعتماد على أرشيف الصحف البريطانية: <<https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>> .

ت	عنوان الصحيفة	عنوانها بالإنجليزية	تاريخ الخبر	عنوان الخبر	رقم الصفحة
٨ -	انكلشزمان اوفرلاند ميل	<i>Englishman's Overland Mail</i>	٢٢ تموز	معركة الشعبية: مزيد من التفاصيل عن النصر الهندي. ثمن رائع.	٨
٩ -	اليستريت لندن نيوز	<i>Illustrated London News</i>	١٩ تموز	تقرير مصور: حصن الشعبية	١٧
١٠ -	نوتنغهام ايفننغ بوست	<i>Nottingham Evening Post</i>	١٩ تموز	معركة الشعبية الانتصار الكبير مقتل ٦٠٠ بريطاني، ٣٠٠٠ تركي وعربي.	١
١١ -	يوركشاير بوست اند ليدز انتلجنسر	<i>Yorkshire Post and Leeds Intelligencer</i>	٢٠ تموز	معركة الشعبية: تاريخ حي لنصر بريطاني إسلامي لامع.	٧
١٢ -	سيفل اند ميليتري غازيت	<i>Civil & Military Gazette</i>	٢١ اب	تدمير الشعبية	٨
١٣ -	سيفل اند ميليتري غازيت	<i>Civil & Military Gazette</i>	٢٢ اب	معركة الشعبية: ذكرى الارشاليات	٩
١٤ -	جيرنزي بريس اند ستار	<i>Guernsey Evening Press and Star</i>	٠٦ ايلول	شهادة	٣
١٥ -	أبردين برس آند جورنال	<i>Aberdeen Press and Journal</i>	٢٣ تشرين الاول	مهمات بطولية في الشعبية	٦
١٦ -	سفيل اند ميليتري غازيت	<i>Civil & Military Gazette</i>	٣٠ تشرين الثاني	أخبار وملاحظات	٦

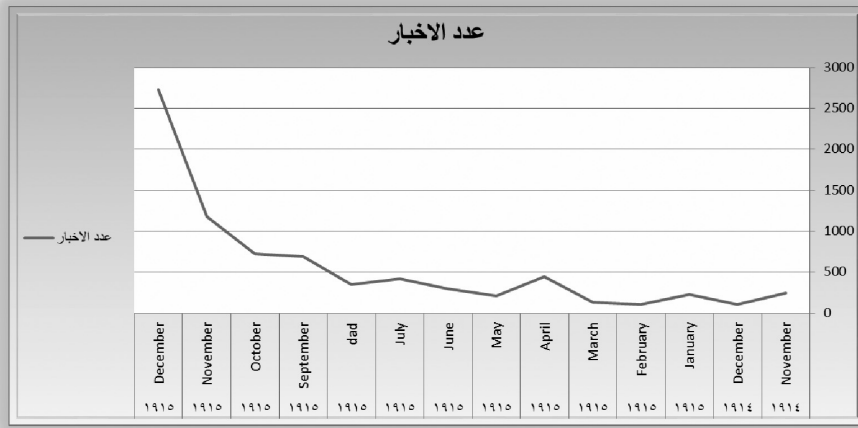
ت	عنوان الصحيفة	عنوانها بالإنجليزية	تاريخ الخبر	عنوان الخبر	رقم الصفحة
١٧ -	لانشاير ايفنينغ بوست	<i>Lancashire Evening Post</i>	٢٧ تشرين الثاني	الشعبية: الروح الانجليزية الرائعة	٢
١٨ -	ويكلي ديسباتش	<i>Weekly Dis- patch</i>	٥٥ كانون الاول	المسيرة نحو بغداد	١

ملحق (٤)

عدد الاخبار المتعلقة بالحملة البريطانية على العراق

المنشورة في الصحف^(١)

البريطانية ١٩١٤ — ١٩١٥



(١) الرسم البياني بالاعتماد على أرشيف الصحف البريطانية: <<https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>> .

مُلحق (٥)

نماذج مختارة لنعي الضباط البريطانيين المشاركين في حملة بلاد ما بين النهرين في الصُحف البريطانية^(١) كانون الأول ١٩١٥

ت	اسم الصحيفة بالعربي	اسم الصحيفة بالإنجليزية	عنوان النعي	تاريخ النعي		
				اليوم	الشهر	السنة
١ -	ريدنغ اوبزيرفر	Reading Observer	مقتل الكابتن هنري كيف	١١	١٢	١٩١٥
٢ -	دومفريز اند جالواي اوبزيرفر	Dumfries and Galloway Standard	مقتل الكابتن كولين ماك دونالد	١	١٢	١٩١٥
٣ -	شيفيلد ديلي تلغراف	Sheffield Daily Telegraph	مقتل الميجور سي إف إتش رومبولد والنقيب سي تي شو.	٤	١٢	١٩١٥
٤ -	باكس هيرالد	Bucks Herald	مقتل النقيب آرثر بووينز	١١	١٢	١٩١٥
٥ -	ريدنغ ميركوري	Reading Mercury	مقتل الكابتن هنري كيف ويست	١١	١٢	١٩١٥

(١) الجدول اعتماداً على أرشيف الصحف البريطانية: <<https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>>

١٩١٥	١٢	٢١	مقتل الكابتن توماس سيريل بروس	<i>Belfast News- Letter</i>	بلفاست نيوز ليتر	- ٦
١٩١٥	١٢	٣١	مقتل الكابتن كوربل. ويليام ج. رسل	<i>Western Times</i>	ويسترن تايمز	- ٧

ملحق (٦)

نعي الضباط البريطانيين في الصحف البريطانية المشاركين في حملة بلاد ما بين النهرين ١٩١٦^(١)

ت	اسم الضابط القتيل	الوحدة العسكرية	الوحدة العسكرية
١ -	Capt. A.G.A.Adam	فوج مشاة رويال إيست كينت ١	<i>Bufs infantry regiment</i>
٢ -	D. N. G. Buchanan	لواء الهند الملكي الأول	IA. R. 0
٣ -	Capt. G. G. Oliver	فوج مشاة غراندير ١٠٢	102nd Grenadiers infantry regiment
٤ -	Capt. H. B. Leapingwell	فوج مشاة ديكان ٩٧	97th Deccan Infantry
٥ -	J. S. Fayrer	لواء الهند الملكي الأول	IA. R. 0
٦ -	L. Hastings	فوج مشاة غراندير ١٠٢	102nd Grenadiers infantry regiment
٧ -	Lieutenant J. ft Byrne	فوج مشاة دوغراس ٣٧	37th Dogras infantry regi- ment
٨ -	Major w.h.Nicolson	فوج مشاة دوغراس ٣٧	37th Dogras infantry regi- ment
٩ -	Major V. G. Menzieš	فوج مشاة ديكان ٩٧	97th Deccan Infantry
١٠ -	Capt. R. A. Jenkins.	فوج مشاة ديكان ٩٧	97th Deccan Infantry

(١) نظم الجدول بحسب التسلسل الابجدي لأسماء الضباط، للمزيد من التفاصيل أنظر الصحف التالية:

Middlesex County Times, 5/2/1916, p. 5; *Civil & Military Gazette*, 1/2/1916, p. 4;
South Eastern Gazette, 8/6/1915, p. 7.

مُلحق (٧)

نماذج مختارة من الصحف البريطانية التي نقلت وقائع حصار الكوت^(١) الصادرة عام ١٩١٦

ت	عنوان الصحيفة	عنوانها بالإنجليزية	تاريخ الخبر	عنوان الخبر	الصفحة
١ -	شيفيلد ديلي تلغراف	Sheffield Daily Telegraph	١٨ كانون الثاني	حصار الكوت	٦
٢ -	ويسترهام هيرالد	Westerham Herald	١٢ شباط	حصار الكوت: لا وجود لانسحاب محتمل	٦
٣ -	دبلن ديلي اكسبرس	Dublin Daily Express	٢٢ اذار	البرلمان يضم صوته للجيش المحاصر	٧
٤ -	دندي كوريير	Dundee Courier	١٩ نيسان	١٣٢ يوما على حصار الكوت	٣
٥ -	تامورث هيرالد	Tamworth Herald	٦ ايار	تاريخ حصار الكوت	٨
٦ -	ديربيشاير تايمز	Derbyshire Times	٣ حزيران	الجنرال تاونسند وحصار الكوت	٤
٧ -	أكسفورد كرونكل وريدينغ غازيت	Oxford Chronicle and Reading Gazette	٢١ تموز	سجناء أوكسفورد في الكوت. أخبار من ثمانية عشر منهم	١٢

(١) الجدول بالاعتماد على أرشيف الصحف البريطانية على الانترنت: <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>.

٨ -	معيار ستاندر	<i>Somerset Standard</i>	٢٥ اب	رسالة من جندي سجين	٨
٩ -	ليفربول ايكو	<i>Liverpool Echo</i>	٢ أيلول	فخ لبرلين	٣
١٠ -	ايفننغ ميل	<i>Evening Mail</i>	١٣ تشرين الأول	حصار الكوت: قصة عمليات الإغاثة	٣
١١ -	ديسباتش ويكلي	<i>Weekly Dispatch</i>	١٢ تشرين الثاني	رسائل ملهمة للجنرال البريطاني لجنوده الجوعى	٧
١٢ -	بكلزويد كرونكل	<i>Biggleswade Chronicle</i>	٢٩ كانون الأول	خطاباتنا السيئة	٣

مُلحق (٨)

نماذج مختارة من الصُحف البريطانية التي نقلت خبر احتلال مدينة بغداد ^(١) ١٩١٧

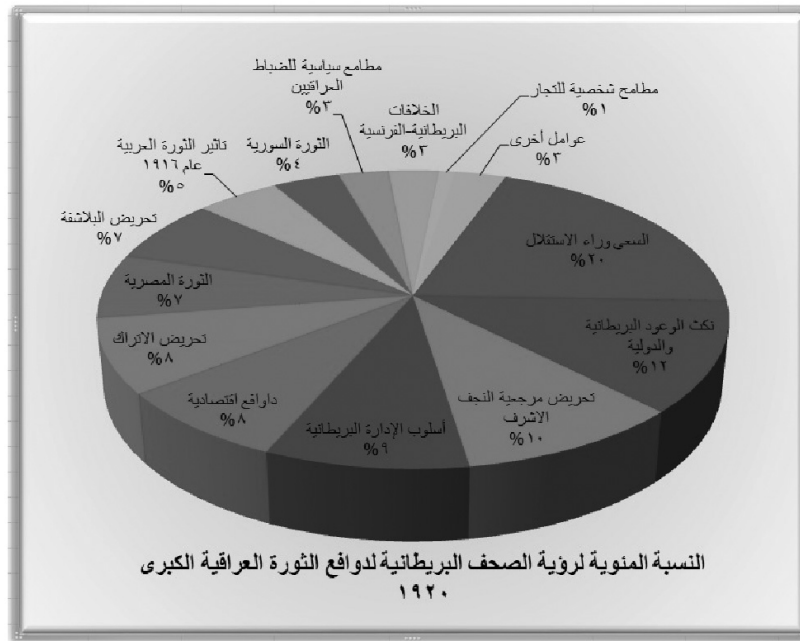
ت	عنوان الصحيفة	عنوانها بالإنجليزية	تاريخ الخبر	عنوان الخبر	الصفحة
١ -	اكستر اند بليموث غازيت	<i>Exeter and Plymouth Gazette</i>	19 March	إعلان بغداد، مود دخلنا المدينة كمحررين، ضد طغيان الأتراك والألمان.	٤
٢ -	نيوكاسل جورنال	<i>Newcastle Journal</i>	23 April	أهمية بغداد	١٠
٣ -	باث كرونكل اند ويكلي غازيت	<i>Bath Chroni- cle and Weekly Gaz- ette</i>	26 May	انطباعات جندي عن بغداد: مدينة جميلة الحدائق واناسها طيون.	١٣
٤ -	ادنبره ايفنينغ نيوز	<i>Edinburgh Evening News</i>	28 June	حماقة احتلال بغداد	٣
٥ -	هيدرسفيلد ديلي إكزامينر	<i>Huddersfield Daily Exami- ner</i>	11 July	ما بعد بغداد	٣
٦ -	ليفربول ايكو	<i>Liverpool Echo</i>	27 August	محاولة استعادة بغداد: هجوم تركي - الماني.	٤

(١) الجدول اعتماداً على أرشيف الصحف البريطانية على الانترنت: <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>.

٤	شوارع بغداد	18 September	<i>Berwickshire News and General Advertiser</i>	بيرويكشاير نيوز اند جنرال ادفايزر	٧ -
٥	رسالة من بغداد	08 October	<i>Newcastle Journal</i>	نيوكاسل جورنال	٨ -
٥	انتصار بغداد	20 November	<i>Lancashire Evening Post</i>	لانكشاير ايفينينغ پوست	٩ -
٣	جولة في مستشفيات بغداد	15 December	<i>Burnley News</i>	بيرنلي نيوز	١٠ -

ملحق (٩)

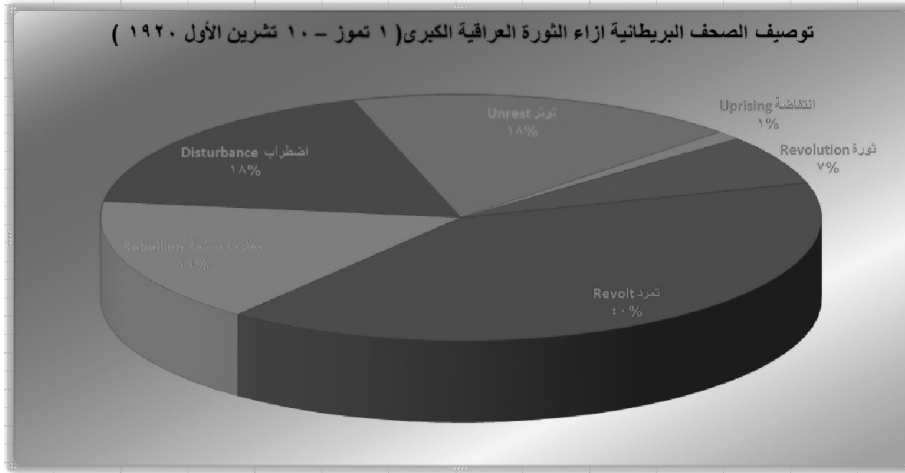
النسب المئوية لرؤية الصحف البريطانية لدوافع الثورة العراقية الكبرى^(١) ١ تموز — ١٠ تشرين الأول ١٩٢٠



(١) الرسم البياني بالاعتماد على أرشيف الصحف البريطانية على الانترنت: <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>

الملحق (١٠)

توصيف الصحف البريطانية للثورة العراقية الكبرى^(١)
١ تموز – ١٠ تشرين الأول ١٩٢٠



(١) الرسم البياني بالاعتماد على أرشيف الصحف البريطانية على الانترنت: <https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>.

المراجع

١ - العربية

كتب

إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني. حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي دراسة وثائقية. الرياض: دار المريخ، ١٩٨١.

إبراهيم، عبد الفتاح. على طريق الهند. بغداد: دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠٤.

ابن الغملاس، عبد الله بن إبراهيم. البصرة: ولاتها ومتسلموها، من تأسيسها حتى نهاية الحكم العثماني. بغداد: دار البصري، ١٩٦٢.

أحمد، إبراهيم خليل. تطوّر التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩ - ١٩٣٢. البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي، [د. ت.].

أحمد، كمال مظهر. ثورة العشرين في الاستشراق السوفييتي. بغداد: مطبعة الزمان، ١٩٧٧.

_____. دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية. بغداد: مطبعة الحوادث، ١٩٧٨.

_____. صفحات من تاريخ العراق المعاصر: دراسة تحليلية. بغداد: مكتبة البدليسي، ١٩٨٧.

أرسلان، شكيب. تاريخ الدولة العثمانية. دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠١.

الأسدي، حسن. ثورة النجف على الإنكليز أو الشرارة الأولى لثورة العشرين. بغداد: دار الحرية، ١٩٧٥.

- آل طعمة، سلمان هادي. كربلاء في ثورة العشرين. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ٢٠٠٨.
- آل فرعون، فريق مزهر. الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠: ونتائجها. بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٩٥.
- آل نجف، عبد الكريم. من أعلام الفكر والقيادة المرجعية. بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٩٩٨.
- آل وهاب، عبد الرزاق. كربلاء في التاريخ. بغداد: مطبعة الشعب، ١٩٣٥. ج ٣.
- أمين، عبد الأمير محمد، وهاشم كاطع لازم [وآخرون]. المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٧٧٨. مطبعة الإرشاد: بغداد، ١٩٧٧.
- أولبرايت، مادلين. الجبروت والجبار. ترجمة: عمر الأيوبي. بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٧.
- أيرلاند، فيليب ويلارد. العراق: دراسة في تطوره السياسي. ترجمة: جعفر خياط. بيروت: دار الكشاف،
- البازركان، علي. الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية. بغداد: مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٩١.
- البحراني، رؤوف. مذكرات رؤوف البحراني لمحات عن وضع العراق منذ تأسيس الحكم الوطني عام ١٩٢٠ ولغاية عام ١٩٦٣ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٩).
- بحري، لؤي. سكة حديد بغداد. بغداد: [د. ن.].، ١٩٦٧.
- البخشاشي، العقيلي. كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٢.
- البرقاوي، أحمد رفيق. العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢ - ١٩٣٢. بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠.
- بريمر، بول. عام قضيته في العراق النضال لبناء غد مرجو. ترجمة: عمر الأيوبي. بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦.

البزاز، عبد الرحمن. العراق من الاحتلال حتى الاستقلال. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٧.

بصري، مير. أعلام السياسة في العراق الحديث. لندن: دار الحكمة، ٢٠٠٥.
البصير، محمد مهدي. تاريخ القضية العراقية. ط ٢. لندن: مطبعة دار اللام، ١٩٩٠.

بن سعدون، حسين. البصرة ذات الوشاحين: التاريخ والسياسة والثقافة. القاهرة: مكتبة مدبولي، [د. ت.].

البهادلي، محمد باقر أحمد. السيد هبة الدين الشهرستاني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية. بيروت: مؤسسة الفكر الإسلامي، ٢٠٠٢.

التميمي، حميد أحمد حمدان. السيد علوان الياسري الزعامة العشائرية والعمل الوطني: دراسة في سيرته ومواقفه الوطنية في تاريخ العراق المعاصر ١٨٧٥ - ١٩٥١. بيروت: العارف للمطبوعات، ٢٠١٣.

توش، جون. المنهج في دراسة التاريخ. ترجمة: ميلاد المقرحي. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٤.

الجبوري، كامل سلمان. الكوفة في ثورة العشرين. النجف: مطبعة الآداب، ١٩٧٢.
_____ النجف الأشرف والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠. بيروت: دار القارئ، ٢٠٠٥.

_____ مذكرات إعلام الثورة العراقية ١٩٢٠ ومصادر دراستها، حقائق ووثائق ومذكرات من تاريخ العراق السياسي الحديث. دمشق: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢.

_____ وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقوماتها ونتائجها ١٩١٤ - ١٩٢٣. بيروت: دار المؤرخ العربي، ٢٠٠٩. ج ٣ و ٤.

الجعفري، محمد حمدي. بريطانيا والعراق حقبة من الصراع ١٩١٤ - ١٩٥٨. بغداد: دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠٠.

الجليلي، عبد الرحمن. النظام النقدي في العراق. القاهرة: مطبعة النهضة، ١٩٤٦.
جميل، حسين. العراق شهادة سياسية ١٩٠٨ - ١٩٣٠. لندن: دار اللام، ١٩٨٧.

- جميل، محمد العهد. المخضرم في سوريا ولبنان، ١٩١٨ - ١٩٢٢. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٦.
- جميل، مظفر حسين. سياسة العراق التجارية. القاهرة: [د. ن.].، ١٩٤٩.
- الجميل، قاسم. تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير، ١٨٥٠ - ١٩١٨: دراسة في ضوء وثائق وأرشيفات الخارجية والصحة الأمريكية والبريطانية وأرشيفات دولية أخرى. عمان: دار دجلة، ٢٠١٧.
- الجنابي، كريم برهان. دور الجنابيين في ثورة العشرين. بابل: [د. ن.].، ٢٠١٥.
- الجواهري، عماد أحمد. تاريخ مشكلة الأراضي في العراق: دراسة في التطورات العامة، ١٩١٤ - ١٩٣٢. بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨.
- حجازي، عبد الحميد. الرأي العام والإعلام والحرب النفسية. القاهرة: [د. ن.].، ١٩٨٧.
- حرز الدين، محمد. معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء. النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٤.
- حسن، محمد سلمان. التطور الاقتصادي في العراق، ١٨٦٤ - ١٩٥٨. بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٦٥.
- الحسني، عبد الرزاق. أحداث عاصرتها. ط ٢. بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٤.
- _____. الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠. قم: مؤسسة المحبين، ٢٠٠٥.
- _____. العراق في ظل المعاهدات. ط ٣. بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٣.
- _____. تاريخ الصحافة العراقية في ربع قرن ١٩٠٨ - ١٩٣٣. ط ٣. مطبعة العرفان: صيدا، ١٩٧١.
- _____. تاريخ العراق السياسي الحديث. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩. ج ١ و ٢.
- _____. تاريخ العراق السياسي الحديث. بيروت: دار الرافدين، ٢٠٠٨. ج ١ و ٢.
- _____. تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٩١. ج ١.
- الحسني، محمد. تاريخ الثورة العربية الكبرى. أبو ظبي: المنهل، ٢٠١٣، ج ٢.
- حسين، عبد الرسول، وعدنان حسين. صحافة ثورة العشرين وموقف صحف بغداد

- من الثورة. بغداد: مطبعة دار السلام، ١٩٧٠.
- حسين، محمد توفيق. عندما يثور العراق. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٨.
- الحلي، عبد الحسين. شيخ الشريعة: قيادته في الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠. تحقيق: كامل سلمان الجبوري. بيروت: دار القارئ، ٢٠٠٥.
- الحمداني، محمود شوقي. لمحات من تطور الري في العراق: قديماً وحديثاً. بغداد: مطبعة السعدون، ١٩٨٦.
- خدوري، مجيد. أسباب الاحتلال البريطاني للعراق. الموصل: [د. ن.]. ١٩٣٣.
- الخطاب، رجاء حسين [وآخرون]. المفصل في تاريخ العراق المعاصر. بغداد: منشورات بيت الحكمة، ٢٠٠٠.
- _____. عبد الرحمن النقيب حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤.
- الخيون، رشيد. لاهوت السياسة: الأحزاب والحركات الدينية في العراق. بيروت: دار الجمل، ٢٠٠٩.
- دي فوسيل، بيير. الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤ - ١٩١٤. ترجمة: أكرم فاضل. بغداد: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، ١٩٦٨.
- ديب، كمال. موجز تاريخ العراق من ثورة العشرين إلى الحروب الأميركية. بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٣.
- الرهيمي، عبد الحليم. تاريخ الحركة الإسلامية في العراق الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠ - ١٩٢٤. بيروت: مطبعة الدار العالمية، ١٩٨٥.
- الزبيدي، حسن لطيف. موسوعة الأحزاب العراقية. بيروت: مؤسسة العارف، ٢٠٠٧.
- الزبيدي، محمد حسين. العراقيون المنفيون إلى جزيرة هنجام. ط ٢. بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٩.
- سوسة، أحمد. تطور الري في العراق. بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٦.
- _____. فيضانات بغداد في التاريخ. بغداد: مطبعة الأديب، ١٩٦٥. ج ٢.
- شبر، حسن. تاريخ العراق السياسي المعاصر. بيروت: دار المنتدى، ١٩٩٠. ج ٢.
- شكري، محمد فؤاد. الحملة الفرنسية وظهور محمد علي. القاهرة: مطبعة المعارف ومكتبتها، [د. ت.].

- الشلاه، حسين هادي. طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٨.
- الشهرستاني، هبة الدين الحسيني. معركة الشعبية أسرار الخيبة من فتح الشعبية. دراسة وتحقيق علاء حسين الرهيمي وإسماعيل الجابري. ط ٢. بغداد: مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، ٢٠١٥.
- الشهرودي، نور الدين. أسرة المجدد الشيرازي. طهران: [د. ن.]. ١٩٩١.
- شير، ادي. تاريخ كلدو واثور. بيروت: المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، ١٩١٢.
- صالح، زكي. بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨.
- صالح، عصام الدين مصطفى. الصحافة في مهبط الإعلام البديل. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، ٢٠٢١.
- صفحات من مذكرات السيد سعيد كمال الدين أحد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠. تحقيق: كامل سلمان الجبوري. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٨٧.
- صفحات من مذكرات عبد الحميد الزاهد من المشاركين بأحداث الثورة العراقية ١٩٢٠. تقديم وتعليق: كامل سلمان الجبوري. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٨٧.
- صفوة، نجدة فتحي. العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب: من مذكرات سنمر ويلز وكيل الخارجية الأمريكي في العراق. ط ٢. بغداد: مكتبة دار التربية، ١٩٨٤.
- طونزند، تشارلس. محاربتني في العراق أو خواطر طونزند. نقله إلى العربية عبد المسيح وزير. بغداد: مطبعة السلام، ١٩٢٣.
- _____. مذكرات الفريق طونزند. قدم له وعلق عليه: حامد أحمد الورد. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٦.
- ظاهر، جواد. ثورة العشرين ثورة الشعب العراقي الكبرى عام ١٩٢٠. بغداد: مطابع شركة مجموعة العدالة للطباعة والنشر، ٢٠١٠.
- العابد، صالح محمد. موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ - ١٨١٠. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٨.

- العابدي، رزاق كردي. كربلاء في سنوات الاحتلال البريطاني ١٩١٤ - ١٩٢١. بغداد: معهد التاريخ العربي، ٢٠٠٢.
- العباسي، عبد القادر باش أعيان. البصرة في أدوارها التاريخية. بغداد: دار البصري، ١٩٦١.
- عبد الدراجي، عبد الرزاق. جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨ - ١٩٤٥. بغداد: وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨.
- عبد الله، عبد علي سلمان. المجتمع الريفي في العراق. بغداد: الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والإعلام؛ دار الرشيد، ١٩٨٠.
- العراق في رسائل المس بيل ١٩١٧ - ١٩٢٦، ترجمة: جعفر الخياط. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٣.
- العزاوي، عباس. تاريخ العراق بين احتلالين. الجزء السابع. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٤.
- العسكري، تحسين. مذكرات عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية. ج ٢. النجف: مطبعة الغري، ١٩٣٨.
- عطية الله، أحمد. القاموس السياسي. ط ٣. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٨.
- العكيلي، حيدر خلف. الثورة المفترى عليها - ثورة العشرين في مذكرات رجالها. بغداد: مكتبة عدنان، ٢٠٢٢.
- علم الدين، وجيه. العهود المتعلقة بالوطن العربي ١٩٠٨ - ١٩٢٢. بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨.
- العلوجي، عبد الحميد. الأصول التاريخية للنفط العراقي. بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٣. مج ٢.
- العلوجي، عبد الكريم. الصراع على العراق من الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الأمريكي. القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٧.
- علي، أحمد صالح. الحروب العثمانية الروسية: ٣٥٠ عام من الصراع الدموي. القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠٢٢.
- العمر، عبد الجبار. محاكمات سياسية مثيرة أمام القضاء العراقي مصرع الكولونيل لجمان. بغداد: دار القاسية للطباعة، ١٩٨٣.

العمر، فاروق صالح. المعاهدات العراقية - البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ - ١٩٤٨. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٧٧.

_____. ثورة أكتوبر البلشفية ١٩١٧ وتأثيرها في أوروبا - تركيا - العراق في ضوء الوثائق البريطانية. بيروت: دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر، ٢٠١٣.

_____. سياسة بريطانيا في العراق ١٩١٤ - ١٩٢١. بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٧.

العمرى، محمد أمين. تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨. بغداد: المطبعة العربية، ١٩٣٥، ج ١.

العمرى، محمد طاهر. تاريخ مقدرات العراق السياسية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٧. ج ٢، ٣.

عيساوي، شارل. التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب ١٨٠٠ - ١٩١٤. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠.

غريال، محمد شفيق. الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر في سنة ١٨٠١. القاهرة: مؤسسة هنداي، ٢٠٢٠.

الغلامي، عبد المنعم. الضحايا الثلاث. الموصل: مطبعة الهدف، ١٩٥٥.

فبال، رافائيل رينيه أورتيغا. موسوعة ثورة ١٩٢٠ الكبرى في بلاد ما بين النهرين بأقلام أجنبية: الإدارة البريطانية في العراق وتأثيرها على ثورة العشرين. ترجمة: قاسم محمد حسن الأسدي. ج ٥. بابل: مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع، ٢٠٢٣.

فارس، علي عبد الله. شركة الهند الشرقية البريطانية ودورها في تاريخ الخليج العربي، (١٦٠٠ - ١٨٥٨). ط ٢. رأس الخيمة: مركز الدراسات والوثائق، ٢٠٠١.

فراي. على هامش الثورة العراقية الكبرى. بغداد: شركة النشر، ١٩٥٢.

فريح، عبد الزهرة تركي. الشيخ عبد الواحد آل سكر. النجف الأشرف: دار الضياء للطباعة والتصميم، ٢٠٠٦.

الفكيكي، عبد الإله. البدايات الخاطئة قراءة جديدة في تاريخ العراق السياسي الحديث. بيروت: دار المحجة البيضاء، ٢٠١١.

- فليبي، هـ. سنت جون. أيام فليبي في العراق. تعريب: جعفر الخياط. بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٥٠.
- فوستر، هنري. نشأة العراق الحديث. الجزء الأول. ترجمة: سليم طه التكريتي. بغداد: مطبعة الفجر، ١٩٨٩.
- فياض، عبد الله. الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠. بغداد: مطبعة دار السلام، ١٩٧٥.
- فيريول، جيل. معجم مصطلحات علم الاجتماع. ترجمة: أنسام الأسعد. بيروت: دار البحار، ٢٠١١.
- كاندلر، إدموند. احتلال العراق مشاهدات مراسل حربي مرافق للجيش البريطاني ١٩١٧. ترجمة: محمد حسن علاوي، وخضر علي سويد. بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٧.
- كبة، محمد مهدي. مذكراتي في صميم الأحداث، ١٩١٨ - ١٩٥٨. بيروت: منشورات دار الطليعة، ١٩٦٥.
- كرسي، الكولونيل. حرب العراق دروس في السوق والتعبية. تعريب: فخري عمر. بغداد: مطبعة المعارف، [د. ت.].
- الكلدار، عبد الجواد علي. تاريخ كربلاء وحائر الحسين. النجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٦٧.
- كمال الدين، محمد علي. ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠. بغداد: مطبعة التضامن، ١٩٧١.
- كوتلوف، ل. ل. ن. ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق. ترجمة: عبد الواحد كرم. بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧١.
- لوبون، غوستاف. روح الثورات والثورة الفرنسية. ترجمة: عادل زعيترو. لندن: مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.
- لودر، ج. القول الحق في تاريخ سورية وفلسطين والعراق. ترجمة: نزيه المؤيد العظم. دمشق: المطبعة الحديثة، ١٩٢٥.
- لونكريك، ستيفن همسلي. العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٥٠. ترجمة: سليم طه التكريتي. بغداد: مطبعة حسام، ١٩٨٨. ج ١.

- مان، جيمس سوماريز. مذكرات الكابتن مان. ترجمة: كاظم الساعدي. تحقيق: كامل سلمان الجبوري. بيروت: مؤسسة العارف، ٢٠٠٢.
- مجموعة باحثين، الشيخ خزعل أمير المحمرة. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩.
- مجموعة مؤلفين. الحكومة العربية في دمشق: التجربة المبكرة للدولة العربية الحديثة: (١٩١٨ - ١٩٢٠). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢٠.
- محبوبة، جعفر باقر. ماضي النجف وحاضرها. ط ٢. بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٦.
- ج ١.
- محمد علي، عبد الرحيم. المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني. النجف: مطبعة النعمان، ١٩٧٢.
- محمد، عزام. المنهج العلمي في الصحافة الاستقصائية. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.
- محمود، أمال. دور التعليم في التنمية الاقتصادية للقطر العراقي. بغداد: نقابة المعلمين، ١٩٨١.
- المدامغه، حسام علي محسن. لورنس والقضية العربية ١٨٨٨ - ١٩٣٥. دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.
- مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح. تقديم وتعليق: كامل سلمان الجبوري. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٨٦.
- مذكرات السيد محسن أبو طيخ، ١٩١٠ - ١٩٦٠. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١.
- مذكرات الكابتن مان. ترجمة: كاظم هاشم الساعدي، تقديم وتحقيق وتعليق: كامل سلمان الجبوري. بيروت: مؤسسة العارف للمطبوعات، ٢٠٠٢.
- مذكرات برترام توماس الحاكم السياسي البريطاني في منطقة الناصرية، العراق ١٩١٨ - ١٩٢٠. ترجمة عبد الهادي فنجان. تقديم وتحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري. ط ٢. بيروت: مؤسسة المعارف للمطبوعات، ٢٠٠٢.

مذكرات تحسين علي، ١٨٩٠ - ١٩٧٠. تقديم ومراجعة: صالح محمد العابد. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤.

المس بيل. فصول من تاريخ العراق القريب. ترجمة جعفر الخياط. بيروت: دار الكشف، ١٩٤٩.

مشتاق، طالب. أوراق أيامي، ١٩٠٠ - ١٩٥٨. بيروت: دار الطليعة، [د. ت.].

المظفر، كاظم. ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠. النجف الأشرف: مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٣. ج ٣.

مفرج، فؤاد. رسالة في الانتداب. بيروت: مطبعة صادر، ١٩٣٣.

منتشاشفيلي، ألبرت. العراق في سنوات الانتداب البريطاني. ترجمة: هاشم صالح التكريتي. بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٨.

نخبة من الباحثين العراقيين. حضارة العراق. ج ١٢. بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٥.

نديم، شكري محمود. العراق في عهد السيطرة العثمانية: مرحلة المشروطية الثانية. عمان: دار دجلة، ٢٠٠٨.

_____. حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨. ط ٧. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨.

نصار، عبد العظيم عباس. بلديات العراق في العهد العثماني ١٥٣٤ - ١٩١٤. طهران: المكتبة الحيدرية، [د. ت.].

نظمي، وميض جمال عمر. ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية «الاستقلالية» في العراق. ط ٢. بغداد: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥.

النفيسي، عبد الله. دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث. الكويت: مكتبة آفاق، ٢٠١١.

نوتول، نك، وجين تشابمان. الصحافة اليوم. ترجمة: أحمد المغربي. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.

- الهاشمي، طه. حرب العراق الحركات العسكرية من إعلان الحرب إلى معركة سلمان باك. ط ٢. بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٣٦. ج ١.
- هتشنسون. معجم الأفكار والأعلام. ترجمة: خليل راشد الجيوسي. بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧.
- الهاللي، عبد الرزاق. تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ - ١٩٢١. بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٧٥.
- هولدين، المر. ثورة العراق ١٩٢٠. ترجمة: فؤاد جميل. بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٠.
- الهميص، عبود. ذكريات وخواطر عن أحداث عراقية في الماضي القريب. بغداد: مطبعة الراية، ١٩٩١.
- الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب. القاهرة: مطبعة الأيام، ١٩٣٧.
- وداعة، ناجي. لمحات من تاريخ النجف. النجف الأشرف: مطبعة القضاء، ١٩٧٣. ج ١.
- الوردي، علي. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. بيروت: دار الوراق، ٢٠٠٧. ج ٤، ٥، ٦.
- الونداوي، مؤيد إبراهيم أدهم. العراق في التقارير السنوية للسفارة البريطانية. عمان: دار الوضاح للنشر، ١٩٩٢.
- _____. العراق من الإعلان البريطاني الفرنسي لسنة ١٩١٨ الى ثورة عام ١٩٢٠. بيروت: مكتبة النهضة العربية، ٢٠٢٣.
- _____. بريطانيا وقضايا الطوائف والأعراق والحدود في بلاد النهرين ١٩٠٦ - ١٩٤١. بغداد: مكتبة دار النهضة، ٢٠٢١.
- _____. عشائر وشخصيات في وثائق بريطانية. بغداد: مكتبة دار النهضة، ٢٠٢٤.
- _____. مؤسسات الدولة العراقية الحديثة ١٩١٤ - ١٩٢٠. بغداد: مكتبة النهضة العربية، ٢٠٢٤.

وهيم، طالب محمد. التنافس البريطاني الأمريكي على نفط الخليج العربي. بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢.

ويلسن، أرنولد. الثورة العراقية. ترجمة جعفر الخياط. بيروت: مطبعة دار الكتب، ١٩٧١.

الياسري، عبد الشهيد. البطولة في ثورة العشرين. النجف: مطبعة النعمان، ١٩٦٦.

دوريات

الجنابي، غفار جبار جاسم. «تغلغل نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في العراق حتى عام ١٩١٤». مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، العدد ١١، ٢٠١٣.

الركابي، عكاب يوسف. «علوان الياسري ودوره السياسي في تاريخ العراق المعاصر حتى العام ١٩٥١ دراسة تاريخية»، مجلة جامعة البصرة، كلية الآداب، البصرة، ٢٠٠٩، العدد ٥٠.

الرهيمي، علاء حسين عبد الأمير، وبتول رسول سلمان، «الاستعدادات العسكرية البريطانية وغزو العراق في عام ١٩١٤». مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، النجف الأشرف، ج ١، العدد ٢٠١٩.

سليم، صلاح محمد. «صلى علاقة الأمير بدر خان مع نساطرة هكاري في الصحافة الغربية (١٨٤٣ - ١٨٤٦)». مجلة سرى من رأى، المجلد ١٥، العدد ٦١، السنة ١٤، كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٩.

عبد اللطف، عبد المجد كامل. «سرة الملك فصل الأول منذ نشأته حتى وضعه اللبنة الأولى للدولة العراقية الحديثة». مجلة كلية التربية للبنات، المجلد ٢٥، العدد ٣، ٢٠١٤.

العرداوي، عادل. «الشيخ البصير (ميرابو) ثورة العشرين وصوتها الوطني، البيئة الجديدة»، صحيفة بغداد، السنة ١٧، العدد ٣٩١١، ٥/٧/٢٠٢٣.

العكيلي، كمال رشيد خماس. «الأمراض الانتقالية في بغداد كما رواها الرحالة الأجانب في القرن التاسع عشر الميلادي». مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد ٣٤، تموز/يوليو ٢٠١٩.

المطبعي، حميد. «عوامل في انبثاق ثورة العشرين». مجلة التراث، النجف، العددان (٢٢ - ٢٣)، حزيران/يونيو ٢٠٠٩.

رسائل جامعية وأطروحات

البحراني، زهراء حميد خليل. «الامتيازات الأجنبية في بلاد الشام في العهد العثماني من أواسط القرن الثامن عشر إلى قيام الحرب العالمية الأولى ١٧٥٠ - ١٩١٤». رسالة ماجستير، جامعة البصرة: كلية الآداب، ٢٠٠٦.

التكريتي، جودت جلال كامل عبد اللطيف. «التنافس البريطاني - الألماني في العراق (١٩٣٣ - ١٩٤٥)». رسالة ماجستير، جامعة تكريت: كلية التربية، ٢٠٠٤.

التميمي، بتول رسول عبد سلمان. «حركة الجهاد والغزو البريطاني ١٩١٤ - ١٩١٥ للعراق دراسة في جدلية العلاقة بين الأسس العقائدية والحراك الميداني». رسالة ماجستير، جامعة الكوفة: كلية التربية للبنات، ٢٠١٨.

التميمي، فراس إبراهيم حميد. «الملاحاة في الأنهر العراقية وموقف القبائل العراقية العربية منها ١٨٦٩ - ١٩١٤». رسالة ماجستير، جامعة البصرة: كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٥.

الجنابي، عبد الستار شنين. «تاريخ النجف السياسي ١٩٢١ - ١٩٤١». رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة: كلية الآداب، ١٩٩٧.

حاتم، صالح محمد. «صحيفة الاستقلال في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠ - ١٩٣٢». رسالة ماجستير، بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٥.

حنيور، محمد صالح. «الحكومة العراقية المؤقتة ١٩٢٠ - ١٩٢١». رسالة ماجستير، جامعة القادسية كلية التربية، ٢٠٠١.

الدليمي، فواز مطر نصيف. «التنافس البريطاني - الروسي في منطقة الخليج العربي ١٧٩٨ - ١٩٠٧». رسالة ماجستير، جامعة بغداد - كلية الآداب، ٢٠٠٧.

ذويب، منتهى عذاب. «برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية (١٨٦٤ - ١٩٢٢)». رسالة ماجستير، جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٥.

ذياب، حميد فجر. «التطورات الاقتصادية في العراق ١٩٦٣ - ١٩٦٨». أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ١٩٩٩.

الربيعي، إسماعيل نوري. «تاريخ العراق الاقتصادي في عهد الانتداب البريطاني ١٩٢١ - ١٩٣٢». رسالة ماجستير، جامعة بغداد: كلية التربية، ١٩٨٩.

- الربيعي، باسم وحيد جوني. «بيانات وإعلانات الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤ - ١٩٢١». رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية: المعهد العالي للدراسات السياسية الدولية، ٢٠٠٥.
- السامرائي، ميساء لؤي عبد الله. «أثر البعثات الآثارية الغربية في التنقيب عن آثار العراق حتى عام ١٩٣٩». رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ٢٠٠٤.
- سلمان، سهيل صبحي. التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العراق (١٩٤٥ - ١٩٥٨). أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٤.
- السوداني، هاشم سوادي هاشم. «المواصلات التجارية في العراق ١٨٣١ - ١٩١٤». رسالة ماجستير، جامعة الموصل: كلية التربية، ١٩٩٧.
- الشجيري، عدنان هريز. «النظام الإداري في العراق ١٩٢٠ - ١٩٣٩». أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٥.
- شذر، حسين طعمة. «العلاقات العراقية - الألمانية ١٩٣٢ - ١٩٤١ دراسة تاريخية». رسالة ماجستير، جامعة بغداد: كلية التربية، ١٩٨٨.
- الشريف، حسين مخيف. «المشخاب، ١٩١٨ - ١٩٣٩». رسالة ماجستير، جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠٠٨.
- الشمري، أمير أحمد رحيم. «عبد المحسن شلاش ١٨٨٢ - ١٩٤٨ دراسة تاريخية». رسالة ماجستير، جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠١٢.
- شناوة، علك عبد. «محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي ١٩٣٢ - ١٩٦٥». أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٧.
- _____. «محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي حتى عام ١٩٣٢». رسالة ماجستير، جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٢.
- شيخو، طارق أحمد. «الدولة العثمانية والمشرق العربي في عهد السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠ - ١٥٦٦». رسالة ماجستير، جامعة الموصل: كلية التربية، ٢٠٠٨.
- طارق، إياد. «مدينة بغداد في ظل الاحتلال البريطاني ١٩١٧ - ١٩٢١». رسالة ماجستير، بغداد: كلية التربية ابن رشد، ٢٠٠٢.

الطائي، صالح عباس ناصر حسون. «عبد الواحد الحاج سكر ودوره الوطني في العراق حتى عام»، رسالة ماجستير، بغداد: معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، ٢٠٠٣.

عبد اللطيف، عبد المجيد كامل. «دور فيصل الأول في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ - ١٩٣٣». أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية: معهد الدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٩٠.

علوان، ناجح عبد الحسين. «عبد الشيخ الواحد الحاج سكر ودوره السياسي في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ١٨٨٠ - ١٩٥٦». رسالة ماجستير، جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠٠٤.

علي، عالية حسين. «محمد باقر الشبيبي آراؤه ومواقفه السياسية حتى عام ١٩٣٢». رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ٢٠٠١.

القيسي، محمود عبد الواحد محمود. «النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في الهند (١٦٠٠ - ١٦٦٨)». رسالة ماجستير، جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٣.

كريم، علاء عزيز. «موقف الحوزة العلمية في النجف الأشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩٢١ - ١٩٢٤». رسالة ماجستير، جامعة بابل: كلية التربية، ٢٠٠٧.

الكعبي، اخلاص لفته. «موقف الحوزة العلمية في النجف الأشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩١٤ - ١٩٢٤». رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ٢٠٠٦.

الكناني، جلال كاظم محسن. «الدور السياسي للعشائر العراقية ١٩١٨ - ١٩٢٤». رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ٢٠٠٣.

محسن، حسام علي. «لورنس ودوره في السياسة العربية». رسالة ماجستير، جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٤.

المدني، عز الدين عبد الرسول علي خان. «محسن أبو طيخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام». رسالة ماجستير، جامعة الكوفة: كلية الآداب،

المفرجي، عدي حاتم عبد الزهرة. «حركة التيار الإصلاحي النجفي ١٩٠٨ - ١٩٣٢». رسالة ماجستير، جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠٠٢.

مهدي، سؤدد كاظم. أرنولد ولسن ودوره في السياسة العراقية». رسالة ماجستير، جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٥.

الموسوي، ربيع حيدر طاهر. «تطور البرلمان البريطاني ١٩١١ - ١٩٤٩». أطروحة، دكتوراه، جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٧.

نعمة، علاء عباس. «محمد تقي الشيرازي ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٨ - ١٩٢٠». رسالة ماجستير، جامعة بابل: كلية الآداب، ٢٠٠٥.

نغمش، هاشم أحمد. «صحافة النجف ١٩١٠ - ١٩٦٨». رسالة ماجستير، جامعة بغداد: كلية الآداب، ١٩٩٥.

ندوات، مؤتمرات

الرهيمي، علاء حسين عبد الأمير. الثورة العراقية الكبرى لعام ١٩٢٠ الذكرى المئوية الأولى، وقائع مؤتمر كلية الآداب، جامعة الكوفة ٢٢ - ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٠.

تقارير ومواقع إلكترونية

<http://www.historyofwar.org>.

<https://almadasupplements.com>

<https://api.parliament.uk>

<https://www.alquds.co.uk>

<https://www.britishnewspaperarchive.co.uk>

<https://www.colgate.edu/about/directory/rdouglas>

<https://www.independentarabia.com/node/148661>

<https://archiveshub.jisc.ac.uk>

٢ - الأجنبية

Books

Abrams, Irwin. *The Nobel Peace Prize and the Laureates An Illustrated Biographical History, 1901-2001* (New York: Science History Publications, 2001).

Ackroyd, Peter. *Tudors: The History of England from Henry VIII to Elizabeth I*. London: St. Martin's Griffin, 2014.

Adelman, Paul. *Rise of the Labour Party 1880-1945*. London: Routledge, 1996.

- Allen, Joan, and Owen R. Ashton. *Papers for the People: A Study of the Chartist Press*. London: Merlin Press, 2005.
- Allnutt, W. H. *English Provincial Presses*. Part III. Bibliographic. II. [London]: [n. p.], 1896.
- Applegath, Augustus. *Description of Applegath and Cowper's Horizontal Machine and of Applegath's Vertical Machine for printing "The Times"*. London: John Weale, 1851.
- Auerbach, Jeffrey A. *The Great Exhibition of 1851: A Nation on Display*. New Haven, CT: Yale University Press, 1999.
- Ayerst, David. *Guardian: Biography of a Newspaper*. London: Collins, 1971.
- "Bagehot: Rupert's bear-hug," *Economist*, 13 Aug, 1994.
- Badsey, Stephen. *The Franco-Prussian War 1870-1871*. London: Bloomsbury Publishing, 2014.
- Barker J. *The Neglected War: Mesopotamia, 1914 1918*. London: Faber and Faber, 1967.
- Beaverbrook, Baron Max Aitken. *Politicians and the War, 1914-1916*. Garden City, N.Y.: Doubleday, Doran and company, inc, 1928.
- Begg, Paul. *Jack the Ripper: The Definite History*. London: Pearson Education, 2003.
- Biagini, Eugenio F. *British democracy and Irish nationalism, 1876-1906*. Cambridge: Cambridge University Press, 2007.
- Biagini, Eugenio F. *Liberty, Retrenchment and Reform: Popular Liberalism in the Age of Gladstone, 1860-1880*. Cambridge: Cambridge University Press, 1992.
- Birla, Krishna Kumar. *Brushes with History*. London: Penguin, 2009.
- Bourne, H. R. Fox. *English Newspapers. Chapters in the History of Journalism*. London: [no. p.], 1887. 2 vols.
- Boyce, George, James Curran, and Pauline Wingate. *Newspaper History from the 17th Century to the Present Day* (London: Constable, 1978).
- Brake, Laurel [et. al.] (eds.). *W. T. Stead: Newspaper Revolutionary*. London: British Library, 2013.
- Brake, Laurel, and Marysa Demoor (eds.). *Dictionary of Nineteenth-Century Journalism in Great Britain*. London: British Library, 2009.
- Bray, Norman Napier Evelyn. *A paladin of Arabia; the biography of Brevet Lieut.-Colonel G. E. Leachman, C.I.E., D.S.O., of the Royal Sussex regiment*. London: J. Heritage, The Unicorn press Ltd, 1936.
- Briggs, P. Burke, *A Social History of the Media: From Gutenberg to the Net*. Cambridge: Polity Press, 2002.
- Brophy, Leo P., Wyndham D. Miles, and Rexmond C. Cochrane. *The Chemical Warfare Service: From Laboratory to Field*. Washington, D. C.: Center of Military History, United States Army, 1988.
- Brown, David, and Gordon Pentland, Robert Crowcroft (eds.). *The Oxford*

- Handbook of Modern British Political History, 1800-2000*. Oxford: Oxford University Press, 2018.
- Brown, Tony and Thomas N. Corns. *Edward Carpenter and Late Victorian Radicalism*. London: Frank Cass, 1990.
- Buckingham, James Silk. *Autobiography of James Silk Buckingham*. Cambridge University Press, 2011.
- . *Travels in Mesopotamia: including a Journey from Aleppo to Bagdad*. London: H. Colburn, 1827.
- Buckland, Charles Edward C. I. E. *Dictionary of Indian Biography*. London: Swan Sonnenschein and co. Lim., 1906.
- Buckley, Colin. *The Conservative Evening Newspaper Project in Edwardian Manchester*. Manchester Region History Review, 1987.
- Burnham, Lord. *Peterborough Court: the story of the Daily Telegraph*. London: Cassell & Company Ltd, 1955.
- Byrd, Dana E., and Frank H. Goodyear. *Winslow Homer and the camera: photography and the art of painting*. Brunswick: Yale University Press, 2018.
- Chandler, J. A. *Explaining Local Government: Local Government in Britain Since 1800*. Manchester: Manchester University Press, 2008.
- Chichester, Henry Manners. *Dictionary of National Biography, 1885-1900*. London: Smith Elder and Co, 1893. Vol. 34.
- Chisholm, Hugh. *The Encyclopedia Britannica: A Dictionary of Arts, Sciences, Literature*. Cambridge: Cambridge University Press, 1911. V. 19.
- Claeys, Gregory. *Chartist Movement in Britain, 1838-1856*. Vol. 2. London: Routledge, 2021.
- Clarke, Bob. *From Grub Street to Fleet Street: an illustrated history of English newspapers to 1899*. London: Routledge, 2017.
- Cliff, Tony and Donny Gluckstein. *The Labour Party: A Marxist History*. 2nd ed. London: Bookmarks, 1996.
- Clot, Andre. *Suleiman the Magnificent*. London: Saqi Book, 2012.
- Clyaton, Sir Gilbert. *An Arabian Diary*. London: University of California Press, 2023.
- Cockerell, Michael, Peter Hennessy, and David Walker. *Sources Close to the Prime Minister: inside the Hidden World of the News Manipulator*. London: Macmillan, 1984.
- Cohen, Stuart A. *British Policy in Mesopotamia, 1903-1914*. London: Ithaca, 2008.
- Cranfield, Geoffrey Alan. *The Press and Society: From Caxton to Northcliffe*. London: Taylor and Francis, 2016.
- Dasent, Arthur Irwin. *John Thadeus Delane: Editor of "The Times" His Life and Correspondence*. Vol. 2. London: Smith, Elder & Co, 2012.
- Denis, Gifford. *The History of the British Newspaper Comic Strip*. London: Shire Publications, 1971.

- Dibblee, George Binney. *The Newspaper*. London: DigiCat, 2022.
- Dodge, Grenville M., and William Arba Ellis (eds.). *Norwich University, 1819-1911*. London: Capitol City Press, 1911.
- Donnelly, James S. *Encyclopedia of Irish History and Culture*. London: Macmillan Reference, 2004. Vol. 1.
- Douglas-Fairhurst, Robert. *The Turning Point: 1851 - A Year That Changed Charles Dickens and the World*. London: Knopf Doubleday Publishing Ltd, 2022.
- Dow Jones. *The Wall Street Journal*. New York : Dow Jones, 2000.
- Dupuy, Trevor Nevitt, Curt Johnson, and David L. Bongard. *The Harper Encyclopedia of Military Biography*. New York: HarperCollins, 1992.
- Easley, Alexis, and John Morton, Andrew King. *Researching the Nineteenth-century Periodical Press*. London: Routledge Taylor & Francis group, 2019.
- Eastwood, David. *Government and Community in the English Provinces, 1700-1870*. Basingstoke: Macmillan, 1997.
- Eccleshall, and Graham Walker (eds.). *Biographical Dictionary of British Prime Ministers*. London: Taylor & Francis, 2002.
- Egan, Eleanor Franklin. *The War in the Cradle of the World, Mesopotamia*. New York, London: Harper and Brothers, 1934.
- Foner, Eric. *The Fiery Trial: Abraham Lincoln and American Slavery*. New York: W. W. Norton & Company, 2011.
- Foster, Henry A. *The making of modern Iraq; a product of world forces*. Norman, Oklahoma: University of Oklahoma Press, 1935.
- Fraser, J. Baillie. *Personal Narrative of Travels in Babylonia, Assyria, and Media*. London: R. Bentley, 1840.
- Fraser, Lavat. *India under Curzon and after*. London: William Heinemann, 1911.
- Frost, John. *British Newspapers, 1789-1832*. London: Shephard Press Limited, 1984.
- Fyfe, Hamilton. *Sixty Years of Fleet Street*. London: W. H. Allen, 1949.
- G. A. Hayes-McCoy, *Irish Battles: A Military History of Ireland*. Minneapolis, MN: Irish Books Media, 1989.
- Gatty, Alfred. *Travels and Adventures of the Rev. Joseph Wolff*. Saunders: Otley and Company, 1861.
- Goff, Moira. *Early History of the English Newspaper*. New York: Gale Primary Sources, 2023.
- Gorlach, Manfred. *English in Nineteenth-Century England: Introduction*. Cambridge University Press: 1999.
- Grant, Tina. *International Directory of Company Histories*. London: St. James Press, 2000.
- Graves, Philip Perceval. *The Life of Sir Percy Cox*. London: Hutchinson & Company Limited, 1941.

- Greenslade, Roy. *Maxwell: The Rise and Fall of Robert Maxwell and His Empire*. London: Birch Lane Pr., 1992.
- Griffiths, D. *Fleet Street: Five Hundred Years of the Press*. London: The British Library, 2006.
- Hammond, John Lawrence, and Michael Richard Daniell Foot. *Gladstone and Liberalism*. London: MacMillan, 1953.
- Hampton, Mark. *Visions of the Press in Britain, 1850-1950*. Chicago: University of Illinois Press, 2004.
- Haste, Cate. *Keep the Home Fires Burning Propaganda in the First World War*. London: Allen Lane, 1977.
- Herd, Harold. *The march of Journalism: the Story of the British Press from 1622 to the Present Day*. Westport: Greenwood Press, 1976.
- Hermes, Jokes. *Reading Women's Magazines*. Cambridge: Polity Press, 1995.
- Hobbs, Andrew. *A Fleet Street in Every Town: The Provincial Press in England, 1855-1900*. Cambridge: Open Book Publishers, 2018.
- Holiday, Ryan. *Trust Me, I'm Lying: Confessions of a Media Manipulator*. London: Portfolio, 2013.
- Hollis, Patricia. *Ladies Elect: Women in English Local Government 1865-1914*. Oxford: Clarendon Press, 1987.
- Hoppen, K. T. *The mid-Victorian generation, 1846-1886*. Oxford: Clarendon Press; Oxford; New York: Oxford University Press, 1998.
- Horrie, Chris. *The Birth of the Daily Mirror to the Death of the Tabloid*. London: Andre Deutsch Ltd, 2003.
- Howard, Michael. *The Franco-Prussian War: The German Invasion of France 1870-1871*. London: Taylor & Francis, 2013.
- Jackson, Ian. *The Provincial Press and the Community*. Manchester: Manchester University Press, 1971.
- James Robert De Jager Jackson, *Samuel Taylor Coleridge: The Critical Heritage 1834-1900*. Vol. 2. London: Routledge, 2002.
- Jones, Owen. *The Establishment: And How They Got Away with it*. London: Allen Lane, 2014.
- Joyce, Patrick. *The Rule of Freedom: Liberalism and the Modern City*. London: Verso, 2003.
- Kaul, Chandrika. *Reporting the Raj: The British Press and India, 1880-1922*. Manchester: Manchester University Press, 2003.
- Kelly, Richard N., and John Cantrell (eds.). *Modern British Statesmen, 1867-1945*. Manchester; New York: Manchester University Press, 1997.
- Keppel, George Thomas. *Personal Narrative of Travels in Babylonia, Assyria, and Media*. London: Henry Colburn, 1827.
- Khoury, George [et. al]. *True Brit: Celebration of the Great Comic Book Artists of the UK*. North Carolina: TwoMorrrows Publishing, 2004.

- King, Ed. *British Newspapers, 1800-1860*. New York: Gale Primary Sources, 2023.
- Krueger, Christine L. *Encyclopedia of British Writers: 19th and 20th Centuries*. New York: InfoBase Publishing, 2014.
- Langworth, Richard. *Churchill by Himself: The Definitive Collection of Quotations*. London: Curtis Brown Ltd., 2008.
- Lee, Alan J. *The origins of the popular press in England: 1855-1914*. London: Croom Helm, 1976.
- Lee, Sidney, and Henry Reeve. *Dictionary of National Biography*. Vol. 47. London: Smith, Elder & Co. 1896.
- Lenczowski, Gorge. *The Middle East in World Affairs*. Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1962.
- Lloyd, Gladys. *Lloyd's Who's who in the Great War: A Book of Brief Life Stories of the Rulers and the Diplomats*. London: Hodder & Stoughton, 1914.
- M. Curthoys, "Tennant, Harold John [Jack] (1865-1935), *Oxford Dictionary of National Biography*, published online, 8/10/2009, <<https://doi.org/10.1093/ref:odnb/58263>> .
- Macris, Jeffrey R. *The Politics and Security of the Gulf*. London: Taylor & Francis, 2010.
- Mann, James Saumarez. *An administrator in the making: James Saumarez Mann, 1893-1920*. London: Longmans, 1921.
- Mansergh, Nicholas. *Nationalism and Independence: Selected Irish Papers*. Cork, Ireland: Cork University Press, 1997.
- Martin, James R., and David Rose. *Working with Discourse: Meaning Beyond the Clause*. 2nd ed. London: Continuum, 2007.
- McPherson, James M. *Battle Cry of Freedom: The Civil War Era*. New York: Oxford University Press, 1988.
- Meggs, Philip Baxter, and Alston Willcox Purvis. *Meggs' History of Graphic Design*. 6th ed. London: Wiley Ltd, 2005.
- Mellors, Anne, and Jean Radford. *Bibliography of British Newspapers Derby Shire*. London: British Library Publishing Division, 1987.
- Mellors, Anne. *Bibliography of British Newspapers*. London: The British Library, 1987.
- Mersey, Charles Clive Bigham. *The Prime Ministers of Britain 1721-1921*. London: Wentworth Press, 2019.
- Metz, Helen Chapin (ed.). *Iraq a country study*. Washington, D.C.: Federal Research Division, Library of Congress: For sale by the Supt. of Docs., U.S. G.P.O., 1990.
- Mey, Jacob L. *Pragmatics: An Introduction*. 2nd ed. London: Wiley-Blackwell, 2001.
- Moore, A. M. T., G. C. Hillman, and A. J. Legge. *Village on the Euphrates*. Oxford University Press, 2000.

- Murphy, David. *The Silent Watchdog: The Press in Local Politics*. London: Constable, 1976.
- Negrine, R. *Politics and the Mass Media in Britain*. London: Routledge, 1994.
- Neville, James Edmund Henderson. *History of the 43rd and 52nd (Oxfordshire and Buckinghamshire) light infantry in the great war, 1914-1919*. Aldershot: Gale & Polden, Ltd., 1938.
- Nickles, David Paull. *Under the Wire: How the Telegraph Changed Diplomacy*. Harvard University Press, 2003.
- Parry, Benita, and Michael Sprinker. *Delusions and Discoveries: India in the British Imagination, 1880-1930* (London: Verso, 1998).
- Parry, Jonathan. *The rise and fall of liberal government in Victorian Britain*. New Haven: Yale University Press, 1993.
- Pelling, Henry. *A Short History of the Labour Party*. 9th ed. London: Palgrave Macmillan, 1991.
- Plunkett, John, and Andrew King. *Victorian Print Media: A Reader*. Oxford: Oxford University Press, 2005.
- Prest, John. *Lord John Russell*. Columbia: University of South Carolina Press, 1972.
- Prior, Robin. *Conquer we must: a military history of Britain, 1914-1945*. New Haven: Yale University Press, 2022.
- Pugh, M. *The March of the Women: A Revisionist Analysis of the Campaign for Women's Suffrage 1866-1914*. Oxford: Oxford University Press, 2000.
- Redman, Clare. *Willings Press Guide: United Kingdom*. London: Romeike Research Limited, 2007.
- Riddick, John F. *The History of British India: A chronology*. Westport, Conn.: Praeger, 2006.
- Roberts, Robert. *The Classic Slum*. London: Penguin, 1971.
- Robinson, W. Sydney. *Muckraker: The Scandalous Life and Times of W. T. Stead, Britain's First Investigative Journalist*. London: Biteback Publishing, 2012.
- Rujivacharakul, Vimalin [et. al] (ed.). *Architecturalized Asia: Mapping A Continent Through History*. Honolulu: University of Hawaii Press, 2013.
- Rutledge, Ian. *Enemy on the Euphrates: The Battle for Iraq, 1914-1921*. London: Saqi Books, 2015.
- Schwarzkopf, Jutta. *Studies in Gender History: Women in the Chartist Movement*. London: Palgrave Macmillan Ltd, 1991.
- Smith, Anthony. *The Newspaper: An International History*. London: Thames & Hudson, 1979.
- Snoddy, R. *The Good, the Bad and the Unacceptable: The Hard News About the British Press*. London: Faber and Faber, 1993.

- Sparrow, Andrew. *Obscure Scribblers: A History of Parliamentary Journalism*. London: Politicos, 2003.
- Steed, Henry Wickham. *The Press*. London: Sagwan Press, 2015.
- Stout, Harry S. *Upon the Altar of the Nation: A Moral History of the American Civil War*. New York: Viking, 2006.
- Temple, Mick. *The British Press*. Berkshire: Open University Press, 2008.
- The Civil Engineer and Architect's Journal*. London: Thomas Burrows, 1841.
- The Dublin University Magazine*. Dublin: William Curry, Jun., and Company, 1841.
- The Encyclopaedia Britannica: A Dictionary of Arts, Sciences, Literature and General Information*, 11th ed. Vol. 19 (Cambridge: Cambridge University Press, 1911).
- The Encyclopedia of the British Press, 1422-1992*. edited by: Dennis Griffiths. London: Macmillan Press Ltd, 1992.
- The Illustrated War News: Being a Pictorial Record of the Great War*. Vol. 6. London: The Illustrated London News and Sketch Ltd., 1915.
- Thompson, J. Lee. *Northcliffe, Press Baron in Politics, 1865-1922*. London: John Murray Publications, 2000.
- Townshend, Charles. *When God Made Hell: The British Invasion of Mesopotamia and the Creation of Iraq, 1914-1922*. London: Faber & Faber, 2010.
- Tucker, Spencer C. *World War I: A Country-by-Country Guide*. London: ABC-CLIO, 2019. Vol. 1.
- Turner, Alfred E. *Sixty Years of a Soldier's Life*. London: Wentworth Press, 2019.
- Ulrichsen, Kristian Coates. *The logistics and politics of the British campaigns in the Middle East, 1914-21*. Houndmills, Basingstoke, Hampshire; New York: Palgrave Macmillan, 2010.
- Walpole, Spencer. *Life of Lord John Russell*. University Press of the Pacific, 2005. Vol. 2.
- Ward, William S. *British Periodicals & Newspapers*. Lexington, Kentucky: The University Press of Kentucky, 2010.
- Ward, William S. *British Periodicals and Newspapers, 1789-1832: A Bibliography of Secondary Sources*. Lexington, Kentucky: University Press of Kentucky, 1972.
- Weir, Alison. *The Life of Elizabeth I*. London: Ballantine Book, 2013.
- Williams, Chris. *A Companion to Nineteenth-Century Britain*. London: Blackwell Publishing Ltd, 2004.

Williams, Kevin. *Read All About It! A History of the British Newspaper*. London: Routledge, 2009.

Williams, Raymond. *The Long Revolution*. London: Pelican, 1973.

Winter, Sarah. *The Pleasures of Memory: Learning to Read with Charles Dickens*. London: Fordham University Press, 2011.

Periodicals

"Obituary: Sir William Meyer." *Journal of The Royal Central Asian Society*: Volume 10, Issue 1, 1923.

Armytage, W. H. G. "The 1870 education act." *British Journal of Educational Studies*: Vol. 18, No. 2, 1970.

Baskerville, G. "A London Chronicle of 1460." *The English Historical Review*: Vol. 28, No. 109, Jan., 1913.

Cohen, Stuart. "Mesopotamia in British Strategy, 1903-1914." *International Journal of Middle East Studies*: Vol. 9, No. 2, 1978.

Cranfield, Geoffrey Alan. "The London Evening-Post and the Jew Bill of 1753." *The Historical Journal*: Volume 8, Issue 1, 1965.

Curran, James. "Media and the Making of British Society, c. 1700-2000." *Media History*: Vol. 8, No. 2, 2002.

Davidson, Nigel. "The Termination of the Iraq Mandate." *International Affairs* (Royal Institute of International Affairs 1931-1939): Vol. 12, No. 1, Jan., 1933.

Douglas, R. M. "Did Britain Use Chemical Weapons in Mandatory Iraq." *The Journal of Modern History*: Vol. 81, No. 4, December 2009.

Dutton, David. "The wonderful wizard as was Lloyd George, 1931-1945." *Journal of Liberal History* (Liberal Democrat History Group), Special issue: David Lloyd George, Issue 77, Winter 2012.

Emden, Paul H., and Baron Paul Julius de Reuter. "Transactions." *Jewish Historical Society of England*: Vol. 17, 1951-52.

Ferrero, Bonnie. "The Morning Herald and its First Three Editors." *Media History*: Vol. 11, No. 3, 2005.

Gilson, H. Cary. "The Percy Sladen Expedition to Lake Titicaca, 1937." *The Geographical Journal*: Vol. 91, No. 6, Jun., 1938.

Harrison, Brian. "'A World of Which We Had No Conception.' Liberalism and the English Temperance Press: 1830-1872." *Victorian Studies*: Vol. 13, No. 2, December, 1969.

Hobbs, Andrew. "The Deleterious Dominance of The Times in Nineteenth-Century Scholarship," *Journal of Victorian Culture*: Vol. 18, No. 4, 17 Dec. 2013.

Lee, Alan J. "Franklin Thomasson and the Tribune: a Case-Study in the History of the Liberal Press, 1906-1908," *The Historical Journal*: Vol. 16, No. 2, 1973.

Mac Fie, A. L. "British Views of the Turkish National Movement in Anatolia,

- 1919-22," *Middle Eastern Studies*: Vol. 38, No. 3, July, 2002.
- McEwen, J. M. "Lloyd George's acquisition of the Daily Chronicle in 1918." *Journal of British Studies*. Vol. 22, Issue 1, 1982.
- McEwen, J. M. "Northcliffe's desire to take over Northcliffe and Lloyd George at War." *The Historical Journal*: Vol. 24, No. 3, Sep., 1981.
- Nicholson, John. "Popular Imperialism and the Provincial Press: Manchester Evening and Weekly Papers, 1895-1902." *Victorian Periodicals Review*: 1980.
- Paul, Adelman. "Gladstone and Education, 1870," *History Today*: Vol. 20, Issue 7, July 1970.
- Pedersen, Susan. "Getting Out of Iraq-in 1932: The League of Nations and the Road to Normative Statehood." *The American Historical Review*: Vol. 115, No. 4, October 2010.
- Reynolds, B.T. "The Battle of Qurna." *The Military Engineer*: Vol. 29, No. 164, March-April, 1937.
- Saunders, Robert. "The politics of reform and the making of the second reform A.C.T 1884-1867." *The Historical Journal*: Volume 50, Issue 03, September 2007.
- Stevens, Brian D. N. "The Expansion of the Indian Army during World War I," *Journal of the Society for Army Historical Research*: Vol. 76, No. 305 Spring 1998.
- Taylor, Jane. "Town versus Gown: The Establishment of the Cambridge Daily News as a Modern Newspaper at the End of the Nineteenth Century." *Journalism Studies*: Vol. 7, No. 3, 2006.
- Vinogradov, Amal. "The 1920 Revolt in Iraq Reconsidered: The Role of Tribes in National Politics." *International Journal of Middle East Studies*: Vol. 3, No. 2, 1972.
- Webster, Anthony. "Business and Empire: A Reassessment of the British Conquest of Burma in 1885." *The Historical Journal*: Vol. 43, No. 4, 2000.
- Woodhead, Christine. "An experiment in official historiography c. 1555-1605." *Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes* (Published by Department of Oriental Studies, University of Vienna): Vol. 75, 1983.

British Newspapers and Magazines

- Aberdeen Evening Express, Aberdeenshire, Scotland (1915-1920).
- Aberdeen Press and Journal, Aberdeenshire, Scotland (1914).
- Aberdeen Weekly Journal, Aberdeenshire, Scotland (1919).
- Abingdon Free Press, Oxfordshire, England (1915).
- Accrington Observer and Times (1915).
- Acton Gazette, London, England (1916).
- Airdrie & Coatbridge Advertiser, Lanarkshire, Scotland (1916).
- Alderley & Wilmslow Advertiser, Cheshire, England (1915-1916).

Aldershot News, Hampshire, England (1917).
Alfreton Journal, Derbyshire, England (1916).
Army and Navy Gazette, London, England (1919-1920).
Bally money Free Press and Northern Counties Advertiser, England (1919-1920).
Banbury Advertiser, Banbury, Oxfordshire, England (1915).
Banbury Guardian, London, England (1919-1920).
Banffshire Herald, London, England (1915).
Barbados Agricultural Reporter, London, England (1920).
Bath Chronicle and Weekly Gazette, Somerset, England (1827).
Belfast News-Letter, Antrim, Northern Ireland (1919-1923).
Berwick Advertiser, London, England (1921).
Birkenhead News, London, England (1919-1920).
Birmingham Daily Gazette, Birmingham, Warwickshire, England (1914-1920).
Birmingham Daily Post, London, England (1915-1920).
Bolton Chronicle, Lancashire, England (1841).
Bolton Evening News, Lancashire, England (1903).
Bombay Gazette, Maharashtra, India (1841).
Bradford Daily Telegraph, Yorkshire, England (1915).
Brecon County Times, London, England (1919-1920).
Bristol Times and Mirror Bristol, England (1920).
Brixham Western Guardian, London, England (1919-1920).
Broad Arrow, London, England (1915).
Burnley Express, Lancashire (1915).
Burnley News, Lancashire (1915).
Burton Daily Mail, 1916, London, England (1919-1920).
Burton Observer and Chronicle, Staffordshire, England (1919).
Cambridge Daily News, Cambridgeshire, England (1920).
Central Somerset Gazette, Somerset, England (1914).
Civil & Military Gazette, Lahore, Pakistan (1916-1924).
Communist, London, England (1919-1920).
Consett Guardian, Durham, England (1918).
Cornishman Cornwall, England (1920).
Coventry Evening Telegraph, Coventry, Warwickshire, England (1919-1920).
Daily Citizen, Lancashire, England (1915).
Daily Gazette for Middlesbrough, Yorkshire, England (1916).
Daily Herald, London, England (1920-1923).
Daily Malta Chronicle and Garrison Gazette, London, England (1919-1920).

Daily Mirror, London, England (1919-1924).
Daily News, London, England (1919).
Daily Record, Lanarkshire, Scotland (1914-1915).
Dalkeith Advertiser, Midlothian, Scotland (1915).
Derby Daily Telegraph, Derbyshire, England (1920-1922).
Derbyshire Courier, Derbyshire, England (1841).
Devizes and Wiltshire Gazette, Wiltshire, England (1836).
Diss Express, Norfolk, England (1923).
Dorking and Leatherhead Advertiser, Surrey, England (1916).
Dorset County Chronicle, London, England (1919-1920).
Driffeld Times, Yorkshire, England (1919).
Dublin Daily Express, Dublin, Republic of Ireland (1915-1920).
Dublin Evening Telegraph, London, England (1919-1920).
Dumfries and Galloway Standard, Dumfries shire, Scotland (1915).
Dundee Courier, Angus, Scotland (1915-1922).
Dundee Evening Telegraph, Angus, Scotland (1920-1922).
Dundee People's Journal, Angus, Scotland (1915).
East Anglian Daily Times, Suffolk, England (1916).
East London Observer, London (1915).
Edinburgh Evening News, Midlothian, Scotland (1876-1920).
Englishman's Overland Mail, West Bengal, India (1914).
Evening Despatch, Warwickshire, England (1915).
Evening Mail, London, England (1880-1920).
Evening Star, Suffolk, England (1916).
Evesham Standard & West Midland, Worcestershire, England (1914).
Exeter and Plymouth Gazette, Devon, England (1920-1922).
Falkirk Herald, London, England (1919-1920).
Fermanagh times, London, England (1919-1920).
Fife Free Press, & Kirkcaldy Guardian, Worcestershire, England (1915).
Fleetwood Chronicle, Lancashire, England (1915).
Forfar Dispatch, London, England (1919-1920).
Freeman's Journal, Dublin, Republic of Ireland (1918).
Globe, London, England (1914-1920).
Gloucester Citizen, Gloucestershire, England (1919).
Gloucestershire Echo, London, England (1919-1920).
Grantham Journal, Gloucestershire, England (1915).
Grimsby Daily Telegraph, London, England (1919-1920).

Guernsey Evening Press and Star, London, England (1914-1916).
Halifax Evening Courier Lancashire, England (1915).
Haltlepool Northern Daily Mail, Durham, England (1919).
Hamilton Daily Times, Ontario, Canada (1920).
Hartland and West Country Chronicle, London, England (1919-1920).
Hartlepool Northern Daily Mail, Durham, England (1919-1923).
Holloway Press, London, England (1927).
Huddersfield and Holmfirth Examiner, London, England (1914-1916).
Huddersfield Daily Examiner, London, England (1919-1920).
Hull Daily Mail, Yorkshire, England (1915-1924).
Illustrated London News, London, England (1919).
Illustrated Police News, Lancashire, England (1916).
India, London, England (1914-1920).
Irish Independent, London, England (1919-1920).
Irish Weekly and Ulster Examiner, Antrim, Northern Ireland (1920).
Justice, London, England (1920).
Kent & Sussex Courier, Kent, England (1920-1921).
Kilkenny Moderator, Kilkenny, Republic of Ireland (1919).
Kirkintilloch Herald, London, England (1919-1920).
Lancashire Evening Post, Lancashire, England (1919-1929).
Langport & Somerton Herald, London, England (1920).
Larne Reporter and Northern Counties, Northern Ireland (1896).
Leeds Mercury, London, England (1914-1924).
Leicester Daily Mercury, London, England (1914-1915).
Leicester Daily Post, London, England (1919-1920).
Leicester Evening Mail, Leicestershire, England (1920-1921).
Lichfield Mercury, Staffordshire, England (1920).
Lincolnshire Echo, London, England (1919-1920).
Liverpool Daily Post, Lancashire, England (1915-1920).
Liverpool Echo, Lancashire, England (1920).
Liverpool Journal of Commerce, Lancashire, England (1915).
London Daily News, London, England (1921).
Luton News and Bedfordshire Chronicle, London, England (1919-1920).
Maidstone Telegraph, Maidstone Telegraph (1916).
Manchester Courier, Lancashire, England (1914).
Manchester Evening News, Lancashire, England (1915-1918).
Marylebone Mercury, Somerset, England (1916).

Merthyr Express, London, England (1915).
Middlesex Chronicle London, England (1915).
Middlesex County Times, London, England (1916-1921).
Mid-Ulster Mail, London, England (1919-1920).
Morning Herald, London, England (1827-1840).
Newark Advertiser, London, England (1919-1920).
Newcastle Daily Chronicle, Northumberland, England (1915-1916).
Newcastle Evening Chronicle, England (1914).
Newcastle Journal, London, England (1919-1920).
North Devon Journal, Devon, England (1850).
North Star, Durham, England (1918).
North Wales Weekly News, London, England (1919-1920).
Northampton Chronicle and Echo, London, England (1919-1920).
Northern Whig, Belfast, Antrim, Northern Ireland (1914-1922).
Norwood News, London, England (1928).
Nottingham Evening Post, Nottinghamshire, England (1916-1920).
Nottingham Journal, Nottinghamshire, England (1914-1923).
Oban Times and Argyllshire Advertiser, London, England (1920).
Oxfordshire Weekly News, Oxfordshire, England (1915).
Pall Mail Gazette, London, England (1916-1921).
Planet, London, England (1840).
Ripon Observer, London, England (1919-1920).
Rochdale Times, Lancashire, England (1921).
Roscommon Messenger, Roscommon, Republic of Ireland (1920).
Runcorn Guardian, Cheshire, England (1918).
Sevenoaks Chronicle and Kentish Advertiser, London, England (1920).
Sheffield Daily Telegraph, Yorkshire, England (1919-1923).
Sheffield Evening Telegraph, Lancashire, England (1916-1919).
Sheffield Independent, Yorkshire, England (1918-1922).
Sheffield Weekly Telegraph, Yorkshire, England (1915-1920).
Shepton Mallet Journal, Somerset, England (1920).
Socialist, Midlothian, Scotland (1920).
South Eastern Gazette, Kent, England (1915).
Somerset Standard, London, England (1926).
Sporting Times, England (1915).
Staffordshire Sentinel, Staffordshire, England (1920).
Sunday Mirror, London, England (1920).

Sunday Post, London, England (1919-1920).
Sunderland Daily Echo and Shipping Gazette, Durham, England (1915).
Sussex Daily News, Sussex, England (1916).
Taunton Courier and Western Advertiser, London, England (1919-1920).
The Bystander, London, England (1919-1920).
The Graphic, London, England (1889-1921).
The Independent, London, England (2006).
The Scotsman, Midlothian, Scotland (1914-1924).
The Sphere, London, England (1915-1924).
The Tatler, London, England (1919-1920).
The Times, London, England (1842-1920).
True Sun, London, England (1833).
Truth, London, England (1919-1922).
Welsh Gazette, London, England (1919-1922).
West Briton and Cornwall Advertiser, London, England (1919-1920).
West Sussex Gazette, London, England (1919-1920).
Western Daily Press, Bristol, England (1920-1924).
Western Gazette, Somerset, England (1920).
Western Mail, London, England (1916-1924).
Western Morning News, London, England (1919-1920).
Western Times, Devon, England (1915-1920).
Westminster Gazette, London, England (1914-1924).
Wexford Independent, Wexford, Republic of Ireland (1841).
Yorkshire Evening Post, Yorkshire, England (1920).
Yorkshire Post and Leeds Intelligencer, Yorkshire, England (1814-1923).

Theses

Abid, Ibrahim H. "The Agriculture Sector in Iraq: policy, performance, and impact". PhD thesis, University of Keele: Department of Economics, 1995.
 Akin, Piri. "The formation of Iraqi nationalism under the British mandate (1920-1932)". PhD thesis, METU - Middle East Technical University, 2009.
 Atia, Nadia H. "War in the 'Cradle of Civilization': British Perceptions of Mesopotamia, 1907- 1921". PhD thesis, University of London: Queen Mary, 2010.
 Bartlett, Ciaran M. G. "A History of Newspaper Journalism in Belfast, 1855-1910". PhD thesis, University of Ulster: Faculty of Arts, 2014.

- Blyth, Robert J. "The Empire of the Raj: Conflict and Co-operation with Britain over the Shape and Function of the Indian Sphere in Eastern Africa and the Middle East from the 1850s to the 1930s". PhD thesis, University of Aberdeen, 1997.
- Bonnerjee, S. "Nursing Politics and the Body in First World War Life-Writing". PhD thesis, University of Nottingham, 2018.
- Cayford, Joanne Mary. "The Western Mail 1869-1914: A Study in the Politics and Management of a Provincial Newspaper". PhD thesis, University of Wales: College of Wales, 1992.
- Chi, H. "New Woman writing in Britain, 1890s-1940s". PhD thesis, University of Exeter, 2022.
- Cohen, Stuart A. "British Policy in Mesopotamia, 1903-1914". London: Ithaca, 2008.
- Dashti, Eissa. "The Shiite Resistance Against the British Occupation in Iraq 1914-1921". PhD thesis, Bangor University: School of History, 1970.
- Demirci, Sevtap. "The Lausanne Conference: the evolution of Turkish and British diplomatic strategies, 1922-1923". PhD thesis, London School of Economics and Political Science, 1998.
- Dodge, Benjamin Tobias. "KiSocial perception and state-formation: the British in Iraq, 1914-1932". PhD thesis, University of London: School of Oriental and African Studies, 2002.
- Ellison, Elizabeth Rosemary. "A study of diet in Mesopotamia (c.3000 - 600 BC) and associated agricultural techniques and methods of food preparation". PhD thesis, University of London: Faculty of Arts, 1978.
- Fabal, Rafael Rene Ortega. "The British Administration of Iraq and Its Influence on the 1920 Revolution". Master's Thesis, University of Oslo, 2015.
- Fielding, Kenneth J. "Studies in the biography of Charles Dickens". PhD thesis, University of Oxford: 1953.
- Hashim, Mohammed Modhafer. "Political Aspects of the Iraq Parliament and Election Processes 1920 -1932". PhD thesis, University of London: School of Oriental and African Studies, 1978.
- Ivon, Asquith. "James Perry and the Morning Chronicle 1790-1821". PhD thesis, University of London, 1973.
- Jalil, Hawkar Muheddin. "The British Administration of South Kurdistan and Local Responses, 1918-1932". PhD thesis, University of Leicester: School of History, Politics & International Relations, 2017.
- James, Walter Timothy. "Nine Months In Mesopotamia In 1916". Doctor of Medicine thesis, the University of Edinburgh, 1917.
- Jones, Scott. "Occupation and resistance in southern Iraq: a study of Great Britain's civil administration in the Middle Euphrates and the Great rebellion, 1917-1920". PhD thesis, DePaul University, College of Arts and Social Sciences, 2018.

- Joshua, Gibson. "The political thought of the Chartist Movement". PhD thesis, University of Cambridge: Arts and Humanities Research Council, 2018.
- Langford, H. "John Forster as biographer: a case study in nineteenth-century biography". PhD thesis, University of London: 2011.
- Marley, Margaret Elizabeth Philomena. "Asquith, Home rule, and the Gladstonian Tradition". PhD thesis, University Belfast, 1972.
- Masalha, Nur-Eldeen. "King Faisal I of Iraq: a study of his political leadership, 1921 - 1933". PhD thesis, University of London: School of Oriental and African Studies, 1987.
- Mattrrs, Ann Gower. "British Imperialism in Iraq, 1914-1932: asking for trouble". PhD thesis, Flinders University South Australia: Faculty of Social and Behavioural Sciences, 2015.
- Mejcher, H. J. F. "The Birth of the Mandate Idea and its Fulfillment in Iraq up to 1926". PhD thesis, University of Oxford, 1970.
- Montgomery, Alan Everard. "Allied policies in Turkey from the Armistice of Mudros, 30th October, 1918, to the Treaty of Lausanne, 24th July, 1923". PhD thesis, University of London, 1969.
- Newman, Sarah. "The Celebrity Gossip Column and Newspaper Journalism in Britain, 1918-1939". PhD thesis, Linacre College, 2013.
- Parry, J. P. "The Gladstonian Liberal Party and religion, 1867-1875". PhD thesis, University of Cambridge: Political science, 1984.
- Renton, James. "Nationalism, Discourse and Imagination: British Policy towards the Zionist Movement during the First World War". PhD thesis, University College London, 2003.
- Robert, Saunders. "The Parliamentary reform debate in Britain, 1848-67". PhD thesis, University of Oxford: 2005.
- Stedman, Andrew David. "A synthesis and analysis of the alternatives to Chamberlain's policy of appeasing Germany, 1936-1939". PhD thesis, Kingston University, 2007.
- Walters, D. R. W. G. "The Relationship Between British Naval and Foreign Policies In The Far East, 1920 -1934". PhD thesis, University of London, 1977.
- Zaidan, Suzan Muhammed Hasan. "Representation of Viewpoint in Opinion Discourse A comparative linguistic investigation of Arabic and British newspapers at time of conflict". PhD thesis, University of Leeds: The School of Modern Languages and Cultures, 2006.
- Seminars, Conferences
- Chakrabarti, Tusharbindu. "Indian Army and British Strategy in Arabistan 1914-1915", Proceedings of the Indian History Congress, 1987, Vol. 48, 1987.
- Reports and Websites
- Ian Macted, "Mallet, Elizabeth," *Oxford Dictionary of National Biography*, < < <https://www.oxforddnb.com/display/10.1093/ref:odnb/>

The British Documents

1- Cabinet Papers

CAB 24/111/17, Winston S Churchill, Reinforcements for Mesopotamia. Memoranda (GT, CP and G War Series), CP Series, 27/8/1920.

CAB 24/109/49, Winston S Churchill, Memorandum Former Reference, Situation in Mesopotamia, 17/7/1920.

CAB 24/110/19, Secretary of State for India, Reinforcements for Mesopotamia, Telegram No 125 from Secretary of State to Viceroy, Army Department, 3/8/1920.

CAB 24/110/49, The National Archives' reference, The Secretary of State for India.

CAB 24/110/91, Winston S Churchill, Reinforcements for Mesopotamia, Memoranda (GT, CP and G War Series), CP Series, 3/8/1920.

CAB 24/111/15, Secretary of State for War, Military Policy in Mesopotamia, Copy of Telegram from General Commanding-in-Chief the Forces in Mesopotamia to Secretary, 30/8/1920.

CAB 24/111/29, Winston S Churchill, Reinforcements for Mesopotamia, 2/9/1920.

CAB 24/111/62, Secretary of State for India, Situation in Mosul, Arbil, Kirkuk, Telegrams from Civil Commissioner, Baghdad, to S/S for India, 11/9/1920.

CAB/23/37/19, Memorandum Former Reference, The Anglo French Petroleum Agreement and Mesopotamia, 29/6/1920.

CAB/24/108/56, Memorandum Former Reference, The Anglo French Petroleum Agreement and Mesopotamia, 29/6/1920.

CAB/24/108/72, Memorandum Former Reference, The Assyrian and Armenian Refugees in Mesopotamia, 5/7/1920.

2- India Office Records/Library/Military

IOR/L/MIL/17/15/95, Report on the operations in the vicinity of Shaiba 12th-14th April 1915, Simla: printed at the Government central press, 1915 General staff, India, A. J. Barker.

IOR/L/MIL/5/749, India Office Records.

IOR/L/MIL/5/749, 27 Nov. 1914, Persian Gulf Operations.

IOR/L/MIL/17/15/73, Naval staff monographs (historical) fleet Issue monographs 15 naval operations in Mesopotamia and Persian Gulf, July 1921, the Inception of the Expedition, British Shipping and Trading Interests in Mesopotamia, Vol. IV.

IOR/L/MIL/17/15 /73, Naval staff operations 15 in Mesopotamia and the Persian Gulf, July, 1921, The Inception of the Expedition, Vol. 6.

- IOR/L/MIL/17/15/86, Plan for Operations in Turkish Mesopotamia, printed by Government monotype press, 1914.
- 3- Political and Secret Letters of the India Office
- IOR/L/PS/10/556, Telegram sent by the British Civil Commissioner in Baghdad, to the Secretary of State for Foreign Affairs, 3 August 1920. F. 29 Public Domain Creative Commons Licence.
- IOR/L/PS/10/87, Mesopotamia Irrigation, 3131/1905£ IOR/L/PS/10/87, Mesopotamia Irrigation, 3131/1905, 184£ IOR/L/PS/10/87, Mesopotamia Irrigation, 3131.
- IOR/L/PS/18/B285, the Baghdad railway negotiations.
- IOR/L/PS/18/B153, This document is the Property of his Britannic Majesty's Government, Memorandum Respecting the Baghdad Railway, the Baghdad Railway Convention of March 1903£ IOR/L /PS /18/ B160, secretary of state for India, Baghdad Railway.
- IOR/L/PS/18/188, The secretary of state for India in council, Baghdad- Basra Railway.
- IOR/L/PS/18/B236, political secretary, India office the political Reasons for Expedition.
- 4- Ministry of Munitions Archive
- MUN:4/6517: Report from Major-General H.F.E. Freeland on the working and future development of the Port of Basra and of the river and railway communications in Mesopotamia, April 1918.
- 5- War Office Archive
- WO 32/5206, Report from Lieutenant-General F.S. Maude, 28/8/1916 -31/3/1917.
- 6- Foreign Office Archive
- F.O.882/23/3/33, Telegram from secretary of state for India to political Baghdad, 30/11/1918.
- F.O.882/23/3133/MES/19/17, Telegram from Political Baghdad, to Secretary of State for India, No. 11454, 22/11/1918.
- F.O.141/444/12215, From Secretary of State for India to Civil Commissioner Baghdad, No. 11608, 27/11/1918.
- F.O.882/23/3133, Telegram No. 11453, 22/12/1918, From Political Baghdad to Secretary of State for India.
- F.O.882/13/5050, Self-Determination in Iraq: Secret Compilation of Declaration and Telegram.
- F.O.882/23/3505, Telegram from P.P Basra, to Civil Commissioner, Baghdad-No. 536, 21/12/1918.
- F.O.882/23/MES/19/7, Telegram No. 1706, 26/1/1919: From Political Baghdad to Secretary of State for India.
- F.O.882/23/3505, Self-Determination in Iraq: Secret Compilation of Declarations and Telegram No. 2.

F.O.882/23/3505, Self-Determination in Iraq: Secret Compilation of Declarations and Telegram No. 8.

F.O.311/4150/5394, Self-Determination in Mesopotamia No. 5, 24, Dated 22/2/1919, Baghdad: From A.T Wilson to Under Secretary of State for India.

7- Administration of Justice Archive

Bonham Carter, Report on the Administration of Justice for the Year 1920 in Iraq: Administration Reports 1914 - 1932, Vol. 6.

8- Royal Air Force Archive

AIR1/426/15/260/3, Air Staff, On the Power of the Air Force and the Application of That Power to Iraq Police.

AIR5/269, Air Staff, Re-marks on Iraq Intelligence Summaries No. 51- 53 of September 19, September 26, October 29.